سورة ن

[٩٦٤] أخرج ابن المنذر عن ابن جريج قال كانوا يقولون للنبي [ﷺ] أنه مجنون ثم شيطان فنزلت: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾(١).

[٩٦٥] وأخرج أبو نعيم في الدلائل والواحدي بسند واهٍ(٢) عن عائشة قالت: ما كان أحد أحسن خلقاً من رسول الله [ﷺ] ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: «لبيك» فلذلك أنزل الله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾(٣).

[٩٦٦] وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي في قوله ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠﴾(٤) قال: نزلت في الأخنس بن شريق.. ك.. وأخرج ابن المنذر عن الكلبي مثله.

[٩٦٧] ك.. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت في الأسود بن عبد يغوث.

[٩٦٨] ك.. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت على النبي [ﷺ]: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾(٥) فلم نعرفه حتى نزل عليه بعد ذلك: ﴿زَنِيمٍ﴾ فعرفناه له زنمة كزنمة الشاة.

[٩٦٩] ك.. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريج أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً فاربطوهم في الحبال ولا تقتلوا منهم أحداً فنزلت: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾(٦) يقول في قدرتهم عليهم كما اقتدر أصحاب الجنة على الجنة.

* * *

---

[٩٦٤] (١) سورة نٓ: الآية (٢).

[٩٦٥] (٢) رواه ابن سعد في الطبقات (١/١/٢٤٤)، وأبو نعيم في الدلائل (١/٥٧)، والواحدي في أسباب النزول من طريق جرير بن يحيى عن حسين بن علوان الكوفي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة.

(٣) سورة نٓ: الآية (٤).

[٩٦٦] (٤) سورة نٓ: الآية (١٠).

[٩٦٨] (٥) سورة نٓ: الآية (١٠و١١).

[٩٦٩] (٦) سورة نٓ: الآية (١٧).

(٦٨) سورة القلم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

● **سورة** القلم من السور المكية التي تعنى بأصول العقيدة والإيمان ، وقد تناولت هذه السورة ثلاثة مواضيع أساسية وهي :

أ ـ **موضوع** الرسالة ، والشبه التي أثارها كفار مكة حول دعوة محمد بن عبدالله ﷺ .

ب ـ **قصة** أصحاب الجنة « البستان » ، لبيان نتيجة الكفر بنعم الله تعالى **الآخرة** وأهوالها وشدائدها ، وما أعدَّ الله للفريقين : المسلمين والمجرمين . ولكنَّ المحور الذي تدور عليه السورة الكريمة هو موضوع إثبات نبوة محمد ﷺ .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالقسم على رفعة قدر الرسول ﷺ وشرفه وبراءته مما ألصقه به المشركون من اتهامه ـ وحاشاه ـ بالجنون ، وبينت أخلاقه العظيمة ، ومناقبه السامية ﴿ ن والقلم وما يسطرون . ما أنت بنعمة ربك بمجنون . وإنَّ لك لأجراً غير ممنون . وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم﴾ .. الآيات .

● **ثم تناولت** موقف المجرمين من دعوة رسول الله ﷺ وما أعدَّ الله لهم من العذاب والنكال ﴿ فلا تطع المكذبين . ودُّوا لو تُدهن فيدهنون . ولا تطع كل حلاَّف مَهين ..﴾ الآيات .

● **ثم ضربت** مثلاً لكفار مكة في كفرانهم نعمة الله العظمى ببعثة

خاتم الرسل ﷺ اليهم وتكذيبهم به بقصة أصحاب الجنة « الحديقة » ذاتِ الأشجار والزروع والثمار ، حيث جحدوا نعمة الله ومنعوا حقوق الفقراء والمساكين ، فأحرق الله حديقتهم وجعل قصتهم عبرةً للمعتبرين ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذْ أقسموا ليصر منها مصبحين . ولا يستثنون . فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون . فأصبحت كالصريم﴾ الآيات .

● **ثم قارنت** السورة بين المؤمنين والمجرمين ، على طريقة القرآن في الجمع بين الترغيب والترهيب ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين .. ﴾ الآيات .

● **وتناولت** السورة الكريمة القيامة وأحوالها وأهوالها ، وموقف المجرمين في ذلك اليوم العصيب ، الذي يكلفون فيه بالسجود الرب العالمين فلا يقدرون ﴿ يوم يكشف عن ساقٍ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ الآيات .

● **وختمت** السورة الكريمة بأمر الرسول ﷺ بالصبر على أذى المشركين ، وعدم التبرم والضجر بما يلقاه في سبيل تبليغ دعوة الله كما حدث من يونس عليه السلام حين ترك قومه وسارع إلى ركوب البحر ﴿ فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾ الآيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القلم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.

﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[١]

قوله عز وجل: **ن**، اختلف في تأويل[2] ن.[3] فمنهم من يقول: هو الحوت، كقوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا،[4] فنسبه[5] إلى النون وهو الحوت، ألا ترى إلى قوله: فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ.[6] ومنهم من يقول: النون هو الدواة. فتأويله هذا على جهة الموافقة، لأنه ذكر القلم وما يُسْطر به، فلم يبق هاهنا سوى الدواة، فحمله على الدواة على الموافقة، لا أن يكون فيه معنى يدل على إرادة الدواة منه. *والله أعلم*. ومنهم من يقول: هي فارسية معرَّبة: أَكْنُونْ[7] كن،[8] أي اصنع ما شئت. يقال هذا عند الإياس أن المرء إذا أَيِس عن آخَرَ قال له:[9] اصنع ما شئت إِذَنْ.[10]

---

[1] ر – سورة القلم؛ ن: ذكر أن سورة ن والقلم مكية؛ ث: سورة ن وهي اثنتان وخمسون آية مكية؛ م: سورة ن والقلم وهي مكية.

[2] ن: في قوله.

[3] ر ث م: نون.

[4] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).

[5] ث: فنسبته.

[6] سورة الصافات، ١٤٢/٣٧.

[7] جميع النسخ: انون.

[8] ن: كر.

[9] ر م: قاله.

[10] جميع النسخ: إذا.

ومنهم من يقول: هو من الحروف المقطعة. يشبه أن يكون هو المرادَ، لأنه ذكر القلم وما يُسْطَر على إثره، وإنما تكتب[١] بالقلم وتسطر[٢] الحروف المعجمةُ. فأخبر تعالى عظيم صنعه ولطفه بإنشائه هذه الحروف وخَلْقِه القلمَ وما يسطر به،[٣] حيث توصل[٤] بها إلى تَعرُّف الحكمة وكل ما يكون به[٥] المصلحة من الدين والدنيا، بل جعل قوام الدين والدنيا بها. ومنهم من يجعل كل حرف من الحروف المعجمة اسما من أسماء الله تعالى أو افتتاحَ اسم من أسمائه. وكذلك يروى عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال ذلك.[٦] فإن كان النون اسما من أسماء الله تعالى فالقسم[٧] به قَسَم بالله تعالى. وإن كان على غيره من الوجوه التي ذكرناها فالقسم[٨] جار[٩] بما به قوام سائر الخلق ومصالحُهم. وقد ذكرنا أن القسم لتأكيد ما يقصد من الأمر.[١٠] *والله أعلم*.

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾[٢]

وقوله عز وجل: **ما أنت بنعمة ربك بمجنون**، فموضع القسم هذا، أقسم بما ذكر: **ما أنت بنعمة ربك بمجنون**، [وهو] يحتمل أوجها. أحدها أي نعمة ربك حَفِظَتْكَ[١١] عن الجنون، فنفى عنه الجنون بقوله: ما أنت بما أنعم الله عليك بمجنون. وهذا كما يقال: ما أنت بحمد الله بمجنون، يراد به نفي الجنون. والثاني أنك لست ممن خدعته النعمة واغتر بها حتى شغلته عن العمل بما له وعليه. والمجنون بالنعمة هو الذي غرته[١٢] النِعم وأَلْهَتْه عن التزود للمعاد. أو ما أنت بغافل عن نعمة ربك بل تذكرها[١٣] وتشكر[١٤] الله تعالى عليها. والمجنون من غفل عن النعمة وأعرض عن شكرها.

---

[١] جميع النسخ: يكتب.
[٢] ر ث: ويسطر؛ ن: وتسطير؛ م وبسطر.
[٣] جميع النسخ: عليه.
[٤] جميع النسخ: يوصل. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[٥] ن: بها.
[٦] عن ابن عباس أنه قال: «الر وحم ون» حروف الرحمن مقطعة (*تفسير الطبري*، ١٩/١٤).
[٧] ر ث م: والقسم.
[٨] ر ث م: والقسم.
[٩] ر ن م: جاري.
[١٠] انظر مثلا: تفسير الآية ٧٥ و ٧٦ من سورة الواقعة؛ وتفسير الآية ٣٨ و ٣٩ من سورة الحاقة.
[١١] جميع النسخ: حفظك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[١٢] ن: غربه؛ م: غربته.
[١٣] ن: يذكرها.
[١٤] ن: يشكر.

ثم الكفرة كانوا ينسبونه إلى الجنون، إما لما كان يُغْشَى [عليه][1] لثقل الوحي فكانوا ينسبونه لهذا، وإما لما رأوا / أنه خاطر بنفسه وروحه حيث خالف أهل الأرض -وفيها الجبابرة والفراعنة- [٨٣١ظ] وانتصب لمعاداتهم. ومن قام بخلاف مَن لا طاقة له معه وانتصب لمعاداته فذلك منه في الشاهد جنون. فأجاب الله تعالى للفريقين جميعا. أما الأول بقوله: قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ،[2] أي كيف ينسبونه إلى الجنون، وعند الإفاقة من تلك الغَشْية يأتيكم[3] بحكمة وموعظة يَعْجز حكماءُ الجن والإنس عن إتيان مثلها،[4] وليس ذلك من علم المجانين ولا[5] مما يمكن تحصيله في حال الجنون. لأن المجنون[6] إذا أفاق من غشيته تكلم بكلام لا يُعْبَأُ بمثله ولا يُكْتَرث. و[الثاني] أجاب لمن كان نسبه إلى الجنون لِمَا خاطر بروحه ونفسه بقوله: إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فأخبر أن الذي حمله على المخاطرة[7] بروحه وجسده هو أنه مأمور بالتبليغ والنِذارة، فهو يقوم بما أُمر وإن أدى ذلك إلى إتلاف النفس. ثم بحمد الله تعالى لم يتهيأ للفراعنة أن يقتلوه ولا تمكّنوا من المكر به، بل أظفره الله تعالى عليهم حتى قتلهم وردَّ كيدهم في نحورهم، فصار الوجه الذي استدلوا به على جنونه آيةَ رسالته ودلالة نبوته. *والله الهادي*.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[٣]

وقوله عز وجل: **وإن لك لأجرا غير ممنون**، قال[8] الحسن: أي لا يَمُنُّ عليك[9] المنةَ التي[10] تؤذيك ولكن يمن عليك منةَ رحمةٍ وكرامة. والمن المؤذي كما ذكر عز وجل: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى،[11] فليس لأحد عليك منة تؤذيك.[12]

---

[1] الزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[2] سورة سبأ، ٤٦/٣٤.
[3] جميع النسخ: يأتيهم. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧٩٥و.
[4] جميع النسخ: مثله. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٦ظ.
[5] ر م: وإلا.
[6] ث: للمجنون.
[7] ث: للمخاطرة.
[8] ر م: وقال.
[9] ر – عليك.
[10] ث: الذي.
[11] سورة البقرة، ٢٦٤/٢.
[12] ر م: يؤذيك؛ ن – لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى فليس لأحد عليك منة تؤذيك.

وقال بعضهم: **غَيْرَ ممنونٍ**، أي غير مقطوع، أي إن أجرك غير مقدَّرٍ بالأعمال حتى تُجزَى[1] بقدر الأعمال، فإذا انقطعت الأعمال انقطع الأجر وانقرض، بل يتتابع عليك ويَدُرُّ. يقال في الكلام: مَنَنتُ الحبال،[2] أي قطعته. وقال بعضهم: **غيرَ ممنونٍ**، أي غير محسوب، أي لا نَحسُب[3] عليك النعم فتَفْنَىَ[4] بفناء[5] الحساب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]

وقوله عز وجل: **وإنك لعلى خلق عظيم**، خُلُقه العظيم القرآن، ومعناه ما أدّبه القرآن. وذلك كقوله: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ،[6] وكقوله:[7] اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ،[8] وكقوله:[9] وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ.[10] فأَخْذه بالعفو وأمْره بالعرف وإعْراضه عن الجاهلين ودفْعه[11] السيئة بالتي هي أحسن وخفْضه الجناح للمؤمنين من أعظم الخُلُق، وتخلَّق بهذا كله بما أدَّبه القرآن. *والله أعلم*. وقال بعضهم: الخُلُق العظيم هو الإسلام، والإسلام هو الاستسلام والانقياد لأمر الله تعالى. وقد استسلم لذلك وسَلِم الناس من لسانه ويده وعن كل أنواع الأذى، وذلك من أعظم الخلق.

والأصل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلِّف معاملةَ أعداء الله تعالى[12] ومعاملة أولياء الله وأنصاره، وكُلِف أن يَرفُض الدنيا ويتزهَّد فيها، وكُلِّف معاملة الصغير والكبير والعالم والجاهل والجن والإنس، وكلِّف معاملةَ نسائه. ومن كلف المعاملة مع هؤلاء لم يقم لها إلا بخُلُق عظيم. فرزقه الله تعالى خُلُقا عظيما حتى احتمل المعاملة وقام معهم بحسن العِشْرة،

[1] ر ث م: يجري؛ ن – تجزى. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٧و.
[2] ن: الحيل.
[3] ن: لا يحسب.
[4] جميع النسخ: فيفنى. والتصحيح من المرجع السابق.
[5] ر ن م: نفي.
[6] سورة الأعراف، ١٩٩/٧.
[7] ن: وكقو.
[8] ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ (سورة فصلت، ٣٤/٤١).
[9] ن: وقوله.
[10] سورة الحجر، ٨٨/١٥.
[11] ن + عن.
[12] جميع النسخ + ومعاملة أعدائه. والتصحيح من المرجع السابق.

وحتى عوتب على عظيم خُلُقه بقوله: عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ،[١] وبقوله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ،[٢] وقال: فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ،[٣] وقال: فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ.[٤] فالذي حمله على هذه المشقة والكلفة العظيمة حسْن خُلُقه وفضل شَفَقَته ورحمته. فعِظَمُ خُلقه أن خُلقه جاوز قوى نفسه حتى ضعفت نفسه عن احتماله وكادت تَهْلِك فيه. وغيره من الخلائق تَقْصُر[٥] أخلاقهم عن قوى أنفسهم، وأنفسهم تحتمل أضعافَ ما هم عليه من الخلق، وتضيق[٦] أخلاقهم عن ذلك. فهذا الذي ذكرنا هو النهاية في العظم. ***وبالله التوفيق.***

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾[٥] ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[٦]

وقوله عز وجل: **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون**. قال جعفر بن حرب:[٧] **المفتون** في هذا الموضع هو المفتون بضلالته المُعْجَب بخطئه المشغوف[٨] بجهله. وقال الحسن: **المفتون** هو الذي معه[٩] الشيطان. وقيل: **المفتون** من به الفتنة؛ كما يقال: فلان لا معقول له، أي ليس له عقل. وقيل: **المفتون** المعذَّب، كقوله عز وجل: يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ،[١٠] أي يعذبون. فكأنه يقول: ستعلمون أيكم المعذب وأيكم الضالُّ، إن حُمل على ما ذكر الحسن، وأيكم المغتر إن كان معناه على ما ذكروا أن المفتون من الفتنة. وجائز أن يكون نسبوه إلى الاغترار فيما كان يدَّعي من الرسالة ويزعمون أنه مغتر[١١] بها، ويَغُر بها غيرَه، كما قال المنافقون: مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا.[١٢]

---

[١] ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ (سورة التوبة، ٤٣/٩).

[٢] سورة التحريم، ١/٦٦.

[٣] ﴿فلعلك بَاخِعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ (سورة الكهف، ٦/١٨).

[٤] ﴿أفمن زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾ (سورة فاطر، ٨/٣٥).

[٥] جميع النسخ: يقصر. والتصحيح من *الشرح*، ٢٥٧و.

[٦] جميع النسخ: ويضيق.

[٧] أبو الفضل الأشج جعفر بن حرب الهمداني المعتزلي العابد. له *كتاب متشابه القرآن*، و*كتاب الاستقصاء*، و*كتاب الرد على أصحاب الطبائع*، و*كتاب الأصول*. توفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠م. انظر: *سير أعلام النبلاء* للذهبي، ٥٤٩/١٠-٥٥٠.

[٨] ر ن م: المسعوف.

[٩] ر ث م: منعه.

[١٠] سورة الذاريات، ١٣/٥١.

[١١] ر ن: المغتر.

[١٢] سورة الأحزاب، ١٢/٣٣.

وحق هذا عندنا أن لا نتكلف[1] تفسيره، لأنه قال: **فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون.** فذكر هذا جوابا عما وقعت فيه الخصومة، فكانوا يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المفتون، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر أنهم هم المفتونون،[2] فخرج هذا جوابا عن تلك الخصومة أنهم وأنت ستبصرون. وقد وقعت الخصومات من أوجه.[3]
[٨٣٢و] فمرة كانوا يدّعون أنه ساحر، / ومرة كانوا[4] يدعون أنه مجنون، ومرة بأنه ضال، ومرة أنه[5] مفتون،[6] وغيرها من الوجوه. وإذا ثبت أن الآية نزلت في حق الجواب، فما لم يُعلَم بأن الخصومة فيم كانت لم يعلم إلى ماذا يُصرَف الجواب. ***والله أعلم***. ويشبه أن تكون[7] الخصومة الواقعة في الضلال والهدى، فكانوا يدّعون أنهم على الهدى، وأنهم بالله أحق وإليه أقرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدّعي أنهم على الضلال، وأنه على دين الحق والهدى. يدل على ذلك ذكر الضلال والهدى بعد ذكر المفتون، وهو قوله:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[٧]

ثم هذه الآيات كأنها نزلت جوابا من الله تعالى عما كان يَحِقُّ[8] لمثله الجواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن الله تعالى لما امتحن رسوله[9] صلى الله عليه وسلم بالعفو والإعراض عن المكافأة[10] بالجواب تولي الله تعالى الجواب عنه بقوله:[11] **إن ربك هو أعلم**، أي قد تعلمون[12] أن ربكم أعلم **بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**. وسنبين لكم ذلك.

---

[1] جميع النسخ: يتكلف. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٧و.
[2] ر م: المفتون.
[3] ث: واحد.
[4] ن – كانوا.
[5] ن + أنه.
[6] جميع النسخ: مفتر. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٧٨ظ.
[7] ن: أن يكون.
[8] جميع النسخ: يحق. والتصحيح من المرجع السابق.
[9] ر: رسول الله.
[10] ر ن م: المكافات.
[11] ر ث م + تعالى.
[12] ن: قد يعلمون.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٨]

وقوله عز وجل: **فلا تطع المكذبين**، وقال في موضع آخر: وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا.[١] ليس في قوله: **فلا تطع المكذبين**، أمر من الله تعالى بأن يطيع المصدقين، لأن[٢] من صدقه وآمن به لا يجوز أن يتقدم بين يديه فيأمره أو ينهاه عن أمر ويدعوه إلى الطاعة،[٣] بل ينظر إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهيه فيأتمر بأمره ويطيعه فيما يدعوه إليه. وأما من كذّبه فقد يدعوه إلى طاعته، فخص ذكرَ المكذِّب عند ما نهاه عن طاعته، لأن الدعاء إلى الطاعة يوجد [من المكذب] لا من المصدق؛ دون أن يتضمن قوله: **فلا تطع المكذبين**، أمرا بطاعة المصدق.[٤] وهو كقوله تعالى: وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ،[٥] فليس فيه أنه إذا لم يخش الإملاق يَسَعُه قتله، ولكنه خص تلك الحالة لان تلك الحالة هي التي كانت[٦] تحملهم على[٧] القتل ولم يكونوا يُقدمون على القتل عند الأمن من الإملاق. وفي هذا دلالة إبطال قول من قال بأن تخصيص الشيء بالذكر يدل على أن الحكم فيما غايره بخلافه. *والله أعلم*.

وقوله: **المكذِّبين**، هم المكذبون بآيات الله تعالى أو بوحدانيته[٨] أو برسله أو بالبعث.

ثم يجوز أن يكون هذا الأمر منهم في أول الأحوال فكان يَطمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم الإجابة لهم فيما يدعونه إليه، إذ كانوا[٩] يرجون منه الموافقة لهم بما يبذلون له من المال، فيكون النهي راجعا إلى ذلك الوقت. فأما بعد ما ظهرت منه الصلابة في الدين والتشمير لأمر الله تعالى فلا يحتمل أن يطيعهم أو يُخافَ منه ذلك فيُنْهَى عنه. وجائز أن يكون دعاؤهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر من قوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ،[١٠] والمداهنة هي الملاطفة والملاينة في القول.

---

[١] ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا﴾ (سورة الإنسان، ٢٤/٧٦).

[٢] ر ث م - لأن.

[٣] ر: الطعام.

[٤] ر ث: الصدق.

[٥] سورة الإسراء، ٣١/١٧.

[٦] ث - كانت.

[٧] ر م: إلى.

[٨] ن: بوحدانية الله.

[٩] ن: إن كانوا.

[١٠] الآية التالية.

ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر آلهتهم بسوء، ويسفِّههم بعبادتهم إياها، ويسفه أحلامهم ويجهّلهم. وهم لم يكونوا يجدون في رسول الله صلى الله عليه وسلم مطعنا فكانوا ينسبونه إلى الكذب مرة وإلى الجنون ثانيا وإلى السحر ثالثا، وكانوا يتخذونه[1] هزوا إذا رأوه. فكانوا يطعنون فيه من هذه الأوجه بإزاء ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسفههم ويذكر آلهتهم بسوء مع علمهم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن. ألا ترى إلى قوله تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ.[2] فأخبر تعالى أنهم ليسوا يكذبونه لما وقفوا منه على الكذب، بل قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق و لم يكونوا وقفوا منه على كذب قط، وإنما الذي حملهم على التكذيب واتخاذهم إياه هزوا ذكْرُ آلهتهم بسوء. وكذلك قال: وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا[3] أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ،[4] فكانت معاملتهم هذه مجازاةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[٩]

وقوله عز وجل: **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون**، يخرج على هذا -إن شاء الله تعالى- هو أنك لو تركت ذكر آلهتهم بسوء و لم تُسفِّه[5] أحلامهم لامتنعوا أيضا عما هم عليه من نسبتهم إياك إلى الجنون والسحر والكذب وغير ذلك. ولكنه كان يذكرهم بما يذكرهم[6] وهو في ذلك محق،[7] وهم كانوا يذكرونه بما قالوا بالباطل والزور. فيكون قوله: فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ،[8] فيما يدعونك إلى المداهنة. ثم هم لو داهنوا كانوا في مداهنتهم محقين، فإذا تركوا ذلك فقد تركوا الحق الذي كان عليهم. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لو داهنهم لم يكن في مداهنته[9] محقا، فلذلك نهي عن المداهنة. وقال بعض المفسرين:[10] **وَدُّوا لو تدهن فيدهنون**،

[1] ن – إلى الكذب مرة وإلى الجنون ثانيا وإلى السحر ثالثا وكانوا يتخذونه.
[2] سورة الأنعام، ٣٣/٦.
[3] ن – ذكر آلهتهم بسوء وكذلك قال وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا.
[4] سورة الأنبياء، ٣٦/٢١.
[5] ر ن م: يسفه.
[6] ر ث م – بما يذكرهم.
[7] ر: بحق.
[8] الآية السابقة.
[9] جميع النسخ: في مداهنتهم.
[10] ن – المفسرين.

أي لو تَرْفُضُ ما أنت عليه من الدين ويرفضون ما هم عليه من الدين.[١] وهذا لا يستقيم، لأنه إذا رفض ما هو عليه من الدين كفر،[٢] وهم لو تركوا ما هم عليه صاروا مسلمين، فيبقى بينهم الاختلاف الذي لأجله[٣] دعوا إلى المداهنة وودُّوها.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾[١٠] ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[١١] ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[١٢]

وقوله عز وجل: **ولا تطع كل حلاف مهين.** قيل: إن[٤] هذه الآيات نزلت في واحد يشار إليه، وهو الوليد بن المغيرة المخزومي.[٥] وفيما يشار إلى واحد لا يطلق فيه لفظة "كل"، فيقال: **ولا تطع كل حلاف مهين**، والحلاف المهين ليس إلا الواحدَ. ولكن معناه لا تطع هذا، وكلَّ من يوجد فيه هذه الصفة.

ثم ذِكرُ المرء بقوله: **حلَّاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم،** / يخرج مخرج الهجاء والشتم[٦] في الشاهد، لأن ذكر المرء بما هو عليه من ارتكاب الفواحش والمساوئ تهجين له وشتم. وجلَّ الله ورسوله أن يقصدوا إلى شتم إنسان. فالآية ليست في تثبيت فواحشه، وإنما هي في موضع التوبيخ والزجر عن اتباع مثله. وذلك أنه كان من رؤساء الكفرة وممن بُسطت عليه الدنيا، فكان القوم يتبعونه وينقادون له فيما يدعوهم[٧] إلى الصد عن سبيل الله. فذكر الله تعالى فيه[٨] هذه الأشياء، وأظهرها للخلق ليُزَهِّدهم عن اتباعه، إذ كل من كانت فيه هذه الأحوال لم تَسْنَحْ[٩] نفس عاقلٍ لاتباعه ولا احتمل طبعه طاعةَ مثله، فلا يتمكن من صد الناس عن سبيل الله تعالى. فكان في ذكره بالعيوب التي ذكرها زجرُ الناس عن طاعته، [٨٣٢ظ]

[١] ر ث م – ويرفضون ما هم عليه من الدين.
[٢] ن: كفروا.
[٣] جميع النسخ: + ما.
[٤] جميع النسخ: بأن. والتصحيح من *الشرح*، نسخة حميدية ١٧٦، ورقة ٧٩٦و.
[٥] أبو عبد شمس الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن المخزومي القرشي، (ت ١هـ/٦٢٢م)، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش كلها. وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية وضرب ابنه هشاما على شربها. وأدرك الإسلام وهو شيخ هَرِم، فعاداه وقاوم دعوته. وهلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر، ودفن بالحجون. وهو والد سيف الله خالد بن الوليد (*الأعلام* للزركلي، ٤/٩٥).
[٦] ر – والشتم.
[٧] ن – هم.
[٨] ن – فيه.
[٩] ر ن م: لم تنسخ. لم تسنح: أي لم تمكن ولم تتيسر لنفس عاقل.

فذكرها لإثبات هذا الوجه، لا أن تكون فائدتها على تحصيل الشتم والهجاء. وكذلك ذِكرُ[1] أبا لهب بالتَّبِّ والخسار وما هو عليه من الفواحش ليزجُر[2] الناس عن اتباعه. وفي هذه الآية[3] دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الوجه الذي نذكره[4] في سورة "تبت" إن شاء الله تعالى. ثم قيل **المهين**، من المَهانة ومن المِهنة ومن الوَهْن، وهو الضعف.[5] ثم قوله: **همَّازٍ مشَّاءٍ بنميم منَّاع للخير مُعتدٍ أثيم**، جائز أن يكون استوجب المهانة لكونه همازاً[6] مشاء بالنميم وبمنعه[7] الخير واعتدائه. فيكون هذا كله تفسير المهين. فإن كان هكذا فقوله المهين من المَهانة هاهنا. ثم لا يجوز[8] أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخشَى عليه طاعة مَنْ هذا[9] وصْفُه وإن يميل قلبه إليه. ولكن النهي لمكانِ غيرِه، وإن كان هو المشارَ إليه بالذكر. وجائز أن يكون قوله: **كل حلاف مهين**، تمام[10] الكلام ويكون قوله **هماز مشاء بنميم**، على الابتداء، فكأنه يقول: لا تطع كل حلاف مهين وكل[11] هماز مشاء بنميم، وكل معتد أثيم، وكل عتل زنيم.[12] وتفسير الهَمْز[13] يذكر في تفسير "سورة الهمزة" إن شاء الله تعالى. والمشّاء بالنميم[14] هو الذي يسعى في الفُرْقة بين الإخوان، ويقوم فيما بينهم بالقطيعة. والمنّاع للخير؛ قال بعضهم: إنه كان يمنع أهلَ الآفاق مَن كان بحضرته عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: إنه ضالٌّ مضلٌّ، فقيل: منّاع للخير، لهذا.

---

[1] م + ذكر.

[2] ن: لنزجر.

[3] ر ث م – الآيات. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٨و.

[4] ن: يذكره. والتصحيح من المرجع السابق.

[5] وفي التنزيل العزيز: ﴿ولا تطع كلَّ حلَّاف مهين﴾، قال الفراء: المهين هنا الفاجر. وقال أبو إسحاق: هو فعيل من المَهانة، وهي القلة. قال: ومعناه هاهنا: القلة في الرأي والتمييز. ورجل مهين: أي من ماء قليل ضعيف. الوهن: الضعف في العمل والأمر وكذلك في العَظْم ونحوه (*لسان العرب* «مهن» و«وهن»).

[6] ر: هماز.

[7] ر ن م: ويمنعه.

[8] ر م: يجوز؛ ن – استوجب المهانة لكونه همازا مشاء بالنميم وبمنعه الخير واعتدائه فيكون هذا كله تفسير المهين فإن كان هكذا فقوله المهين من المهانة هاهنا ثم لا يجوز.

[9] ر م: وهذا.

[10] ر ن: تمام.

[11] ر ث م – وكل.

[12] ن: زميم. من مفهوم الآية التالية.

[13] ر ن م: الهمزة.

[14] ن: بنميم.

ومنهم من ذكر أنه كان يمنع ولده من الاختلاف إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجائز أن يكون مَنْعُه للخير هو امتناعَه عن أداءِ حقوق الله تعالى الواجبة في ماله. وقوله عز وجل: **مُعْتَدٍ**، أي معتد حدودَ الله تعالى، أو ظالم لنفسه. وقوله عز وجل: **أثيم**، الأثيم هو المرتكب لما يأثم به.[١]

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[١٣]

وقوله عز وجل: **عتل بعد ذلك زنيم**، العتل؛ الفَظُّ الغليظ والشديد الظلومُ. وقيل: هو الفاحش اللئيم الضريبة. وقال مجاهد: العتل الشديد الأشر إلى الخلق. وقد[٢] روي في الخبر[٣] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل الجنة جوّاظ ولا جَعْظَرِيٌّ ولا العتلُّ الزنيمُ». فقال رجل من المسلمين: يا رسول الله[٤] وما الجواظ والجعظري والعتل الزنيم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما الجواظ فالذي[٥] جَمَع ومَنَع، تدعوه لَظَى نَزَّاعَةً لِلشَّوَى.[٦] وأما الجعظري فالفظُّ[٧] الغليظ، قال الله[٨] تعالى: فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.[٩] وأما العُتُلُّ الزنيم هو الشديد الخَلْقِ، الرحيب الجَوْف، المصحَّح الأكولُ الشَّرُوبُ، الواجد للطعام والشراب، الظلوم للناس. وأما الزنيم هو الدَّعِيُّ الملصق بالقوم، الملحق في النسب».[١٠] واستدلوا على ذلك بقول الشاعر:

---

[١] ر ن ث – وقوله عز وجل أثيم الأثيم هو المرتكب لما يأثم به.
[٢] ر ث م: قد.
[٣] ث – في الخبر.
[٤] م – يا رسول الله.
[٥] ث: هو الذي.
[٦] يشير إلى قوله تعالى: ﴿كلا إنها لظَى نزّاعة للشَّوَى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى﴾ (سورة المعارج، ٧٠/١٥-١٨).
[٧] م: واللفظ.
[٨] ر م – الله.
[٩] سورة آل عمران، ٣/١٥٩.
[١٠] روى عن ابن مسعود أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا الْعُتُل الزّنيم». فقال رجل: ما الجوّاظ وما الجَعْظَرِيّ وما العُتُل الزّنيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجوّاظ الذي جَمَع ومَنَع. والجَعْظَرِيّ الغليظ. والعُتُل الزّنيم الشديد الخَلْق الرّحيب الجوف المصَحّح الأكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس». وذكره الثعلبي: عن شدّاد بن أوس: «لا يدخل الجنة جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا عُتُل زنيم» سمعتهن من النبيّ صلى الله عليه وسلم. قلت: وما الجوّاظ؟ قال: الجَمّاع المنّاع. قلت: وما الجَعْظَرِيّ؟ قال: الفَظّ الغليظ. قلت: وما العُتُلّ الزنيم؟ قال: الرّحِيب الجوف الوثِير الخَلْق الأكول الشروب الغَشوم الظلوم (*الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٢٣٢/٩).

زنيمٌ ليس يُعرف من أبوه[1] بَغيُّ الأمِّ ذو حسب لئيمِ[2]

ويقول آخر:

زنيم تداعاه الرجال زيادةً كما زيد في عرض الأديم الأكارِعُ[3]

ومنهم من قال: إنه كانت به زَنَمَةٌ في أصل أُذُنه يعرف بها. ومنهم من[4] يقول: الزنيم هو العَلَم في الشر.

ولقائل أن يقول: إذا كان تأويل العُتُلِّ ما ذُكر في الخبر، ومعنى الزنيم[5] الدعيّ أو ما ذكر من العلامة. فكيف عُيِّر[6] بهذه الأشياء ولم يكن له في ذلك صنع، والمرء إنما يعيَّر بما لَه فيه صنعٌ، لا بما لا[7] صنع له فيه؟

فيجاب عن هذا من وجهين. أحدهما ما ذكرنا أن ذِكْره بما فيه من العيوب ليس لمكان المذكور نفسه، ولكن لزجر الناس عن اتباعه، لأن من اشتمل على العيوب التي ذكرها وكان مع ذلك عتُلًّا زنيما فأنفس الخلق تأبَى[8] عن اتباعه. ففائدة تعييره بما أُنشئ عليه[9] ما ذكرنا من الحكمة لا تعيِيرُه. والثاني أن ذكر أصله كناية عن سوء فعله، ليعلم أن خبث الأصل يدعو الإنسان إلى تعاطي الأفعال الذميمة، وصحة الأصل وحسنه[10] ونَقَاوَتَه تدعو[11] صاحبه إلى محاسن الأخلاق وإلى الأفعال المرضية.

---

[1] ر: أبواه.

[2] *الجامع لأحكام القرآن* للقرطبي، ٩/٢٣٤.

[3] نسب إلى حسان بن ثابت؛ *الدر المصون* للسمين الحلبي، ١٠/٤٠٤. انظر: *تفسير الطبري*، ٩/٢٣٤. والزنيم والمزَنَّم: المستلحق في قوم ليس منهم لا يحتاج إليه فكأنه فيهم زَنَمَة. وأنشد ابن بري للخطيم التميمي، جاهلي:

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارِعُ.

وورد في الحديث أيضا: الزنيم هو الدعيُّ في النسب (*لسان العرب*، «زنم»). الكُراع من البقر والغنم: بمنزلة الوظيف من الخيل والإبل والحُمُرِ وهو مُسْتَدَقُّ الساق العاري من اللحم، يذكر ويؤنث، والجمع أَكْرُع ثم أكارع. وفي المثل: أعطي العبد كُراعا فطلب ذراعا، لأن الذراع في اليد وهو أفضل من الكراع في الرجل. (*لسان العرب*، «كرع»).

[4] ن + كان.

[5] ر م: زنيم.

[6] ر م: عبر.

[7] ن - لا.

[8] ن: باق.

[9] جميع النسخ: عليها. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٨ظ.

[10] جميع النسخ: وحسبه. والتصحيح من المرجع السابق.

[11] ر ث م: يدعو.

﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾[١٤]

وقوله عز وجل: **أن كان ذا مال وبنين،** فيخبر أن من يتَّبِعه يتبعه لكثرة أمواله وبنيه.[١] وذلك أن كثرة المال للإنسان من أحدِ ما يستدعي قلوب الخلق إلى تعظيمه. فذكر ما فيه من العيوب[٢] والمساوئ[٣] لئلا يستميل[٤] قلوب الضعفة إلى نفسه بماله. فيقول: كيف يتبعونه وهو بهذا الوصف الذي وصفه الله تعالى. ثم أخبر عن معاملته[٥] رسول[٦] الله صلى الله عليه وسلم بقوله:

﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[١٥]

إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين، وإن كان عامًّا بظاهره، لكن لم يرد به العمومَ، لأن [قوله تعالى:] إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ،[٧] ليس في كل الآيات، وإنما هو في الآيات التي / هي[٨] في حق الإخبار عن الأمم السالفة. وأما إذا تليت عليه الآيات التي فيها دلالة إثبات الرسالة [٨٣٣و] ودلالة التوحيد ودلالة[٩] البعث فقوله فيها ما قال في سورة المدثر: إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ.[١٠] وهذا دليل على أن لا يجبُ اعتقاد ظاهر العموم ما لم يُعْلم بيقين. ***والله أعلم.***

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[١٦]

وقوله عز وجل: **سنسمه على الخرطوم،** قيل: شَيْنًا[١١] لا يفارقه. فجائز أن يكون جعل هذا في الدنيا لكي يعلمه ويذكره من رآه، فيجتنب صحبته، فهو يصير[١٢] شينا[١٣] من هذا الوجه،

---

[١] ر: وبينه.

[٢] ن – من العيوب.

[٣] ر: والمساوى.

[٤] ر ث م: يشتمل.

[٥] ر: معاملة.

[٦] ن: برسول.

[٧] ن + ثم قوله إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. انظر مثلا: سورة الأنعام، ٢٥/٦؛ وسورة الأنفال، ٣١/٨؛ وسورة المؤمنون، ٨٣/٢٣.

[٨] ر م: هو.

[٩] ر: ودلالته.

[١٠] سورة المدثر، ٧٤/ ٢٤-٢٥.

[١١] ر م: شيئا. "قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أي نلزمه عارا لا يَنمحي عنه، كقولهم: جُدِعَت أنفه. والخرطوم: أنف الفيل، فسُمِّيَ أنفه خرطوما استقباحا له" (*المفردات للراغب*، «خرطوم»).

[١٢] ر ث م – يصير.

[١٣] ر م: شيئا.

فيخرج هذا مخرج العقوبة لشدة تعنته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم[1] أذاه له.[2] وجائز أن يكون هذا في الآخرة، فيجعل الله تعالى[3] في أنفه[4] عَلَمًا يتبين به ويمتاز من غيره يوم القيامة زيادة له في العقوبة، كما جعل لآكلي الربا يوم القيامة علما يعرفون به، وذلك قوله:[5] ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا[6] لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[7] وجائز أن يكون نَسَمَ خرطومه خصوصا من بين الكفرة، فيحشره[8] ولا أنف له، لأنه ذَكر أن سائر الكفرة يُحشرون يوم القيامة بكما وعميا[9] وصما[10] ولم يذكر في أنوفهم شيئا. فجائز أن يكون يُحشر ولا أنف له.[11] وذلك هو النهاية في القبح. ***والله أعلم.***

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[١٧] ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾[١٨]

وقوله عز وجل: **إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة**، فهو يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون أهل مكة ابتُلوا بالإحسان إلى أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابتُلي أصحاب الجنة بالإحسان إلى المساكين[12] ثم أخبر أن أولئك امتنعوا عن الإحسان إلى المساكين[13] فحَلَّ بهم من البلاء ما ذَكَر لامتناعهم عن الائتمار.[14] فذَكَّر أهل مكة أنهم إن امتنعوا عن الإحسان إلى أتباع محمد صلى الله عليه وسلم حل بهم ما حل بأولئك. وقد وُجد منهم الامتناع،

---

[1] ر ث م: عظيم.
[2] ر: أواه له؛ م: أو أهله.
[3] ر ث م + علما.
[4] ر: أنفسه.
[5] ر + الربوا؛ م – الربا يوم القيامة علما يعرفون به وذلك قوله.
[6] ث – يوم القيامة علما يعرفون به وذلك قوله الذين يأكلون الربا.
[7] سورة البقرة، ٢/٢٧٥.
[8] ن: فيعشره.
[9] ر م: عميا.
[10] لعله يشير إلى قوله تعالى ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم﴾ (سورة الإسراء، ١٧/٩٧).
[11] ر م – له؛ ن + ولا أنف له.
[12] ن: إلى المساكن.
[13] ر ث م – ثم أخبر أن أولئك امتنعوا عن الإحسان إلى المساكين.
[14] انظر: الآيات التالية.

فابتُلوا[١] بِسِنِينَ كسِنِي يوسفَ حتى اضْطُرُّوا إلى أكل الجِيَف والأقذار.[٢] ثم إن أصحاب الجنة لما مسهم العذاب وأيقنوا به أنابوا إلى الله وانقلعوا عن مساوءهم، فتاب الله عليهم[٣] ورفع البلاء عنهم. وأهل مكة تمادَوا في غيّهم ولم يتوبوا، فانتقم الله منهم بالقتل يوم بدر في الدنيا، وسيوردهم إلى العذاب في الآخرة.

و[الثاني] جائز أن يكون الله تعالى لما أعزّهم وشرفهم وصرف وجوه الخلق إليهم امتحنهم بتبجيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه. فلما أساءوا صحبته عاقبتهم بما ذكرنا. ووسّع على أصحاب الجنة فامتحنهم بما وسّع عليهم بأن يوسّعوا على غيرهم، فلما امتنعوا[٤] عن ذلك عوقبوا بزوال النعمة عنهم، وعوقب هؤلاء بزوال العز عنهم فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ.[٥] *والله أعلم.*

وقوله عز وجل: **إذ أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصبحين**، فقوله: **مصبحين**، أي لأول وقت ينسب إلى الصباح. وذلك يكون في آخر[٦] الليل كما يقال: مُمْسِين، لأول وقت ينسب إلى المساء. وإذا كان كذلك فالانصرام يقع بالليل. ألا ترى إلى قوله: أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ،[٧] وهم لا يملكون بعد مُضِيّ الليل منع المساكين عن الدخول.

وقوله عز وجل: **ولا يستثنون**، قيل: أي لا يقولون: إن شاء الله. وقيل: لا يقولون: سبحان الله. فإن كان على هذا ففيه أن التسبيح كان مستعملا في موضع الاستثناء. وقد يجوز

---

[١] ن: وابتلوا.

[٢] عن مسروق قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قَحْطٌ وجَهْدٌ حتى أكلوا العظام. فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ [سورة الدخان، ٤٤/١٠-١١] قال: فأُتِيَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقيل: يا رسول الله اسْتَسْقِ اللهَ لِمُضَرَ فإنها قد هلكت. قال: «لِمُضَرَ؟ إنك لجريءٌ» فاستسقى فسُقُوا. فنزلت: إِنَّكُمْ عَائِدُونَ [نفس السورة، الآية ١٥]، فلما أصابتهم الرَّفَاهِيَة عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية فأنزل الله عز وجل﴿يوم نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا منتقمون﴾ [الآية ١٦]. قال: يعني يومَ بَدْرٍ. (صحيح *البخاري*، التفسير، ٤٤/ ٢-٥). وانظر أيضا: *تفسير الطبري*، ٢٥/١٥١-١٥٢.

[٣] ن – أنابوا إلى الله وانقلعوا عن مساوئهم فتاب الله عليهم.

[٤] ر: امتحنوا.

[٥] فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ (سورة النحل، ١٦/١١٢).

[٦] ر: في الآخر.

[٧] سورة القلم، ٦٨/٢٤.

أن يُؤَدِّيَ معنى الاستثناء، لأن في تسبيح[1] الرب تعالى وفي الاستثناء معنى التنزيه، لأن فيه إقرارا [بـ]أن الله تعالى هو المغير للأشياء والمبدِّلِ[2] لها. ثم أصحاب الجنة بقسمهم قصدوا قصدا يلحقهم العصيان فيه، وكان عهدهم الذي عاهدوا عليه معصيةً، وعوتبوا بتركهم الاستثناء. ففيه دلالةُ أن الله تعالى يوصف بالمشيئة لفعل المعاصي ممن يعلم أنه يختارها،[3] لأنه لو لم يوصف به لم يكن لمعاتبته[4] إياهم بتركهم الاستثناء معنى؛ إذ لا يجوز استعمال الاستثناء فيما لا يجوز أن يوصف به الرب جل وعز. ألا ترى أنه[5] لا يستقيم أن يقال: إن شاء الله جاز وإن لم يشأ لم يجز، وإن شاء ضل وإن شاء لم يَضِلَّ، وإن شاء أكل وإن شاء لم يأكل. فلو لم يوصف أيضا بإضلال من يعلم منه أنه يؤثر الضلال لم يجز أن يلاموا على ترك الاستثناء، ولا مدخل للاستثناء فيه. والذي[6] يدل على صحة[7] ما ذكرنا قولُه: مَنْ يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ،[8] فتبين أنه يشاء إضلال من ذكرنا.

وفيه دلالة[9] أن خلق الشيء غير ذلك الشيء، لأنه يستقيم أن يوصف الله تعالى بالإضلال، ولا يجوز أن يوصف بالضلال، وإن كان الإضلال خلقا له،[10] ويوصف بأنه[11] المحيي والمميت فلا[12] يستقيم أن يقال: إن شاء حَيِيَ، وإن شاء مات، وإن كان هو الذي خلقهما.

ثم ليس في قوله: **إذ أقسموا**، إبانة أنَّ قسمهم كان بماذا؟[13] فإن كان بغير الله تعالى ففيه إبانة أن القسم قد يكون بغير الله تعالى، وإن كان قسمهم بالله تعالى ففيه حجة لأبي يوسف على أبي حنيفة رحمهما الله أن اليمين إذا كانت مُوَقَّتَةً فإن هلاك الشيء المحلوف بها قبل مُضِيِّ وقتها لا يُسقط اليمين،

---

[1] ر: التسبيح؛ م: التنزيه.
[2] ر ث م: المعدل.
[3] ن + بالمشية لفعل المعاصي ممن يعلم أنه يختارها.
[4] ر ث م: لمعاتبة.
[5] جميع النسخ – أنه. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[6] ر ث م + فيه.
[7] ر ث: صحبة.
[8] سورة الأنعام، ٦/٣٩.
[9] ر ث م – دلالة.
[10] ن – له.
[11] ر ث م: أنه.
[12] ن: ولا.
[13] ن: لماذا.

بل يَبقى بحالها ويلزم على صاحبها حكمُ الحِنْث إذا مضى[١] وقتها، لأن الثمر[٢] الذي حلفوا على صَرْمه[٣] قد هلك قبل[٤] الوقت الذي أُوجب فيه الصرمُ.[٥] فلو كانت اليمين يَسقط عنهم بهلاك الثمر[٦] لم يكونوا يحتاجون إلى الاستثناء، لأن الحاجة إلى الاستثناء لإسقاط المئونة التي تلزمهم[٧] بالحنث في اليمين. فلو[٨] كان هلاك / الثمر[٩] مسقطا لليمين ومئونة الحنث لاستغنوا عن الاستثناء. فلما لحقتهم اللائمة بتركهم الاستثناء دل أن المئونة تبقى عليهم إذا عريت عن الاستثناء، وإن كانت موقتة. [٨٣٣ظ]

ولكنْ أبو حنيفة رحمه الله يُسقط عنه اليمين بهلاك الشيء المحلوف عليه إذا كانت يمينه بالله تعالى، ولا يسقطها إذا كانت بشيء من القُرَب والطاعات، أعني النُّذر.[١٠] وليس في الآية إبانة أن يمينهم كانت بالله تعالى، فجائز أن يكون يمينهم بشيء من القرب فبقيت عليهم. ولأنه عاتبهم[١١] على ترك الاستثناء لعزمهم على المعصية،[١٢] والاستثناء يسقط[١٣] العزيمة، لأن من عزم على المعصية وقال فيه،[١٤] إن شاء الله، لم يصر آثما بمقالته ولا صار عازما على المعصية. وأبو حنيفة ليس يخرجه عن المعصية في اليمين الموقتة إذا عقدت على أمر من أمور المعصية. والذي يدل على أن العتاب في ترك الاستثناء للوجه الذي ذكرنا أنه لم يُذْكَر في شيء من الأخبار ولا ذُكر في الكتاب أن أحدا منهم أمر بالتكفير، ولو كان الحنث لازما لكانوا يلامون على ترك التكفير أيضا كما لحقتهم اللائمة[١٥] بترك الاستثناء. ***والله أعلم***.

---

[١] ر – مضي.
[٢] ن: اليمين، صح هـ.
[٣] ر: صرمة.
[٤] ر م – قبل.
[٥] م: الصوم.
[٦] ر: التمر.
[٧] ر ن ث: يلزمهم.
[٨] ن: فإن.
[٩] ر: التمر.
[١٠] جميع النسخ: الندب. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[١١] ن: غايتهم.
[١٢] ر: العصية.
[١٣] ر ث: تقسط؛ م: تسقط.
[١٤] ر ث: في.
[١٥] ر ن م: الملائمة.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[١٩]

وقوله عز وجل: **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، طائف من ربك** قيل: عذاب ربك، وسمى طائفا لأنه أتاهم بالليل، وكل آت بالليل فهو[١] طائف.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾[٢٠]

وقوله عز وجل: **فأصبحت كالصريم**، قيل: أي الجنةُ[٢] كأنها صُرِمت، وهم أصبحوا لِيَصْرِموها.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾[٢١] ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾[٢٢]
﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾[٢٣] ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾[٢٤]

وقوله عز وجل: **فانطلقوا وهم يتخافتون**،[٣] يَتَسَارُّون[٤] فيما بينهم. فيجوز أن يكون مُسارَّتهم[٥] كانت في الأمر[٦] بالإسراع في المشي[٧] لئلا[٨] يَشْعُرَ بهم المساكين أو [أن] يتعجلوا في الخروج والمشي قبل الوقت الذي يُصبح فيه المساكين.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾[٢٥]

وقوله عز وجل: **وَغَدَوْا على حرد قادرين**، فمنهم من ذكر أن اسم جنتهم كان حَرْدًا. وقيل: غَدَوْا على أمر قد اسَّسُوه[٩] فيما بينهم. وقال الزجاج: الحرد له أوجه ثلاثة. أحدها القصد. واستدل عليه بقول الشاعر:

أقبل سَيْلٌ كان من أمر اللهْ   يَحْرِد[١٠] حَرْدَ الجنةِ[١١] المُغِلَّةْ[١٢]

---

[١] ن – فهو.
[٢] ن: الحية؛ ث: الحبة.
[٣] ر ن ث + قيل.
[٤] ن: يشارون.
[٥] ن: مساريهم.
[٦] ن: بالأمر.
[٧] ن – في المشي.
[٨] ر ن م: لأن لا.
[٩] ر ث م: استثنوه، ن: استقلبوه. والتصحيح مستفاد من *الشرح*، ورقة ٢٥٩و.
[١٠] ث: تحرد.
[١١] ن: الحبة؛ ث: الحية.
[١٢] ر ث: العلة. الغلة: الدَّخل من كراء دار وأجر غلام وفائدة أرض. وأَغلّت الضياع أيضا: من الغَلَّة. قال الراجز:
أقبل سَيْل جاء من عند الله   يَحْرِد حَرْدَ الجنة المُغِلّة (*لسان العرب*، «غلّ»).

أي يقصد قصدها. والثاني هو المنع؛ يقال: أَحْردت السَّنة، إذا[1] قَحَطت[2] وذهبت بركتها.[3] والثالث الغضب. **وَغَدَوْا على حرد قادرين**، أي غضبوا[4] على الفقراء.[5] وقوله:[6] **قادرين**، أي قادرين[7] عليها في أنفسهم.

ولقائل أن يقول: إن[8] في هذه الآية دلالةَ تقدم القدرة على الفعل، لأنه أثبت لهم القدرة قبل الفعل. ولكنَّ هذه القدرة ليست هي قدرةَ الأفعال، وإنما هي قدرة الأسباب والأحوال.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾[٢٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾[٢٧]

وقوله عز وجل: **فلما رأوها قالوا إنا لضالون**، أي قد ضللنا الطريق، فكأن عندهم أنهم قد ضلوا الطريق [و]لذلك لم يتوصلوا إلى ثمارها. ثم[9] ظهر لهم أنهم لم يَضلوا الطريق بل حُرِمُوا بركةَ الثمار بجناياتهم التي جنوها، فتذكَّروا صنيعهم وندموا على ذلك فأقبلوا بالاستكانة والتضرع إلى الله تعالى فتاب عليهم. فلعل الذي قال: إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ،[10] يخرج على هذا،

---

[1] ر ث م: أي.

[2] ر ث م: أقحطت.

[3] ث: ركبتها.

[4] ر: على غضب، جميع النسخ: غضب.

[5] الحَرْدُ: الجِد والقصد. حَرَدَ يَحْرِد، بالكسر، حَرْدًا: قصد. وفي التنزيل: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾. والحَرْدُ المنع، وقد فسرت الآية على هذا، وحَرَّد الشيءَ منعه؛ قال:

كأن فِداءها إذا حَرَّدوُه   أطافوا حولَه سلَكٌ يتيم

ويروى، جَرَّدوه أي نقوه من التبن. ابن الأعرابي: الحَرْدُ القصد، والحَرْدُ المنع، والحَرْدُ الغيظ والغضب، قال: ويجوز أن يكون هذا كله معنى قوله: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾. قال: وروي في بعض التفسير أن قريتهم كان اسمها حَرْدَ. وقال الفراء: ﴿وغدوا على حرد﴾ يريد على حَدٍّ وقُدْرة في أنفسهم. وتقول للرجل: قد أقبلتُ قِبَلَكَ وقصدت قصدك وحَرَدْتُ حَرْدَكَ، قال وأنشدت:

وجاء سَيْل كان من أمر الله   يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المغلَّة

يريد: يقصد قصدها. قال: وقال غيره: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ قال: منعوا وهم قادرون أي واجدون، نصب قادرين على الحال. وقال الأزهري في كتاب الليث: ﴿وغدوا على حرد﴾ قال: على جدٍّ من أمرهم. قال: وهكذا وجدته مقيدًا والصواب على حَدٍّ، أي على منع. قال: هكذا قاله الفراء (*لسان العرب*، «حرد»).

[6] ر: وقوله.

[7] ر م – أي قادرين.

[8] جميع النسخ: بأن.

[9] ر ث م – ثم.

[10] سورة القلم، ١٧/٦٨.

وهو: إنا بلونا أصحاب الجنة، فتذكروا فرفع عنهم العذاب، ولم يتذكر أهل مكة فحلَّ بهم العذابُ يوم بدرٍ، كما قال: فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ.[1]

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[٢٨]

وقوله عز وجل: **قال أَوْسَطُهم**، أي أعدلهم.[2] وقوله عز وجل:[3] **ألم أقل لكم لولا تسبحون**، جائز أن يكون معناه: لولا تصلُّون[4] الفجر ثم تخرجون.[5] وجائز أن يكون معناه: لولا تَسْتثنُون.[6] وقد ذكرنا أن في الاستثناء معنى التسبيح، لأن فيه إقرارا بأن الأمور كلها تَنفُذ[7] بمشيئة الله تعالى، وأنه هو المغيِّر والمبدِّل دون أحد سواه.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾[٢٩]

وقوله عز وجل: **قالوا سبحان ربنا**، فهذا منهم توحيد وتنزيه.[8] وفي قوله: **إنا كنا ظالمين**، اعتراف بما ارتكبوا من الذنوب وإنابة إلى الله. وتمامُ التوبة منهم في قوله:

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ﴾[٣٠] ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾[٣١]

فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون، قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين، ذكر[9] المفسرون في قوله: **فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**، أي أقبل بعضهم على بعض باللوم، يقول:[10] أنت أمرتنا أن نَصْرِمَها[11] ليلا، وقال هذا لهذا: بل هو عملك أنت. وهذا [التأويل] لا معنى له، لأن هذا يوجب تبرئة[12] كل واحد منهم عن ارتكاب الذنوب. وقد سبق منهم الإقرار بالذنب

---

[1] ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ (سورة المؤمنون، ٢٣/٧٦).
[2] ر م: عدلهم.
[3] ر + فلما.
[4] ر ن م: يصلون.
[5] ر ن م يخرجون.
[6] ر م: يستثنون.
[7] ن ث: ينفذ.
[8] ر ث م: تبرئة.
[9] جميع النسخ: وذكر.
[10] ر ث م: تقول.
[11] ر م تضرمها.
[12] ن: وجب تنزيه.

بقوله: قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ،[١] وبقولهم:[٢] **قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين**، فكيف يبرءون أنفسهم عن الذنوب وقد اعترفوا بها. فهذا تأويل لا معنى له. بل معناه -والله أعلم- **فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون**، على إدخال كل منهم نفسه في ذلك اللوم؛[٣] أو أقبل كل واحد منهم باللائمة على نفسه حتى يكون هذا موافقا لقوله: **إنا كنا طاغين**.[٤] وقوله تعالى: **يا ويلنا إنا كنا طاغين**، ففي هذا تمام التوبة. ففيه أنهم أظهروا الندامة على ماسبق[٥] منهم من أوجه ثلاثة: مرة بما وصفوا أنفسهم بالظلم،[٦] ومرة بما لاموا أنفسهم، ومرة بما وصفوا[٧] أنفسهم[٨] بالطغيان.

﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾[٣٢]

وقوله عز وجل: **عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها**، أي يبدلنا خيرا منها إذا تبنا وأنبنا إلى ربنا؛ لأنه لا يجوز أن يتوقعوا خيرا[٩] منها وهم مصرون على ذنوبهم؛ إذ قد عرفوا أنهم إنما حُرِمُوا بركةَ الثمار بما ارتكبوا من الذنوب، فثبت أن معناه ما ذكرنا. ويحتمل أن يكون / هذا [٨٣٤و]
في الآخرة، يقولون: **عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها**، في الآخرة إذا تبنا وأنبنا إليه. ***والله أعلم***.

وقوله عز وجل: **إنا إلى ربنا راغبون**، إلى ما عند ربنا من العطايا والمِنَنِ لراغبون، أو إلى ما وعد ربنا للتائبين من الذنوب لراغبون.

﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[٣٣]

وقوله عز وجل: **كذلك العذاب**، كأنه يخاطب أهل مكة أَنْ كذلك العذاب في الدنيا في أن يأخذ أهله [حال كونهم] آمَنَ ما كانوا أو أَغْفَلَ[١٠] ما كانوا، كما أخذ أصحابَ الجنة عند الأمن إذ كان[١١] عندهم أنهم يقدرون على صَرْم تلك الثمار ولا يفوتهم.

---

[١] الآية السابقة.
[٢] ث: وقوله عز وجل.
[٣] جميع النسخ: القوم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩ظ.
[٤] ن: ظالمين.
[٥] ر م: على نسق.
[٦] ن: بالطغيان.
[٧] ن – بالظلم ومرة بما لاموا أنفسهم ومرة بما وصفوا.
[٨] ر م – أنفسهم.
[٩] ر ث: خير.
[١٠] ن ث: أعقل.
[١١] ر م: إذا كان؛ ث: إذ كان به.

وقوله عز وجل: **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**، ففي هذا إيجاب العذاب على من لم يَعْلم بالعذاب و لم يؤمن به، لأنهم لم يؤمنوا بعذاب الآخرة ولا علموا به. ثم أوجب لهم العذاب -وإن لم يعلموا- ولم يُعْذَروا بالجهل، لأنهم قد وقفوا على السبب الذي لو تفكروا لعلموا بالعذاب ولأيقنوا به. وفي ذلك[١] حجةُ أن لا عذر لمن تَخلّف عن التوحيد والإيمان بالله تعالى وإن جَهِل،[٢] إلا أن يكون جهله جهلَ خلقة، لأن الذي أفضى[٣] به إلى الجهل هو التقصير في الطلب، وإلا لو لم يقصِر في الطلب لوجد من يدله على معرفة الصانع ووحدانية الرب تعالى.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٣٤]

وقوله عز وجل: **إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم**، وفيه ترغيب لمن لزم التقوى[٤] وهو الإسلام.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾[٣٥] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣٦]

وقوله عز وجل: **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**، أي[٥] أفنجعل من جعل كل شيء سوى الله تعالى لله سالما [له تعالى] لا يشرك فيه أحدا كالذي أجرم فجعل في كل شيء سالِمٍ[٦] له شركا في العبادة والتسمية. أو يبيّن[٧] الله تعالى، أنه ولي المؤمنين وعدو المجرمين.[٨] فيقول:[٩] أفيزعم[١٠] أعدائي أن أسوّي بينهم وبين الأحباء والجمعَ بينهم. فلا نجعل[١١] ذلك، لأن فيه[١٢] تضييعَ الحكمة، لأن الحكمة توجب التفرقة بين العدو والولي، وفي الجمع بينهما تضييعها.[١٣]

---

[١] ن: ولا يفتوا به وفي هذا؛ ث: وفي هذا.
[٢] ر: جعل.
[٣] ر ث م - أفضى.
[٤] ن: للتقوى.
[٥] ر ن م - أي.
[٦] ر: سالما.
[٧] جميع النسخ: بين.
[٨] ث - وعدو المجرمين.
[٩] ر م: فنقول.
[١٠] ر ث م: أفئن عمر.
[١١] جميع النسخ: لا يفعل ذلك. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٥٩ظ.
[١٢] ر م - فيه.
[١٣] ر ن ث: تضيعهما.

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون**، في أن أجعل عدوي[١] بمنزلة وليي[٢] أو وليي[٣] بمنزلة عدوي. أو أيُّ شيء حملكم على حكمكم هذا و لم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك، فكيف تطمعون ذلك؟ أو كيف[٤] تحكمون[٥] بالجور على ربكم؟ لأن من الجور أن يجمع[٦] بين الولي وبين[٧] العدو في دار الكرامة.

ثم قوله: **أفنجعل المسلمين كالمجرمين**، يستقيم أن يجعل هذا جوابا للفريقين: لمن[٨] ينكر البعث، ولمن[٩] يزعم أنه شريك أهل الإسلام في الآخرة فيما يكرَمون من النعيم. فمن أنكر البعث فالاحتجاج عليه بهذه الآية هو أن العقل[١٠] يوجب التفرقة بين الولي وبين العدو، والشكور[١١] والكفور.[١٢] فأنتم إذا أنكرتم البعث فقد زعمتم على الله تعالى أنه يجعل المسلم[١٣] كالمجرم،[١٤] والكفور كالشكور، والعدو كالولي. ومن فعل[١٥] هذا فهو سفيه لا يصلح أن يكون حكيما.[١٦] ففي إنكار البعث تحقيق السفه وإثبات الجور، لأن من الجور أن يجمع[١٧] بين الولي وبين[١٨] العدو في الجزاء.

ومن ادعى الوجه الآخر، وهو التسوية بين الفريقين لِمَا تساويا في منافع الدنيا ومضارّها وفي لذاتها وشدائدها وبلياتها، فعلى ذلك يكون أمرهم في الآخرة. فجوابهم في ذلك أن الدنيا هي دار [لا] يظهر فيها العدو من الولي، والشكور من الكفور، والآخرة دار جزاء العداوة والولاية.

---

[١] ر: ودي.
[٢] ر: ولي.
[٣] ر م: وولي.
[٤] ر – حملكم على حكمكم هذا و لم يأتكم بهذا الحكم كتاب ولا معقول يوجب ذلك فكيف تطمعون ذلك أو كيف.
[٥] ر ث م: يحكمون.
[٦] ر ث: أن يجعل.
[٧] ر ث م – بين.
[٨] ر ن م: و لم.
[٩] ر م: لم.
[١٠] ر ن م: الفعل.
[١١] ن – الشكور؛ ث + ولكنه.
[١٢] جميع النسخ – والكفور. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٠و.
[١٣] ر ث م: المسلمين.
[١٤] ر ث م: المجرمين.
[١٥] ن: جعل.
[١٦] ر: حكما.
[١٧] ر: يجعل.
[١٨] ر م – بين.

فجائز أن يقع فيما فيه[1] ظهور الولاية والعداوة اتفاق. ولا يجوز وقوع الاتفاق فيما فيه الجزاء، لأن الجزاء لعداوة سبقت ولولاية سبقت، والحكمة توجب[2] التفرقة بين الجزاءين. فلا يجوز أن يُجعل المسلم فيه كالمجرم لما فيه من تضييع الحكمة. وليس قِبَلَ المحنة معنى يوجب التفرقة بينهما في المحنة. فجائز أن يقع بينهما الاتفاق في ذلك. ولأنه لو كان تفرُّقٌ[3] بينهما في الدنيا لكانت المحنة تخرج عن حدها، والدنيا هي دار المحنة. وإنما قلنا: إن فيه إخراجَ المحنة عن حدها لأن المحنة تكون على الرجاء والخوف والرغبة والرهبة. فلو فُرِّقَ بين العدو والولي في الدنيا، فوسِّع على الأولياء وضُيق على الأعداء لوقع اختيار وجه الولاية على الضرورة؛ لأن من علم أنه يُضَيَّقُ عليه إذا اختار وجه العداوة ويعجَّل[4] عليه العذاب ترك ذلك الوجه ومال إلى الولاية، فيرتفع وجه المحنة. فلذلك جاز أن يجمع[5] بين الولي والعدو في دار المحنة ليبقى وجه الحكمة[6] بحاله، ولم يجز أن يجمع بينهما في الآخرة، لأنها دار جزاء، والعقل يوجب تفرقة جزائهما. *والله الموفق*.

وقوله عز وجل: **ما لكم كيف تحكمون**، في أحكم الحكماء بالسفه حيث تزعمون أنه يجمع بين الولي والعدو في الجزاء، وذلك من أعلام السفه؟ أو كيف تحكمون في أحكم الحاكمين وأعدل العادلين بالجور؟ إذ تزعمون أنه يجمع بين الفريقين في دار الكرامة ومن الجور أن يُجْمَعَ[7] بينهما. وهم كانوا يقرون أن الله تعالى أحكم الحاكمين.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾[٣٧] ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾[٣٨]

وقوله عز وجل: **أم لكم كتاب فيه تدرسون**، فحاجَّهم أولا بما يوجبه الحكمة، وهو أنكم تعلمون أن الحكمة توجب التفرقة بينهما، فإن كنتم تدعون الجمع فيما بينهما بالحكمة فأنتم تعلمون أن الحكمة توجب التفرقة بينهما، / وإن كنتم تدعون ذلك من كتاب [٨٣٤ظ] فأي كتاب من عند الله جاءكم، فيوجب التسويةَ بينكم وبين الأولياء؟ وأي رسول أخبر لكم أنكم تساوون الأولياء في نعيم الآخرة؟ ثم وجه المحاجة بالكتاب، هو أن مشركي العرب

---

[1] ر – فيه.
[2] جميع النسخ: يوجب.
[3] ن: يفرق.
[4] ر م: ينعجل.
[5] ر: يجعل.
[6] ن: المحنة.
[7] ر م: يقع.

لم يكونوا يؤمنون بالكتاب ولا بالرسل، ولو كانوا يؤمنون بهما لكانوا يقدرون أن يقولوا:[١] إن لنا كتابا درسناه فوجدنا[٢] فيه[٣] ما نذكر[٤] وندعي، ورسول قد أخبرنا بذلك. ولكنهم إذا كانوا لا يؤمنون بهما صار هذا الوجه الذي ذكره الله تعالى حجة[٥] لازمة عليهم. *والله أعلم*. وقوله: **إن لكم فيه لما تخيرون**، أي وفي ذلك الكتاب [هل] تجدون[٦] أن لكم فيه ما تخيرون.[٧]

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾[٣٩]

وقوله: **أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون**، وهذا أيضا صلة الأول، أي هل شهدتم[٨] الله تعالى أقسم لكم أنه هكذا كما تحكمون؟[٩] وهذا[١٠] كقوله تعالى: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا، فأخذهم [في هذه الآية] بالمقايسة أولا، وهو قوله[١١] تعالى: قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ، فلما لم يتهيأ لهم تثبيت ذلك بالقياس والمعقول احتج عليهم بقوله: أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللهُ بِهٰذَا.[١٢] وقد عرفوا أنهم لم يشهدوا، وما ادَّعَوْهُ لَا ثبات له إلا مِن الوجوه التي ذكرها.[١٣] وإذا لم يُثبتوا بشيء من ذلك تبين[١٤] عندهم فساد دعواهم. فهذا أيضا مثله وهو أنه سألهم عن إيراد الحجة، إما من جهة الحكمة أو من جهة الكتاب أو من جهة الشهادة. فإذا لم يَثْبُت لهم واحد من هذه الأوجه فبأي وجه يَشهدون على الله تعالى أنه يفعل ذلك. وقوله: **بالغة**، أي وكيدة، أو بُلِّغت إليكم عن الله تعالى.

---

[١] ر م: يقولون.
[٢] ر: فوجه.
[٣] ن - فيه.
[٤] ر: تذكر.
[٥] ن - حجة.
[٦] ن: يجدون.
[٧] جميع النسخ: لما تخيرون.
[٨] ر: تشهدتم.
[٩] ر: يحكمون.
[١٠] ن: هكذا.
[١١] ر م: كقوله.
[١٢] ﴿ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أَمِ الأُنْثَيَيْن أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كَذِبا لِيُضلَّ الناسَ بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (سورة الأنعام، ١٤٤/٦).
[١٣] ن: ها.
[١٤] ن: بدين.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ﴾[٤٠]

وقوله عز وجل: **سلهم أيهم بذلك زعيم**، يقول: فإنهم تَعَنَّتُوا مع هذا كله في أن يدوموا على دعواهم من غير حجة تشهد لهم، فسلهم، أي أطلبهم بالزعيم، أي من يَكْفُلُ لهم أن الأمر كما يزعمون.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[٤١]

وقوله عز وجل: **أم لهم شركاءُ فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين**، أي شركاءُ يشفعون لهم يوم القيامة؟ وقال بعضهم: أم لهم شهداء ممن عندهم كتاب يشهدون لهم بما يذكرون؟

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٤٢]

وقوله عز وجل: **يوم يكشف عن ساق**، أي يكشف عن موضع الوعيد بالشدائد والأهوال. والساق الشدة، وسُمِّيَ الساق ساقا[١] لأن الناس شِدَّتُهُم في سُوقهم، إذ بها يحملون الأحمال، فكُنِّيَ بالساق عن الشدة.[٢] وقيل أيضا: إنهم[٣] كانوا إذا أُبتُلوا بشدة[٤] وبلاء كَشفوا عن أَسْوُقِهم،[٥] فكنى بذكره عن الشدة، لا أن يراد بذكر الساق تحقيقُ الساق. *والله أعلم*.

وقوله عز وجل: **ويُدْعَوْن إلى السجود فلا يستطيعون**، يحتمل أن يكون هذا على دعاء الحال، ويحتمل أن يكون على دعاء الأمر. فأما[٦] دعاء الحال فهو أن من عادات الخلق أنه إذا اشتد بهم الأمر وضاق فَزِعوا إلى السجود. فجائز أن يكون ما حل بهم من الأحوال والشدائد يدعوهم إلى السجود، فيَهُمُّون بذلك فلا يستطيعون، فيكون قوله: **ويدعون إلى السجود**، أي تدعوهم الحالة[٧] إلى السجود، فهذا دعاء الحال. وجائز أن يؤمروا بالسجود ويُمتحنوا به. ثم إن كان التأويل على الأمر فيحتمل أن يكون ذلك يوم القيامة، وجائز أن يكون وقت الموت. وإن كان على دعاء الحال فذلك يكون عند الموت.

---

[١] جميع النسخ + لهذا.
[٢] م – وسمي الساق ساقا لأن الناس شدتهم في سوقهم إذ بها يحملون الأحمال فكني بالساق عن الشدة.
[٣] جميع النسخ: بأنهم.
[٤] ر ث م: شدة.
[٥] ر م: سوقهم. السُّوق والأَسْوُق: جمع الساق.
[٦] م + دعاء الأمر.
[٧] ث + التي.

ثم الأمر بالسجود يحتمل وجهين. أحدهما أن يكون على حقيقة الفعل. ويحتمل أن يكون على الاستسلام والخضوع؛ إذ السجود في الحقيقة هو الخضوع والاستسلام. وكل سجود ذكر في القرآن وأريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود. وكل ما أريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود. ثم إن ذُكِرَ في أهل الكفر فإنما يراد منهم الاستسلام[1] بالاعتقاد،[2] ليس بعين الفعل. وأهل الإسلام قد وجد منهم الاستسلام بالاعتقاد،[3] فيلزمهم أن يستسلموا من جهة الفعل. فجائز أن يكون هذا لمّا عاين الشدائد والأفزاع استسلم لله تعالى وخضع له فلم يقبل ذلك منه، لأن تلك الدار دار جزاء وليست بدار محنة.

والثاني أن السجود هو بذل[4] النفس لما طُلب منه طائعا.[5] وإذا أشرف المرءُ على الموت طُلب منه في ذلك الوقت بذْلُ روحه لا بذْلُ نفسه. فإذا كان كافرا بالله تعالى اشتد عليه بذل روحه[6] لما يعلم أن مصيره إذا قبض إلى العذاب، وكَرِه ذلك[7] أشد الكراهة، كما قال عليه الصلاة والسلام: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه ومن أحب لقاء الله أحب الله[8] لقاءه». فسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال: «ذلك عند الموت».[9] فهو لما يرى من المكروه يَحِلُّ[10] به بعد الموت يكره قبض روحه. فيكون قوله: **فلا يستطيعون**، إن كان المراد من قوله: **ويُدْعَون إلى السجود**، عند الموت على ذلك.[11] والمؤمن إذا رأى ما أُعَدَّ له من الكرامات ودَّ أن يُقْبض روحه سريعا ليصل إلى الكرامات. وإن كان هذا بعد البعث وأريد من السجود تحقيقه، ففيه تذكير لهم أنهم لم يكونوا يُمْتحنون في الدنيا بالسجود لمنفعة تصل إلى الله تعالى أو لحاجة له إلى ذلك،

---

[1] ر – وكل سجود ذكر في القرآن وأريد به عين السجود فليس يجب بتلاوته السجود وكل ما أريد منه الاستسلام والخضوع فهو الذي يجب بتلاوته السجود ثم إن ذكر في أهل الكفر فإنما يراد منهم الاستسلام.

[2] ر: بالاعقاد.

[3] ر: الاعتقاد.

[4] ر: بذلك.

[5] م: طابعا.

[6] ر ث م – لا بذل نفسه فإذا كان كافرا بالله تعالى اشتد عليه بذل روحه.

[7] ث م – ذلك. أي كره بذل روحه.

[8] ر – الله.

[9] *مسند أحمد بن حنبل*، ٢/٤٢٠؛ وصحيح *البخاري*، الرقاق ٤١؛ وصحيح *مسلم*، الذكر ١٤–١٨.

[10] ن: ويحل.

[11] أي إن كان المراد من قوله: ﴿ويدعون إلى السجود﴾ عند الموت يكون قوله: ﴿فلا يستطيعون﴾ محمولا على كراهة بذل الروح.

وإنما امتحنوا بالسجود لمكان أنفسهم؛ إذ لو كان الامتحان لمنفعة يناها[1] الله تعالى لما كانوا يُمنعون عنه في القيامة. *والله أعلم*.

وقال كثير من أهل الكلام: لا يجوز أن يمتحنهم الله تعالى بعد البعث بالسجود، إذ تلك الدار ليست بدار محنة، وإنما الأمر بالسجود يَخرج مَخرج التوبيخ. وكذلك زعم جعفر بن حرب

[٨٣٥و] أن هذا على[2] التوبيخ؛ يقال للرجل إذا كان / مُكْثرا فذهب ماله ولم يؤد الزكاة ولا حج[3] في حال يسره:[4] حُجَّ الآن وزَكِّ[5] الآن، ليس يراد به أن أَوْجِد الفعل، ولكن يراد[6] به تذكيره[7] وتوبيخه. فهذا الذي قالوه محتمل. ويحتمل أن يمتحنوا بالسجود للوجوه التي ذكرنا، وهو أن يظهر عند الممتحنين أن منافع سجودهم راجعة إليهم لا إلى الله تعالى.

وقوله عز وجل: **فلا يستطيعون**، فجائز أن يكون هذا على نفي استطاعة الأحوال والأسباب، أو لا يستطيعون[8] للأشغال التي حلت بهم والأفزاع التي ابتُلُوا[9] بها.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾[٤٣]

وقوله عز وجل: **وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون**، ففيه أن الفرائض إنما يجب عند سلامة الأسباب. *والله أعلم*.[10]

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٤٤]

وقوله عز وجل: **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث**، فجائز أن يكون الحديث هو القرآن. وجائز أن يكون أريد به البعث، وهو الغالب أن يكون هو المرادَ.

---

[1] جميع النسخ: ينال.
[2] ر – على.
[3] ر ث م – ولا؛ ن: وحج. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٠ظ.
[4] ر ث: بشره.
[5] ر: حج بزل؛ ن م: حج زل.
[6] جميع النسخ: يريد. والتصحيح من المرجع السابق.
[7] ر م: تذكره.
[8] ر م – فجائز أن يكون هذا على نفي استطاعة الأحوال والأسباب أو لا يستطيعون.
[9] ر ث م: ابتلي.
[10] ث – وقوله عز وجل وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ففيه أن الفرائض إنما يجب عند سلامة الأسباب والله أعلم.

وقوله عز وجل: **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**. قال القُتَبِي: الاستدراج هو الأدنى من المَهْلكة درجة فدرجةً حتى يَهْلك.[١] وقيل **سنستدرجهم**، أي نُنْعم عليهم، ونُنْسيهم شكرها بالإملاء، وينزل بهم العذاب والهلاك آمَنَ[٢] ما كانوا.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٤٥]

وقوله عز وجل: **وأملي لهم إن كيدي متين**. والأصل أن الكيد والمكر والاستدراج يقتضي معنى واحدا، وهو أن يأخذ من وجه أمْنِه ويراقب وجوهَ هلاكه؛ وهو يستعمل في الخلق على وجه يُذَمُّ أهله. فهو يضاف إلى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسما له، إذ لا يجوز له[٣] أن يسمى ماكرا كائدا مستدرجا، وإنما يضاف إليه في حق الجزاء. وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد، ولكن قد يجوز أن يسمي الجزاءُ[٤] باسم ما له الجزاء، كما يسمى جزاء السيئة سيئةً وإن لم يكن الجزاء سيئة،[٥] وكما سمى جزاء الاعتداء[٦] اعتداءً.[٧] فكذلك سمى جزاء الكيد كيدا على هذا المعنى، لا أن يكون ذلك منه كيدا في الحقيقة. أو نقول[٨] بأن الذم إنما يلحق الماكر والكائد إذا[٩] استعمله في وَلِيِّه وصَفِيِّه، فأما إذا مكر بعدوه وكاد به فذلك مما لا بأس به ولا يُذَمُّ عليه فاعله. وما أضيف من الكيد إلى الله تعالى فذلك حالٌ بأعدائه ليس بأوليائه، فلم يكن فيه إلحاق معنى مكروهٍ بالله تعالى.

ثم الأصل أن يُنظر في الفعل: لماذا أضيف إلى الله تعالى بحقيقة أم بمجاز؟ فإن كانت الإضافة بحق المجاز فلا يُجعل ذلك اسما له، لأنه لا يجوز أن يقال: هو كاتب، نافخ[١٠] روح،

---

[١] انظر: *تأويل مشكل القرآن* لابن قتيبة، ١٦٦.

[٢] ر ن م: أمر؛ ث: أم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦١و.

[٣] ن – له.

[٤] ر ث م – وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد ولكن قد يجوز أن يسمي الجزاء.

[٥] ر ث – وإن لم يكن الجزاء سيئة. لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلُها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين﴾ (سورة الشورى، ٤٢/٤٠).

[٦] ر: الاعتدال.

[٧] لعل المؤلف رحمه الله تعالى يشير إلى قوله تعالى: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ (سورة البقرة، ٢/١٩٤).

[٨] ر ث م: يقول.

[٩] ن: إن.

[١٠] ر: نافع.

ولا كائد ولا ماكر،[1] إذ لا يتحقق ذلك منه. وما كانت إضافته لأجل التحقيق فإنه يستقيم[2] أن يُسَمَّى به، لأنه يستقيم أن نسميه[3] مُنْعما مُفْضلا[4] خالقا[5] رحمانا، إذ الإنعام والإفضال والخلق موجود منه.

وقوله عز وجل: **متين**، أي قوي ثابت. فقوله تعالى: **إن كيدي متين**، أي كيدي لأوليائي على أعدائي ثابت، ليس ككيد الأعداء لأن كيد الأعداء بكيد الشيطان، وكيد الشيطان ضعيف.[6] والأصل أن الكيد الذي أضيف إلى الله تعال حق، والحق قوي ثابت[7] لا مَدْفَعَ له وكيد الشيطان باطل، وليس للباطل قرار، بل هو كما قال الله تعالى: اُجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.[8]

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾[٤٦]

وقوله عز وجل: **أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون**. الأصل أن الرسل عليهم السلام لم يكونوا يدعون الخلق إلى ما يستثقله عقل أو طبع، بل كانوا يدعونهم[9] إلى ما يَخِفّ ويَسْهُل على الطبع والعقلِ الإجابةُ له؛[10] لأنهم كانوا[11] يدعونهم إلى التوحيد، وهم كانوا يعبدون غير واحد من الآلهة، وعبادة[12] الواحد أيسر من عبادة[13] عدد؛ وكانوا يدعونهم إلى الصدق وإلى مكارم الأخلاق، والإجابة[14] بمثله أمر يسير. فيقول:[15] أحملتَ عليهم أجرا فَثَقُل عليهم ذلك حتى تركوا الإجابة لك مع تيسيره عليهم؟ فيخرج ذكر هذا مخرج تسفيه أحلامهم.

---

[1] ر: وماكر؛ ن: ولا ما ذكر.
[2] ر: ستقيم.
[3] جميع النسخ: أن يسميه.
[4] ر – مفضلا.
[5] ر: خالق.
[6] ن: ضعيف. يشير إلى قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ (سورة النساء، ٤/٧٦).
[7] ث: ثابت قوي.
[8] ﴿ومَثَلُ كلمةٍ خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾ (سورة إبراهيم، ١٤/٢٦).
[9] ر م: يدعونه.
[10] ن – له.
[11] ر ث م: كأنهم.
[12] ر ث – عبادة.
[13] ر ن: عابدة.
[14] ر م – والإجابة.
[15] ن ث م: فنقول.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾[٤٧]

وقوله عز وجل: **أم عندهم الغيب فهم يكتبون**، فهذا يحتمل أوجها. أحدها أم[١] عندهم علم الغيب بالذي ادَّعَوا أنَّا نجعل المسلمين كالمجرمين،[٢] وذلك مكتوب عندهم[٣] أو[٤] عند سلفهم عِلْمَ الغيب، فوجدوه[٥] في كتبهم ويعلم به خَلَفهم[٦] فيخاصمونك به؟ ثم هم قوم لم يكونوا يؤمنون بالكتب ولا بالرسل، فكيف يخاصمونك ويكذبونك فيما تخبرهم،[٧] وإنما يوصَل إلى التكذيب بما يَثْبُتُ[٨] من العلم بخلافه ويتأيد بأحد الوجهين اللذين ذكرناهما. أو يكون هذا في موضع الاحتجاج عليهم حين زعموا "أنَّا نعبد الأصنام ليقرِّبُونا إلى الله زلفى ويكونوا لنا شفعاء".[٩] فما الذي حملهم[١٠] على هذا الدعوى، أم[١١] عندهم علم الغيب فهم يكتبون؟ أو أن يكون القوم قد ألزموا أنفسهم الدنيوية بدين الله وأقروا له بالألوهية، وذلك يُلزمهم العملَ بما فيه تبجيل[١٢] الله تعالى وما به يشكر الخلائق، وذلك لا يعرف إلا بالرسل عليهم السلام. فقد عرفوا حاجة أنفسهم إلى من يعلِّمُهم علم الغيب. فما لهم امتنعوا عن الإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع حاجتهم إليه، أم[١٣] عندهم علم الغيب فيستغنُون به[١٤] عن الرسول عليه الصلاة والسلام؟[١٥]

---

[١] جميع النسخ: أن.

[٢] يشير إلى الآية ٣٥ من هذه السورة.

[٣] ر + فيخرج ذكر هذا مخرج.

[٤] ر: أم.

[٥] ن: فجلدوه.

[٦] ر: خلقهم.

[٧] ن: يخبرهم.

[٨] ن: ثبت.

[٩] يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ (سورة الزمر، ٣٩/٣)؛ وقوله: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أَتُنَبِّئُونَ الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (سورة يونس، ١٠/١٨).

[١٠] ن: عملهم.

[١١] ث: أما.

[١٢] ر ث: بتبجيل.

[١٣] جميع النسخ: أن ما.

[١٤] ر - به.

[١٥] ن - عليه الصلاة والسلام.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[٤٨]

وقوله عز وجل: **فاصبر لحكم ربك**، إن حُكْم الله تعالى في الرسل ثلاثة.[١] أحدها أن لا يدعوا على قومهم بالهلاك وإن اشتد أذاهم من ناحيتهم[٢] حتى يؤذَنَ لهم. والثاني أن لا يفارقوا[٣] قومهم وإن اشتد بهم[٤] البلاء إلا بإذن الله تعالى. والثالث أن لا يقصِروا[٥] في التبليغ وإن خافوا على أنفسهم. ثم من وراء[٦] هذا عليهم أمران. أحدهما أنهم[٧] أمروا أن لا يغضبوا إلا لله[٨] تعالى. والثاني أن لا يحزنوا لمكان أنفسهم إذا أذاهم قومهم، / بل يحزنون لمكان أولئك القوم إشفاقا عليهم منه ورحمة بما يَحِلُّ عليهم من العذاب بتكذيبهم الرسل، فهذا هو حكم ربك.[٩] [٨٣٥ظ]

ويحتمل أن يكون قوله تعالى: **فاصبر لحكم ربك**، أي لا تجازهم[١٠] لصنيعهم[١١] ولا تستعجل[١٢] عليهم، بل اصبر لحكم ربك بما حكم عليهم من العذاب.

وقوله عز وجل: **ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم**، [يحتمل وجهين: أحدهما ما] قيل: نادى[١٣] على قومه بالدعاء عليهم بالهلاك. لكنه لم يظهر دعاؤه على قومه عندنا، وإنما ظهرت منه المفارقة والمغاضبة على قومه، بقوله: وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا.[١٤] لم يكن له أن يفارقهم فيقول:[١٥] اصبر بما حكم عليك ربك من ترك المفارقة عن قومك، **ولا تكن كصاحب الحوت**، الذي فارق قومه قبل مجيء الإذن له من الله تعالى.

---

[١] جميع النسخ: ثلاث.
[٢] ن: من ناجيتهم.
[٣] ر ث م: لا تفارقوا.
[٤] ن: لهم.
[٥] ر م: أن لا تقصروا.
[٦] ر ث م: من وراه.
[٧] ر ث م – أنهم.
[٨] ر ث: إلا الله.
[٩] جميع النسخ: ربه.
[١٠] ن: لا تجازيهم.
[١١] ن: بصنيعهم.
[١٢] ر م: واستعمل؛ ث: واستعجل.
[١٣] ر: ونادي.
[١٤] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).
[١٥] ن: فنقول. أي فيقول الله تعالى.

والثاني أن يونس عليه السلام لم يصبر على أذى[١] قومه، بل فارقهم حتى ابتُلي ببطن الحوت. ثم فَزِع بالدعاء إلى الله تعالى ليُخَلِّصه من بطنه. فيقول: عليك الصبر مع قومك ولا تكن كصاحب الحوت، حيث لم يصبر مع قومه فابتلي بما ذَكَر حتى احتاج إلى أن ينادي في الظلمات: أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ،[٢] فتُبْتَلَى[٣] أنت أيضا بمثل ما ابتلي هو به.

ثم لا يجوز أن تلحقه[٤] اللائمةُ ويعاتَب على ما دعا في بطن الحوت، لأن ذلك عذاب ابتلي به، ولا ينبغي للمرء أن يصبر على العذاب، بل عليه أن يبتهل إلى الله تعالى ليكشف عنه، وإنما لحقته[٥] اللائمة بمفارقته قومه ولتركه الصبر معهم.

﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾[٤٩]

وقوله عز وجل: **لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم**، نعمة ربه هي[٦] ما وفقه للتوبة والإنابة وما قبل منه توبته، وكان له ألا يقبلها، إذ هو إنما أتى[٧] بالتوبة بعد أن صار إلى تلك المضائق، وابتلى بالشدائد، وجاءه بأس الله. ومن حِكَمِه أنه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ -إلى قوله- فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا.[٨] فإذا قبل توبته كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى عليه. وقوله: **لنبذ بالعراء**، هو المكان الخالي، فلو لم يتب الله تعالى عليه لكان يلبث في بطنه إلى يوم يُبْعثون. ثم ينبذ[٩] بعد ذلك بالعراء وهو مذموم، لكن الله تعالى تفضل عليه بقبول توبته [كما قال:] فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ،[١٠] محموم. فقوله: **لنبذ بالعراء وهو مذموم**، لو عاقبه بالنبذ، ولكن إنما نُبذ بالعراء بعد قبول التوبة فلم يصر مذموما.

---

[١] ر ث: على أدى.

[٢] سبقت قريبا.

[٣] ن: فيبتلى.

[٤] جميع النسخ: ان يلحقه.

[٥] جميع النسخ: لحقة. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦١و.

[٦] جميع النسخ: ربك هو.

[٧] جميع النسخ + به.

[٨] ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنةَ الله التي قد خلَتْ في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (سورة المؤمن، ٤٠/٨٤-٨٥).

[٩] ر م: نبذ.

[١٠] ﴿فلولا أنه كان من المسبِّحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرةً من يقْطِين﴾ (سورة الصافات، ١٤٣/٣٧-١٤٦).

وقوله عز وجل: **لولا أن تداركه نعمة من ربه،** فنعمته عليه كانت من ثلاثة أوجه. أحدها في تذكير الزلة، وذلك كان بالْتقام الحوت إياه، وكان عنده أن مفارقته قومه لم يكن زلة، لأنه إنما فارقهم لأن قومه كانوا له أعداء في الدين، ففارقهم لينجو منهم ولِيَسْلم له دينُه، ولا يسمعَ المكروه منهم[1] في الله تعالى.

والثاني أن[2] في مفارقته إياهم تخويفا[3] منه[4] لهم وتهويلا، لأن القوم كان لا يفارقهم نبيهم من بين أظهرهم إلا عند ما يريد [الله] أن ينزل بهم العذاب، وذلك مما[5] يدعوهم إلى الانقلاع عما هم فيه، ويدعوهم إلى الفزع إلى الله تعالى.

و[الثالث] من خوّف آخَرَ بأمر فيكون فيه دعاؤه إلى الهدى كان محمودا مصيبا. ولأن مفارقته إياهم هي التي دعتهم إلى الإسلام فأسلموا، لقوله: فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ.[6] ومن كانت مفارقته لهذه الأوجه التي ذكرناها،[7] لم تُعَدَّ[8] مفارقته زلة، بل عدت من أفضل شمائله. ولكن لحقته اللائمة مع هذا كله لما ذكرنا أن الرسل لا يسعهم أن يفارقوا قومهم وإن اشتد عليهم الأذى من جهتهم إلا بعد وجود الإذن من الله تعالى، وكانت مفارقته تلك بغير إذن. *والله أعلم.*

ثم كان[9] في ظنه أن ليست تلك المفارقة زلة. ألا ترى إلى قوله تعالى: فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ.[10] قيل في التأويل: أي لن نُضَيِّق[11] عليه، وقيل: أي لن نعاقبه.[12] ولولا[13] أن عنده أن تلك المفارقة

[1] ر ث م – منهم.
[2] ر ث م – أن.
[3] جميع النسخ: تخويف.
[4] ر م: منهم.
[5] ر: ما.
[6] سورة الصافات، ١٤٨/٣٧.
[7] ر م: ذكرنا.
[8] ر ث م: لم يعد.
[9] ر ث م: كانت.
[10] ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (سورة الأنبياء، ٨٧/٢١).
[11] ر ن م: أن لن يضيق.
[12] ن: لن يعاقبه؛ م: لن تعاقبه.
[13] ر ث م: فلولا.

ليست بزلة وإلا كان لا يظن هذا،[١] فتبين عنده بِالْتِقام[٢] الحوت إياه وبما أفضى إليه من الشدائد أن تلك زلة منه، وتذكير الزلة من إحدى النعم. والنعمة الثانية والثالثة ما ذكرناهما من توفيق الله تعالى إياه بالتوبة وإكرامه عليه بقبولها. ومن حُكمه أن لا يقبل التوبة ممن جاءه[٣] بأس الله وأحاط به العذاب، وهو إنما فزع إلى التوبة بعد ما عاين العذاب وجاءه بأس الله تعالى.

وجائز أن يكون حكمه هذا في الكفرة ليس في المؤمنين، لأنه قال في آية أخرى: يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا،[٤] ففيه[٥] إشارة إلى أن من سبق منه الإيمان قبل أن يأتيه آيات ربه أو سبق منه كسب الخير من بعد الإيمان فإن إيمانه في ذلك الوقت ينفعه. وقال في أهل الكفر: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ،[٦] فهذا حكمه في أهل الشرك. وقال: وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ.[٧] وقال في المؤمنين: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ.[٨] فثبت أن ما ذكرنا من الحكم هو حكمه في أهل الكفر ليس في أهل الإيمان. والعقل يدل على هذا، وذلك أن المؤمن قد علم[٩] أن الذي سبق منه زلة وارتكاب معصية، فهو ليس يحتاج إلى إثبات / آيات فينبهه على أن الذي فعله زلة. فجائز [٨٣٦و] أن تقبل منه التوبة في ذلك الوقت كما تقبل[١٠] قبل[١١] تلك الحالة. وأما الكافر فعنده أن ما سبق منه لم يكن زلة ومعصية، فيحتاج إلى آيات تنبهه عن غفلته،[١٢] وتذكُّره[١٣] أن الذي فعله معصية.

---

[١] ر ث م – هذا.

[٢] ن: التقام.

[٣] ر م: جاء.

[٤] سورة الأنعام، ١٥٨/٦.

[٥] ن: وفيه.

[٦] سورة المؤمن، ٨٤/٤٠–٨٥.

[٧] سورة النساء، ١٨/٤.

[٨] ﴿...فأولئك يتوب الله عليهم﴾ (سورة النساء، ١٧/٤).

[٩] ن: فقد علم.

[١٠] ن: يقبل.

[١١] ر ث + منه.

[١٢] ر م: غفلة.

[١٣] ر ن ث: ويذكره؛ م: يذكره.

فإذا نزل به البأساء والشدة فذلك يمنعه[1] عن النظر والتدبر، فلا يكون إيمانه عن تحقق ويقين فلا ينفعه. والثاني[2] أنه يفزع إلى التوبة والإيمان ليدفع عن نفسه البأساء لا [ل]يدوم عليه لو كُشف[3] عنه العذاب، كما قال: وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ.[4] فلهذا لا ينفعه إيمانه.[5]

فإن قيل: إن قوم يونس قد نفعهم إيمانهم وهم آمنوا بعد ما أيقنوا بالعذاب.

فجوابه من وجهين. أحدهما أنه يجوز أن يكون عذابهم موعودا و لم يكن مشاهدا مرئيا. و[الثاني] جائز أن يكون الله علم صدقهم في إيمانهم لو مُكّنوا منه[6] فكشف عنهم العذاب لما كانوا متحققين. وغيرهم كان يفزع إلى الإيمان ليكشف عنه العذاب ثم يعود إلى كفره فلم يقبل منه. وجائز أن يكون من حكم الله تعالى أن لا يقبل من أحد التوبة إذا حل به العذاب، ولكنه يقبلها[7] من المؤمنين إفضالا وإنعاما، ولا يتفضل على الكافرين[8] الذين آثروا الدنيا على الدين.

وعلى قول المعتزلة: ليست لله تعالى عليه[9] نعمةٌ ولا على أحد من أهل الإسلام، لأن من[10] قولهم: إن الله تعالى إذا علم من كافر أنه يسلم يوما من الدهر وإن كان بعدَ ألفِ سنةٍ، فليس له أن يميته قبل أن يُسلم، وعليه أن يوفقه للتوبة، وعليه[11] أن يقبل منه التوبة. فإذا كان هذا كله حقا عليه للعبد لم يكن له موضعُ نعمة عليه في قبول التوبة، لأن من قضى حقا عليه وأوصله إلى مُحِقِّه لم يَعُد ذلك منه إنعاما، فلا يكون لقوله: **لولا أن تداركه نعمة من ربه،** معنى. وقد قال الله تعالى: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ]،[12] ولو كانت الهداية واجبة عليه لم يكن له عليهم موضع امتنان.

---

[1] ن: لمنعه.
[2] أي المؤمن.
[3] ر: كشفه.
[4] سورة الأنعام، ٢٨/٦.
[5] أي إيمان الكافر.
[6] جميع النسخ – منه. والزيادة من *الشرح*، ورقة ٢٦٢و.
[7] ث: يقبله.
[8] ث: الكافر.
[9] أي على العبد.
[10] ث: معنى.
[11] ر: عليه.
[12] سورة الحجرات، ١٧/٤٩.

﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[٥٠]

وقوله عز وجل: **فاجتباه ربه**، أي اختاره واصطفاه للرسالة، ألا ترى إلى قوله، وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ.[١] وقوله تعالى: **فجعله من الصالحين**، فهذا وصف كل نبي مرسل في الآخرة.[٢]

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[٥١]

وقوله عز وجل: **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**. فمنهم من يقول: هذا على التحقيق، وصُرِف ذلك إلى قوم بأعيانهم قد عُرفوا بخبث[٣] الأعين وحلول الآفات بمن يَعِينُونه[٤] من أهل الشرف والتبجيل. ثم الله تعالى بفضله عصم رسوله عليه الصلاة والسلام فلم يتهيأ لهم أَنْ يَعِينُوه، فكان فيه تقرير رسالته وآيةُ نبوته عند أولئك الكفرة.

فإن قال قائل: إنهم كانوا يعدُّون رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجانين ويقولون: إنه لمجنون، والمجنون لا يعان، وإنما يعان أهل الشرف والحِجَى وذوا الأحلام والنُّهَى. فما[٥] أنكرتَ أنه سلم من الآفة حتى يُقْصَد إليه بالعِينَة؟

فجوابه أنهم وإن كانوا يعدونه من جملة المجانين، فإنهم سمعوا منه ذكرا عجيبا[٦] وهو القرآن؛ ومن أُعْطِيَ مثلَ ذلك[٧] الذكر والشرف فهو مما يقصد إليه بالحسد، فكانوا يَعِينُونه لذلك المعنى. ثم لم يضرّه كيدُهم ولا نفذت[٨] فيه حِيَلُهم، فأوجب ذلك تنبيهَهم[٩] أنه رسول من الله تعالى. ومنهم من حمله على التمثيل ليس على التحقيق، فيقول: **وإن يكاد الذين كفروا**، لشدة بغضهم وعداوتهم إياك، **لَيُزلقونك بأبصارهم**، كما يقال: نظر إليَّ فلان نظرا كاد أن يقتلني، فيقوله على التمثيل. ثم قوله: **ليزلقونك**، أي يُسقطونك ويَصرعونك.

---

[١] سورة الصافات، ١٤٧/٣٧.
[٢] أي بعد رجوعه إلى قومه ودعوته إلى الإيمان وقبول قومه دين الحق.
[٣] ر ث: بخيب.
[٤] عان الرجلَ يَعينه عَيْنًا، فهو عائن، والمصاب مَعِين ومَعْيُون: أصابه بالعين (*لسان العرب*، «عين»).
[٥] ر ث م: فمن.
[٦] ر ث: عجبا.
[٧] ن: منك.
[٨] جميع النسخ: نفذ.
[٩] جميع النسخ: يبينهم. والتصحيح من *الشرح*، ورقة ٢٦٢و.

وقوله عز وجل: **لَمَّا سمعوا الذكر**، وهو القرآن. وقوله عز وجل: **ويقولون إنه لمجنون**، وقد وصفنا[١] أنهم لأيِّ معنى كانوا ينسبونه إلى الجنون، وذكرنا ما يردُّ عليهم مقالتهم وينفي[٢] عنهم الرِّيَب والإشكال.[٣]

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾[٥٢]

وقوله عز وجل: **وما هو إلا ذكر للعالمين**، فجائز أن يكون الذكر هو القرآن. وجائز أن يكون أريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ قد تقدم ذكرهما جميعا، إذ كل واحد منهما ذِكْر يذكر[٤] ما للخلق وما على الخلق، وما تنتهي[٥] إليه عواقبهم، ويذكر ما يؤتَى وما يُتَّقَى. ***والله أعلم بالصواب***.[٦] تمت بعون الله الملك الوهاب.[٧]

---

[١] ن ث م: وقد صفنا.
[٢] ن: ينقي.
[٣] انظر: تفسير الآية ٢ من هذه السورة.
[٤] م: بذكر.
[٥] جميع النسخ: ينتهي.
[٦] ر ث م – بالصواب.
[٧] ر ث م – تمت بعون الله الملك الوهاب.

سورة القلم

وهي اثنتان وخمسون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ①﴾

﴿نٓ﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: الأقوال المذكورة في هذا الجنس قد شرحناها في أول سورة البقرة والوجوه الزائدة التي يختص بها هذا الموضع أولها: أن النون هو السمكة، ومنه في ذكر يونس ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهذا القول مروي عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي ثم القائلون بهذا منهم من قال: إنه قسم بالحوت الذي على ظهره الأرض وهو في بحر تحت الأرض السفلى، ومنهم من قال: إنه قسم بالحوت الذي احتبس يونس عليه السلام في بطنه، ومنهم من قال: إنه قسم بالحوت الذي لطخ سهم نمروذ بدمه. **والقول الثاني**: وهو أيضًا مروي عن ابن عباس واختيار الضحاك والحسن وقتادة أن النون هو الدواة، ومنه قول الشاعر:

إِذَا مَا الشَّوْقُ يَرْجِعُ بِي إِلَيْهِمْ ... أَلْقَتِ النُّونُ بِالدَّمْعِ السَّجُومِ

فيكون هذا قسمًا بالدواة والقلم، فإن المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة، فإن التفاهم تارة يحصل بالنطق وتَارَةً يتحرى بالكتابة. **والقول الثالث**: أن النون لوح تكتب الملائكة ما يأمرهم الله به فيه رواه معاوية بن قرة مرفوعًا. **والقول الرابع**: أن النون هو المداد الذي تكتب به الملائكة واعلم أن هذه الوجوه ضعيفة لأنا إذا جعلناه مقسمًا به وجب إن كان جنسًا أن نجره وننونه، فإن القسم على هذا التقدير يكون بدواة منكرة أو بسمكة منكرة، كأنه قيل: وسمكة والقلم، أو قيل: ودواة والقلم، وإن كان علمًا أن نصرفه ونجره أو لا نصرفه ونفتحه إن جعلناه غير منصرف. **والقول الخامس**: أن نون هاهنا آخر حروف الرحمن فإنه يجتمع من الرحمن ن اسم الرحمن فذكر الله هذا الحرف الأخير من هذا الاسم، والمقصود القسم بتمام هذا الاسم، وهذا أيضًا ضعيف لأن تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية، بل الحق أنه إما أن يكون اسمًا للسورة أو يكون الغرض منه التحدي أو سائر الوجوه المذكورة في أول سورة البقرة.

المسألة الثانية: القراء مختلفون في إظهار النون وإخفائه من قوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ فمن أظهرها فلأنه ينوي بها الوقف بدلالة اجتماع الساكنين فيها، وإذا كانت موقوفة كانت في تقدير الانفصال مما بعدها، وإذا انفصلت مما بعدها وجب التبيين، لأنها إنما تخفى في حروف الفم

عند الاتصال، ووجه الإخفاء أن همزة الوصل لم تقطع مع هذه الحروف في نحو ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١] وقولهم في العدد: واحد اثنان فمن حيث لم تقطع الهمزة معها علمنا أنها في تقدير الوصل وإذا وصلتها أخفيت النون وقد ذكرنا هذا في ﴿طسٓ﴾ [النمل: ١] و﴿يسٓ﴾ [يس: ١] وقال الفراء: وإظهارها أعجب إليَّ لأنها هجاء والهجاء كالموقوف عليه وإن اتصل.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن القسم به هو الجنس وهو واقع على كل قلم يكتب به من في السماء ومن في الأرض، قال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٣-٥] فمنّ بتيسير الكتابة بالقلم كما منَّ بالنطق فقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٤] ووجه الانتفاع به أن يُنَزِّل الغائب منزلة المخاطب فيتمكن المرء من تعريف البعيد به ما يتمكن باللسان من تعريف القريب، والثاني: أن المقسم به هو القلم المعهود الذي جاء في الخبر أن أول ما خلق الله القلم، قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فجرى بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة من الآجال والأعمال، قال: وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض، وروى مجاهد عنه قال: أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب القدر فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه. قال القاضي: هذا الخبر يجب حمله على المجاز، لأن القلم الذي هو آلة مخصوصة في الكتابة لا يجوز أن يكون حيًّا عاقلاً فيؤمر وينهى فإن الجمع بين كونه حيوانًا مكلفًا وبين كونه آلة للكتابة محال، بل المراد منه أنه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو كقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] فإنه ليس هناك أمر ولا تكليف، بل هو مجرد نفاذ القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة، ومن الناس من زعم أن القلم المذكور هاهنا هو العقل، وأنه شيء هو كالأصل لجميع المخلوقات، قالوا: والدليل عليه أنه روي في الأخبار أن أول ما خلق الله القلم، وفي خبر آخر: أول ما خلق الله تعالى جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فذابت وتسخنت فارتفع منها دخان وزبد فخلق من الدخان السموات ومن الزبد الأرض، قالوا: فهذه الأخبار بمجموعها تدل على أن القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي أصل المخلوقات شيء واحد وإلا حصل التناقض.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

اعلم أن (مَا) مع ما بعدها في تقدير المصدر، فيحتمل أن يكون المراد وسطرهم، فيكون القسم واقعًا بنفس الكتابة، ويحتمل أن يكون المراد المسطور والمكتوب، وعلى التقديرين فإن حملنا القلم على كل قلم في مخلوقات الله كان المعنى ظاهرًا، وكأنه تعالى أقسم بكل قلم، وبكل ما يكتب بكل قلم، وقيل: بل المراد ما يسطره الحفظة والكرام الكاتبون، ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه، فيكون الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ لهم، كأنه قيل: وأصحاب القلم وسطرهم، أي ومسطوراتهم. وأما إن حملنا القلم على ذلك القلم المعين، فيحتمل أن يكون المراد بقوله:

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ، ولفظ الجمع في قوله: ﴿يَسْطُرُونَ﴾ ليس المراد منه الجمع بل التعظيم، أو يكون المراد تلك الأشياء التي سطرت فيه من الأعمال والأعمار، وجميع الأمور الكائنة إلى يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

اعلم أن قوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: روي عن ابن عباس أنه عليه السلام غاب عن خديجة إلى حراء، فطلبته فلم تجده، فإذا به وجهه متغير بلا غبار، فقالت له مالك؟ فذكر نزول جبريل عليه السلام وأنه قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فهو أول ما نزل من القرآن، قال: ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت، ثم صلى وصليت معه ركعتين، وقال: هكذا الصلاة يا محمد، فذكر عليه الصلاة والسلام ذلك لخديجة، فذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل، وهو ابن عمها، وكان قد خالف دين قومه، ودخل في النصرانية، فسألته فقال: أرسلي إليَّ محمدًا، فأرسلته فأتاه فقال له: هل أمرك جبريل عليه السلام أن تدعو إلى الله أحدًا؟ فقال: لا، فقال: والله لئن بقيت إلى دعوتك لأنصرنك نصرًا عزيزًا، ثم مات قبل دعاء الرسول، ووقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش فقالوا: إنه لمجنون، فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون، وهو خمس آيات من أول هذه السورة، ثم قال ابن عباس: وأول ما نزل قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١] وهذه الآية هي الثانية.

المسألة الثانية: قال الزجاج: ﴿أَنتَ﴾ هو اسم ﴿مَآ﴾ و﴿بِمَجْنُونٍ﴾ الخبر، وقوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ كلام وقع في البين والمعنى انتفى عنك الجنون بنعمة ربك كما يقال: أنت بحمد الله عاقل، وأنت بحمد الله لست بمجنون، وأنت بنعمة الله فهم، وأنت بنعمة الله لست بفقير، ومعناه أن تلك الصفة المحمودة إنما حصلت، والصفة المذمومة إنما زالت بواسطة إنعام الله ولطفه وإكرامه، وقال عطاء وابن عباس: يريد بنعمة ربك عليك بالإيمان والنبوة، وهو جواب لقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] واعلم أنه تعالى وصفه هاهنا بثلاثة أنواع من الصفات.

الصفة الأولى: نفي الجنون عنه ثم إنه تعالى قرن بهذه الدعوى ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها، وذلك لأن قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ يدل على أن نعم الله تعالى كانت ظاهرة في حقه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية، والبراءة من كل عيب، والاتصاف بكل مكرمة

وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينافي حصول الجنون، فالله تعالى نبه على هذه الدقيقة لتكون جارية مجرى الدلالة اليقينية على كونهم كاذبين في قولهم له: إنه مجنون.

الصفة الثانية: قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ وفي الممنون: قولان: أحدهما: وهو قول الأكثرين، أن المعنى غير منقوص ولا مقطوع يقال: منَّه السير أي أضعفه، والمنين: الضعيف ومنَّ الشيء إذا قطعه، ومنه قول لبيد:

غبش كَوَاسِبُ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا(١)

يصف كلابًا ضارية، ونظيره قوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

والقول الثاني: وهو قول مجاهد ومقاتل والكلبي، إنه غير مقدر عليك بسبب المنة، قالت المعتزلة في تقرير هذا الوجه: إنه غير ممنون عليك لأنه ثواب تستوجبه على عملك، وليس بتفضل ابتداء، والقول الأول أشبه لأن وصفه بأنه أجر يفيد أنه لا منة فيه فالحمل على هذا الوجه يكون كالتكرير، ثم اختلفوا في أن هذا الأجر على أي شيء حصل؟ قال قوم: معناه: إن لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح أجرًا عظيمًا دائمًا، وقال آخرون: المراد إن لك في إظهار النبوة والمعجزات، في دعاء الخلق إلى الله، وفي بيان الشرع لهم هذا الأجر الخالص الدائم، فلا تمنعك نسبتهم إياك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم، فإن لك بسببه المنزلة العالية عند الله.

الصفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ **وفيه مسائل:**

المسألة الأولى: اعلم أن هذا كالتفسير لما تقدم من قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وتعريف لمن رماه بالجنون بأن ذلك كذب، وخطأ وذلك لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة منه، ومن كان موصوفًا بتلك الأخلاق والأفعال لم يجز إضافة الجنون إليه لأن أخلاق المجانين سيئة، ولما كانت أخلاقه الحميدة كاملة لا جرم وصفها الله بأنها عظيمة، ولهذا قال: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] أي لست متكلفًا فيما يظهر لكم من أخلاقي لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً بل يرجع إلى الطبع، وقال آخرون: إنما وصف خلقه بأنه عظيم وذلك لأنه تعالى قال له: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهذا الهدى الذي أمر الله تعالى محمدًا بالاقتداء به ليس هو معرفة الله لأن ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول، وليس هو الشرائع لأن شريعته مخالفة لشرائعهم فتعين أن يكون المراد منه أمره عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بكل واحد من الأنبياء المتقدمين فيما اختص به من الخلق الكريم، فكأن كل واحد منهم كان مختصًا بنوع واحد، فلما أُمِرَ محمد عليه الصلاة والسلام بأن يقتدي بالكل فكأنه أُمِرَ بمجموع ما كان متفرقًا فيهم، ولما كان ذلك درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء قبله، لا جرم وصف الله خلقه بأنه عظيم، وفيه دقيقة أخرى وهي قوله: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وكلمة على

---

(١) تقدمت ترجمة لبيد.

للاستعلاء، فدل اللفظ على أنه مُسْتَعْلٍ على هذه الأخلاق ومستول عليها، وأنه بالنسبة إلى هذه الأخلاق الجميلة كالمولى بالنسبة إلى العبد وكالأمير بالنسبة إلى المأمور.

المسألة الثانية: الخُلُق: ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة. واعلم أن الإتيان بالأفعال الجميلة غير وسهولة الإتيان بها غير، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة هي الخلق ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والغضب، والتشديد في المعاملات والتحبب إلى الناس بالقول والفعل، وترك التقاطع والهجران والتساهل في العقود كالبيع وغيره والتسمح بما يلزم من حقوق من له نسب أو كان صهرًا له وحصل له حق آخر. وروي عن ابن عباس أنه قال معناه: وإنك لعلى دين عظيم، وروي أن الله تعالى قال له: (لَمْ أَخْلُقْ دِينًا أَحَبَّ إِلَيَّ وَلاَ أَرْضَى عِنْدِي مِنْ هَذَا الدِّينِ الَّذِي اصْطَفَيْتُهُ لَكَ وَلِأُمَّتِكَ) يعني الإسلام، واعلم أن هذا القول ضعيف، وذلك لأن الإنسان له قوتان، قوة نظرية وقوة عملية، والدين يرجع إلى كمال القوة النظرية، والخلق يرجع إلى كمال القوة العملية، فلا يمكن حمل أحدهما على الآخر، ويمكن أيضًا أن يجاب عن هذا السؤال من وجهين: الوجه الأول: أن الخُلُق في اللغة هو العادة سواء كان ذلك في إدراك أو في فعل، الوجه الثاني: أنا بينا أن الخلق هو الأمر الذي باعتباره يكون الإتيان بالأفعال الجميلة سهلاً، فلما كانت الروح القدسية التي له شديدة الاستعداد للمعارف الإلهية الحقة وعديمة الاستعداد لقبول العقائد الباطلة، كانت تلك السهولة حاصلة في قبول المعارف الحقة، فلا يبعد تسمية تلك السهول بالخُلُق.

المسألة الثالثة: قال سعيد بن هشام: قلت لعائشة: (أَخْبِرِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّه، قَالَتْ ألست تقرأ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى قَالَتْ: فَإِنَّهُ كَانَ خُلُقَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ)[(١)] وسئلت مرة أخرى فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى عشرة آيات، وهذا إشارة إلى أن نفسه المقدسة كانت بالطبع منجذبة إلى عالم الغيب، وإلى كل ما يتعلق بها، وكانت شديدة النفرة عن اللذات البدنية والسعادة الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة، اللهم ارزقنا شيئًا من هذه الحالة. وروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: (مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَلاَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلاَّ قَالَ:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم في كتاب (صلاة المسافرين) باب (جامع صلاة الليل) (١/ ١٣٩/ ٥١٢/ ٥١٤) وأبو داود في كتاب (التطوع) باب (في صلاة الليل) (٢/ ٤١/ ٤٢) حديث رقم (١٣٤٢) والترمذي في كتاب (الصلاة) باب (إذا نام عن صلاته بالليل صلى بالنهار) (٢/ ٣٠٦) حديث رقم (٤٤٥) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح وابن ماجه في كتاب (إقامة الصلاة) باب (في الوتر ثلاث وخمس وسبع وتسع) (١/ ٣٧٦) حديث رقم (١١٩١) وأحمد في (مسنده) (٦/ ٥٣/ ٩٤/ ١٠٩/ ١٦٣/ ١٦٨) والدارمي في كتاب (الصلاة) باب (صفة صلاة رسول الله ﷺ) (١/ ٣٧٤) حديث رقم (١٤٧٥) وابن خزيمة في (صحيحه) (٢) حديث رقم (١٠٧٨/ ١١٢٨) جميعًا من طريق زرارة بن أبي أوفى . . . به.

لَبَّيْكَ)[١] فلهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقال أنس: (خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ، فما قال لي في شيء فَعَلْتُهُ لِمَ فَعَلْتَ، وَلاَ فِي شَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ هَلاَّ فَعَلْتَ)[٢] وأقول: إن الله تعالى وصف ما يرجع إلى قوته النظرية بأنه عظيم، فقال: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٣] ووصف ما يرجع إلى قوته العملية بأنه عظيم فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فلم يبق للإنسان بعد هاتين القوتين شيء، فدل مجموع هاتين الآيتين على أن روحه فيما بين الأرواح البشرية كانت عظيمة عالية الدرجة، كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة.

واعلم أنه تعالى لما وصفه بأنه على خلق عظيم قال:

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾: أي فسترى يا محمد ويرون يعني المشركين، وفيه قولان: منهم من حمل ذلك على أحوال الدنيا، يعني فستبصر ويبصرون في الدنيا أنه كيف يكون عاقبة أمرك وعاقبة أمرهم، فإنك تصير معظمًا في القلوب، ويصيرون ذليلين ملعونين، وتستولي عليهم بالقتل والنهب، قال مقاتل: هذا وعيد بالعذاب ببدر، ومنهم من حمله على أحوال الآخرة وهو كقوله: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾[القمر: ٢٦].

وأما قوله تعالى: ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ ففيه وجوه:

أحدها: وهو قول الأخفش وأبي عبيدة وابن قتيبة: أن الباء صلة زائدة، والمعنى: أيكم المفتون وهو الذي فتن بالجنون كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾[المؤمنون: ٢٠] أي تنبت الدهن وأنشد أبو عبيدة:

نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرَجْ[٣]

والفراء طعن في هذا الجواب وقال: إذا أمكن فيه بيان المعنى الصحيح من دون طرح الباء كان ذلك أولى، وأما البيت فمعناه نرجو كشف ما نحن فيه بالفرج أو نرجو النصر بالفرج وثانيها: وهو اختيار الفراء والمبرد أن المفتون هاهنا بمعنى الفتون وهو الجنون، والمصادر

---

(١) **صحيح:** أبو الشيخ في (أخلاق النبي ﷺ) (١/ ٣/ ٢) الواحدي في (أسباب النزول) (١/ ٢٩٣) كلاهما من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. . . به.

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري في كتاب (المناقب) باب (صفة النبي ﷺ) (٦/ ٦٥٤) حديث رقم (٣٥٦١) قال: حدثنا سليمان بن حرب وأحمد في (مسنده) (٣/ ٢٢٧) قال: حدثنا يونس والدارمي في كتاب (المقدمة) باب (في حُسن النبي ﷺ) (١/ ٣٢) حديث رقم (٦٢) قال: حدثنا أبو النعمان. جميعًا (سلمان، يونس، أبو النعمان) عن حماد بن زيد. . . به.

(٣) أبو عبيدة تقدمت ترجمته.

تجيء على المفعول نحو المعقود والميسور بمعنى العقد واليسر، يقال: ليس له معقود رأي أي عقد رأى، وهذا قول الحسن والضحاك ورواية عطية عن ابن عباس، وثالثها: أن الباء بمعنى (في) ومعنى الآية: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون، أفي فرقة الإسلام أم في فرقة الكفار، ورابعها: المفتون هو الشيطان إذ لا شك أنه مفتون في دينه وهم لما قالوا إنه مجنون فقد قالوا: إن به شيطانًا فقال تعالى: سيعلمون غدًا بأيهم شيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ثم قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ **وفيه وجهان:**

الأول: هو أن يكون المعنى: إن ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذي ضلوا عن سبيله وهو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون.

الثاني: أن يكون المعنى إنهم رموك بالجنون ووصفوا أنفسهم بالعقل وهم كذبوا في ذلك، ولكنهم موصوفون بالضلال، وأنت موصوف بالهداية والامتياز الحاصل بالهداية والضلال أولى بالرعاية من الامتياز الحاصل بسبب العقل والجنون، لأن ذاك ثمرته السعادة الأبدية أو الشقاوة، وهذا ثمرته السعادة أو الشقاوة في الدنيا.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾.

اعلم أنه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار في أمر الرسول ونسبته إلى الجنون مع الذي أنعم الله به عليه من الكمال في أمر الدين والخلق، أتبعه بما يدعوه إلى التشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار، فإن هذه السورة من أوائل ما نزل فقال: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ يعني رؤساء أهل مكة، وذلك أنهم دعوه إلى دين آبائه فنهاه الله أن يطيعهم، وهذا من الله إلهاب وتهييج للتشدد في مخالفتهم.

ثم قال: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: قال الليث: الإدهان: اللين والمصانعة والمقاربة في الكلام، قال المبرد: داهن الرجل في دينه وداهن في أمره إذا خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر، والمعنى تترك بعض ما أنت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض مالا ترضى فتلين لهم ويلينون لك، وروى عطاء عن ابن عباس: لو تكفر فيكفرون.

المسألة الثانية: إنما رفع ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولم ينصب بإضمار أن وهو جواب التمني لأنه قد عدل به إلى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا

﴿يَخَافُ﴾[الجن: ١٣] على معنى: ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ، قال سيبويه: وزعم هارون وكان من القراء أنها في بعض المصاحف: (ودوا لو تدهن فيدهنوا). واعلم أنه تعالى لما نهاه عن طاعة المكذبين، وهذا يتناول النهي عن طاعة جميع الكفار إلا أنه أعاد النهي عن طاعة من كان من الكفار موصوفًا بصفات مذمومة وراء الكفر، وتلك الصفات هي هذه:

الصفة الأولى: كونه حلافًا، والحلاف: من كان كثير الحلف في الحق والباطل، وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة: ٢٢٤].

الصفة الثانية: كونه مهينًا، قال الزجاج: هو فعيل من المهانة، ثم فيه وجهان: أحدهما: أن المهانة هي القلة والحقارة في الرأي والتمييز، والثاني: أنه إنما كان مهينًا لأن المراد الحلاف في الكذب، والكذاب حقير عند الناس. وأقول: كونه حلافًا يدل على أنه لا يعرف عظمة الله تعالى وجلاله، إذ لو عرف ذلك لما أقدم في كل حين وأوان بسبب كل باطل على الاستشهاد باسمه وصفته ومن لم يكن عالمًا بعظمة الله وكان متعلق القلب بطلب الدنيا كان مهينًا، فهذا يدل على أن عزة النفس لا تحصل إلا لمن عرف نفسه بالعبودية، وأن مهانتها لا تحصل إلا لمن غفل عن سر العبودية.

الصفة الثالثة: كونه همازًا وهو العياب الطعان، قال المبرد: هو الذي يهمز الناس أي يذكرهم بالمكروه وأثر ذلك يظهر العيب، وعن الحسن يلوي شدقيه في أقفية الناس وقد استقصينا القول فيه في قوله: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾[الهمزة: ١].

الصفة الرابعة: كونه مشاء بنميم أي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم، يقال: نَمَّ يَنُمُّ ويَنِمُّ نمًّا ونميمًا ونميمة.

الصفة الخامسة: كونه مناعًا للخير، وفيه قولان: أحدهما: أن المراد أنه بخيل والخير المال والثاني: كان يمنع أهله من الخير وهو الإسلام، وهذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان له عشرة من البنين وكان يقول لهم وما قاربهم: لئن تبع دين محمد منكم أحد لا أنفعه بشيء أبدًا فمنعهم الإسلام فهو الخير الذي منعهم، وعن ابن عباس: أنه أبو جهل وعن مجاهد: الأسود بن عبد يغوث، وعن السدي: الأخنس بن شريق.

الصفة السادسة: كونه معتديًا، قال مقاتل: معناه أنه ظلوم يتعدى الحق ويتجاوزه فيأتي بالظلم ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة يعني أنه نهاية في جميع القبائح والفضائح.

الصفة السابعة: كونه أثيمًا، وهو مبالغة في الإثم.

الصفة الثامنة: العتل وأقوال المفسرين فيه كثيرة، وهي محصورة في أمرين: أحدهما: أنه ذم في الخَلْق، والثاني: أنه ذم في الخُلُق، وهو مأخوذ من قولك: عَتَلَه إذا قاده بعنف وغلظة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَاعْتِلُوهُ﴾[الدخان: ٤٧] أما الذين حملوه على ذم الخَلْق فقال ابن عباس في رواية عطاء: يريد قوي ضخم. وقال مقاتل: واسع البطن، وثيق الخلق، وقال الحسن: الفاحش

الخَلْق، اللئيم النفس، وقال عبيدة بن عمير: هو الأكول الشروب، القوي الشديد، وقال الزجاج: هو الغليظ الجافي. أما الذين حملوه على ذم الأخلاق، فقالوا: إنه الشديد الخصومة، الفظ العنيف.

الصفة التاسعة: قوله: ﴿زَنِيمٍ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: في الزنيم أقوال: الأول: قال الفراء: الزنيم هو الدعي الملصق بالقوم وليس منهم، قال حسان:

وَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القدح الفرد[١]

والزنمة من كل شيء: الزيادة، وزنمت الشاة أيضًا إذا شقت أذنها فاسترخت ويبست وبقيت كالشيء المعلق، فالحاصل أن الزنيم هو ولد الزنا الملحق بالقوم في النسب وليس منهم، وكان الوليد دعيًا في قريش وليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة لَيْلَةً من مولده. وقيل: بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية، والقول الثاني: قال الشعبي: هو الرجل يعرف بالشر واللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها، والقول الثالث: روى عن عكرمة عن ابن عباس قال: معنى كونه زنيمًا أنه كانت له زنمة في عنقه يعرف بها، وقال مقاتل: كان في أصل أذنه مثل زنمة الشاة.

المسألة الثانية: قوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ معناه أنه بعدما عدَّ له من المثالب والنقائص فهو عتل زنيم وهذا يدل على أن هذين الوصفين وهو كونه عتلاً زنيمًا أشد معايبه لأنه إذا كان جافيًا غليظ الطبع قسا قلبه واجترأ على كل معصية، ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَلَدُ الزِّنَا وَلاَ وَلَدُهُ وَلاَ وَلَدُ وَلَدِهِ» وقيل: هاهنا ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ نظير ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البلد: ١٧] وقرأ الحسن (عُتُلٌ) رفعًا على الذم.

ثم إنه تعالى بعد تعديد هذه الصفات قال:

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: اعلم أن قوله: ﴿أَن كَانَ﴾ يجوز أن يكون متعلقًا بما قبله وأن يكون متعلقًا بما بعده، أما الأول: فتقديره: ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين، أي لا تطعه مع هذه المثالب ليساره وأولاده وكثرته، وأما الثاني: فتقديره لأجل أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال: أساطير الأولين، والمعنى لأجل أن كان ذا مال وبنين جعل مجازاة هذه النعم التي خولها الله له الكفر بآياته قال أبو علي الفارسي: العامل في قوله: ﴿أَن كَانَ﴾ إما أن يكون هو قوله: ﴿تُتْلَىٰ﴾ أو قوله ﴿قَالَ﴾. أو شيئًا ثالثًا، والأول باطل لأن ﴿تُتْلَىٰ﴾ قد أضيفت ﴿إِذَا﴾

---

(١) تقدمت ترجمة حسان.

إليه والمضاف إليه لا يعمل فيما قبله ألا ترى أنك لا تقول: القتال زيدًا حين يأتي تريد حين يأتي زيدًا، ولا يجوز أن يعمل فيه أيضًا ﴿قَالَ﴾ لأن ﴿قَالَ﴾ جواب ﴿إِذَا﴾، وحكم الجواب أن يكون بعدما هو جواب له ولا يتقدم عليه، ولما بطل هذان القسمان علمنا أن العامل فيه شيء ثالث دل ما في الكلام عليه وذلك هو يجحد أو يكفر أو يمسك عن قبول الحق أو نحو ذلك، وإنما جاز أن يعمل المعنى فيه، وإن كان متقدمًا عليه لشبهه بالظرف، والظرف قد تعمل فيه المعاني وإن تقدم عليها، ويدلك على مشابهته للظرف تقدير اللام معه، فإن تقدير الآية: لأن كان ذا مال وإذا صار كالظرف لم يمتنع المعنى من أن يعمل فيه، كما لم يمتنع من أن يعمل في نحو قوله: ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبا: ٧] لما كان ظرفًا، والعامل فيه القسم الدال عليه قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبا: ٧] فكذلك قوله: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ تقديره: إنه جحد آياتنا، لأن كان ذا مال وبنين أو كفر بآياتنا، لأن كان ذا مال وبنين.

المسألة الثانية: قرئ: (أَأَنْ كَانَ) على الاستفهام، والتقدير: ألأن كان ذا مال كذب، أو التقدير: أتطيعه لأن كان ذا مال. وروى الزهري عن نافع: إن كان بالكسر، والشرط للمخاطب، أي لا تطع كل حلاف شارطًا يساره، لأنه إذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط في الطاعة الغنى، ونظير صرف الشرط إلى المخاطب صرف الترجي إليه في قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤].

واعلم أنه تعالى لما حكى عنه قبائح أفعاله وأقواله قال متوعدًا له:

قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ١٦﴾

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: الوسم: أثر الكية وما يشبهها، يقال: وسمتُه فهو موسوم بسمة يعرف بها إما كية، وإما قطع في أذن علامة له.

المسألة الثانية: قال المبرد: الخرطوم هاهنا الأنف، وإنما ذكر هذا اللفظ على سبيل الاستخفاف به، لأن التعبير عن أعضاء الناس بالأسماء الموضوعة لأشباه تلك الأعضاء من الحيوانات يكون استخفافًا، كما يعبر عن شفاه الناس بالمشافر، وعن أيديهم وأرجلهم بالأظلاف والحوافر.

المسألة الثالثة: الوجه أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع من الوجه لارتفاعه عليه، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة، وقالوا: الأنف في الأنف وحمى أنفه، وفلان شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورغم أنفه، فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة، لأن السمة على الوجه شين، فكيف على أكرم موضع من الوجه.

المسألة الرابعة: منهم من قال: هذا الوسم يحصل في الآخرة، ومنهم من قال: يحصل في

الدنيا، أما على القول الأول: ففيه وجوه: أولها: وهو قول مقاتل وأبي العالية واختيار الفراء: أن المراد أنه يسود وجهه قبل دخول النار، والخرطوم وإن كان قد خص بالسمة فإن المراد هو الوجه لأن بعض الوجه يؤدي عن بعض، وثانيها: أن الله تعالى سيجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل القيامة، إنه كان غاليًا في عداوة الرسول، وفي إنكار الدين الحق، وثالثها: أن في الآية احتمالاً آخر عندي، وهو أن ذلك الكافر إنما بالغ في عداوة الرسول وفي الطعن في الدين الحق بسبب الأنفة والحمية، فلما كان منشأ هذا الإنكار هو الأنفة والحمية كان منشأ عذاب الآخرة هو هذه الأنفة والحمية، فعبر عن هذا الاختصاص بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾، وأما على القول الثاني: وهو أن هذا الوسم إنما يحصل في الدنيا: ففيه وجوه: أحدها: قال ابن عباس: سنخطمه بالسيف فنجعل ذلك علامة باقية على أنفه ما عاش. وروي أنه قاتل يوم بدر فخطم بالسيف في القتال، وثانيها: أن معنى هذا الوسم أنه يصير مشهورًا بالذكر الرديء والوصف القبيح في العالم، والمعنى سنلحق به شيئًا لا يفارقه ونبين أمره بيانًا واضحًا حتى لا يخفى كما لا تخفى السمة على الخراطيم، تقول العرب للرجل الذي تسبه في مسبة قبيحة باقية فاحشة: قد وسمه ميسم سوء، والمراد أنه ألصق به عارًا لا يفارقه كما أن السمة لا تنمحي ولا تزول ألبتة، قال جرير:

لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمِي ... وَعَلَى الْبَعِيثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ(١)

يريد أنه وسم الفرزدق وَالْبَعِيثَ وجدع أنف الأخطل بالهجاء أي ألقى عليه عارًا لا يزول، ولا شك أن هذه المبالغة العظيمة في مذمة الوليد بن المغيرة بقيت على وجه الدهر فكان ذلك كالميسم على الخرطوم، ومما يشهد لهذا الوجه قول من قال في ﴿زَنِيمٍ﴾[القلم: ١٣] إنه يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها، وثالثها: يروى عن النضر بن شميل أن الخرطوم هو الخمر وأنشد:

تَظَلُّ يَوْمَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ ... وَأَنْتَ بِاللَّيْلِ شَرَّابُ الْخَرَاطِيمِ(٢)

فعلى هذا معنى الآية: سنحده على شرب الخمر وهو تعسف، وقيل للخمر الخرطوم كما يقال لها السلافة، وهي ما سلف من عصير العنب، أو لأنها تطير في الخياشيم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما قال: لأجل أن كان ذا مال وبنين، جحد وكفر وعصى وتمرد، وكان هذا استفهامًا على سبيل الإنكار بيَّن في هذه الآية أنه تعالى إنما أعطاه المال والبنين على سبيل

---

(١) تقدمت ترجمة جرير.

(٢) النضر بن شميل (١٢٢-٢٠٣هـ = ٧٤٠-٨١٩م) وهو: النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي، أبو الحسن: أحد الأعلام بمعرفة أيام العرب ورواية الحديث وفقه اللغة. ولد بمرو (من بلاد خراسان) وانتقل إلى البصرة مع أبيه (سنة ١٢٨) وأصله منها، فأقام زمنًا. وعاد إلى مرو فولي قضاءها واتصل بالمأمون العباسي فأكرمه وقربه. وتوفي بمرو.

الابتلاء والامتحان، وليصرفه إلى طاعة الله، وليواظب على شكر نعم الله، فإن لم يفعل ذلك فإنه تعالى يقطع عنه تلك النعم، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات فقال: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي كلفنا هؤلاء أن يشكروا على النعم، كما كلفنا أصحاب الجنة ذات الثمار، أن يشكروا ويعطوا الفقراء حقوقهم، روي أن واحدًا من ثقيف وكان مسلمًا، كان يملك ضيعة فيها نخل وزرع بقرب صنعاء، وكان يجعل من كل ما فيها عند الحصاد نصيبًا وافرًا للفقراء، فلما مات ورثها منه بنوه، ثم قالوا: عيالنا كثير، والمال قليل، ولا يمكننا أن نعطي المساكين، مثل ما كان يفعل أبونا، فأحرق الله جنتهم، وقيل: كانوا من بني إسرائيل، وقوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾ إذ حلفوا: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطعن ثمر نخيلهم مصبحين، أي في وقت الصباح، قال مقاتل: معناه أغدوا سرًّا إلى جنتكم، فاصرموها، ولا تخبروا المساكين، وكان أبوهم يخبر المساكين، فيجتمعون عند صرام جنتهم، يقال: قد صرم العذق عن النخلة، وأصرم النخل إذا حان وقت صرامه، وقوله: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ يعني ولم يقولوا: إن شاء الله، هذا قول جماعة المفسرين، يقال: حلف فلان يمينًا ليس فيها ثنيا ولا ثنوى، ولا ثنية ولا مثنوية ولا استثناء وكله واحد، وأصل هذا كله من الثني وهو الكف والرد، وذلك أن الحالف إذا قال: والله لأفعلن كذا إلا أن يشاء الله غيره، فقد رد انعقاد ذلك اليمين، واختلفوا في قوله: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ فالأكثرون أنهم إنما لم يستثنوا بمشيئة الله تعالى لأنهم كانوا كالواثقين بأنهم يتمكنون من ذلك لا محالة، وقال آخرون: بل المراد أنهم يصرمون كل ذلك ولا يستثنون للمساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم إلى المساكين.

قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ۝٢٢﴾

﴿طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ أي عذاب من ربك، والطائف لا يكون إلا ليلاً أي طرقها طارق من عذاب الله، قال الكلبي: أرسل الله عليها نارًا من السماء فاحترقت وهم نائمون فأصبحت الجنة كالصريم.

واعلم أن الصريم فعيل، فيحتمل أن يكون بمعنى المفعول، وأن يكون بمعنى الفاعل وهاهنا احتمالات أحدها: أنها لما احترقت كانت شبيهة بالمصرومة في هلاك الثمر وإن حصل الاختلاف في أمور أخر، فإن الأشجار إذا احترقت فإنها لا تشبه الأشجار التي قطعت ثمارها، إلا أن هذا الاختلاف وإن حصل من هذا الوجه، لكن المشابهة في هلاك الثمر حاصلة، وثانيها: قال الحسن: أي صرم عنها الخير فليس فيها شيء، وعلى هذين الوجهين الصريم بمعنى المصروم، وثالثها: الصريم من الرمل قطعة ضخمة تنصرم عن سائر الرمال وجمعه الصرائم، وعلى هذا شبهت الجنة وهي محترقة لا ثمر فيها ولا خير بالرملة المنقطعة عن الرمال، وهي لا تنبت شيئًا ينتفع به، ورابعها: الصبح يسمى صريمًا لأنه انصرم من الليل، والمعنى أن تلك الجنة

يبست وذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء، من قولهم: بيض الإناء إذا فرغه، وخامسها: أنها لما احترقت صارت سوداء كالليل المظلم، والليل يسمى صريمًا وكذا النهار يسمى أيضًا صريمًا، لأن كل واحد منهما ينصرم بالآخر، وعلى هذا الصريم بمعنى الصارم، وقال قوم: سمي الليل صريمًا، لأنه يقطع بظلمته عن التصرف وعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، وقال آخرون: سميت الليلة بالصريم، لأنها تصرم نور البصر وتقطعه.

ثم قال تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ۝٢٢﴾.

قال مقاتل: لما أصبحوا قال بعضهم لبعض: اغدوا على حرثكم ويعني بالحرث الثمار والزروع والأعناب، ولذلك قال: صارمين لأنهم أرادوا قطع الثمار من هذه الأشجار. فإن قيل: لِمَ لم يقل اغدوا إلى حرثكم، وما معنى على؟ قلنا: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوًّا عليه كما تقول: غدا عليهم العدو، ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال، كقولهم: يغدي عليهم بالجفنة ويراح، أي فأقبلوا على حرثكم باكرين.

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۝٢٣ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۝٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ أي يتسارون فيما بينهم، وخفي وخفت وخفد ثلاثتها في معنى كتم ومنه الخفدود للخفاش، قال ابن عباس: غدوا إليها بسدفة يسر بعضهم إلى بعض الكلام لئلا يعلم أحد من الفقراء والمساكين.

ثم قال تعالى: ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ ﴿أَن﴾ مفسرة، وقرأ ابن مسعود بطرحها بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يَدْخُلَنَّها والنهي للمسكين عن الدخول نهي لهم عن تمكينه منه، أي لا تمكنوه من الدخول، كقولك لا أرينك هاهنا.

ثم قال: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ **وفيه أقوال:**

الأول: الحرد: المنع يقال: حاردت السنة إذا قل مطرها ومنعت ريعها، وحاردت الناقة إذا منعت لبنها فقل اللبن، والحرد: الغضب، وهما لغتان الحَرْد والحَرَد والتحريك أكثر، وإنما سمي الغضب بالحرد لأنه كالمانع من أن يدخل المغضوب منه في الوجود، والمعنى وغدوا وكانوا عند أنفسهم وفي ظنهم قادرين على منع المساكين، الثاني: قيل: الحرد القصد والسرعة، يقال: حردت حردك قال الشاعر:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ... يَحْرِدُ حَرْدَ الْجَنَّةِ الْمُغِلَّهْ(١)

وقطًا حرَّاد أي سراع، يعني وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون: نحن نقدر على صرامها، ومنع منفعتها عن المساكين، والثالث: قيل: حرد علم لتلك

---

(١) هذا البيت لحسان بن ثابت وتقدمت ترجمته.

الجنة أي غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم، أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنهم لما رأوا جنتهم محترقة ظنوا أنهم قد ضلوا الطريق فقالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ ثم لما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ حرمنا خيرها بشؤم عزمنا على البخل ومنع الفقراء.

وثانيها: يحتمل أنهم لما رأوا جنتهم محترقة قالوا: إنا لضالون حيث كنا عازمين على منع الفقراء، وحيث كنا نعتقد كوننا قادرين على الانتفاع بها، بل الأمر انقلب علينا فصرنا نحن المحرومين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ يعني أعدلهم وأفضلهم وبينا وجهه في تفسير قوله: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ يعني هلا تسبحون، وفيه وجوه: الأول: قال الأكثرون: معناه هلا تستثنون فتقولون: إن شاء الله، لأن الله تعالى إنما عابهم بأنهم لا يستثنون، وإنما جاز تسمية قول: إن شاء الله بالتسبيح لأن التسبيح عبارة عن تنزيه الله عن كل سوء، فلو دخل شيء في الوجود على خلاف إرادة الله، لكان ذلك يوجب عودة نقص إلى قدرة الله، فقولك: إن شاء الله، يزيل هذا النقص، فكان ذلك تسبيحًا.

واعلم أن لفظ القرآن يدل على أن القوم كانوا يحلفون ويتركون الاستثناء وكان أوسطهم ينهاهم عن ترك الاستثناء ويخوفهم من عذاب الله، فلهذا حكى عن ذلك الأوسط أنه قال بعد وقوع الواقعة: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾. الثاني: أن القوم حين عزموا على منع الزكاة واغتروا بمالهم وقوتهم قال الأوسط لهم: توبوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب، فلما رأوا العذاب ذكرهم ذلك الكلام الأول وقال: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ فلا جرم اشتغل القوم في الحال بالتوبة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ فتكلموا بما كان يدعوهم إلى التكلم به لكن بعد خراب البصرة، الثالث: قال الحسن: هذا التسبيح هو الصلاة كأنهم كانوا يتكاسلون في الصلاة وإلا لكانت ناهية لهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت داعية لهم إلى أن يواظبوا على ذكر الله وعلى قول: إن شاء الله، ثم إنه تعالى لما حكى عن ذلك الأوسط أنه أمرهم بالتوبة وبالتسبيح حكى عنهم أشياء أولها: أنهم اشتغلوا بالتسبيح وقالوا في الحال ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾ عن أن يجري في ملكه شيء إلا بإرادته ومشيئته، ولما وصفوا الله تعالى بالتنزيه والتقديس اعترفوا بسوء أفعالهم وقالوا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

وثانيها: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي يلوم بعضهم بعضًا يقول: هذا لهذا أنت أشرت

علينا بهذا الرأي، ويقول: ذاك لهذا أنت خوفتنا بالفقر، ويقول الثالث لغيره: أنت الذي رغبتني في جمع المال فهذا هو التلاوم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾

ثم نادوا على أنفسهم بالويل: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ والمراد أنهم استعظموا جرمهم. ثم قالوا عند ذلك ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ قرئ (يُبْدِلَنا) بالتخفيف والتشديد ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه، واختلف العلماء هاهنا، فمنهم من قال: إن ذلك كان توبة منهم، وتوقف بعضهم في ذلك قالوا: لأن هذا الكلام يحتمل أنهم إنما قالوه رغبة منهم في الدنيا.

ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ يعني كما ذكرنا من إحراقها بالنار، وهاهنا تم الكلام في قصة أصحاب الجنة، واعلم أن المقصود من ذكر هذه القصة أمران: أحدهما: أنه تعالى قال: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٤، ١٥] والمعنى: لأجل أن أعطاه المال والبنين كفر بالله كلا بل الله تعالى إنما أعطاه ذلك للابتلاء، فإذا صرفه إلى الكفر دمَّر الله عليه بدليل أن أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من المعصية دمر الله جنتهم فكيف يكون الحال في حق من عاند الرسول وأصر على الكفر والمعصية، والثاني: أن أصحاب الجنة خرجوا لينتفعوا بالجنة ويمنعوا الفقراء عنها فقلب الله عليهم القضية فكذا أهل مكة لما خرجوا إلى بدر حلفوا على أن يقتلوا محمدًا وأصحابه، وإذا رجعوا إلى مكة طافوا بالكعبة وشربوا الخمور، فأخلف الله ظنهم فقُتِلُوا وأُسِرُوا كأهل هذه الجنة، ثم إنه لما خوف الكفار بعذاب الدنيا قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وهو ظاهر لا حاجة به إلى التفسير.

ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك أحوال السعداء فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي جنات ليس لهم فيها إلا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه، كما يشوب جنات الدنيا، قال مقاتل: لما نزلت هذه الآية قال كفار مكة للمسلمين: إن الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا، فلا بد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة، فإن لم يحصل التفضيل، فلا أقل من المساواة.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

ثم إنَّ الله تعالى أجاب عن هذا الكلام بقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ومعنى الكلام أن التسوية بين المطيع والعاصي غير جائزة، **وفي الآية مسائل:**

المسألة الأولى: قال القاضي: فيه دليل واضح على أن وصف الإنسان بأنه مسلم ومجرم كالمتنافي، فالفاسق لما كان مجرمًا وجب أن لا يكون مسلمًا، والجواب: أنه تعالى أنكر جعل المسلم مثلاً للمجرم، ولا شك أنه ليس المراد إنكار المماثلة في جميع الأمور، فإنهما يتماثلان في الجوهرية والجسمية والحدوث والحيوانية، وغيرها من الأمور الكثيرة، بل المراد إنكار استوائهما في الإسلام والجرم، أو في آثار هذين الأمرين، أو المراد إنكار أن يكون أثر إسلام المسلم مساويًا لأثر جرم المجرم عند الله، وهذا مسلم لا نزاع فيه، فمن أين يدل على أن الشخص الواحد يمتنع أن يجتمع فيه كونه مسلمًا ومجرمًا؟.

المسألة الثانية: قال الجبائي: دلت الآية على أن المجرم لا يكون ألبتة في الجنة؛ لأنه تعالى أنكر حصول التسوية بينهما، ولو حصلا في الجنة، لحصلت التسوية بينهما في الثواب، بل لعله يكون ثواب المجرم أزيد من ثواب المسلم إذا كان المجرم أطول عمرًا من المسلم، وكانت طاعاته غير محبطة، الجواب: هذا ضعيف لأنا بينا أن الآية لا تمنع من حصول التسوية في شيء أصلاً بل تمنع من حصول التسوية في درجة الثواب، ولعلهما يستويان فيه بل يكون ثواب المسلم الذي لم يعص أكثر من ثواب من عصى، على أنا نقول: لِمَ لا يجوز أن يكون المراد من المجرمين هم الكفار الذين حكى الله عنهم هذه الواقعة وذلك لأن حمل الجمع المحلى بالألف واللام على المعهود السابق مشهور في اللغة والعرف.

المسألة الثالثة: أن الله تعالى استنكر التسوية بين المسلمين والمجرمين في الثواب، فدل هذا على أنه يقبح عقلاً ما يحكى عن أهل السنة أنه يجوز أن يدخل الكفار في الجنة والمطيعين في النار، والجواب: أنه تعالى استنكر ذلك بحكم الفضل والإحسان، لا أن ذلك بسبب أن أحدًا يستحق عليه شيئًا.

واعلم أنه تعالى لما قال على سبيل الاستبعاد: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ قرر هذا الاستبعاد بأن قال على طريقة الالتفات: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم المعوج ثم قال ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ وهو كقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ﴾ [الصافات: ١٥٦] والأصل تدرسون أن لكم ما تتخيرون بفتح أن لأنه مدرس، فلما جاءت اللام كسرت، وتخير الشيء واختاره، أي أخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله إذا أخذ منخوله.

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: يقال لفلان: عليَّ يمين بكذا إذا ضمنته منه وحَلفت له على الوفاء به يعني أم

ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد. فإن قيل: إلى في قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بم يتعلق؟ قلنا: فيه وجهان: الأول: أنها متعلقة بقوله: ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ أي هذه الأيمان في قوتها وكمالها بحيث تبلغ إلى يوم القيامة، والثاني: أن يكون التقدير أيمان ثابتة إلى يوم القيامة. ويكون معنى بالغة مؤكدة كما تقول جيدة بالغة، وكل شيء متناه في الصحة والجودة فهو بالغ، وأما قوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ فهو جواب القسم لأن معنى: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ أم أقسمنا لكم.

المسألة الثانية: قرأ الحسن: (بَالِغَةً) بالنصب وهو نصب على الحال من الضمير في الظرف، ثم قال للرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ والمعنى أيهم بذلك الحكم زعيم، أي قائم به وبالاستدلال على صحته، كما يقوم زعيم القوم بإصلاح أمورهم.

ثم قال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾ وفي تفسيره وجهان: الأول: المعنى أم لهم أشياء يعتقدون أنها شركاء الله فيعتقدون أن أولئك الشركاء يجعلونهم في الآخرة مثل المؤمنين في الثواب والخلاص من العقاب، وإنما أضاف الشركاء إليهم لأنهم جعلوها شركاء لله وهذا كقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ [الروم: ٤٠]، الوجه الثاني: في المعنى: أم لهم ناس يشاركونهم في هذا المذهب وهو التسوية بين المسلمين والمجرمين، فليأتوا بهم إن كانوا صادقين في دعواهم، والمراد بيان أنه كما ليس لهم دليل عقلي في إثبات هذا المذهب، ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه، فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول، وذلك يدل على أنه باطل من كل الوجوه.

واعلم أنه تعالى لما أبطل قولهم، وأفسد مقالتهم شرح بعد ذلك عظمة يوم القيامة.

فقال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ **وفيه مسائل**:

المسألة الأولى: يوم منصوب بماذا؟ فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه منصوب، بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟﴾ في قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ [القلم: ٤١] وذلك أن ذلك اليوم يوم شديد، فكأنه تعالى قال: إن كانوا صادقين في أنها شركاء فليأتوا بها يوم القيامة، لتنفعهم وتشفع لهم، وثانيها: أنه منصوب بإضمار: اذكر، وثالثها: أن يكون التقدير: يوم يكشف عن ساق، كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ، وأن ثم من الكوائن مالا يوصف لعظمته.

المسألة الثانية: هذا اليوم الذي يكشف فيه عن ساق، أهو يوم القيامة أو في الدنيا؟ فيه قولان: الأول: وهو الذي عليه الجمهور، أنه يوم القيامة، ثم في تفسير الساق وجوه: الأول: أنه الشدة، وروي أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

سَنَّ لَنَا قَوْمُكَ ضَرْبَ الأَعْنَاقِ وَقَامَتِ الحَرْبُ بِنَا عَلَى سَاقِ

ثم قال: وهو كرب وشدة، وروى مجاهد عنه قال: هو أشد ساعة في القيامة، وأنشد أهل اللغة أبياتًا كثيرة منها:

فَإِنْ شـمـرت لـك عـن سـاقـهـا فـدنـهـا رَبِـيـعَ وَلاَ تَـسْـأَمِ

ومنها:

كَـشَـفَـتْ لَـكُـمْ عَـنْ سَـاقِـهَـا وَبَـدَا مِـنَ الـشَّـرِّ الـصُّـرَاحْ

وقال جرير:

أَلاَ رُبَّ سَامِ الطَّرْفِ مِنْ آلِ مَازِنٍ إِذَا شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَّرَا

وقال آخر:

فِي سَنَةٍ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا حَمْرَاءُ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُرَاقِهَا

وقال آخر:

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ الْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا

ثم قال ابن قتيبة: أصل هذا أن الرجل إذاوقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه، يشمر عن ساقه، فلا جرم يقال في موضع الشدة: كشف عن ساقه، واعلم أن هذا اعتراف من أهل اللغة بأن استعمال الساق في الشدة مجاز، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذر حمله على الحقيقة، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة على أنه تعالى يستحيل أن يكون جسمًا، فحينئذ يجب صرف اللفظ إلى المجاز، واعلم أن صاحب (الكشاف) أورد هذا التأويل في معرض آخر فقال: الكشف عن الساق مَثَلٌ في شدة الأمر، فمعنى قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم يشتد الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم، ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل وإنما هو مثل في البخل، ثم أخذ يعظم علم البيان ويقول: لولاه لما وقفنا على هذه الأسرار وأقول: إما أن يدعى أنه صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، أو يقول: إنه لا يجوز ذلك إلا بعد امتناع حمله على الحقيقة، والأول باطل بإجماع المسلمين، ولأنا إن جوزنا ذلك انفتحت أبواب تأويلات الفلاسفة في أمر المعاد فإنهم يقولون في قوله: ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥] ليس هناك لا أنهار ولا أشجار، وإنما هو مثل للذة والسعادة، ويقولون في قوله: ﴿ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟﴾ [الحج: ٧٧] ليس هناك لا سجود ولا ركوع. وإنما هو مثل للتعظيم، ومعلوم أن ذلك يفضي إلى رفع الشرائع وفساد الدين، وأما إن قال: بأنه لا يصار إلى هذا التأويل إلا بعد قيام الدلالة على أنه لا يجوز حمله على ظاهره، فهذا هو الذي لم يزل كل أحد من المتكلمين إلا قال به وعول عليه، فأين هذه الدقائق، التي استبد هو بمعرفتها والاطلاع عليها بواسطة علم البيان، فرحم الله امْرَأً عرف قدره، وما تجاوز طوره، القول الثاني: وهو قول أبي سعيد الضرير: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾، أي عن أصل الأمر، وساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر، وساق الإنسان، أي يظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها، القول الثالث: يوم يكشف عن ساق جهنم، أو عن ساق العرش، أو عن ساق ملك مهيب عظيم، واللفظ لا يدل إلا على ساق، فأما أن ذلك الساق ساق أي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه، والقول

الرابع: وهو اختيار المشبهة، أنه ساق الله، تعالى الله عنه روي عن ابن مسعود عنه عليه الصلاة والسلام: «أَنَّهُ تَعَالَى يَتَمَثَّلُ لِلْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَمُرُّ الْمُسْلِمُونَ، فَيَقُولُ: مَنْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَعْبُدُ اللَّهَ فَيُشْهِدُهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ رَبَّكُمْ، فَيَقُولُونَ: سُبْحَانَهُ إِذَا عَرَّفَنَا نَفْسَهُ عَرَفْنَاهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إِلاَّ خَرَّ سَاجِدًا، وَيَبْقَى الْمُنَافِقُونَ ظُهُورُهُمْ كَالطَّبَقِ الْوَاحِدِ كَأَنَّمَا فِيهَا السَّفَافِيدُ»[1] واعلم أن هذا القول باطل لوجوه: أحدها: أن الدلائل دلت على أن كل جسم محدث؛ لأن كل جسم متناهٍ، وكل متناه محدث ولأن كل جسم فإنه لا ينفك عن الحركة والسكون، وكل ما كان كذلك فهو محدث، ولأن كل جسم ممكن، وكل ممكن محدث، وثانيها: أنه لو كان المراد ذلك لكان من حق الساق أن يعرَّف، لأنها ساق مخصوصة معهودة عنده وهي ساق الرحمن، أما لو حملناه على الشدة، ففائدة التنكير الدلالة على التعظيم، كأنه قيل: يوم يكشف عن شدة، وأي شدة، أي شدة لا يمكن وصفها، وثالثها: أن التعريف لا يحصل بالكشف عن الساق، وإنما يحصل بكشف الوجه، القول الثاني: أن قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ليس المراد منه يوم القيامة، بل هو في الدنيا، وهذا قول أبي مسلم قال: إنه لا يمكن حمله على يوم القيامة لأنه تعالى قال في وصف هذا اليوم: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ويوم القيامة ليس فيه تعبد ولا تكليف، بل المراد منه، إما آخر أيام الرجل في دنياه كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ﴾[الفرقان: ٢٢] ثم إنه يرى الناس يدعون إلى الصلوات إذا حضرت أوقاتها، وهو لا يستطيع الصلاة لأنه الوقت الذي لا ينفع نفسًا إيمانها، وإما حال الهرم والمرض والعجز وقد كانوا قبل ذلك اليوم يدعون إلى السجود وهم سالمون مما بهم الآن، وإما من الشدة النازلة بهم من هول ما عاينوا عند الموت أو من العجز والهرم، ونظير هذه الآية قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾[الواقعة: ٨٣] واعلم أنه لا نزاع في أنه يمكن حمل اللفظ على ما قاله أبو مسلم، فأما قوله: إنه لا يمكن حمله على القيامة بسبب أن الأمر بالسجود حاصل هاهنا، والتكاليف زائلة يوم القيامة فجوابه أن ذلك لا يكون على سبيل التكليف، بل على سبيل التقريع والتخجيل، فلم قلتم: إن ذلك غير جائز.

المسألة الثالثة: قرئ: (يَوْمَ نَكْشِفُ) بالنون و(تكشف) بالتاء المنقوطة من فوق على البناء للفاعل والمفعول جميعًا والفعل للساعة أو للحال، أي يوم يشتد الحال أو الساعة، كما تقول: كشف الحرب عن ساقها على المجاز. وقرئ (تُكْشِفُ) بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف إذا دخل في الكشف، ومنه أكشف الرجل فهو مكشف إذا انقلبت شفته العليا.

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك) (٤/ ٥٤١) حديث رقم (٨٥١٩) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحنبل بن إسحاق في (الفتن) (١/ ٤٥/ ٤٤) الطبري في (تفسيره) (٢٣/ ٥٥٥) جميعًا من طريق سلمة بن كهيل قال حدثنا أبو الزهراء عن عبد الله . . . به.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤﴾

اعلم أنا بينا أنهم لا يدعون إلى السجود تعبدًا وتكليفًا، ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود في الدنيا، ثم إنه تعالى حال ما يدعوهم إلى السجود يسلب عنهم القدرة على السجود، ويحول بينهم وبين الاستطاعة حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على ما فرطوا فيه، حين دعوا إلى السجود وهم سالمو الأطراف والمفاصل. قال الجبائي: لما خصص عدم الاستطاعة بالآخرة دل ذلك على أنهم في الدنيا كانوا يستطيعون، فبطل بهذا قول من قال: الكافر لا قدرة له على الإيمان، وأن القدرة على الإيمان لا تحصل إلا حال وجود الإيمان، والجواب عنه أن علم الله بأنه لا يؤمن مناف لوجود الإيمان والجمع بين المتنافيين محال، فالاستطاعة في الدنيا أيضًا غير حاصلة على قول الجبائي.

أما قوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ فهو حال من قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يعني يلحقهم ذل بسبب أنهم ما كانوا مواظبين على خدمة مولاهم مثل العبد الذي أعرض عنه مولاه، فإنه يكون ذليلًا فيما بين الناس، وقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ يعني حين كانوا يدعون إلى الصلوات بالأذان والإقامة وكانوا سالمين قادرين على الصلاة، وفي هذا وعيد لمن قعد عن الجماعة ولم يُجِبِ المؤذن إلى إقامة الصلاة في الجماعة.

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

اعلم أنه تعالى لما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف فخوفهم بما عنده، وفي قدرته من القهر، فقال: ذرني وإياه، يريد كِله إليَّ، فإني أكفيكه، كأنه يقول: يا محمد حسبك انتقامًا منه أن تكل أمره إليَّ، وتخلي بيني وبينه، فإني عالم بما يجب أن يفعل به قادر على ذلك، ثم قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ يقال: استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة فدرجة، حتى يورطه فيه. وقوله: ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال أبو روق: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ أي كلما أذنبوا ذنبًا جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار، فالاستدراج إنما حصل في الاغتناء الذي لا يشعرون أنه استدراج، وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه تفضيلًا لهم على المؤمنين، وهو في الحقيقة سبب لهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝٤٥ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ۝٤٦﴾

ثم قال: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أي أمهلهم، كقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨] وأطيل لهم المدة والملاوة، المدة من الدهر، يقال: أملى الله له أي أطال الله له الملاوة والملوان الليل والنهار، والملا مقصورًا الأرض الواسعة سميت به لامتدادها. وقيل: ﴿وَأُمْلِى

لَهُمْ﴾ أي بالموت فلا أعاجلهم به، ثم إنه إنما سمى إحسانه كيدًا كما سماه استدراجًا لكونه في صورة الكيد، ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك، واعلم أن الأصحاب تمسكوا بهذه الآية في مسألة إرادة الكائنات فقالوا: هذا الذي سماه بالاستدراج وذلك الكيد، إما ألاَّ يكون له أثر في ترجيح جانب الفعل على جانب الترك، أو يكون له فيه أثر، والأول باطل، وإلا لكان هو وسائر الأشياء الأجنبية بمثابة واحدة، فلا يكون استدراجًا ألبتة ولا كيدًا، وأما الثاني فهو يقتضي كونه تعالى مريدًا لذلك الفعل الذي ينساق إليه ذلك الاستدراج وذلك الكيد، لأنه إذا كان تعالى لا يزال يؤكد هذا الجانب، ويفتر ذلك الجانب الآخر، واعلم أن تأكيد هذا الجانب لا بد وأن ينساق بالآخرة إلى فعله ودخوله في الوجود، فلا بد وأن يكون مريدًا لدخول ذلك الفعل في الوجود وهو المطلوب، أجاب الكعبي عنه فقال: المراد سنستدرجهم إلى الموت من حيث لا يعلمون، وهذا هو الذي تقتضيه الحكمة فإنهم لو عرفوا الوقت الذي يموتون فيه لصاروا آمنين إلى ذلك الوقت ولأقدموا على المعاصي. وفي ذلك إغراء بالمعاصي، وأجاب الجبائي عنه، فقال: سنستدرجهم إلى العذاب من حيث لا يعلمون في الآخرة، وأملي لهم في الدنيا توكيدًا للحجة عليهم إن كيدي متين فأمهله وأزيح الأعذار عنه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فهذا هو المراد من الكيد المتين، ثم قال: والذي يدل على أن المراد ما ذكرنا أنه تعالى قال قبل هذه الآية: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] ولا شك أن هذا التهديد إنما وقع بعقاب الآخرة، فوجب أن يكون المراد من الاستدراج والكيد المذكورين عقيبه هو عذاب الآخرة، أو العذاب الحاصل عند الموت، واعلم أن أصحابنا قالوا الحرف الذي ذكرناه وهو: أن هذا الإمهال إذا كان متأديًا إلى الطغيان كان الراضي بالإمهال العالم بتأديه إلى الطغيان لا بد وأن يكون راضيًا بذلك الطغيان، واعلم أن قولهم: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ - إلى قوله ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ مفسر في سورة الأعراف [١٨٢].

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ وهذه الآية مع ما بعدها مفسرة في سورة الطور [٤٠]، وأقول: إنه أعاد الكلام إلى ما تقدم من قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ [القلم: ٤١] والمغرم الغرامة أي لم يطلب منهم على الهداية والتعليم أجرًا فيثقل عليهم حمل الغرامات في أموالهم فيثبطهم ذلك عن الإيمان.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ۝٤٧ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۝٤٨ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۝٤٩﴾

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ **وفيه وجهان الأول:** أن عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ثواب ما هم عليه من الكفر والشرك، فلذلك أصروا عليه، وهذا استفهام على سبيل

الإنكار، **الثاني:** أن الأشياء الغائبة كأنها حضرت في عقولهم حتى إنهم يكتبون على الله أي يحكمون عليه بما شاءوا وأرادوا.

ثم إنه تعالى لما بالغ في تزييف طريقة الكفار وفي زجرهم عما هم عليه قال لمحمد ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ وفيه وجهان: الأول: فاصبر لحكم ربك في إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم والثاني: فاصبر لحكم ربك في أن أوجب عليك التبليغ والوحي وأداء الرسالة، وتحمل ما يحصل بسبب ذلك من الأذى والمحنة.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى: العامل في ﴿إِذۡ﴾ معنى قوله: ﴿كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ يريد لا تكن كصاحب الحوت حال ندائه وذلك لأنه في ذلك الوقت كان مكظومًا فكأنه قيل: لا تكن مكظومًا.

المسألة الثانية: صاحب الحوت يونس عليه السلام، إذ نادى في بطن الحوت بقوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ مملوء غيظًا من كظم السقاء إذا ملأه، والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة، فتبلى ببلائه.

ثم قال تعالى: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ وقرئ (رحمة من ربه).

وهاهنا سؤالات:

السؤال الأول: لِمَ لم يقل: لولا أن تداركته نعمة من ربه؟ الجواب: إنما حسن تذكير الفعل لفصل الضمير في تداركه، وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته، وقرأ الحسن: تدارّكه، أي تتداركه على حكاية الحال الماضية، بمعنى لولا أن كان، يقال: فيه تتداركه، كما يقال: كان زيد سيقوم فمنعه فلان، أي كان يقال فيه: سيقوم، والمعنى كان متوقعًا منه القيام.

السؤال الثاني: ما المراد من قوله: ﴿نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟ الجواب: المراد من تلك النعمة، هو أنه تعالى أنعم عليه بالتوفيق للتوبة، وهذا يدل على أنه لا يتم شيء من الصالحات والطاعات إلا بتوفيقه وهدايته.

السؤال الثالث: أين جواب لولا؟ الجواب: من وجهين: الأول: تقدير الآية: لولا هذه النعمة لنبذ بالعراء مع وصف المذمومية، فلما حصلت هذه النعمة لا جرم لم يوجد النبذ بالعراء مع هذا الوصف، لأنه لما فقد هذا الوصف فقد فقد ذلك المجموع، الثاني: لولا هذه النعمة لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثم نبذ بعراء القيامة مذمومًا، ويدل على هذا قوله: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] وهذا كما يقال: عرصة القيامة؛ وعراء القيامة.

السؤال الرابع: هل يدل قوله: ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ على كونه فاعلًا للذنب؟ الجواب: من ثلاثة أوجه الأول: أن كلمة ﴿لَّوۡلَآ﴾ دلت على أن هذه المذمومية لم تحصل، الثاني: لعل المراد من المذمومية ترك الأفضل، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، الثالث: لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة لقوله: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [القلم: ٥٠] والفاء للتعقيب.

السؤال الخامس: ما سبب نزول هذه الآيات؟ الجواب: يروى أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله ما حل، فأراد أن يدعو على الذين انهزموا، وقيل: حين أراد أن يدعو على ثقيف.

قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: في الآية وجهان: أحدهما: قال ابن عباس: رد الله إليه الوحي وشفعه في قومه، والثاني: قال قوم: ولعله ما كان رسولاً صاحب وحي قبل هذه الواقعة ثم بعد هذه الواقعة جعله الله رسولاً، وهو المراد من قوله: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ والذين أنكروا الكرامات والإرهاص لا بد وأن يختاروا القول الأول. لأن احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن إرهاصًا ولا كرامة فلا بد وأن يكون معجزة وذلك يقتضي أنه كان رسولاً في تلك الحالة.

المسألة الثانية: احتج الأصحاب على أن فعل العبد خلق الله تعالى بقوله: ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فالآية تدل على أن ذلك الصلاح إنما حصل بجعل الله وخلقه، قال الجبائي: يحتمل أن يكون معنى جعله أنه أخبر بذلك، ويحتمل أن يكون لطف به حتى صلح إذ الجعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني، والجواب: أن هذين الوجهين اللذين ذكرتم مجاز، والأصل في الكلام الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ فيه مسألتان:

المسألة الأولى: إن مخففة من الثقيلة واللام علمها.

المسألة الثانية: قرئ: (لَيُزْلِقُونَكَ) بضم الياء وفتحها، وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال: زلق الرأس وأَزْلَقه: حلقه، وقرئ: (ليزهقونك) من زهقت نفسه وأزهقها، ثم فيه وجوه أحدها: أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم إليك شزرًا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يُزِلُّون قدمك من قولهم: نظر إليَّ نظرًا يكاد يصرعني، ويكاد يأكلني، أي لو أمكنه بنظره الصرع أو الأكل لفعله، قال الشاعر:

يَتَقَارَضُونَ إِذَا الْتَقَوْا فِي مَوْطِنٍ ... نَظَرًا يزل مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ

وأنشد ابن عباس لما مر بأقوام حددوا النظر إليه:

نَظَرُوا إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ ... نَظَرَ التُّيُوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَازِرِ

وبيَّن الله تعالى أن هذا النظر كان يشتد منهم في حال قراءة النبي ﷺ للقرآن وهو قوله: ﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾، الثاني: منهم من حمله على الإصابة بالعين، وهاهنا مقامان: أحدهما: الإصابة بالعين، هل لها في الجملة حقيقة أم لا؟ الثاني: أن بتقدير كونها صحيحة، فهل الآية هاهنا مفسرة بها أم لا؟.

المقام الأول: من الناس من أنكر ذلك، وقال: تأثير الجسم في الجسم لا يعقل إلا بواسطة المماسة، وهاهنا لا مماسة، فامتنع حصول التأثير.

واعلم أن المقدمة الأولى ضعيفة، وذلك لأن الإنسان إما أن يكون عبارة عن النفس أو عن البدن، فإن كان الأول لم يمتنع اختلاف النفوس في جواهرها وماهياتها، وإذا كان كذلك لم يمتنع أيضًا اختلافها في لوازمها وآثارها، فلا يستبعد أن يكون لبعض النفوس خاصية في التأثير، وإن كان الثاني لم يمتنع أيضًا أن يكون مزاج إنسان واقعًا على وجه مخصوص يكون له أثر خاص، وبالجملة فالاحتمال العقلي قائم، وليس في بطلانه شبهة فضلاً عن حجة، والدلائل السمعية ناطقة بذلك، كما يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**الْعَيْنُ حَقٌّ**» وقال: «**الْعَيْنُ تُدْخِلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ**»

والمقام الثاني: من الناس من فسر الآية بهذا المعنى قالوا: كانت العين في بني أسد، وكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شيء، فيقول فيه: لم أر كاليوم مثله إلا عَانَه، فالتمس الكفار من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول في رسول الله ﷺ ذلك، فعصمه الله تعالى، وطعن الجبائي في هذا التأويل وقال: الإصابة بالعين تنشأ عن استحسان الشيء، والقوم ما كانوا ينظرون إلى الرسول عليه السلام على هذا الوجه، بل كانوا يمقتونه ويبغضونه، والنظر على هذا الوجه لا يقتضي الإصابة بالعين.

واعلم أن هذا السؤال ضعيف، لأنهم وإن كانوا يبغضونه من حيث الدين لعلهم كانوا يستحسنون فصاحته، وإيراده للدلائل. وعن الحسن: دواء الإصابة بالعين قراءة هذه الآية.

ثم قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ وهو على ما افتتح به السورة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي وما هذا القرآن الذي يزعمون أنه دلالة جنونه ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ فإنه تذكير لهم، وبيان لهم، وأدلة لهم، وتنبيه لهم على ما في عقولهم من أدلة التوحيد، وفيه من الآداب والحكم، وسائر العلوم مالا حد له ولا حصر، فكيف يدعى من يتلوه مجنونًا، ونظيره مما يذكرون، مع أنه من أدلة الأمور على كمال الفضل والعقل، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تفسير سورة «نٓ وَالقَلَمِ»

مَكِيَّةٌ في قول الحسن وعكرمةَ وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ [الآية:١٦] مكيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية:٣٣] مدنيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله: ﴿يَكْتُبُونَ﴾ [الآية:٤٧] مكّيّ. ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية:٥٠] مدنيّ، وما بقي مكيّ. قاله الماورديّ[(١)].

وهي ثنتان وخمسون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ أدغم النونَ الثانية في هجائها في الواو أبو بكر والمفضَّلُ وهُبَيرةُ ووَرْشٌ وابن مُحَيْصِن وابنُ عامر والكسائيُّ ويعقوب. والباقون بالإظهار[(٢)].

وقرأ عيسى بن عمر بفتحها، كأنَّه أضمر فعلاً[(٣)]. وقرأ ابن عباس ونصر وابنُ أبي إسحاقَ بكسرها على إضمار حرف القسم[(٤)].

وقرأ هارون ومحمد بن السَّمَيْفَع بضمها على البناء[(٥)].

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٥٩ ، دون ذكرقتادة.

(٢) السبعة ص٥٣٨، والتيسير ص ١٨٣، والنشر ٢/ ١٨ . ولورش الوجهان.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ .

(٤) القراءات الشاذة ص ١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٥) ذكر القراءة ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ عن الحسن وأبي عمران وأبي نهيك.

واختلِف في تأويله، فَرَوَى معاوية بن قُرّة عن أبيه يرفعه إلى النبيّ ﷺ أنه قال: «ن لَوْحٌ من نور»(١). ورَوَى ثابت البُنَانيّ أنَّ «نَ» الدواة(٢). وقاله الحسن وقتادة(٣).

وروى الوليد بن مسلم قال: حدّثنا مالك بن أنس، عن سُمَيّ مولى أبي بكر، عن أبي صالح السّمان، عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أولُ ما خلق الله القلمُ، ثمَّ خلق النُّون ـ وهي الدواة ـ وذلك قوله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، ثمَّ قال له: اكتبْ، قال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائنٌ إلى يوم القيامة من عمل أو أجلٍ أو رزقٍ أو أثَر، فجرى القلمُ بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ـ قال ـ ثم خُتم فَمُ القلم، فلم ينطقْ ولا ينطق إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل فقال الجبّار: ما خلَقت خلقاً أعجبَ إليّ منك، وعِزّتي وجلالي لأكَمّلنّك فيمن أحببت، ولأنقصنّك فيمن أبغضت» قال: ثم قال رسولُ الله ﷺ: «أكملُ الناس عقلاً أطوعُهم لله وأعملُهم بطاعته»(٤).

وعن مجاهد قال: «ن» الحوتُ الذي تحت الأرض السابعة. قال: «وَالْقَلَم» الذي كُتب به الذِّكر. وكذا قال مقاتل ومُرّة الهَمْدانيّ وعطاء الخراساني والسُّدّي والكَلْبي: إنَّ النون هو الحوت الذي عليه الأرضون(٥).

وروى أبو ظَبيان عن ابن عباس قال: أوّلُ ما خلق الله القلمُ فجرى بما هو كائنٌ،

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤ ، وعزاه ابن كثير في تفسيره لهذه الآية للطبري، ثم قال: وهذا مرسل غريب.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٣ وفيه: عن ثابت الثمالي، عن ابن عباس.

(٣) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٢ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٣ .

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٣ ، والأثر أخرجه ابن عدي في الكامل ٦/ ٢٢٧٢ - ٢٢٧٣ وقال: وهذا بهذا الإسناد باطل منكر، وقال الذهبي في الميزان ٤/ ٦١ : فصدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل. اهـ. والصحيح ما أخرجه أحمد (٢٢٧٠٥) عن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً: «إن أول ما خلق الله القلمُ، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة» وسيرد.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/ ١٤١-١٤٢ ، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٤ ، وهذه الأخبار من الإسرائيليات .

ثمَّ رفع بخار الماء فخلق منه السماء، ثم خلق النُّونَ، فبسط الأرض على ظهره، فمادت الأرضُ فأُثْبِتَت بالجبال، وإنَّ الجبالَ لتَفْخَرُ على الأرض. ثم قرأ ابن عباس: «ن وَالْقَلَمِ» الآية. وقال الكَلْبي ومقاتل: اسمه البَهْمُوت[١]. قال الراجز:

مــالـي أراكُـم كـلّـكـم سـكـوتَـا والـلـه رَبِّـي خـلـق الـبَـهْـمُـوتَـا[٢]

وقال أبو اليقظان والواقدي: ليوثا[٣]. وقال كعب: لوثوثا. وقال: بلهموثا[٤].

قال كعب: إنَّ إبليسَ تغلغلَ إلى الحوت الذي على ظهره الأرضون، فوسوس في قلبه وقال: أتدري ما على ظهركَ يا لوثوثا من الدَّوابِّ والشجر والأرضين وغيرها، لو لفظتَهم ألقيتَهم عن ظهرك أجمع؛ فهمّ ليوثا أن يفعلَ ذلك، فبعث الله إليه دابَّةً فدخلت مِنْخَرَه ووصلت إلى دماغه، فضجّ[٥] الحوتُ إلى الله عزَّ وجلَّ منها، فأذن الله لها فخرجت. قال كعب: فو الله إنَّه لينظُرُ إليها وتنظر إليه، إن همَّ بشيء من ذلك عادت كما كانت[٦].

وقال الضحاك عن ابن عباس: إنَّ «ن» آخرُ حرف[٧] من حروف الرحمن. قال: الر، وحم، ون، الرحمن تعالى مقطعة[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٤ ، وقيّده الآلوسي في روح المعاني ٢٩/ ٢٣ : اليَهْموت؛ بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء. وأثر ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٠ ، وسلف ١/ ٣٨٥ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧٤ عن الواقدي.

(٤) اضطرب اسمه في النسخ والمصادر.

(٥) كذا في النسخ، والذي في المصادر ـ الآتية ـ (فعجّ). والعج: رفع الصوت بالتلبية. النهاية (عجج).

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٨ ، وهو خبر إسرائيلي باطل، وسلف ١/ ٣٨٥ .

(٧) في (م) حروف.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٠ ، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٣ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ٤٧٥ ، وأخرجه الطبري ٢٣/ ١٤٢ عن ابن عباس من رواية عكرمة عنه.

وقال ابن زيد: هو قسمٌ أقسم الله تعالى به[١]. وقال ابن كَيْسان: هو فاتحةُ السورة[٢]. وقيل: اسمُ السورة[٣]. وقال عطاء وأبو العالية: هو افتتاح اسمه نصير ونور وناصر. وقال محمد بن كعب: أقسم الله تعالى بنصره للمؤمنين؛ وهو حقّ[٤]. بيانه قولُه تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. وقال جعفر الصادق: هو نهرٌ من أنهار الجنة يقال له نون[٥]. وقيل: هو المعروفُ من حروف المعجم[٦]؛ لأنَّه لو كان غيرَ ذلك لكان مُعْرَباً؛ وهو اختيار القُشَيْريّ أبو نصر عبد الرحيم في تفسيره. قال: لأنَّ «ن» حرف لم يُعْرَب، فلو كان كلمة تامَّة أعرِب كما أعرب القلم، فهو إذاً حرفُ هجاء كما في سائر مفاتيح السور. وعلى هذا قيل: هو اسم السورة، أي: هذه سورة «ن». ثم قال: «وَالْقَلَمِ» أقسم بالقلم لما فيه من البيان كاللسان؛ وهو واقعٌ على كل قلم مما يَكتب به مَن في السماء ومَن في الأرض، ومنه قول أبي الفتح البُسْتيّ:

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم ... وعَدُّوه مما يُكسِبُ المجدَ والكَرَمْ
كَفَى قَلَمُ الكُتَّابِ عِزّاً ورِفعةً ... مَدَى الدهرِ أنَّ الله أقسم بالقَلَمْ[٧]

وللشعراء في تفضيل القلم على السيف أبيات كثيرة، ما ذكرناه أعلاها. وقال ابن عباس: هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة.

قال: وهو قلم من نورٍ، طولُه كما بين السماء والأرض. ويقال. خلق الله القلم،

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ دون نسبة.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٣٢٧ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٧) البيتان في زهر الآداب للقيرواني ١/ ٤٣٢ . وفيه (مجداً) بدل (عزّاً). وأبو الفتح هو علي بن محمد البستي الكاتب، شاعر زمانه، مات سنة إحدى وأربع مائة. السير ١٧/ ١٤٧ - ١٤٨ .

ثم نظر إليه فانشق نصفين، فقال: اجرِ؛ فقال: يا ربّ، بِمَ أجري؟ قال: بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فجرى على اللوح المحفوظ[١]. وقال الوليد بن عُبادة بنِ الصامت: أوصاني أبي عند موته فقال: يا بُنَيّ، اتقِ الله، واعلمْ أنَّك لن تتقيَ ولن تبلغ العلمَ حتى تؤمنَ بالله وحدَه، والقدرِ خيره وشرّه، سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتبْ، فقال: يا ربّ وما أكتب، فقال: اكتبْ القدرَ، فجرى القلمُ في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد»[٢]. وقال ابن عباس: أوّلُ ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾[٣] [المسد: ١]. وقال قتادة: القلم نعمةٌ من الله تعالى على عباده[٤].

قال غيره: فخلق الله القلم الأوّل، فكتب ما يكون في الذكر، ووضعه عنده فوق عرشه، ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الأرض، على ما يأتي بيانه في سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[٥] [العلق: ١].

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: وما يكتبون. يريد الملائكة؛ يكتبون أعمال بني آدم قاله ابن عباس[٦]. وقيل: وما يكتبون، [أي:] الناس، وما يتفاهمون به.

وقال ابن عباس: معنى «وَمَا يَسطُرونَ» وما يعلمون[٧].

و«ما» موصولة أو مصدرية؛ أي: ومسطوراتِهم أو: وسطرِهم، ويراد به كلُّ من يسطر، أو الحفظة، على الخلاف[٨].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٢) أخرجه بطوله الطيالسي في مسنده (٥٧٧)، وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢٧٠٥)، والترمذي (٢١٥٥) وقال: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ١٤/ ٢٠٥ .

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/ ٥٢٧ ، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي ١/ ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٣ وفيه (ليعلم به من في الأرض) بدل (ليكتب به في الأرض).

(٦) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٨ ، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٨ ، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٠ .

(٨) الكشاف ٤/ ١٤١ .

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ هذا جواب القسم وهو نفي.

وكان المشركون يقولون للنبيّ ﷺ: إنَّه مجنون، به شيطان. وهو قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ﴾ [الحجر:٦]، فأنزل الله تعالى ردّاً عليهم وتكذيباً لقولهم: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ أي: برحمة ربك. والنعمةُ هاهنا الرحمة. ويحتمل ثانياً: أنَّ النعمةَ هاهنا قَسَم، وتقديره: ما أنت ونعمةِ ربك بمجنون؛ لأنَّ الواو والباء من حروف القسم[(١)].

وقيل: هو كما تقول: ما أنت بمجنون، والحمد لله. وقيل: معناه ما أنت بمجنون، والنعمة لربك، كقولهم: سبحانك اللهم وبحمدك؛ أي: والحمد لله[(٢)]. ومنه قول لبِيد:

وأفردْتُ في الدنيا بفقدِ عشيرتي ... وفارقَني جارٌ بأَرْبَدَ نافِعُ[(٣)]

أي: وهو أربد. وقال النابغة:

لم يُحْرَمُوا حُسْنَ الغِذاء وأمُّهم ... طَفَحتْ عليك بناتقٍ مِذْكارِ[(٤)]

أي: هو ناتق.

والباء في «بِنِعْمَةِ رَبِّكَ» متعلقة «بمجنون» منفيّاً، كما يتعلق بغافل مثبتاً. كما في قولك: أنت بنعمة ربك غافل. ومحله النصب على الحال؛ كأنَّه قال: ما أنت بمجنون مُنْعَماً عليك بذلك. ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا﴾ أي: ثواباً على ما تحملت من أثقال النبوّة.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦١.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ وفيه (والحمد لك) بدل (والحمد لله).

(٣) ديوان لبيد ص٨٨ في قصيدة يرثي أخاه أربد، وروايته «وقد كنت في أكنافِ جارِ مَضِنَّة... ففارقني...» والبيت أيضاً في الأغاني ١٧/ ٦٣ وفيه (دار) بدل (جار)...، والمضنة: بكسر الضاد وفتحها؛ أي: نفيس مما يضن به. الصحاح (ضنن).

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٦١، والبيت أيضاً في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٥١٠ وفيه: دحقت بدل: طفحت. قال ابن قتيبة: ويروى: طفحت عليك، أي: اتسعت، أي: غذوا غذاء حسناً فنموا وكثروا، والناتق: الكثيرة الولد، ومذكار: تلد الذكور.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرَ مقطوع ولا منقوص؛ يقال: مننتُ الحبل: إذا قطعتَه[١]. وحبل منين: إذا كان غير متين. قال الشاعر:

غُبْساً كواسِبُ لا يُمَنّ طعامُها[٢]

أي: لا يقطع.

وقال مجاهد: «غَيْرَ مَمْنُونٍ»: غير محسوب[٣]. الحسن: «غَيْرَ مَمْنُونٍ»: غيرَ مكدّر بالمَنّ[٤].

الضحَّاك: أجراً بغير عمل. وقيل: غيرَ مقدَّر، وهو التفضُّل؛ لأنَّ الجزاء مقدّر، والتفضُّل غيرُ مقدَّر. ذكره الماوَرْدِيّ، وهو معنى قول مجاهد[٥].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابن عباس ومجاهد: على خُلُقٍ: على دينٍ عظيم من الأديان، ليس دينٌ أحبّ إلى الله تعالى ولا أرضى عنده منه[٦]. وفي صحيح مسلم عن عائشة: أنَّ خُلُقه كان القرآن[٧]. وقال عليٌّ ﷺ وعَطِيّة:

---

(١) تفسير غريب القرآن ص٤٧٧ .

(٢) هذا عجز بيت للبيد، وصوره: لِمُعَفَّر قَهْدٍ تنازعَ شِلْوَهُ، وهو في ديوانه ص١٧١ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٧٠٩ ، وفيهما (غبس) بدل(غبساً). وأورد ابن منظور في اللسان (متن) شطر البيت أعلاه كرواية المصنف، ونقد عن ابن بري أنه في نسخة ابن القطاع من الصحاح. ثم قال: وهو غلط. . . إلخ. قال ابن قتيبة: المعفَّر: الولد إذا أرادت أمه أن تفطمه تركته يومين لا تسقيه، ثم ترضعه، ثم تتركه ثلاثة أيام، ثم ترضعه حتى يستمر ويعتاد، والقهد: الغنم الصغار الأذناب، تنازع شلوه؛ أي: تجاذب بقية جسده، غبس: ذئاب في ألوانها لا يمن طعامها من عطاء أحد يمتن به إنّما هو كسبها.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦١ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٩ .

(٤) مجمع البيان للطبرسي ٢٩/ ٢٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ .

(٧) صحيح مسلم (٧٤٦): (١٣٩) مطول، وهو في مسند أحمد (٢٤٢٦٩).

هو أدب القرآن(١). وقيل: هو رِفْقُه بأمّته وإكرامُه إيّاهم.

وقال قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله، وينتهي(٢) عنه مما نهى الله عنه.

وقيل: أي: إنَّك على طبع كريم. الماورديّ: وهو الظاهر.

وحقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به الإنسانُ نفسَه من الأدب يُسَمَّى خُلُقاً؛ لأنَّه يصير كالخِلْقة فيه. وأما ما طُبع عليه من الأدب فهو الخِيم(٣) - بالكسر -: السَّجِيَّة والطبيعة، لا واحد له من لفظه. وخِيم: اسم جبل(٤). فيكون الخُلُقُ الطبعَ المتكلَّف، والخِيمُ الطبعَ الغريزي. وقد أوضح الأعشى ذلك في شعره فقال:

وإذا ذُو الفضول ضَنَّ على المَوْ لَى وعادت لِخِيمها الأخلاقُ

أي: رجعت الأخلاقُ إلى طبائعها(٥).

قلت: ما ذكرته عن عائشةَ في صحيح مسلم أصحُّ الأقوال. وسئلت أيضاً عن خُلُقه عليه الصلاة والسلام، فقرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] إلى عشر آيات(٦)، وقالت: ما كان أحدٌ أحسنَ خُلُقاً من رسول الله ﷺ، ما دعاه أحد من الصحابة ولا من أهل بيته إلا قال: لَبَّيْك؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(٧). ولم يُذكر خُلُقٌ محمود إلا وكان للنبيّ ﷺ منه الحظُّ الأوفر.

---

(١) قول علي رضي الله عنه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وقول عطية في النكت والعيون ٦/ ٦١، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٢.

(٢) المثبت من (م) وهو الموافق لما في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥ وقول قتادة منه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦١.

(٤) الصحاح (خيم).

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦١ - ٦٢، والبيت في ديوان الأعشى ص ٣٢ وروايته فيه: وصارت، بدل: وعادت.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٨١، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٢٨٧).

(٧) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص١٧-١٨، وأبو نعيم في دلائل النبوة (١١٩)، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧١ وفي إسناده حسين بن علوان؛ قال في المجروحين. ١/ ٢٤٤: كان يضع الحديث، وكذبه أحمد بن حنبل، وذكر ابن عدي في الكامل ٢/ ٧٧٠ عن يحيى بن معين: حسين بن علوان كذّاب، وقال النسائي: متروك الحديث.

وقال الجُنَيْد: سُمِّيَ خلقه عظيماً؛ لأنَّه لم تكن له همة سوى الله تعالى[١]. وقيل: سُمِّيَ خُلُقُه عظيماً؛ لاجتماع مكارم الأخلاق فيه، يدلّ عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله بعثني لأتمِّم مكارمَ الأخلاق»[٢]. وقيل: لأنه امتثل تأديبَ الله تعالى إياه بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[٣] [الأعراف: ١٩٩]. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «أَدَّبني رَبِّي تأديباً حسناً إذ قال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] فلما قبلت ذلك منه قال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤].

الثانية: روى الترمذيّ عن أبي ذَرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقِ اللهَ حيثما كنتَ، وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها، وخالقِ الناسَ بِخُلُق حَسَن». قال: حديث حسن صحيح[٥].

وعن أبي الدَّرداء أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ما شيءٌ أثقلَ في ميزان المؤمن يومَ القيامة من خُلُق حَسَنٍ، وإنَّ الله تعالى لَيُبْغِضُ الفاحشَ البذيءَ». قال: حديث حسن صحيح[٦].

وعنه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: « ما من شيء يوضع في الميزان أثقلَ من حُسْنِ الخُلُق، وإنَّ صاحبَ حُسنِ الخلق ليبلغُ به درجةَ صاحب الصلاة والصوم».

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦.

(٢) أخرجه البيهقي ١٠/ ١٩٢، بلفظ «إنما بعثت»،وهو من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه أحمد (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق». وسلف ٩/ ٤٢٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥.

(٤) أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص١ من حديث عبد الله. قال السخاوي في المقاصد الحسنة ص٧٣: أخرجه ابن السمعاني في أدب الإملاء بسند منقطع، فيه من لم أعرفه عن عبد الله أظنه ابن مسعود. وقال ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى ص٣٥٣: المعنى صحيح، لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

(٥) سنن الترمذي (١٩٨٧)، وهو في مسند أحمد (٢١٣٥٤).

(٦) سنن الترمذي (٢٠٠٢).

قال: حديثٌ غريب من هذا الوجه[١].

وعن أبي هريرة قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن أكثرِ ما يُدْخِل الناسَ الجنةَ؟ فقال: «تقوى الله وحسنُ الخُلُق». وسئل عن أكثر ما يُدْخِل الناسَ النارَ؟ فقال: «الفَمُ والفَرْجُ» قال: هذا حديث صحيح غريب[٢].

وعن عبد الله بن المبارك أنَّه وصف حُسْنَ الخُلُق فقال: هو بَسْط الوجه، وبَذْل المعروف، وكَفُّ الأذى[٣].

وعن جابر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكم منّي مجلساً يومَ القيامة أحاسنَكم أخلاقاً ـ قال ـ وإنّ أبغضَكم إليّ وأبعدَكم مني مجلساً يومَ القيامة الثرثارون والمُتَشدِّقون والمُتَفَيْهِقُون». قالوا: يا رسول الله، قد عَلِمْنا الثرثارون والمتشدّقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». قال: وفي الباب عن أبي هريرةَ، وهذا حديث حسن غريب[٤].

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه: فستعلم ويعلمون يومَ القيامة. وقيل: فسترى ويرون يومَ القيامة حين يتبين الحقّ والباطل[٥]. ﴿بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾الباء زائدة، أي: فستبصر ويبصرون أيّكم المفتون، أي: الذي فُتِن بالجنون،

(١) سنن الترمذي (٢٠٠٣)، وأخرجه أحمد (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩) مختصراً.

(٢) سنن الترمذي(٢٠٠٤)، وهو عند أحمد (٩٦٩٦)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

(٣) أخرجه عنه الترمذي في سننه (٢٠٠٥).

(٤) سنن الترمذي (٢٠١٨) . وحديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٨٨٢٢) بنحوه مختصراً، وفي الباب عن أبي ثعلبة الخشني أخرجه أحمد (١٧٧٣٢)، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أحمد (٦٥٠٤).

قال الترمذي: الثرثار: هو الكثير الكلام، والمُتَشَدِّق: الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٢ .

كقوله تعالى: ﴿تَنْبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] و﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] وهذا قول قتادة وأبي عُبيد[1] والأخفش[2]. وقال الراجز:

نحن بنو جَعْدَة أصحاب الفَلَجْ   نَضربُ بالسيف ونرجو بالفَرَجْ[3]

وقيل: الباء ليست بزائدة، والمعنى: «بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ» أي: الفتنة. وهو مصدر على وزن المفعول، ويكون معناه: الفُتُون، كما قالوا: ما لفلان مجلود ولا معقول؛ أي: عقل ولا جلادة. وقاله الحسن والضحاك وابن عباس[4]. وقال الراعي[5]:

حتى إذا لَمْ يَتْركوا لعظامِهِ   لحماً ولا لفؤادِهِ معقولا

أي: عقلاً.

وقيل: في الكلام تقديرُ حذف مضاف، والمعنى: بأيكم فتنة المفتون[6].

وقال الفرّاء[7]: الباء بمعنى في، أي: فستبصِر ويبصرون في أيِّ الفريقين المجنون؛ أبالفِرْقة التي أنت فيها من المؤمنين، أم بالفِرقة الأخرى.

والمفتون: المجنون الذي فتنه الشيطان[8].

وقيل: المفتون المعذَّب. من قول العرب: فتنتُ الذهبَ بالنار: إذا حَمّيتَه. ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يعذّبون[9].

---

(١) الكلام بنحوه في معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٤ -٢٠٥ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ وفيهما (أبي عبيدة) بدل (أبي عبيد) وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/ ٢٦٤ ، وذكر قول قتادة النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٧ .

(٢) في معاني القرآن له ٢/ ٧١٢ .

(٣) الرجز للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص٢١٦ برواية: نضرب بالبِيض. وسلف ١٤/ ٣٥٧ .

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ .

(٥) ديوانه ص٢٣٦ .

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣ ، وينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ .

(٨) مجمع البيان ٢٩/ ٢٤ .

(٩) النكت والعيون ٦/ ٦٢ .

ومعظم السورة نزلتْ في الوليد بن المغيرة وأبي جهل[١].

وقيل: المفتون هو الشيطان؛ لأنَّه مفتون في دينه. وكانوا يقولون: إنَّ به شيطاناً، وعَنَوْا بالمجنون هذا؛ فقال الله تعالى: فسيعلمون غداً بأيِّهم المجنون، أي: الشيطان الذي يحصل من مسّه الجنونُ واختلاطُ العقل[٢].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي: إنَّ الله هو العالم بمن حادَ عن دينه. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: الذين هم على الهدى، فيجازِي كُلّاً غداً بعمله.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾

نهاه عن ممايلة المشركين، وكانوا يدعونه إلى أن يكُفّ عنهم ليكفُّوا عنه، فبيّن الله تعالى أنَّ مُمايلتَهم كفر. وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤][٣]. وقيل: أي: فلا تطع المكذبين فيما دَعوْك إليه من دينهم الخبيث. نزلت في مشركي قريش حين دَعَوْه إلى دين آبائه[٤].

قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾

قال ابن عباس وعطية والضحاك والسُّدّيّ: ودّوا لو تكفر فيتمَادَوْن على كفرهم[٥]. وعن ابن عباس أيضاً: ودّوا لو تُرَخِّص لهم فيُرَخِّصون لك[٦]. وقال الفرّاء[٧] والكَلْبيُّ: لو تلين فيلينون لك. والإدْهان: التَّليين لمن لا ينبغي له التَّليين. قاله الفرّاء.

---

(١) ينظر الكشاف ٤/ ١٤١ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ .

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧ ، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٥٧ بنحوه.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، والوسيط ٤/ ٣٣٥ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣١ . وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٦ عن ابن عباس والضحاك.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٦ .

(٧) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٢ ، وقول الكلبي الآتي في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ .

وقال مجاهد: المعنى: ودّوا لو رَكَنْتَ إليهم وتركت الحقَّ فيُمالئونك[١]. وقال الربيع بنُ أنس: ودّوا لو تكذب فيكذبون. وقال قتادة: ودّوا لو تذهب عن هذا الأمرِ فيذهبون معك[٢]. الحسن: ودّوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم. وعنه أيضاً: ودّوا لو ترفض بعضَ أمرك فيرفضون بعضَ أمرهم. زيد بن أسلم: لو تنافق وترائي فينافقون ويراؤون[٣]. وقيل: ودّوا لو تضعف فيضعفون. قاله أبو جعفر[٤].

وقيل: ودّوا لو تداهن في دينك فيداهنون في أديانهم. قاله القُتَبيُّ. وعنه: طلبوا منه أن يعبدَ آلهتهم مدّة ويعبدوا إلهه مدّة[٥]. فهذه اثنا عشر قولاً.

ابن العربيّ[٦]: ذكر المفسرون فيها نحوَ عشرة أقوال، كلُّها دعاوَى على اللغة والمعنى. أمثلُها قولهم: ودّوا لو تكذب فيكذبون، ودّوا لو تكفر فيكفرون.

قلت: كلُّها إن شاء الله تعالى صحيحةٌ على مقتضى اللغة والمعنى؛ فإنَّ الإدْهان: الليِنُ والمصانعة[٧]. وقيل: مجاملة العدُوّ وممايلته[٨]. وقيل: المقاربة في الكلام والتَّليين في القول[٩]. قال الشاعر:

لَبَعضُ الغَشْمِ أحزمُ في أمورٍ ... تنوبُك من مداهنةِ العدوِّ[١٠]

---

(١) الوسيط ٤/ ٣٣٥، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٢، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٧.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٢، وأخرج قول قتادة الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٧ بلفظ: «لو أدهنت عن هذا الأمر فأدهنوا معك».

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٦٢.

(٥) تفسير غريب القرآن ص٤٧٨.

(٦) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٤٣.

(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٩) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣.

(١٠) في (م) العده، والمثبت من (د) و(ظ)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٦/ ٦٣ والبيت فيه، ولم نقف على قائله. الغَشْم: الظلم. اللسان (غشم).

وقال المفضَّل: النفاق وتركُ المناصحة، فهي على هذا الوجه مذمومةٌ، وعلى الوجه الأوّل غيرُ مذمومة[١]، وكلُّ شيء منها لم يكن.

قال المبرد: يقال: أدهن في دينه وداهن في أمره؛ أي: خان فيه وأظهر خلاف ما يضمر[٢].

وقال قومٌ: داهنتُ بمعنى: واريت، وأدهنت بمعنى: غششت. قاله الجوهريُّ[٣].

وقال: «فَيُدْهِنُونَ» فساقه على العطف، ولو جاء به جواب التمني[٤] لقال: فيدهنوا. وإنما أراد: إنهم[٥] تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك، عطفاً لا جزاءً عليه ولا مكافأة، وإنَّما هو تمثيل وتنظير.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾

يعني الأخنسَ بنَ شَرِيق، في قول الشعبيَ والسُّدِّيّ وابن إسحاق. وقيل: الأسود ابن عبد يغوث، أو عبد الرحمن بن الأسود. قاله مجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة، عرضَ على النبيّ ﷺ مالاً، وحلف أن يعطيَه إن رجع عن دينه. قاله مقاتل[٦]. وقال ابن عباس: هو أبو جهل بن هشام[٧]. والحلّاف: الكثير الحَلِف[٨].

والمَهِين: الضعيف القلب؛ عن مجاهد. ابن عباس: الكذّاب. والكذَّاب مهين.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٣ .

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٣ .

(٣) في الصحاح (دهن).

(٤) في النسخ: النهي، والمثبت من أحكام ابن العربي ٤/ ١٨٤٤، والكلام منه، ووقع في بعض نسخه: النهي، كما ذكر في حواشيه.

(٥) في النسخ: إن، والمثبت من أحكام القرآن.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٣ ، ٦٥ دون ذكر عبد الرحمن بن الأسود، والشعبي.

(٧) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٣ .

وقيل: المِكثار في الشَّر. قاله الحسن وقتادة[١]. وقال الكلبيّ: المَهِين: الفاجر العاجز.

وقيل: معناه الحقير عند الله[٢].

وقال ابن شجرة: إنه الذليل[٣]. الرُّمّاني: المَهين: الوضيع لإكثاره من القبيح.

وهو فعيل من المهانة بمعنى القلة، وهي هنا القلة في الرأي والتمييز[٤]. أو هو فعيل بمعنى مُفْعَل؛ والمعنى مُهان.

﴿هَمَّازٍ﴾ قال ابن زيد: الهمّاز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم. واللَّمّاز باللسان[٥]. وقال الحسن: هو الذي يهمز بأخيه[٦] في المجلس، كقوله تعالى: ﴿هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١].

وقيل: الهَمّاز: الذي يذكر الناسَ في وجوههم. واللَّمّاز: الذي يذكرهم في مغيبهم. قاله أبو العالية وعطاء ابن أبي رباح والحسن أيضاً[٧].

وقال مقاتل ضدّ هذا الكلام: إنَّ الهُمَزَة الذي يغتاب بالغيبة، واللُّمَزَة الذي يغتاب في الوجه. وقال مرّة: هما سواء[٨]. وهو القَتّات الطّعّان للمرء إذا غاب. ونحوه عن ابن عباس وقتادة[٩]. قال الشاعر:

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٣ دون ذكر الحسن، وأخرج أثر ابن عباس والحسن وقتادة الطبري في تفسيره ١٥٨/٢٣.

(٢) ذكره أبو الليث في تفسيره ٣/ ٣٩٢ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٣.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٣، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٩.

(٦) في النسخ (ناحية)، والمثبت من تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨. وينظر تفسير الرازي ٣٢/ ٩٢.

(٧) زاد المسير ٩/ ٢٢٧.

(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٥٢١.

(٩) أخرجه الطبري عنهما في تفسيره ٢٤/ ٦١٨.

تُـدْلـي بِـوُدٍّ إذا لاقـيـتَـنـي كـذبـاً وإنْ أغيَّب[١] فـأنـت الـهـامزُ الـلُّـمَـزَهْ

﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ أي: يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم. يقال: نَمّ يَنُمّ نمًّا ونَمِيماً ونَمِيمَةً[٢]، أي: يمشي ويسعى بالفساد.

وفي صحيح مسلم عن حُذيفة: أنَّه بلغَهُ أنَّ رجلاً ينُمُّ الحديثَ، فقال حذيفةُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخلُ الجنةَ نمّامٌ»[٣]. وقال الشاعر[٤]:

ومَوْلىً كَبَيْتِ النَّملِ لا خيرَ عنده لـمـولاه إلا سَـعْـيُـه بـنـمـيـم

قال الفرّاء: هما لغتان. وقيل: النَّميم جمع نَميمة[٥].

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: للمال أن ينفَق في وجوهه. وقال ابن عباس: يمنع عن الإسلام ولدَه وعشيرتَه. وقال الحسن: يقول لهم: من دخل منكم في دين محمد، لا أنفعه بشيء أبداً[٦].

﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: على الناس في الظلم، متجاوز للحدّ، صاحب باطل. ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: ذي إثم، ومعناه أَثُوم، فهو فَعيل بمعنى فَعول.

﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ العُتُلُ: الجافي الشديد في كفره[٧]. وقال الكلبيّ والفراء: هو الشديد الخصومة بالباطل. وقيل: إنه الذي يعتِلُ الناس فيجرّهم إلى حبس أو عذاب. مأخوذ من العَتْل، وهو الجرّ، ومنه قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ﴾[٨] [الدخان: ٤٧].

---

(١) في (م) أغب، والشاعر هو زياد الأعجم كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ٣١١، والبيت أيضاً في إصلاح المنطق ص٤٧٥ وروايتهما (بودِّي) بدل (بودٍّ).

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٤.

(٣) صحيح مسلم (١٠٥): (١٦٨)، وهو في مسند أحمد (٢٣٣٢٥).

(٤) هو البعيث ـ خِداش بن بشر ـ كما في المعاني الكبير لابن قتيبة ٢/ ٦٣٧، والحيوان للجاحظ ٤/ ٣٢.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٤، وكلام الفراء بنحوه في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣.

(٦) ذكر القولين البغوي في تفسيره ٤/ ٣٧٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ١٦١.

(٨) النكت والعيون ٦/ ٦٤ دون ذكر الفراء، وكلامه في معاني القرآن له ٣/ ١٧٣.

وفي الصِّحاح[١]: وعتَلْتُ الرجلَ أعْتِلُه وأعْتُلُه: إذا جذبتَه جذباً عنِيفاً. ورجل مِعْتَل؛ بالكسر. وقال[٢] يصف فرساً:

نَفْرَعُهُ فَرْعاً ولسنا نَعْتِلُهْ

قال ابن السِّكِّيت: عَتَله وعَتَنه، باللام والنون جميعاً. والعُتُلّ: الغليظ الجافي. والعُتُلّ أيضاً: الرمح الغليظ. ورجل عَتِلٌ؛ بالكسر: بَيِّن العَتَل، أي: سريع إلى الشرّ. ويقال: لا أنْعتِلُ معك، أي: لا أبرح مكاني[٣].

وقال عُبيد بن عمير: العُتُلّ: الأكولُ الشروب القويّ الشديد؛ يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة، يدفع المَلَكُ من أولئك في جهنم بالدُّفعة الواحدة سبعين ألفاً. وقال عليّ بن أبي طالب والحسن: العُتُلّ الفاحش السيِّىء الخلق[٤].

وقال مَعْمَر: هو الفاحش اللئيم[٥]. قال الشاعر:

بعُتُلّ من الرجال زَنِيم غيرِ ذي نجدة وغيرِ كريم[٦]

وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبيّ ﷺ قال: «ألَا أخبرُكم بأهل الجنة؟» قالو: بلى. قال: «كلُّ ضعيفٍ مُتَضعَّف، لو أقسم على الله لأبرَّه. ألا أخبرُكم بأهل النار؟» قالوا: بلى. قال: «كلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستَكبِر». في رواية عنه: «كلُّ جوّاظ زَنيمٍ متكبِّر»[٧]. الجَوّاظ: قيل: هو الجَمُوع المنوع. وقيل: الكثير اللحم المختال[٨].

(١) مادة (عتل).

(٢) هو أبو النجم، وسلف البيت ١٦/ ١٥٠ .

(٣) الصحاح (عتل).

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ دون ذكر علي بن أبي طالب، وأخرج أثر عبيد بن عمير ابن أبي شيبة ١٣/ ٤٣٩ - ٤٤٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٤ ، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٦٢ عن القاسم مولى معاوية، مرفوعاً.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٤ . ولم نقف على قائل البيت.

(٧) صحيح مسلم (٢٨٥٣)، وأخرجه أحمد (١٨٧٢٨)، والبخاري (٦٠٧١).

(٨) المفهم ٧/ ١٧٠ .

وذكر الماوردي[١] عن شَهْر بن حَوْشَب، عن عبد الرحمن بن غَنْم، ورواه ابن مسعود أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخل الجنةَ جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ، ولا الْعُتُلّ الزَّنيم». فقال رجل: ما الجَوّاظ وما الجَعْظَرِيّ وما العتلُّ الزَّنيم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الجوّاظ: الذي جَمعَ ومنع، والجَعْظَريّ: الغليظ، والعُتُلّ الزَّنيم: الشديد الخَلْق، الرّحيب الجوف، المصَحَّح، الأكول الشروب الواجد للطعام، الظلوم للناس».

وذكره الثعلبي عن شدّاد بن أوس: «لا يدخلُ الجنةَ جَوّاظ ولا جَعْظَرِيّ ولا عُتُلٌّ زنيم» سمعتهن من النبيّ ﷺ. قلت: وما الجَوّاظ؟ قال: الجَمّاع المنّاع. قلت: وما الجَعْظَرِيّ؟ قال: الفَظّ الغليظ. قلت: وما العُتُلّ الزنيم؟ قال: الرّحِيب الجوف، الوَثِير الخَلْق، الأكول الشروب، الغَشوم الظلوم[٢].

قلت: فهذا التفسير من النبيّ ﷺ في العُتُلّ قد أربى على أقوال المفسرين. ووقع في كتاب أبي داود في تفسير الجَوّاظ أنه الفظُّ الغليظ. ذكره من حديث حارثة بن وهب الخُزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ الجَوّاظ ولا الجَعْظَرِيّ». قال: والجَوّاظ: الفظُّ الغليظ[٣]. ففيه تفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه أوّلاً. وقد قيل: إنه الجافي القلب[٤].

وعن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ قال: قال النبيّ ﷺ: «تبكي السماءُ من رجل أصحّ الله جِسْمَه، ورحّب جَوْفَه، وأعطاه من الدنيا بعضاً.

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٦٤ - ٦٥ ، وأخرجه أحمد (١٧٩٩٣) عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غَنْم مختصراً. وشهر كثير الإرسال والأوهام، وعبد الرحمن بن غَنْم مختلف في صحبته، كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب.

وله شواهد؛ منها الحديث السالف.

(٢) أخرجه الجصاص في أحكام القرآن ٣/ ٤٦٧ دون قوله: الوثير الخلق...، والوثارة: كثرة الشحم. الصحاح (وثر).

(٣) سنن أبي داود (٤٨٠١).

(٤) المفهم ٧/ ١٧٠ عن ابن دريد.

فكان للناس ظَلوماً، فذلك الْعُتُلُّ الزنيم. وتبكي السماءُ من الشيخ الزاني ما تكاد الأرض تُقِلّه»[(١)].

والزَّنِيم: المُلْصَق بالقوم الدَّعِيّ؛ عن ابن عباس وغيره. قال الشاعر:

زَنِيمٌ تداعاه الرجالُ زيادةً كما زِيد في عَرْضِ الأدِيم الأكارعُ[(٢)]

وعن ابن عباس أيضاً: أنه رجل من قريش كانت له زَنَمة كزنمة الشاة[(٣)]. وروى عنه ابن جُبَير: أنه الذي يُعرف بالشرِّ؛ كما تُعرف الشاة بزنمتها[(٤)]. وقال عِكرِمة: هو اللئيم الذي يُعرف بلؤمه؛ كما تُعرف الشاة بزنمتها[(٥)].

وقيل: إنه الذي يعرف بالأُبْنَةِ[(٦)]. وهو مرويّ عن ابن عباس أيضاً. وعنه أنه الظَّلوم[(٧)].فهذه ستة أقوال.

وقال مجاهد: زَنِيم كانت له ستة أصابع في يده، في كل إبهام له إصبع زائدة. وعنه أيضاً وسعيدِ بن المسيّب وعكرمة: هو ولد الزّنى الملحق في النسب بالقوم[(٨)]. وكان الوَلِيد دَعِيّاً في قريش ليس من سِنْخهم، ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده[(٩)]. قال الشاعر:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣٠٨، والطبري ٢٣/١٦٣ وفيهما: «وأعطاه من الدنيا مقضماً». والخبر مرسل.

(٢) تفسير أبي الليث ٣/٣٩٣، والبيت نسب لحسان بن ثابت، ونسب للخطيم التميمي، وسلف ١/٤٥.

(٣) أخرجه البخاري (٤٩١٧)، والزَّنَمة: شيء يكون للمعز في أذنها كالقُرط، أو شيءٌ يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً. الصحاح (زنم).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٦ - ١٦٧، والحاكم ٢/٤٩٩.

(٥) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٨.

(٦) الأُبْنة: العيب في الكلام. اللسان (أبن).

(٧) النكت والعيون ٦/٦٥، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٧.

(٨) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/١٦٤ - ١٦٥ عن ابن عباس وسعيد وعكرمة.

(٩) الكشاف ٤/١٤٢، وتفسير الرازي ٣٠/٨٥، وقوله: سنخهم؛ السنخ: الأصل. الصحاح (سنخ).

زنيمٌ ليس يُعرفُ مَن أبوه بغيُّ الأُمِّ ذو حَسَب لئيمِ[1]

وقال حَسَّان:

وأنتَ زَنيمٌ نِيطَ في آل هاشمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الراكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[2]

قلت: وهذا هو القول الأول بعينه. وعن عليٍّ رضي الله تعالى عنه: أنَّه الذي لا أصل له، والمعنى واحد.

ورُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يدخلُ الجنةَ وَلَدُ زنىً، ولا ولدُه، ولا ولدُ ولدِه»[3]. قال عبد الله بن عمر: إنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ أولادَ الزنى يُحشرون يومَ القيامة في صورة القردةِ والخنازير»[4].

وقالت ميمونة: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لا تزالُ أمتي بخير ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزِّنَى، فإذا فَشَا فيهم ولدُ الزنى، يوشك[5] أن يعمَّهم الله بعقاب»[6]. وقال عكرمة: إذا كثر ولدُ الزنى قَحَطَ المَطَرُ.

قلت: أما الحديث الأول والثاني، فما أظنُّ لهما سنداً يصح، وأما حديثُ ميمونةَ وما قاله عكرمةُ؛ ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جَحْش زوجِ النبيّ ﷺ

---

(١) سلف ١/ ٤٤.

(٢) ديوان حسان ص٢١٦ . وقوله: نيط، أي: عُلق، والمنوط بالقوم، أي: الدخيل فيهم.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٣ ، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٥ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٠٨ ، ٨/ ٢٤٩ عن مجاهد واضطربت الرواية عنه، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٢/ ٣٠٠ ، وقال: ثم أيّ ذنب لولد الزنى حتى يمنعه من دخول الجنة، فهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾. وقال صاحب تنزيه الشريعة ٢/ ٢٢٨ : لا يصح.

(٤) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٢/ ٧٥ من طريق زيد بن عياض. قال في الفوائد المجموعة ص٢٠٤ : هو موضوع. وقال في لسان الميزان ٢/ ٥١٠ : ذكره العقيلي في الضعفاء وكناه أبا عياض.

(٥) في النسخ عدا (ظ) أوشك.

(٦) أخرجه أحمد (٢٦٨٣٠) وفيه ضعفاء، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الحاكم ٢/ ٣٧ بلفظ: إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله، وحديث زينب الآتي ذكره.

قالت: خرج النبيُّ ﷺ يوماً فَزِعاً مُحْمَرّاً وَجْهُهُ يقول: «لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه» وحلّق بإصبعيه الإبهامِ والتي تليها. قالت: فقلت: يا رسول الله، أَنَهْلِك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كَثُر الخَبَث» خرّجه البخارِيّ[1]. وكثرةُ الخبث ظهورُ الزنى وأولادُ الزنى. كذا فسّره العلماء[2].

وقول عكرمة «قَحَطَ المطر» تبيينٌ لما يكون به الهلاك، وهذا يحتاج إلى توقيف، وهو أعلم من أين قاله.

ومعظم المفسرين على أنَّ هذا نزل في الوليد بن المغيرة، وكان يُطعم أهلَ مِنىً حَيْساً[3] ثلاثة أيام، وينادي: ألَا لا يوقدنّ أحد تحت بُرْمَةٍ[4]، ألا لا يدخُنّن أحد بكُراع، ألا ومن أراد الحَيْس فليأت الوليدَ بن المغيرة. وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين ألفاً وأكثر، ولا يعطي المسكين[5] درهماً واحداً؛ فقيل: «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ». وفيه نزل: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦-٧].

وقال محمد بن إسحاق: نزلت في الأَخْنَس بن شَرِيق؛ لأنه حليفٌ مُلْحق في بني زُهْرة، فلذلك سُمِّيَ زَنيماً[6].

وقال ابن عباس: في هذه الآية نُعِت، فلم يعرف حتى قيل[7]، فعُرف، وكان له زَنَمة في عنقه معلّقة يُعرف بها. وقال مُرّة الهَمْدانيّ: إنما ادعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة[8].

---

(١) في صحيحه (٧٠٥٩)، وهو عند مسلم (٢٨٨٠)، وأحمد (٢٧٤١٣).

(٢) ينظر إكمال المعلم ٨/ ٤١٢، والمفهم ٧/ ٢٠٨.

(٣) الحيس: هو تمر يخلط بسمنٍ أو أقِطٍ. الصحاح (حيس).

(٤) البُرْمة: هي القِدر. الصحاح (برم).

(٥) في (ظ) المسلمين.

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٥.

(٧) المثبت من (د)، وفي غيرها: قتل، وفي تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨ حتى قيل: زنيم، فعرف...

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٨.

قـولـه تـعـالـى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ قرأ أبو جعفر وابنُ عامر وأبو حَيْوة والمغيرة والأعرج: «آن كان» بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام. وقرأ المُفَضّل وأبو بكر وحمزةُ: «أأن كان» بهمزتين مُحَقّقتين. وقرأ الباقون بهمزة واحدة على الخبر[١]، فمن قرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققتين، فهو استفهام والمراد به التوبيخ[٢].

ويحسن له أن يقف على «زنيم»، ويبتدئ: «آنْ كَانَ» على معنى: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين تطيعه؟ ويجوز أن يكون التقدير: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يقول إِذَا تُتْلَى عليهِ آيَاتُنَا: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ[٣]!

ويجوز أن يكون التقدير: أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر. ودلّ عليه ما تقدم من الكلام، فصار كالمذكور بعد الاستفهام.

ومن قرأ: «أَنْ كَانَ» بغير استفهام، فهو مفعول من أجله، والعاملُ فيه فعل مضمر، والتقدير: يكفر لأن كان ذا مال وبنين. ودلَّ على هذا الفعل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾. ولا يعمل في «أَنْ»: «تُتْلَى» ولا «قَالَ»؛ لأنَّ ما بعد «إِذَا» لا يعمل فيما قبلها؛ لأنَّ «إِذَا» تضاف إلى الجمل التي بعدها، ولا يعمل المضاف إليه فيما قبل المضاف. و«قال» جواب الجزاء، ولا يعمل فيما قبل الجزاء؛ إذ حكم العامل أن يكونَ قبل المعمول فيه، وحكم الجواب أن يكونَ بعد الشرط، فيصير مقدماً مؤخراً في حال[٤]. ويجوز أن يكون المعنى: لا تطعه لأن كان ذا يسار وعدد.

---

(١) السبعة ص٦٤٦، والتيسير ص٢١٣. والنشر ١/٣٦٧.

(٢) الوسيط ٤/٣٣٦.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢/٩٤٣ - ٩٤٤ ووقع في (ز) و(ظ): قال أساطير الأولين.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٢/٧٤٨ - ٧٤٩.

قال ابن الأنباري(١): ومن قرأ بلا استفهام، لم يحسن أن يقف على «زَنِيم»؛ لأنَّ المعنى: لأنْ كان وبأنْ كان، فـ «أن» متعلقة بما قبلها.

قال غيره: يجوز أن يتعلق بقوله: «مَشَّاءٍ بِنَمِيم»، والتقدير: يمشي بنميم لأن كان ذا مال وبنين.

وأجاز أبو عليّ أن يتعلق بـ «عُتُلٍّ»(٢). وأساطير الأولين: أباطيلُهم وتُرّهاتُهم وخرافاتُهم. وقد تقدم(٣).

قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ قال ابن عباس: معنى «سَنَسِمُهُ»: سَنَخْطِمُه بالسيف. قال: وقد خُطم الذي نزلت فيه يومَ بدر بالسيف، فلم يزل مخطوماً إلى أن مات. وقال قتادة: سنسمه يومَ القيامة على أنفه سِمةً يُعرف بها(٤). يقال: وسَمْته وَسْماً وسِمَةً: إذا أثّرتَ فيه بِسِمَةٍ وَكَيّ(٥).

وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]، فهذه علامة ظاهرة. وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه:١٠٢]. وهذه علامة أخرى ظاهرة. فأفادت هذه الآية علامة ثالثةً وهي الوسم على الأنف بالنار(٦)، وهذا كقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن:٤١] قاله الكلبي وغيره(٧).

---

(١) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٤٤ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨ بنحوه.

(٣) ٨/ ٣٤٦ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩ ، والطبري ٢٣/ ١٧٠ .

(٥) الصحاح (وسم).

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٨٤٥ .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٦ بنحوه.

وقال أبو العالية ومجاهد: «سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ» أي: على أنفه، ونسوّد وجهَه في الآخرة، فَيُعْرف بسواد وجهه[١].

والخُرطوم: الأنفُ من الإنسانُ، ومن السباع: موضعُ الشَّفَة[٢]. وخراطيم القوم: ساداتُهم[٣].

قال الفراء[٤]: وإن كان الخُرْطُوم قد خُصّ بالسِّمة؛ فإنه في معنى الوجه؛ لأنَّ بعض الشيء يعبّر به عن الكلّ.

وقال الطبري[٥]: نبيّن أمرَه تِبياناً واضحاً حتى يعرفوه، فلا يخفى عليهم كما لا تخفى السِّمة على الخراطيم.

وقيل: المعنى سَنُلْحِقُ به عاراً وسُبَّةً حتى يكون كمن وُسِم على أنفه[٦].

قال القُتَبيّ[٧]: تقول العرب للرجل يُسَبّ سُبّةَ سوء قبيحة باقية: قد وُسِم مِيسَم سوء، أي: أُلْصِق به عارٌ لا يفارقه، كما أنَّ السِّمة لا يُمْحَى أثرها. قال جرير:

لمّا وضعتُ على الفَرَزْدَق مِيسَمِي ... وعلى البَعِيث جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ[٨]

أراد به الهجاءَ. قال[٩]: وهذا كلُّه نزل في الوليد بن المغيرة. ولا نعلم أنَّ الله

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٦، ونسب الماوردي فيه الكلام للمبرّد.

(٣) أساس البلاغة (خرط).

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٤.

(٥) في تفسيره ٢٣/ ١٧٠ - ١٧١.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ بنحوه.

(٧) في تأويل مشكل القرآن ص١١٨ - ١١٩.

(٨) ديوان جرير بشرح ابن حبيب ٢/ ٩٤٠. وروايته فيه: وضعنا البَعيث، بدل: وعلى البعيث، ووقع في هامش (خ) و(ي) ما نصُّه: البعيث اسم شاعر من تميم .اهـ. والبعيث هو خداش بن بشر.

(٩) القائل القتبي في تأويل مشكل القرآن ص١٢٠.

تعالى بلغ من ذكر عيوب أحدٍ ما بلغه منه، فألحقه به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، كالوَسْم على الخُرْطوم.

وقيل: هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه وماله وأهله من سوء وذُلّ وصَغار. قاله ابن بحر. واستشهد بقول الأعشى:

فدعها وما يعنيك واعمِدْ لغيرها بشعرك واعْلُب أنفَ من أنت واسمُ[(١)]

وقال النَّضْر بن شُمَيل: المعنى: سنحُدّه على شرب الخمر، والخُرطوم: الخمر، وجمعه خراطيم، قال الشاعر:

تَظَلُّ يومك فِي لَهْوٍ وفي طَرَبِ وأنت بالليل شَرّاب الخراطيمِ[(٢)]

قال الراجز:

صَهْبَاءَ خُرْطوماً عُقاراً قَرْقَفَا[(٣)]

وقال آخر:

أبا حاضرٍ من يَزْنِ يُعْرفْ زِناؤُه ومن يشربِ الخُرْطومَ يُصبحْ مُسَكَّرا[(٤)]

الثانية: قال ابن العربي[(٥)]: كان الوَسْم في الوجه لذي المعصية قديماً عند الناس، حتى إنَّه رُوي ـ كما تقدم ـ أنَّ اليهود لما أهملوا رَجْم الزاني، اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه، وهذا وضع باطل. ومن الوسم الصحيح في الوجه: ما رأى

(١) النكت والعيون ٦/ ٦٦، وبيت الأعشى في ديوانه ص٩، وورد في (م): (يغنيك) بدل: (يعنيك). قوله: اعلُب: يقال علبتُه أعلُبُه: إذا وسمته أو خدشته. الصحاح (علب).

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ دون قوله: وجمعه خراطيم.

(٣) هذه كلها من أسماء الخمر، والرجز للعجاج وهو في ديوانه ص٤٢٣، وقبله: فغمّها حولين ثم استودفا. قال شارحه: استودف: استقطر.

(٤) البيت للفرزدق كما في جمهرة اللغة ٣/ ٢٥٥، والصحاح (زنى)، والبيت أيضاً في مجمع الأمثال للميداني ٢/ ٢١ وروايته: يظهر، بدل: يعرف، والصهباء، بدل: الخرطوم. ونسبه للفرزدق، ثم قال: وبعضهم يرويها لزياد الأعجم، وكان أبو حاضر أحد المشهورين بالزنى.

(٥) في أحكام القرآن له ٤/ ١٨٤٥، وما سيأتي بين حاصرتين منه.

العلماء من تسويد وجه شاهد الزور، علامةً على قُبْح المعصية وتشديداً لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنُّبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته؛ فقد كان عزيزاً بقول الحقّ، وقد صار مَهيناً بالمعصية. وأعظمُ الإهانة [إهانةُ الوجه]. وكذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سبباً لخيرة الأبد والتحريم له على النار؛ فإنَّ الله تعالى قد حرَّم على النار أن تأكلَ من ابن آدم أثَرَ[1] السجود، حسب ما ثبت في الصحيح[2].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يريد أهلَ مكة. والابتلاء الاختبار. والمعنى: أعطيناهم أموالاً ليشكروا لا ليَبْطروا، فلما بَطِرُوا وعادَوْا محمداً ﷺ، ابتليناهم بالجوع والقَحْط، كما بلونا أهلَ الجنة المعروفِ خبرُها عندهم. وذلك أنها كانت بأرض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ـ ويقال بفرسخين ـ وكانت لرجل يؤدّي حقَّ الله تعالى منها، فلما مات صارت إلى ولده، فمنعوا الناس خيرَها، وبَخِلُوا بحقِّ الله فيها؛ فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حلّ بها.

قال الكلبي: كان بينهم وبين صنعاء فرسخان، ابتلاهم الله بأن أحرق جنتهم.

وقيل: هي جنةٌ بضَوْران، وصوران[3] على فراسخ[4] من صنعاء، وكان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير ـ وكانوا بخلاء ـ فكانوا يجدُّون التمر ليلاً

---

(١) صحيح البخاري (٨٠٦)، وصحيح مسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مطولاً.

(٢) في (ظ): موضع أثر.

(٣) في (ق) و(م) بضوران، وضوران . . . إلخ. والمثبت من باقي النسخ، حيث ذكر ياقوت صوران في معجم البلدان ٣/ ٤٣٣ . ووقع في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩: الضروان، وفي النكت والعيون ٦/ ٦٧: ضروان، وفي تفسير أبي الليث: ضيروان.

(٤) في (م) فرسخ.

من أجل المساكين، وكانوا أرادوا حصادَ زرعها، وقالوا: لا يدخلها اليوم عليكم مسكين، فغَدَوْا عليها؛ فإذا هي قد اقْتُلِعَت من أصلها، فأصبحت كالصَّريم، أي: كالليل. ويقال أيضاً للنهار: صريم. فإن كان أراد الليلَ، فلاسْوداد موضعها. وكأنهم وجدوا مَوْضِعَها حَمْأة[1]. وإن كان أراد بالصَّريم النهارَ؛ فلذهاب الشجرِ والزرعِ ونقاءِ الأرض منه. وكان الطّائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتعلها. فيقال: إنه طاف بها حَوْل البيت ثمَّ وضعها حيث مدينة الطائف اليوم؛ ولذلك سُمِّيت الطائف[2]. وليس في أرض الحجاز بلدةٌ فيها الشجر والأعناب والماء غيرها. وقال البكري في المُعْجَم: سُمِّيت الطائف لأنَّ رجلاً من الصَّدِف[3] يقال له: الدَّمُون؛ بنى حائطاً وقال: قد بَنَيْتُ لكم طائفاً حول بلدكم؛ فسُمِّيت الطائف. والله أعلم[4].

الثانية: قال بعض العلماء: على من حصد زَرْعاً أو جَدَّ ثمرةً أن يواسيَ منها مَنْ حضره، وذلك معنى قوله: ﴿وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١]، وأنه غير الزكاة على ما تقدّم في «الأنعام» بيانه[5]. وقال بعضهم: وعليه ترك ما أخطأه الحصّادون. وكان بعض العبّاد يتحرّون أقواتَهم من هذا. وروي أنه نُهِيَ عن الحصاد بالليل[6]. فقيل: إنه لِما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرفق. وتأوّل من قال هذا

(١) الحَمْأة: الطين الأسود المنتن. اللسان (حمأ).

(٢) في هذا الكلام نظر، وليس فيه ما يصح.

(٣) الصَّدِف: مِخلاف (وهي الناحية أو المحافظة في الاصطلاح الحديث) من اليمن منسوب إلى القبيلة. معجم البلدان ٣/ ٣٩٧.

(٤) التعريف والإعلام ص١٧٤ - ١٧٥.

(٥) ٩/ ٥٣.

(٦) أخرجه البزار (٨٨٤) (كشف الأستار) عن عائشة رضي الله عنها، وقال: لا نعلمه عن عائشة إلا من هذا الوجه، وعنبسة حدّث بأحاديث لم يتابع عليها، وهو لين الحديث. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ٧٧: فيه عنبسة بن سعيد البصري، وهو ضعيف، وقد وثق.

وأخرجه أبو داود في المراسيل (١٢٨)، والبيهقي ٩/ ٢٨٩ - ٢٩٠ عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين مرسلاً.

الآيَةَ التي في سورة ن وَالقَلِمِ. وقيل: إنَّما نهى عن ذلك خشيةَ الحيّات وهوامّ الأرض[١].

قلت: الأوّل أصح، والثاني حسن. وإنما قلنا: الأول أصح؛ لأنَّ العقوبة كانت بسبب ما أرادوه من منع المساكين كما ذكر الله تعالى.

روى أسباط عن السُّدِّيّ قال: كان قوم باليمن، وكان أبوهم رجلاً صالحاً وله جنة[٢]، وكان إذا بلغ ثمارُه أتاه المساكين، فلم يمنعهم من دخولها وأن يأكلوا منها ويتزوّدوا، فلما مات قال بَنُوه بعضهم لبعض: عَلَامَ نُعطي أموالَنا هؤلاء المساكين! تعالَوْا فلْنُدْلج[٣] فنصْرمنّها قبل أن يعلم المساكين. ولم يستثنوا، فانطلقوا وبعضُهم يقول لبعض خَفْتاً[٤]: لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَقْسَمُواْ﴾ يعني حلفوا فيما بينهم: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ يعني ليجذّنّها وقت الصبح قبل أن تخرج المساكينُ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ يعني لم يقولوا: إن شاء الله[٥].

وقال ابن عباس: كانت تلك الجنةُ دون صنعاء بفرسخين، غرسها رجلٌ من أهل الصَّلاح وكان له ثلاثة بنين، وكان للمساكين كلُّ ما تعدَّاه الْمِنجَل فلم يجذّه من الكَرْم، فإذا طُرح على البساط فكلُّ شيء سقط عن البساط فهو أيضاً للمساكين، فإذا حصدوا زرعَهم فكلُّ شيء تعدّاه المِنجَل فهو للمساكين، فإذا دَرَسُوا[٦] كان لهم كل شيء انتثر؛ فكان أبوهم يتصدّق منها على المساكين، وكان يعيش في ذلك في حياة أبيهم اليتامى والأراملُ والمساكينُ، فلما مات أبوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم، فقالوا:

---

(١) ينظر غريب الحديث لأبي عبيد ٣/ ٧.

(٢) قوله: وله جنة، من (ظ).

(٣) أدلج القوم: إذا ساروا من أول الليل الصحاح (دلج).

(٤) الخَفْت: إسرار المنطق. الصحاح (خفت).

(٥) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٣ - ٣٩٤.

(٦) درسوا الحنطة دِراساً: أي داسوها. الصحاح (درس).

قلّ المالُ وكثر العيال، فتحالفوا بينهم ليغدُوُنَّ غُدوة قبل خروج الناس، ثم لَيَصْرِمنّها ولا تعرف المساكين[١].

وهو قوله: «إذْ أَقْسَمُوا» أي: حلفوا «لَيَصْرِمُنَّها»: ليقطعُنَّ ثمرَ نخيلهم إذا أصبحوا بسُدْفة[٢] من الليل؛ لئلا ينتبه المساكين لهم. والصرم: القطع. يقال: صرم العِذق عن النخلة. وأصرم النخلُ، أي: حان وقت صِرامه[٣]. مثل: أرْكَبَ المُهرُ، وأحصدَ الزرعُ، أي: حان ركوبه وحَصاده.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: ولم يقولوا إن شاء الله. ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾: ينادي بعضُهم بعضاً[٤]. ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: عازمين على الصّرام والجِداد[٥]. قال قتادة: حاصدين زرعَكم. وقال الكلبيّ: ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل.

وقال مجاهد: كان حرثُهم عِنَباً ولم يقولوا: إن شاء الله. وقال أبو صالح: كان استثناؤهم قولهم: سبحان الله رَبّنا. وقيل: معنى «وَلَا يَسْتَثْنُونَ» أي: لا يستثنون حقَّ المساكين. قاله عكرمة[٦]. فجاؤوها ليلاً فرأوا الجنة مسودّةً قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. قيل: الطائف جبريل عليه السلام؛ على ما تقدّم ذكره[٧].

وقال ابن عباس: أمْرٌ من ربك. وقال قتادة: عذاب من ربّك. ابن جريج: عُنُق من نار[٨] خرج من وادي جهنم. والطائف لا يكون إلا بالليل. قاله الفرّاء[٩].

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩ .

(٢) السدفة: الظلمة، والضوء. وهو من الأضداد. الصحاح (سدف).

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ بنحوه.

(٤) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٤ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٦٨ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٦٧ - ٦٨ .

(٧) في المسألة الأولى.

(٨) أي: قطعة من النار. اللسان (عنق).

(٩) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٧ وما قبله منه، ووقع في النكت والعيون (من وادي جنتهم) بدل (من وادي جهنم).

الثالثة: قلت: في هذه الآية دليلٌ على أنَّ العزم مما يؤاخذ به الإنسان؛ لأنَّهم عزموا على أن يفعلوا، فعوقبوا قبل فعلهم. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

وفي الصحيح[١] عن النبيّ ﷺ قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتلُ والمقتول في النار»: قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بالُ المقتولِ؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه». وقد مضى مبيَّناً في سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [الآية: ١٣٥][٢].

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي: كالليل المظلم؛ عن ابن عباس[٣] والفرّاء[٤] وغيرهما. قال الشاعر:

تطاول لَيْلُك الجَوْنُ الْبَهِيمُ فما ينجابُ عن صبح صريمُ[٥]

أي: احترقت فصارت كالليل الأسود[٦]. وعن ابن عباس أيضاً: كالرَّماد الأسود[٧]. قال: والصَّرِيم: الرماد الأسود بلغة خُزَيمة[٨]. الثوريّ: كالزرع المحصود.

---

(١) صحيح البخاري (٣١)، وصحيح مسلم (٢٨٨٨)، وسلف ٥/ ٣٣١.

(٢) ٥/ ٣٣١.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٤.

(٤) في معاني القرآن له ٣/ ١٧٥، ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٦/ ٦٨.

(٥) في النسخ: بهيم، بدل: صريم، والمثبت من تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٤، والنكت والعيون ٦/ ٦٨. الجون: الأسود المشرب حمرة. اللسان (جون).

(٦) تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦.

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

فالصريم بمعنى المصروم، أي: المقطوع ما فيه. وقال الحسن: صُرِم عنها الخير، أي: قطع، فالصريم مفعول أيضاً[١]. وقال المؤرّج: أي: كالرملة انصرمت من معظم الرمل، يقال: صريمة وصرائم؛ فالرّملة لا تُنبت شيئاً يُنتفع به[٢]. وقال الأخفش: أي: كالصبح انصرم من الليل[٣]. وقال المبرد[٤]: أي: كالنهار؛ فلا شيء فيها.

قال شَمِر: الصَّرِيم: الليل، والصَّرِيم: النهار، أي: ينصرم هذا عن ذاك، وذاك عن هذا [٥].

وقيل: سُمّيَ الليل صَرِيماً؛ لأنَّه يقطع بظلمته عن التصرف، ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل[٦].

قال القُشَيْرِيّ: وفي هذا نظر؛ لأنَّ النهار يسمَّى صَرِيماً، ولا يقطع عن تصرّف.

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ أي: يتسارّون، أي: يُخفون كلامهم ويسرُّونه؛ لئلا يَعلم بهم أحد. قاله عطاء وقتادة[٧]. وهو من خَفَت يَخْفِت: إذا سكن[٨] ولم يبيّن. كما قال دُرَيد بن الصِّمَّة:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٨.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٨ دون نسبة.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩.

(٤) في الكامل ١/ ٣٠٥.

(٥) تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٨.

(٧) النكت والعيون ٦/ ٦٨.

(٨) الصحاح (خفت).

وإنّـيَ لـم أهْـلِـكْ سُـلالاً ولـم أمُـتْ خُـفَـاتـاً وكُـلاّ ظَـنّـه بـيَ عُـوَّدِي[١]

وقيل: يخفون أنفسهم من الناس حتى لا يروهم[٢]. وكان أبوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضروا وقت الحصاد والصِّرام[٣].

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قَصْد وقدرة في أنفسهم ويظنون أنهم تمكنوا من مرادهم. قال معناه ابن عباس وغيره.

والحَرْد: القصدُ. حَرَد يَحْرِد ـ بالكسر ـ حَرْداً: قَصَد. تقول: حَرَدْتُ حَرْدَك، أي: قصدتُ قصدَك. ومنه قول الراجز:

أقـبـل سَـيْـلٌ جـاء مـن عـنـد الـلـهْ يَـحْـرِدُ حَـرْدَ الـجـنَّـة الـمُـغِـلَّـهْ[٤]

أنشده النحاس:

قـد جـاء سـيـلٌ جـاء مـن أمـر الـلـهْ يَـحْـرِدُ حَـرْدَ الـجـنَّـة الـمُـغِـلَّـهْ

قال المبرِّد: المُغِلّة: ذات الغَلّة. وقال غيره: المُغِلّة: التي يجري الماء في غَلَلها؛ أي: في أصولها. ومنه: تغلّلت بالغالية. ومنه تغلّيت، أبدل من اللام ياء. ومن قال: تَغَلّفْت؛ فمعناه عنده: جعلتها غِلافاً[٥].

وقال قتادة ومجاهد: «عَلَى حَرْدٍ» أي: على جِدّ. الحسن: على حاجة وفاقة[٦].

وقال أبو عبيدة والقُتَيبِيّ: على حَرْد: على منع[٧]؛ من قولهم: حَارَدَتِ الإبلُ

---

(١) ديوان دريد بن الصمة ص٤٥ ، وفيه: لم أهلك خفاتاً.
مات خفاتاً: مات فجأة، السُّلال: السّلّ .

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٨ .

(٣) تفسير الرازي ٣٠/ ٨٧ .

(٤) الصحاح (حرد)، وسلف ٦/ ٣٠ .

(٥) من قوله: قال المبرد، إلى هذا الموضع، ليس في (ظ).

(٦) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٧٦ - ١٧٨ .

(٧) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥ ، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩ ، ونقله المصنف عنهما بواسطة تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠ .

جِراداً، أي: قلّت ألبانُها. والحَرُود من النُّوق: القليلة الدَّرّ. وحارَدتِ السَّنَةُ: قلّ مطرها وخيرها[١]. وقال السدّي وسفيان: «عَلَى حَرْدٍ»: على غضب[٢].

والحَرْد: الغضب. قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي: وهو مخفف، وأنشد شعراً:

إذا جيادُ الخيلِ جاءت تَرْدِي مملوءةً من غَضَبٍ وحَرْدِ[٣]

وقال ابن السِّكِّيت: وقد يحرّك، تقول منه: حَرِد ـ بالكسر ـ حَرَداً، فهو حارد وحَرْدان. ومنه قيل: أَسَدٌ حارِدٌ، ولُيُوثٌ حَوارد. وقيل: «عَلَى حَرْدٍ»: على انفراد. يقال: حَرَد يَحْرِد حُرُوداً، أي: تنحَّى عن قومه ونزل منفرداً ولم يخالطْهم. وقال أبو زيد: رجل حرِيد من قوم حُرَدَاء. وقد حَرَد يَحْرِد حُروداً: إذا ترك قومَه وتحوّل عنهم. وكوكبٌ حَرِيد، أي: معتزلٌ عن الكواكب[٤].

قال الأصمعي: رجل حَرِيد، أي: فريدٌ وحيدٌ. قال: والمُنْحرد: المنفرد في لغة هُذَيل. وأنشد لأبي ذؤيب:

كأنه كوكبٌ في الجَوّ مُنْحَرِدُ[٥]

ورواه أبو عمرو بالجيم، وفسّره: منفردٌ. قال: وهو سُهَيْلٌ[٦].

(١) الصحاح (حرد).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٣٨ عن الشعبي وسفيان، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٩ عن السدي.

(٣) الرجز لقبيصة بن النصراني كما في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٦٢٤ ، وهو في مجمع الأمثال ١/ ١٤٤ دون نسبة. قال المرزوقي: تردي: الرَّدَيان ضرب من المشي، والمعنى إذا جاءت الخيل العِتاق قد حميت ونشطت فامتلأت عضباً، وصار مشيها رَدَياناً.

(٤) الصحاح (حرد).

(٥) عجز بيت صدره: من وَحْشِ حَوْضَى يُراعي الصيد مبتقلا. وهو في ديوان الهذليين ص١٢٦ وروايته: منجرد، بدل: منحرد. والبيت أيضاً في المعاني الكبير ٢/ ٧٦١ .

(٦) الصحاح (حرد).

وقال الأزهريّ[١]: حَرْد اسم قريتهم.

السُّدي: اسم جنتهم، وفيه لغتان: حَرْدٌ وحَرَد[٢]. وقرأ العامة بالإسكان. وقرأ أبو العالية وابن السَّمَيْفَع بالفتح، وهما لغتان[٣]. ومعنى «قَادِرِين»: قد قدّروا أمرهم وبَنَوْا عليه. قاله الفرّاء[٤].

وقال قتادة: قادرين على جنتهم عند أنفسهم. وقال الشعبيّ: «قَادِرِينَ» يعني على المساكين. وقيل: معناه من الوجود، أي: مَنعوا وهم واجدون[٥].

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: لما رأوها محترقةً لاشيء فيها قد صارت كالليل الأسود ينظرون إليها كالرماد، أنكروها وشَكُّوا فيها. وقال بعضهم لبعض: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: ضللنا الطريق إلى جَنَّتِنَا. قاله قتادة[٦]. وقيل: أي: إنا لضالُّون عن الصواب في غدوّنا على نية منع المساكين؛ فلذلك عوقبنا. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي: حُرِمنا جنتنا بما صنعنا.

روى أسباط عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إياكُم والمعاصي، إنَّ العبدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ، فيُحْرَم به رزقاً كان هُيِّيءَ له. ثمَّ تلا: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ الآيتين[٧].

---

(١) في تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ .

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٣٦ - ٣٣٧ .

(٣) ذكر القراءة بالتحريك ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ دون نسبة.

(٤) نقله عنه بنحوه الأزهري في تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ .

(٥) زاد المسير ٨/ ٣٣٨ .

(٦) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣ ، وذكره ابن كثير ٨/ ١٩٦ وفي إسناده عمر بن صبح؛ قال ابن حبّان في المجروحين ٢/ ٨٨: كان ممن يضع الحديث على الثقات. وفي الباب عن ثوبان عند أحمد (٢٢٣٨٦) وإسناده ضعيف.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أمثلُهم وأعدلُهم وأعقلُهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أي: هلّا تستثنون. وكان استثناؤهم تسبيحاً. قاله مجاهد وغيره[١]. وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الأوسطَ كان أمرهم بالاستثناء فلم يطيعوه[٢].

قال أبو صالح: كان استثناؤهم سبحان الله. فقال لهم: هَلّا تسبحون الله، أي: تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما أعطاكم[٣].

قال النّحاس: أصل التسبيح التنزيهُ لله عزَّ وجلّ، فجعل مجاهدٌ التسبيح في موضع إن شاء الله؛ لأنَّ المعنى تنزيهُ الله عزَّ وجلَّ أن يكون شيء إلا بمشيئته[٤].

وقيل: هلّا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون إليه من خُبْث نيّتكم؛ كان[٥] أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك وذكّرهم انتقامَه من المجرمين[٦].

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ اعترفوا بالمعصية ونزّهوا الله عن أن يكون ظالماً فيما فعل[٧]. قال ابن عباس في قولهم: «سُبْحَانَ رَبِّنَا» أي: نستغفر الله من ذنبنا. ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا في منعنا المساكين.

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وتفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٢) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ٩٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٠٩، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٤٢٦.

(٥) في (م): فإن.

(٦) في الكشاف ٤/ ١٤٥ والكلام منه: كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين..

(٧) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يلوم هذا هذا في القَسَم ومنعِ المساكين، ويقول: بل أنت أشرتَ علينا بهذا[١]. ﴿قَالُوا يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ أي: عاصين بمنع حقِّ الفقراء وترك الاستثناء. وقال ابن كَيْسَان: طَغَيْنا نِعَمَ الله فلم نشكرها كما شكرها آباؤنا من قبل[٢].

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ﴾ تعاقدوا وقالوا: إن أبدلنا الله خيراً منها؛ لنصنعنّ كما صنعت آباؤنا، فدَعَوا الله وتضرَّعوا؛ فأبدلَهم الله من ليلتهم ما هو خير منها، وأمر جبريلَ أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزُغَر[٣] من أرض الشام، ويأخذَ من الشام جنة فيجعلها مكانها[٤].

وقال ابن مسعود: إنَّ القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقَهم، فأبدلهم جنة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغلُ منها عنقوداً واحداً. وقال اليمانيّ أبو خالد: دخلتُ تلك الجنةَ فرأيت كلَّ عنقود منها كالرجل الأسود القائم[٥].

وقال الحسن: قول أهل الجنة: «إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ» لا أدري إيماناً كان ذلك منهم، أو على حدّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؛ فيوقف في كونهم مؤمنين.

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة: أهم من أهل الجنَّة أم من أهل النَّار؟ فقال: لقد كلَّفْتني تعباً[٦]. والمعظم يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا. حكاه القشيريّ.

---

(١) زاد المسير ٨/ ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٠.

(٣) زُغر: قرية بمشارف الشام. اللسان (زغر).

(٤) ليس في هذا الكلام ما يصح.

(٥) مجمع البيان ٢٩/ ٣٠، وأثر ابن مسعود ذكره أيضاً في الكشاف ٤/ ١٤٥.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٥، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٠٩.

وقراءة العامة: «يُبْدِلَنَا» بالتخفيف. وقرأ أهل المدينة وأبو عمرو بالتشديد، وهما لغتان[(١)].

وقيل: التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعينُ الشيء قائم. والإبدال رفعُ الشيء ووضع آخرَ مكانَه[(٢)]. وقد مضى في سورة النساء القول في هذا[(٣)].

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: عذابُ الدنيا وهلاكُ الأموال. عن ابن زيد. وقيل: إنَّ هذا وَعْظٌ لأهل مكة بالرجوع إلى الله لما ابتلاهم بالجَدْب لدعاء النبيّ ﷺ[(٤)]؛ أي: كفِعْلنا بهم نفعل بمن تعدّى حدودنا في الدنيا[(٥)] ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ وقال ابن عباس: هذا مَثَلٌ لأهل مكةَ حين خرجوا إلى بَدْرٍ وحلفوا ليقتلنَّ محمداً ﷺ وأصحابَه، وليرجعنّ إلى مكة حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر، وتضربَ القَيْنات على رؤوسهم؛ فأخلف الله ظنَّهم وأُسِرُوا وقُتلوا وانهزموا كأهل هذه الجنة لما خرجوا عازمين على الصِّرَام فخابوا[(٦)].

ثم قيل: إنَّ الحقَّ الذي منعه أهلُ الجنة المساكين يحتمل أنه كان واجباً عليهم، ويحتمل أنه كان تطوعاً، والأول أظهر، والله أعلم.

وقيل: السورة مَكّية؛ فَبَعُدَ حملُ الآية على ما أصاب أهلَ مكة من القَحْط، وعلى قتال بَدْر.

---

(١) قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف. السبعة ص ٣٩٧، والتيسير ص ١٤٥ والنشر ٢/ ٣١٤.

(٢) زاد المسير ٨/ ٣٣٩.

(٣) ٦/ ٤٢٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، والكشاف ٤/ ١٤٣، ودعاء النبي ﷺ على قريش سلف ١٩/ ١٠٧.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/ ٩١ بنحوه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ تقدم القول فيه، أي: إنَّ للمتقين في الآخرة جناتٍ ليس فيها إلا التنعّم الخالص، لا يشوبُه ما ينغّصُه كما يشوب جناتِ الدنيا[١].

وكان صناديدُ قريش يَرَوْن وفورَ حظّهم من الدنيا وقلّةَ حظوظ المسلمين منها، فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المؤمنين قالوا: إن صَحَّ أنّا نُبْعث كما يزعم محمدٌ ومن معه، لم يكن حالُنا وحالُهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يزيدوا علينا ولم يَفْضُلونا، وأقصى أمرِهم أن يُساوونا. فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كالكفار[٢].

وقال ابن عباس وغيره: قال كفار مكة: إنا نُعطى في الآخرة خيراً مما تُعْطَوْن؛ فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾[٣] ثم وبَّخهم فقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحُكْمَ الأعوج؛ كأنَّ أمر الجزاء مفوّضٌ إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم[٤] أنَّ لكم من الخير ما للمسلمين! ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: ألكم كتاب تجدون فيه المطيع كالعاصي؟!

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون وتشتهون[٥]. والمعنى: أنَّ لكم ـ بالفتح ـ ولكنه كسر لدخول اللام، تقول: علمت أنك عاقل؛ بالفتح، وعلمت إنَّك لعاقل؛ بالكسر.

---

(١) تفسير الرازي ٣٠/٩١.

(٢) الكشاف ٤/١٤٥ - ١٤٦.

(٣) تفسير البغوي ٤/٣٨١، وزاد المسير ٨/٣٣٩ بدون نسبة.

(٤) الكشاف ٤/١٤٦.

(٥) تفسير البغوي ٤/٣٨١، وزاد المسير ٨/٣٣٩.

فالعامل في «إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ»: «تَدْرُسُونَ» في المعنى، ومنعت اللامُ من فتح«إن»[١].

وقيل: تمَّ الكلامُ عند قوله: «تَدْرُسُونَ»، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: إنَّ لكم في هذا الكتاب إذاً ما تخيّرون، أي: ليس لكم ذلك. والكناية في «فيه» الأولى والثانية راجعة إلى الكتاب.

ثم زاد في التوبيخ فقال: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ أي: عهود ومواثيق[٢]. ﴿عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ مؤكَّدة. والبالغة المؤكّدة بالله تعالى[٣]. أي: أم لكم عهودٌ على الله تعالى استوثقتم بها في أن يدخلَكم الجنة.

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ كُسرت «إنَّ» لدخول اللام في الخبر[٤]. وهي من صلة «أيمان»، والموضع النصبُ ولكن كسرت لأجل اللام، تقول: حلفت إن لك لكذا.

وقيل: تمَّ الكلام عند قوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ثم قال: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ إذاً، أي: ليس الأمر كذلك.

وقرأ ابن هُرْمُز: «آئنّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تخيّرون»، «آئنّ[٥] لكم لَمَا تحكمون» بالاستفهام فيهما جميعاً[٥].

وقرأ الحسن البصري: «بالغةً» بالنصب على الحال[٦]؛ إما من الضمير في «لكم» لأنَّه خبر عن «أيمان» ففيه ضمير منه، وإما من الضمير في «علينا» إن قدّرت «علينا»

(١) قال الزمخشري في الكشاف ٤/١٤٦: الأصل: تدرسون أنَّ لكم ما تخيَّرون، بفتح أن؛ لأنه مدروس، فلما جاءت اللام كُسرت.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٧٠.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١.

(٥) المثبت من (خ)، وهو الموافق لما في القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٦٠ حيث قيَّدها بالمد.

(٦) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٥.

وصفاً للأيمان لا متعلقاً بنفس الأيمان؛ لأنَّ فيه ضميراً منه، كما يكون إذا كان خبراً عنه. ويجوز أن يكون حالاً من «أيمان» وإن كانت نكرة، كما أجازوا نصب «حَقّاً» على الحال من «متاع» في قوله تعالى: ﴿مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ﴾[١] [البقرة: ٢٤١].

وقرأ العامة: «بالغةٌ» بالرفع نعت لـ «أيمان»[٢].

قوله تعالى: ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: سلْ يا محمد هؤلاء المتقوّلين عليَّ: أيُّهم كفيلٌ بما تقدم ذكرُه، [وهو أنَّ لهم في الآخرة من الخير][٣] ما للمسلمين؟ والزعيم: الكفِيل والضّمين. قاله ابن عباس وقتادة[٤]. وقال ابن كيسان: الزعيم هنا القائم بالحجة والدعوى. وقال الحسن: الزعيم الرسول[٥].

﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ أي: ألهم، والميم صلة. «شُرَكَاء» أي: شهداء. ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ﴾ يشهدون على ما زعموا. ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواهم. وقيل: أي: فليأتوا بشركائهم إن أمكنهم؛ فهو أمر معناه التعجيز.

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ يجوز أن يكون العامل في ﴿يَوۡمَ﴾: ﴿فَلۡيَأۡتُواْ﴾

---

(١) المحتسب ٢/ ٣٢٥ - ٣٢٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١.

(٣) ما بين معكوفين زيادة يقتضيها السياق، وينظر زاد المسير ٨/ ٣٤٠.

(٤) زاد المسير ٨/ ٣٤٠، وأخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٨٦، وينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢١٠.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٠.

أي: فليأتوا بشركائهم يومَ يُكشف عن ساق، ليشفع الشركاءُ لهم. ويجوز أن ينتصب بإضمار فعل، أي: اذكر يوم يكشف عن ساق؛ فيوقف على «صَادِقِينَ». ولا يوقف عليه على التقدير الأول.

وقرىء: «يوم نكشف» بالنون[(١)]. «وقرأ» ابن عباس: «يوم تَكْشِفُ عن ساق»[(٢)] بتاء مسمَّى الفاعل، أي: تكشف الشدةُ أو القيامةُ عن ساقها، كقولهم: شَمّرت الحربُ عن ساقها. قال الشاعر:

فتى الحرب إن عضّتْ به الحربُ عَضَّها ... وإن شَمّرتْ عن ساقها الحربُ شَمّرا[(٣)]

وقال الراجز:

قد كشفتْ عن ساقها فشُدُّوا ... وجَدّت الحربُ بكم فَجِدُّوا[(٤)]

وقال آخر:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقها ... ومن طِرَاد الطيرِ عن أرزاقها
في سَنةٍ قد كَشَفَتْ عن ساقها ... حمراءَ تَبْري اللحمَ عن عُرَاقها[(٥)]

وقال آخر:

كشفتْ لهم عن ساقِها ... وبدا من الشَّرِّ الصُّرَاح[(٦)]

---

(١) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ لابن عباس.

(٢) المحتسب ٢/ ٣٢٦، وأخرجها الفراء في معاني القرآن له ٢/ ١٧٧.

(٣) البيت لحاتم الطائي كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٤٧، وهو في ديوانه ص٤٩ وروايتهما (أخو) بدل (فتى) ونسبه صاحب الحماسة البصرية ١/ ٧٨ لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص٦١. ونسبه صاحب العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ لحذيفة بن أنس.

(٤) الرجز في الكامل ٢/ ٤٩٤ دون نسبة.

(٥) الرجز لأعرابي كان يطرد الطير عن زرع في سنة جدْب كما في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٦٦-٦٧. وروايته (مِطْرادي) بدل (طراد)، قال ابن قتيبة العُرَاق: العظم.

(٦) البيت لسعد بن مالك كما في شرح ديوان الحماسة ٢/ ٥٠٢.

وعن ابن عباس أيضاً والحسن وأبي العالية: «تُكْشَفُ» بتاء غير مسمّى الفاعل[١]. وهذه القراءة راجعةٌ إلى معنى «يُكْشَف»، وكأنه قال: يوم تَكْشف القيامةُ عن شدَّة.

وقرىء: «يَوْمَ تُكْشِف» بالتاء المضمومة وكَسْر الشين؛ من أكشف: إذا دخل في الكشف، ومنه: أكشف الرجل فهو مُكشف[٢]: إذا انقلبت شَفَتُه العليا[٣].

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا أسامةُ بن زيد، عن عكرمةَ، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن كرب وشدّة. أخبرنا ابن جُريج عن مجاهد قال: شدّة الأمر وجِدّه. وقال مجاهد: قال ابن عباس: هي أشدُّ ساعةٍ في يوم القيامة[٤]. وقال أبو عبيدة[٥]: إذا اشتد الحربُ والأمرُ قيل: كشف الأمرُ عن ساقه

والأ[صـ]ـل فيه أنَّ من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجِدّ شَمّر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة[٦].

وقيل: ساقُ الشيء: أصلُه الذي به قِوامه، كساق الشجرة وساق الإنسان، أي: يومَ يُكشف عن أصل الأمر، فتظهر حقائقُ الأمور وأصلُها. وقيل: يُكشف عن ساق جهنم. وقيل: عن ساق العرش[٧]. وقيل: يريد وقتَ اقتراب الأجل وضعف البدن؛ أي: يَكشِفُ المريضُ عن ساقه ليُبْصِرَ ضعفَه، ويدعوه المؤذن إلى الصلاة فلا يمكنه أن يقوم ويخرج[٨].

فأما ما رُوِي أنَّ الله يكشف عن ساقه؛ فإنَّه عز وجل يتعالى عن الأعضاء

(١) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/ ٣٢٦ دون نسبة.
(٢) في (د) مكشوف، وفي (ظ) منكشف.
(٣) الكشاف ٤/ ١٤٧ .
(٤) الزهد (٣٦١ - ٣٦٢) زوائد نعيم.
(٥) في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦ .
(٦) تأويل مشكل القرآن ص١٠٣ .
(٧) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٥ .
(٨) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٥ بنحوه.

والتبعيض وأن يكشف ويتغطى. ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره. وقيل: يكشف عن نوره عزَّ وجلَّ[١].

وروى أبو موسى عن النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿عَن سَاقٍ﴾ قال: «يُكشفُ عن نورٍ عظيم يخرُّون له سجداً»[٢].

وقال أبو الليث السَّمَرْقَنْدِيّ في تفسيره[٣]: حدّثنا الخليل بن أحمد قال: حدّثنا ابنُ مَنِيع قال: حدّثنا هُدْبة قال: حدّثنا حمَّاد بنُ سَلَمة، عن علي[٤] بنِ زيد، عن عمارةَ القرشي، عن أبي بُردة بن[٥] أبي موسى، قال: حدّثني أبي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يومُ القيامة، مُثِّلَ لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا، فيذهب كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون، ويبقى أهلُ التوحيد فيقال لهم: ما تنتظرون وقد ذهب الناس؟ فيقولون: إنَّ لنا ربًّا كنا نعبده في الدنيا ولم نره. قال: وتعرفونه إذا رأيتموه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ قالوا: إنَّه لا شبيه له. فيُكشفُ لهم الحجابُ، فينظرون إلى الله تعالى، فيخرُّون له سُجَّداً، وتبقى أقوامٌ ظهورُهم مثل صَيَاصِي[٦] البقر، فينظرون إلى الله تعالى، فيريدون السجود فلا يستطيعون، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ فيقول الله تعالى: «عبادي ارفعوا رؤوسَكم؛ فقد جعلت بدلَ كلِّ رجلٍ منكم رجلاً من

(١) ما ثبت وصح من نصوص الصفات الخبرية لله عز وجل يجب إثباتها له تعالى بلا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٧٢٨٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٥٢) عن روح بن جناح، عن مولى عمر بن عبد العزيز، عن أبي بردة، عن أبي موسى مرفوعاً. قال البيهقي: تفرد به روح بن جناح، وهو شامي يأتي بأحاديث منكرة لا يتابع عليها والله أعلم، وموالي عمر بن عبد العزيز فيهم كثرة.

(٣) ٣/ ٣٩٥.

(٤) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: عدي، وهو خطأ.

(٥) في النسخ: عن، وهو خطأ.

(٦) صياصي البقر: قرونها. النهاية (صيص).

اليهود والنصارى في النار». قال أبو بردة: فحدثت بهذا الحديث عمرَ بن عبد العزيز فقال: آللهِ الذي لا إله إلا هو، لقد حَدَّثك أبوك بهذا الحديث؟ فحلف له ثلاثةَ أيمان؛ فقال عمر: ما سمعت في أهل التوحيد حديثاً هو أحبُّ إليَّ من هذا(١).

وقال قيس بن السَّكَن(٢): حَدّث عبد الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال: إذا كان يوم القيامة، قام الناس لربِّ العالمين أربعين عاماً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء، حُفاةً عُراةً يُلْجمهم العرق، فلا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم أربعين عاماً، ثم ينادي منادٍ: أيها الناس، أليس عدلاً من ربكم الذي خلقكم وصوّركم وأماتكم وأحياكم ثمَّ عبدتم غيره أن يُوَلِّيَ كلَّ قوم ما تولَّوْا؟ قالوا: نعم. قال: فيرفع لكلٍّ قوم ما كانوا يعبدون من دون الله، فيتبعونها حتى تقذفَهم في النار، فيبقى المسلمون والمنافقون فيقال لهم: ألا تذهبون قد ذهب الناس؟ فيقولون: حتى يأتينا ربُّنا، فيقال لهم: أوَ تعرفونه؟ فيقولون: إن اعترف لنا عَرَفناه. قال: فعند ذلك يكشف عن ساق ويتجلّى لهم فيخرّ من كان يعبده مخلصاً ساجداً، ويبقى المنافقون لا يستطيعون كأنّ في ظهورهم السفافيد(٣)، فيُذْهَب بهم إلى النار، ويدخل هؤلاء الجنة؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾(٤).

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي: ذليلةً متواضعةً، ونصبُها على الحال. ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسَهم ووجوهُهم أشدُّ بياضاً من الثلج. وتسودّ وجوه المنافقين والكافرين(٥) حتى ترجع أشدَّ سواداً من القار.

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٥، والوسيط ٤/ ٣٤٠ - ٣٤١، وأخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٣/ ٣٣٤، وعلي بن زيد ـ وهو ابن جُدعان ـ وعُمارة القرشي: ضعيفان. ميزان الاعتدال ٣/ ١٢٧ و١٧٨.

(٢) هو الأسدي الكوفي، أخو بني سُواءة، قال يحيى بن معين: ثقة، قال أبو حاتم: توفي زمن مصعب بن الزبير. تهذيب الكمال ٦/ ١٣٨.

(٣) السفافيد: ـ جمع السَّفُّود ـ الحديدة التي يُشوى بها اللحم. الصحاح (سفد).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٩٠ - ١٩١.

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٣.

قلت: معنى حديث أبي موسى وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدريّ وغيره[١].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ أي: في الدنيا[٢]. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ مُعَافَوْن أصحّاء. قال إبراهيم التَّيْميّ: أي: يُدعون بالأذان والإقامة فيأبَوْنه. وقال سعيد بن جُبَير: كانوا يسمعون: حيَّ على الفلاح، فلا يجيبون. وقال كعب الأحبار: والله ما نزلت هذه الآيةُ إلا في الذين يتخلّفون عن الجماعات[٣]. وقيل: أي: بالتكليف المُوَجَّه عليهم في الشرع، والمعنى متقارب. وقد مضى في سورة البقرة الكلام في وجوب صلاة الجماعة[٤].

وكان الربيع بن خَيْثم قد فُلِجَ، وكان يُهَادَى[٥] بين الرجلين إلى المسجد؛ فقيل: يا أبا يزيد، لو صلّيتَ في بيتك لكانت لك رخصة. فقال: من سمع حيّ على الفلاح؛ فلْيُجِبْ ولو حبْواً. وقيل لسعيد بن المسيّب: إنَّ طارقاً يريد قتلك فتغيّب. فقال: أبحيث لا يَقْدِر الله عليّ؟ فقيل له: اجلس في بيتك. فقال: أسمع حيّ على الفلاح، فلا أجيب[٦]!

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَذَرْنِى﴾ أي: دَعْنِي. ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ «مَنْ» مفعول معه أو معطوف

(١) صحيح مسلم (١٨٣) (٣٠٢)، وهو في صحيح البخاري (٤٥٨١)، ومسند أحمد (١١١٢٧) مطولاً عن أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥ .

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٣ .

(٤) ٢/ ٣٠ فما بعدها.

(٥) يهادى بين الرجلين: أي: يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله. النهاية (هدا).

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ .

على ضمير المتكلم[١]. ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ يعني القرآنَ. قاله السدّيّ. وقيل: يوم القيامة[٢]. وهذا تسليةٌ للنبيّ ﷺ، أي: فأنا أجازيهم وأنتقم منهم.

ثم قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: سنأخذهم على غفلة وهم لا يعرفون، فعُذّبوا يوم بَدْر[٣].

وقال سفيان الثَّوْريّ: نُسبغ عليهم النعمَ ونُنسيهم الشكرَ. وقال الحسن: كم مستدرَجٍ بالإحسان إليه، وكم مفتونٍ بالثناء عليه، وكم مغرورٍ بالسّتر عليه[٤].

وقال أبو رَوْق: أي: كلّما أحدثوا خطيئةً جدّدنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار[٥].

وقال ابن عباس: سنمكر بهم[٦]. وقيل: هو أن نأخذَهم قليلاً ولا نباغتهم[٧].

وفي حديث: «أنَّ رجلاً من بني إسرائيل قال: يا ربّ، كم أعصيك وأنت لا تعاقبني قال: فأوحى الله إلى نبيّ زمانِهم أن قل له: كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر؛ إنَّ جمود عينيك وقَسَاوَةَ قلبك استدراجٌ منّي وعقوبةٌ لو عقَلَت»[٨].

والاستدراج: ترك المعاجلة. وأصله: النقلُ من حالٍ إلى حالٍ كالتدرّج. ومنه قيل: درجة؛ وهي منزلة بعد منزلة[٩]. واستدرج فلان فلاناً، أي: استخرج ما عنده قليلاً. ويقال: درّجه إلى كذا واستدرجه بمعنىً: أدناه منه على التدريج، فتدرّج هو.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٢.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣.

(٥) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٦.

(٦) نسبه البغوي في تفسيره ٢/ ٢١٨ لعطاء في تفسير الآية (١٨٢) من سورة الأعراف.

(٧) تهذيب اللغة ١٠/ ٦٤٢.

(٨) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٠/ ١٦٨ عن عبد الله بن خبيق بنحوه.

(٩) النكت والعيون ٦/ ٧٢.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أي: أمهلُهم وأطيلُ لهم المدّة[١]. والملاوة: المُدة من الدهر. وأملى الله له، أي: أطال له. والملَوان: الليل والنهار. وقيل: «وأُمْلِي لَهُمْ» أي: لا أعاجلهم بالموت[٢]؛ والمعنى واحد. وقد مضى في «الأعراف» بيان هذا[٣].

﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ أي: إنَّ عذابي لقويّ شديد، فلا يفوتني أحد[٤].

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾

عاد الكلام إلى ما تقدّم من قوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ». أي: أم تلتمس منهم ثواباً على ما تدعوهم إليه من الإيمان بالله؟ فهم من غرامةِ ذلك مُثْقَلون لِما يشقّ عليهم من بذل المال، أي: ليس عليهم كُلْفة، بل يستولون بمتابعتك على خزائن الأرض ويَصِلون إلى جنات النعيم.

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: علمُ ما غاب عنهم ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ وقيل: أينزل عليهم الوَحْيُ بهذا الذي يقولون. وعن ابن عباس: الغيب هنا اللوحُ المحفوظ، فهم يكتبون مما فيه يخاصمونك به، ويكتبون أنّهم أفضلُ منكم، وأنّهم لا يعاقبون! وقيل: «يَكْتُبُونَ»: يحكمون لأنفسهم بما يريدون!

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: لقضاء ربّك[٥]. والحُكْم هنا القضاء. وقيل: فاصبر على ما حَكَم به عليك ربُّك من تبليغ الرسالة[٦]. وقال ابن بحر: فاصبرْ لنصر

---

(١) تفسير البغوي ٢/٢١٨ في تفسير الآية (١٨٣) من سورة الأعراف.

(٢) تفسير الرازي ٣٠/٩٧.

(٣) ٩/٣٩٨.

(٤) بعدها في (ظ) زيادة: ممن عصاني والله هو الحليم.

(٥) النكت والعيون ٦/٧٣.

(٦) تفسير الرازي ٣٠/٩٨.

ربك[١]. قال قتادة: أي: لا تعجلْ ولا تغاضبْ؛ فلا بدّ من نصرك[٢]. وقيل إنَّه منسوخ بآية السيف[٣]. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ يعني يونسَ عليه السلام. أي: لا تكنْ مثلَه في الغضب والضَّجَر والعَجَلة[٤].

وقال قتادة: إنَّ الله تعالى يُعَزِّي نبيَّه ﷺ ويأمره بالصبر، ولا يعجَل كما عَجِل صاحبُ الحُوت[٥]. وقد مضى خبرُه في سورة يونس، والأنبياء، والصافات[٦]، والفرقُ بين إضافة ذي وصاحب في سورة يونس والأنبياء[٧]، فلا معنى للإعادة.

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: حين دعا في بطن الحوت فقال: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]. ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي: مملوء غَمّاً. وقيل: كرباً. الأوّل قول ابنِ عباس ومجاهد. والثاني قول عطاء وأبي مالك. قال الماورديّ[٨]: والفرق بينهما أنَّ الغمَّ في القلب، والكربَ في الأنفاس. وقيل: مكظوم محبوس. والكَظْم الحبس، ومنه قولُهم: فلان كَظَم غيظَه، أي: حبس غضبه. قاله ابن بحر.

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٧٣.

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٠٠.

(٣) الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص٥٣.

(٤) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣.

(٦) ١١/ ٥٤ - ٥٥، ١٤/ ٢٦٦ فما بعدها، ١٨/ ٨٧.

(٧) لفظة «والأنبياء» من (ظ)، وينظر ما سلف من سورة الأنبياء ١٤/ ٢٦٦ عند قول المصنف: وذا النون وهو لقب يونس بن متّى، و١٤/ ٢٦٧ عند قول المصنف: ولم يحمل أثقال النبوة ولهذا قيل للنبي ﷺ ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾.

قال في التعريف والإعلام ص١١٣ - ١١٤: بين اللفظتين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال: ذا النون، ولم يقل: صاحب، والإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك: ذو يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع.

(٨) في النكت والعيون ٦/ ٧٣ وما قبله منه.

وقيل: إنَّه المأخوذُ بكظمه، وهو مجرى النفس. قاله المبرّد. وقد مضى هذا وغيرُه في «يوسف»[(١)].

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قراءة العامة: «تَدَارَكَهُ». وقرأ ابن هُرْمُز والحسن: «تَدَّاركه» بتشديد الدال[(٢)]؛ وهو مضارع أُدغمتِ التاءُ منه في الدال. وهو على تقدير حكاية الحال، كأنه قال: لولا أن كان يقال فيه تتداركه نعمة. ابن عباس وابن مسعود: «تداركته» وهو خلاف المرسوم[(٣)].

و«تَدَارَكَهُ» فعلٌ ماضٍ مذكّر حُمل على معنى النعمة؛ لأنَّ تأنيثَ النعمة غيرُ حقيقي. و«تداركته» على لفظها[(٤)].

واختلِف في معنى النعمة هنا؛ فقيل النُّبوة. قاله الضحاك. وقيل: عبادته التي سلفت. قاله ابن جُبير. وقيل: نداؤه ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. قاله ابن زيد. وقيل: نعمة الله عليه إخراجُه من بطن الحوت. قاله ابن بحر[(٥)]. وقيل: أي: رحمَة من ربه، فَرَحِمه وتاب عليه[(٦)].

﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لَنُبِذ مذموماً ولكنه نُبذ سقيماً غير مذموم[(٧)]. ومعنى

---

(١) ١١/ ٤٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وقراءة ابن هرمز ـ وهو الأعرج ـ والحسن في القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٦.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤ بنحوه، وقراءة ابن عباس وابن مسعود ﵄ في القراءات الشاذة ص١٦٠ ووقع في مطبوعه «تداركنه» وهو خطأ.

(٤) البيان لابن الأنباري ٢/ ٤٥٥.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٣.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وزاد المسير ٨/ ٣٤٣.

(٧) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٦.

«مَذْمُومٌ» في قول ابن عباس: مُلِيم[١]. قال بكر بن عبد الله: مذنب[٢]. وقيل: «مذموم»: مُبْعَدٌ من كلّ خير.

والعَرَاء: الأرض الواسعة الفضاء التي ليس فيها جبلٌ ولا شجرٌ يستُر[٣]. وقيل: لولا فضل الله عليه، لبقيَ في بطن الحوت إلى يوم القيامة، ثُمَّ نُبذ بعراء القيامة مذموماً. يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤] [الصافات:١٤٣-١٤٤].

﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اصطفاه واختاره[٥]. ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ قال ابن عباس: ردّ الله إليه الوَحْي، وشفّعه في نفسه وفي قومه[٦]، وقبِل توبتَه، وجعله من الصالحين؛ بأن أرسله إلى مئة ألف أو يزيدون.

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ «إنْ» هي المخففة من الثقيلة[٧]. ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ أي: يعتانونك. ﴿بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أخبر بشدّة عداوتهم النبيَّ ﷺ، وأرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قومٌ من قريش وقالوا: ما رأينا مثلَه ولا مثلَ حُجَجِه. وقيل: كانت العينُ في بني أسد، حتى إنَّ البقرةَ السمينةَ أو الناقةَ السمينةَ تمرُّ بأحدهم فيعاينها ثم يقول: يا جارية، خذي المِكْتَلَ[٨] والدرهمَ فأْتينا بلحم هذه الناقة، فما تبرحُ حتى تقعَ للموت فتُنْحر.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ٢٠١.
(٢) النكت والعيون ٦/ ٧٤.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، والوجيز للواحدي ـ على هامش مراح لبيد ـ ٢/ ٣٩٦ بنحوه..
(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٩.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.
(٦) الكشاف ٤/ ١٤٨.
(٧) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٢.
(٨) المِكْتَل: هو الزبيل ـ الوعاء ـ الذي يحمل فيه التمر أو العنب. اللسان (زبل)، (كتل).

وقال الكلبي: كان رجلٌ من العرب يمكث لا يأكل شيئاً يومين أو ثلاثة، ثمَّ يرفع جانبَ الخِباء، فتمرّ به الإبلُ أو الغنمُ فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه! فما تذهب إلا قليلاً حتى تسقطَ منها طائفةٌ هالكةٌ. فسأل الكفار هذا الرجلَ أن يصيبَ لهم النبيَّ ﷺ بالعين فأجابهم[١] فلما مرّ النبيُّ ﷺ أنشد:

قد كان قومُك يحسبونك سيّداً وإخال أنَّك سيّدٌ مَعْيُونُ[٢]

فعصَم الله نبيَّه ﷺ، ونزلت: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ﴾[٣].

وذكر نحوه الماوردي[٤]، وأنَّ العربَ كانت إذا أراد أحدُهم أن يصيب أحداً بعين[٥] في نفسه وماله، تجوّع ثلاثة أيام، ثم يتعرَّض لنفسه وماله فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجعَ ولا أكثرَ [مالاً] منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو ومالُه؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال القُشَيْرِي: وفي هذا نظر؛ لأنَّ الإصابةَ بالعين إنَّما تكون مع الاستحسان والإعجاب، لا مع الكراهية والبغض، ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ أي: ينسِبونَك إلى الجنون إذا رأوك تقرأ القرآن[٦].

قلت: أقوال المفسرين واللغوِيّين تدلّ على ما ذكرنا، وأنَّ مرادَهم بالنظر إليه قَتْلُه. ولا يمنع كراهةُ الشيء من أن يصاب بالعين عداوة حتى يهلك.

وقرأ ابن عباس وابن مسعود والأعمش وأبو وائل ومجاهد: «ليزهقونك»[٧] أي:

---

(١) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧١ - ٤٧٢.

(٢) البيت لعباس بن مرداس كما في الحيوان للجاحظ ٢/ ١٤٢، والحماسة البصرية ١/ ١٠.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤، وأسباب النزول للواحدي ص٤٧٢.

(٤) في النكت والعيون ٦/ ٧٤ وما سيرد بين حاصرتين منه.

(٥) في النسخ عدا (ظ) يعني، والمثبت موافق لما في النكت والعيون والكلام منه.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٥.

(٧) هي عن ابن عباس وابن مسعود في القراءات الشاذة ص١٦٠.

ليهلكونك. وهذه قراءة على التفسير؛ من زَهَقتْ نفسه وأَزْهقَها.

وقرأ أهل المدينة: «لَيَزْلِقُونَكَ» بفتح الياء. وضمها الباقون[١]، وهما لغتان بمعنىً، يقال: زَلَقه يَزْلِقه وأزلقه يُزلقه إزلاقاً: إذا نَحّاه وأبعده[٢].

وزَلَق رأسه يَزْلِقه زلقاً: إذا حلقه، وكذلك أَزْلَقه وزَلَّقه تزليقاً، ورجل زَلِق وزُمَلِق ـ مثال هُدَبِد[٣] ـ وزَمَالق وزُمّلِق ـ بتشديد الميم ـ وهو الذي يُنزِل قبل أن يجامع. حكاه الجوهري[٤] وغيره. فمعنى الكلمة إذاً التنحية والإزالة، وذلك لا يكون في حقِّ النبيِّ ﷺ إلا بهلاكه وموته. قال الهَرَوِيّ: أراد لَيعتانونك بعيونهم، فيزيلونك عن مقامك الذي أقامك الله فيه؛ عداوةً لك.

وقال ابن عباس: ينفذونك بأبصارهم، يقال: زَلَق السهمُ وزَهَق: إذا نفذ[٥]. وهو قول مجاهد. أي: يَنْفذونك من شدّة نظرهم[٦]. وقال الكلبي: يَصْرَعونك[٧]. وعنه أيضاً والسُّدِّي وسعيد بن جُبَير: يصرفونك عمّا أنت عليه من تبليغ الرسالة[٨]. وقال العَوْفيّ: يَرْمُونك. وقال المُؤَرِّج: يُزيلونك. وقال النَّضْر بن شُميل والأخفش: يفتنونك.

وقال عبد العزيز بن يحيى: ينظرون إليك نظراً شزراً بتحديق شديد[٩]. وقال ابن

(١) السبعة ص٦٤٧ ، والتيسير ص٢١٣ ، والنشر ٢/ ٣٨٩ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٣) رجل هُدَبِد: ضعيف البصر، وبعينه هُدَبِد؛ أي: عمش. لسان (هدبد).

(٤) في الصحاح (زلق).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٧٤ ، وأخرجه الطبري عنهما في تفسيره ٢٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٧) النكت والعيون ٦/ ٧٤ ، وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣١١ .

(٨) تفسير البغوي ٤/ ٣٨٤ دون نسبة.

(٩) ذكره الرازي في تفسيره ٣٠/ ١٠٠ دون نسبة، ونظر إليه شزراً: هو نظر الغضبان بمؤخر العين. الصحاح (شزر).

زيد: لَيَمَسُّونك[١]. وقال جعفر الصادق: ليأكلونك. وقال الحسن وابن كَيْسان: ليقتلونك. وهذا كما يقال: صرعني بطرفه، وقتلني بعينه. قال الشاعر:

ترميك مَزْلَقَةُ العيون بطَرْفها ... وتَكِلُّ عنك نصالُ نَبْلِ الرامي[٢]

وقال آخر:

يتقارضون إذا التقَوْا في مجلسٍ ... نَظَراً يُزيلُ[٣] مواطئ الأقدام

وقيل: المعنى أنهم ينظرون إليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك[٤]. وهذا كلُّه راجع إلى ما ذكرنا، وأن المعنى الجامع: يصيبونك بالعين. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

أي: وما القرآن إلا ذِكْرٌ للعالَمين. وقيل: أي: وما محمدٌ إلا ذِكْرٌ للعالَمين يتذكّرون به. وقيل: معناه شَرَفٌ، أي: القرآن. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٥] [الزخرف: ٤٤] والنبيّ ﷺ شرف للعالمين أيضاً. شَرُفوا باتباعه والإيمان به ﷺ.

---

(١) نسبه في النكت والعيون ٦/ ٧٤ للسدي.

(٢) لم نقف عليه، وتكلّ عنك: إذا تباعدت. اللسان (لحح).

(٣) المثبت من (د)، وفي غيرها: يزلُّ، والبيت في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وهو في المعاني الكبير ٢/ ٨٤٥، والكشاف ٤/ ١٤٨، وفيهما: موطن، بدل: مجلس. وذكر عجزه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٢.

(٤) تأويل مشكل القرآن ص١٢٩ .

(٥) النكت والعيون ٦/ ٧٤ .

سورة ﴿نٓ﴾

مكيَّةٌ، وآيُها ثنتانِ وخمسونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿نٓ﴾ مِن أَسماءِ الحُروفِ، وقيل: اسمُ الحوتِ، والمرادُ به الجنسُ، أو اليَهْمُوتُ(١) وهو الذي عليه الأرضُ، أو الدَّواةُ فإنَّ بعضَ الحيتانِ يُستخرَجُ منهُ شيءٌ أشدُّ سَوادًا مِن النِّقْسِ(٢) يُكتبُ به. ويؤيِّدُ الأوَّلَ سُكونُه وكِتْبَتُهُ بصورةِ الحرفِ.

﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ هو الذي خطَّ اللوحَ، أو الذي يُخطُّ بِهِ، أقسَمَ بِهِ تعالى لكثرةِ فَوائدِه.

وأخفى ابنُ عامرٍ والكِسائيُّ ويعقوبُ النُّونَ إجراءً للواوِ المنفصلِ مُجرَى المُتَّصلِ(٣)، فإنَّ النُّونَ السَّاكنةَ تُخْفى مع حروفِ الفَمِ إذا اتَّصلَتْ بها،

---

(١) «اليَهْمُوتُ»: بفتحِ الياءِ المُثنَّاةِ التَّحتيَّةِ وسكونِ الهاء، وما اشتُهِرَ من أنَّه بالباءِ المُوحَّدةِ غلطٌ. قاله الشهاب.

(٢) «النِّقْسُ»: بالسِّينِ المُهملةِ كالحِبْرِ لفظًا ومعنًى. قاله الشهاب.

(٣) قال الأنصاري في «الحاشية» (٥/ ٣٦٦): كذا في أكثر النسخ، وفي نسخة: «وأدغم ابن عامر والكسائي ونافع وأبو بكر عن عاصم النون». قلت: قد نبه الشهاب في «الحاشية» على وجود خلل في سياق النُّسخ المثبت أعلاه وبيَّنه. وانظر تفصيل هذه القراءة ومن قرأ بها في «السبعة» (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٣)، و«النشر» (٢/ ١٨).

وقد رُوِيَ ذلك عن نافعٍ وعاصمٍ[١]، وقُرِئَت بالفتحِ والكسرِ كـ﴿صٓ﴾[٢].

﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾: وما يكتبونَ، والضَّميرُ لـ﴿القلم﴾ بالمعنى الأوَّلِ على التَّعظيمِ، أو بالمعنى الثَّاني على إرادةِ الجنسِ، وإسنادِ الفعلِ إلى الآلةِ، وإجرائه مُجرى أولي العلمِ لإقامَتِه مُقامَهم[٣]، أو لأصحابِه[٤]، أو للحفظَةِ، و(ما) مَصدريَّةٌ أو موصولةٌ.

(٢) ـ ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾ جوابُ القسمِ، والمعنى: ما أنتَ بمَجنونٍ مُنعَمًا عليك بالنبوَّةِ وحصافةِ الرَّأيِ، والعاملُ في الحالِ مَعنى النَّفيِ.

وقيل: (مجنونٌ)، والباءُ لا يمنَعُ عملَهُ فيما قبلَه لأنَّها مزيدةٌ. وفيه نظرٌ مِن حيثُ المعنى.

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) الفتح قرأ به سعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه، وبالكسر قرأ ابنُ عباس وابن أبي إسحاق والحسن وأبو السمال. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٠)، و«البحر» (٢٠/ ٤٣٧).

(٣) في جميع النسخ: «مقامه» والمثبت من نسخة ذكرها الأنصاري في «الحاشية» (٥/ ٣٦٦) ورجحها.
وقول المصنف: «والضمير» يعني: ضمير الواو في ﴿يَسۡطُرُونَ﴾، «بالمعنى الأول»؛ أي: على أن القلم هو الذي خطَّ اللوحَ، «على التَّعظيمِ»؛ لأنَّه واحدٌ، فعبِّر عنهُ بضميرِ الجمعِ تعظيمًا له، وأمّا على الثّاني وهو أن المراد بالقلم الذي يخط به فتشكل أمور ثلاثة: رجوع الضمير إلى مفرد، وإسناد الفعل إلى الآلة مع أنه لصاحبها، وجمعه بالواو والنون المخصوص بالعقلاء، فحلُّ الإشكال الأول: حمله على إرادةِ جنسِ ما به الخطُّ فيدل على الكثرة، وحل الثاني: حمله على المجاز بجعل الإسنادِ إليه إسناداً إلى الآلةِ مجازًا، وحل الثالث: أن يكون التَّعبيرُ عنهُ بضميرِ العقلاءِ لقيامِه مقامَ العقلاءِ وجعلِه فاعلاً. مستفاد من كلام الشهاب في «الحاشية»، وابن التمجيد في «حاشيته» (١٩/ ٢٢٣).
قلت: والأولى من هذا كله أن يعاد الضمير على غير مذكور ـ وهو شائع ـ كما فعل الزمخشري حيث صدر تفسير الآية بقوله: «﴿وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾: وما يَكتُبُ مَن كتَبَ، وقيل: ما يَسْطُرُهُ الحَفظَةُ». انظر: «الكشاف» (٩/ ٢٢٢).

(٤) عطف على «للقلم».

(٣) ـ ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ على الاحتمالِ أو الإبلاغِ ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوعٍ، أو ممنونٍ به عليكَ مِن النَّاسِ؛ فإنَّه تعالى يعطيكَ بلَا توسُّطٍ.

(٤) ـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ إذ تَحتَمِلُ مِن قومِكَ ما لا يحتَمِلُه أمثالُك، وسُئِلَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ تعالى عنها عن خُلُقه فقالَتْ: كان خلقُهُ القرآنَ، ألستَ تقرَأُ القُرآنَ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١][1]؟

(٥ ـ ٦) ـ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾: أيُّكم الذي فُتِنَ بالجنونِ، والباءُ مَزيدةٌ.

أو: بأيِّكُم الجنونُ، على أنَّ المفتونَ مصدرٌ كالمعقولِ والمجلودِ.

أو: بأيِّ الفريقينِ مِنكُم المجنونُ، أبفريقِ المؤمنينَ أو بفريقِ الكافرينَ؟ أي: في أيِّهما يوجدُ مَن يستحقُّ هذا الاسمَ.

(٧) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وهُم المجانينُ على الحقيقةِ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: الفائزينَ بكمالِ العقلِ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ تهييجٌ للتَّصميمِ على معاصاتِهم ﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ﴾: تلايِنُهُم بأَنْ تدعَ نَهْيَهُم عن الشِّركِ أو توافِقَهُم فيه أحيانًا ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: فيُلايِنُونَك[2] بتركِ الطَّعنِ والموافقةِ.

والفاءُ للعَطفِ؛ أي: ودُّوا التداهُنَ وتمنَّوهُ لكنَّهُم أخَّرُوا إدْهانَهُم حتى تُدهِنَ، أو

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٦٠١)، ومسلم (٧٤٦)، وأبو داود (١٣٤٢)، والنسائي (١٦٠١). وليس عندهم قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، وهذا قد ورد من طريق آخر عن أم المؤمنين رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٨٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٨١).

(٢) في نسخة الفاروقي: «فيماثلونك».

للسَّببيَّةِ؛ أي: ودُّوا لو تُدهِنُ فهُمْ يُدهِنونَ حينئذٍ، أو: وَدُّوا إدْهانَك فهُم الآنَ يُدهِنُونَ طمعًا فيه.

وفي بعضِ المَصاحفِ: (فيُدهنوا)[1] على أنَّه جوابُ التَّمنِّي.

(١٠) ـ ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثيرِ الحلفِ في الحقِّ والباطلِ ﴿مَّهِينٍ﴾: حقيرِ الرَّأيِ؛ مِن المَهانةِ وهي الحقارةُ.

(١١) ـ ﴿هَمَّازٍ﴾: عيَّابٍ ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾: نقَّالٍ للحديثِ على وجهِ السِّعايةِ.

(١٢) ـ ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يمنعُ النَّاسَ عَن الخيرِ: مِن الإيمانِ والإنفاقِ والعملِ الصَّالحِ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُتجاوزٍ في الظُّلم ﴿أَثِيمٍ﴾: كثيرِ الآثامِ.

(١٣) ـ ﴿عُتُلٍّ﴾ جافٍ غليظٍ، مِن عَتَله: إذا قادَهُ بعنفٍ وغلظةٍ ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: بعدما عُدَّ مِن مَثالِبه ﴿زَنِيمٍ﴾: دَعِيٍّ[2]، مأخوذٌ مِن زَنَمتي الشَّاةِ: وهما المُتدلِّيتانِ مِن أذنِها وحلقِها.

قيل: هو الوَليدُ بن المغيرةِ، ادَّعاهُ أبوهُ بعد ثماني عشرةَ مِن مَولدِه[3].

وقيل: الأخنسُ بنُ شَرِيقٍ، أصلهُ في ثَقيفٍ وعِدادُهُ في زُهْرَةَ[4].

---

(١) ذكره سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٣٦)، عن هارون بن موسى الأزدي، وهو نحوي ثقة صاحب قراءة، روى له الشيخان، انظر: «تهذيب الكمال» (٣٠/ ١١٥).

(٢) في نسخة التفتازاني: «أي ملصق بالقوم وليس منهم. صحاح».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٧٩)، والواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨٧)، عن مرة الهمداني.

(٤) ذكره الواحدي في «البسيط» (٢٢/ ٨١) عن الكلبي والسدي، وعن ابن عباس رضي الله عنهما من رواية عطاء، ورواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ٥٧٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٦٤) عن السدي، ورواية عطاء عن ابن عباس واهية، والباقي مرسلات، ولا يصح شيء من ذلك، فإن الأخنس قد أسلم، فلا يصح أن يجعل سبب نزول الآية فيه، والله أعلم.

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾؛ أي: قالَ ذلك حينئذٍ لأَنْ كان مُتموِّلًا مُستظهِرًا بالبنينَ مِن فرطِ غُرورِه، لكنَّ العامِلَ مدلولُ ﴿قَالَ﴾ لا نفسُه؛ لأنَّ ما بعدَ الشَّرطِ لا يعمَلُ فيما قبلَهُ.

ويجوزُ أن يكونَ عِلَّةً لـ﴿وَلَا تُطِعْ﴾؛ أي: لا تُطِعْ مَن هذهِ مَثالِبُه لأَنْ كانَ ذا مالٍ.

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزةُ ويعقوبُ وأبو بكرٍ: ﴿أأَنْ كانَ﴾ على الاستفهامِ، غيرَ أنَّ ابنَ عامرٍ جعلَ الهمزةَ الثانيةَ بينَ بينَ[1]، أي: أَلِأن كانَ ذا مالٍ كذبَ، أو: أتطيعُهُ لأَنْ كان ذا مالٍ.

وقُرِئَ: (إن كانَ) بالكسرِ[2] على أنَّ شرطَ الغِنَى في النَّهيِ عن الطَّاعةِ كالتَّعليلِ بالفقرِ في النَّهيِ عن قتلِ الأولادِ[3]، أو أنَّ شرطَهُ للمُخاطَبِ؛ أي: لا تُطِع شارطًا يسارَهُ؛ لأنَّه إذا أطاعَ للغنيِّ فكأنَّه شَرَطه في الطَّاعةِ.

(١٦) ـ ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ بالكيِّ ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾: على الأنفِ، وقد أصابَ أنفَ الوَليدِ جراحةٌ يومَ بدرٍ فبقِيَ أثرُه.

وقيل: هو عبارةٌ عَن أن يُذِلَّه غايةَ الإذلالِ؛ كقولِهم: جُدِعَ أنفُهُ، و: رَغِمَ أنفُه؛ لأنَّ السِّمَةَ على الوجهِ سِيَّما على الأنفِ شَيْنٌ ظاهِرٌ.

أو: نُسَوِّدُ وجهَهُ يوم القيامةِ.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾؛ أي: بَلَوْنا أهلَ مكَّةَ بالقحطِ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يريدُ بُستانًا كان دونَ صنعاءَ بفرسخينِ، وكان لرجلٍ صالحٍ، وكانَ يُنادي الفقراءَ وقتَ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٦)، و«التيسير» (ص: ٢١٣)، و«النشر» (١/ ٣٧٢).

(٢) هي رواية عن نافع. انظر: «المختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٦٠).

(٣) يعني: أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة ليس لتقييد النهي به، كما أن النهي عن الوأد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] غير مقيد بذلك. قاله الشهاب.

الصِّرامِ ويَتركُ لَهُم ما أخطأَهُ المنجلُ، أو ألقَتْهُ الرِّيحُ، أو بَعُدَ مِن البساطِ الذي يُبسطُ تحتَ النَّخلةِ، فيجتمعُ لهم شيءٌ كثيرٌ، فلمَّا ماتَ قالَ بنوه: إن فعَلْنَا ما كان يفعَلُ أبونا ضاقَ علينا الأمر، فحَلَفُوا ليصرمنَّها وقتَ الصَّباحِ خُفْيَةً عن المساكينِ كما قال:

﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾: ليقطعُنَّها داخلينَ الصَّباحَ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾: ولا يقولونَ: إن شاءَ الله، وإنما سمَّاهُ استثناءً لِمَا فيه مِن الإخراجِ، غيرَ أنَّ المخرجَ به خلافُ المذكورِ والمخرجَ بالاستثناءِ عينُه، أو لأنَّ مَعنى: «لا أخرج إن شاءَ الله»، و«لا أخرجُ إلا أن يشاءَ الله» واحدٌ.

أو: ولا يستثنونَ حصَّةَ المساكينِ كما كان يُخرجُ أبوهُم.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾: على الجنَّةِ ﴿طَائِفٌ﴾: بلاءٌ طائفٌ ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مُبتدأٌ منه ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾: كالبُستانِ الذي صُرمَ ثمارُهُ بحيثُ لم يبقَ فيه شيءٌ[1]، فعيلٌ بمَعنى مفعولٍ، أو: كالليلِ باحتِراقِها واسودَادِها، أو: كالنَّهارِ بابيِضَاضِها مِن فَرْطِ اليَبَسِ، سُمِّيا[2] بالصَّريمِ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منهُمَا ينصرِمُ عن صاحبِهِ، أو: كالرِّمَالِ[3].

(٢١ ـ ٢٢) ـ ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا﴾: أي اخرجُوا، أو: بأَنِ اخرجُوا إليه غدوةً، وتعديةُ الفعلِ بـ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ إمَّا لتَضمُّنِه معنى الإقبالِ، أو لتشبيهِ الغُدوِّ للصِّرامِ بغُدُوِّ العَدوِّ المُتضمِّنِ لِمَعنى الاستيلاءِ.

﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾: قاطعينَ له.

---

(١) بعدها في نسخة التفتازاني: «الصريمة ما انصرم من معظم الرمل».

(٢) أي: الليل والنهار.

(٣) عطف على «كالبستان».

(٢٣) ـ ﴿فَانطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾: يَتشاوَرُونَ فيما بينَهُم، وخَفَى وخَفَتَ وخَفَدَ بمعنى الكتمِ، ومنه: الخُفْدُودُ؛ للخُفَّاشِ.

(٢٤) ـ ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ ﴿أَن﴾ مُفسِّرةٌ، وقُرِئَ بطرحِهَا على إضمارِ القولِ[١]، والمرادُ بنَهيِ المسكينِ عن الدُّخولِ المبالغةُ في النَّهيِ عَن تَمكينِه مِن الدُّخولِ؛ كقولك: لا أرينَّكَ هاهنا[٢].

(٢٥) ـ ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾: وغَدَوا قادرينَ على نكدٍ لا غير، مِن: «حَارَدَتِ السَّنَةُ» إذا لم يَكُن فيها مطرٌ، و: «حَارَدَتِ الإبلُ» إذا مَنَعَتْ دَرَّهَا، والمعنى: أنَّهم عَزَموا أن يتنكَّدُوا على المساكينِ فتنكَّدَ عليهِم بحيثُ لا يقدرونَ فيها إلا على النَّكَدِ.

أو: وغَدَوْا حاصلينَ على النَّكَدِ والحرمانِ مكانَ كونِهم قادرينَ على الانتفاعِ.

وقيل: الحرْدُ بمعنَى: الحَرَدِ، وقد قُرِئَ به[٣]؛ أي: لم يَقدِرُوا إلَّا على حَنَقِ بعضِهم لبعضٍ كقولِه: ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾.

وقيل: (الحَرْد): القَصدُ والسُّرعةُ، قال:

أَقْبَلَ سَيْلٌ جَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّه ... يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ[٤]

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ٨)، و«الكشاف» (٩/ ٢٣٢).

(٢) أي من باب ذكر اللازم وإرادة الملزوم فإنه أبلغ من ذكر الملزوم.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٠) عن بعضهم.

(٤) البيت بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٦)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٧٤)، و«لسان العرب» (مادة: حرد وغلل وأله). وعزاه ابن السيد في «شرح الكامل» لقطرب كما ذكر البغدادي في «خزانة الأدب» (١٠/ ٣٨٦)، وقال البكري في «شرح أمالي القالي» (١/ ٣١): قال أبو حاتم: هذا البيت مصنوع، صنعه مَن لا أحسن الله ذكرَه. يعني: قطرباً. ومعنى: حَرَد حردَ الجنَّة: قصد قصدها، وأغلَّت الضيعة: أعطت الغلة.

أي: غدَوا إلى جنَّتِهم بسرعةٍ قادرينَ عندَ أنفُسِهم على صرامِها.

وقيل: عَلَمٌ للجنَّةِ.

(٢٦ ـ ٢٧) ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أوَّلَ ما رأَوْها ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ طريقَ جنَّتِنا وما هيَ بها ﴿بَلْ نَحْنُ﴾؛ أي: بعدَما تأمَّلُوا وعرفوا أنَّها هي ﴿مَحْرُومُونَ﴾: حُرِمْنا خيرَها لجِنايَتِنَا على أنفُسِنَا.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ رأيًا أو سِنًّا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: لولا تذكرونَهُ وتتوبونَ إليه مِن خبثِ نيَّتِكُم، وقد قالَهُ حينَما عزَمُوا على ذلك، ويدلُّ على هذا المعنى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾.

أو: لولا تَستثنونَ، فسُمِّيَ الاستثناءُ تَسبيحًا لتشارُكِهما في التَّعظيمِ، أو لأنَّه تنزيهٌ عن أن يجريَ في مُلكِه ما لا يريدُه.

(٣٠) ـ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾: يلومُ بعضُهُم بعضًا، فإنَّ منهم مَن أشارَ بذلك، ومنهم مَن استَصْوبَهُ، ومِنْهُم مَن سكتَ راضيًا، ومنهم مَن أنكرَهُ.

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾: مُتجاوزينَ حدودَ اللهِ ﴿عَسَى رَبُّنا أَنْ يُبَدِّلَنا خيرًا منها﴾ ببركةِ التَّوبةِ والاعترافِ بالخطيئةِ، وقد رُوِيَ أنَّهُم بدِّلوا خيرًا مِنها[١].

وقُرِئَ: ﴿يُبْدِلَنَا﴾ بالتَّخفيفِ[٢].

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾: راجُون العفوَ طالبونَ الخيرَ، و﴿إِلَىٰ﴾ لانتهاءِ الرَّغبةِ، أو لتَضمُّنِها مَعنى الرُّجوعِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٢٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) وهي قراءة أكثر السبعة، والتشديد قراءة نافع وأبي عمرو. انظر: «السبعة» (ص: ٣٩٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٥).

(٣٣) ـ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾: مثلَ ذلك الذي بَلَوْنا به أهلَ مكَّةَ وأصحابَ الجنَّةِ العذابُ في الدُّنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: أعظَمُ منه ﴿لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ لاحترَزُوا عمَّا يُؤدِّيهم إلى العذابِ.

(٣٤) ـ ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في الآخرةِ، أو في جوارِ القدسِ ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: جنَّاتٍ ليسَ فيها إلَّا التَّنعُّمُ الخالِصُ.

(٣٥) ـ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إنكارٌ لقولِ الكفرَةِ، فإنَّهُم كانوا يقولونَ: إنْ صحَّ أنَّا نُبعَثُ كما يزعمُ مُحمَّدٌ ومَن معَهُ لمْ يَفضُلونا، بل نكونُ أحسنَ حَالًا مِنْهُم كما نحنُ عليه في الدُّنيا.

(٣٦) ـ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ التفاتٌ فيهِ تَعجُّبٌ مِن حُكمِهِم واستبعادٌ له، وإشعارٌ بأنَّه صادِرٌ مِن اختلالِ فِكرٍ واعوِجَاجِ رَأيٍ.

(٣٧) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السَّماءِ ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تقرَؤُونَ.

(٣٨) ـ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ أي: إنَّ لَكُم ما تختارونَهُ وتَشتَهُونَه، وأصلُه: (أن لكم) بالفَتحِ لأنَّه المَدروسُ، فلَمَّا جِيءَ باللامِ كُسِرَت، ويجوزُ أَنْ يكونَ حِكايةً للمَدروسِ أو استئنافًا، وتَخيَّرَ الشَّيءَ واختارَهُ: أخذَ خيرَهُ.

(٣٩) ـ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾: عهودٌ مؤكَّدةٌ بالأيمانِ ﴿بَٰلِغَةٌ﴾: مُتناهيَةٌ في التَّوكيدِ، وقُرِئَت بالنَّصبِ[1] على الحالِ والعامِلُ فيها أحدُ الظَّرفينِ.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ مُتعلِّقٌ بالمقدَّرِ في ﴿لَكُمْ﴾؛ أي: ثابتةٌ لكم علينا إلى يومِ القيامةِ لا نخرجُ عن عُهدَتِها حتى نُحكِّمَكُم[2] في ذلك اليومِ، أو بـ﴿بَٰلِغَةٌ﴾؛ أي: أيمانٌ تبلغُ ذلك اليومَ.

---

(١) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٠).

(٢) أي: حتى نجعلكم حَكَماً فيه، من «حكَّمته في مالي» إذا جعلت له الحكم فيه. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٩/ ٢٤٣).

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جوابُ القسمِ؛ لأنَّ مَعنى ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَـٰنٌ عَلَيْنَا﴾: أَمْ أَقسَمْنا لكم.

(٤٠) ـ ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ بذلك الحُكمِ قائمٌ يدَّعيهِ ويُصحِّحُه.

(٤١) ـ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ يُشاركُونَهُم في هـذا القولِ ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ﴾ في دَعْواهُم؛ إذ لا أقلَّ مِن التَّقليدِ.

وقد نبَّهَ سُبحانَهُ في هذهِ الآياتِ على نفيِ جَميعِ ما يُمكِنُ أن يَتشبَّثُوا به مِن عقلٍ أو نقلٍ يدلُّ عليه لاستحقاقٍ أو وعدٍ، أو محضِ تَقليدٍ، على التَّرتيبِ[١]؛ تَنْبيهًا على مراتبِ النَّظَرِ وتزييفًا لِمَا لا سندَ له.

وقيل: المَعنى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ يعني: الأصنامَ يَجعلُونَهُم مثلَ المؤمنينَ في الآخرةِ؛ كأنَّه لَمَّا نفى أنْ تكونَ التَّسوِيَةُ مِن اللهِ نَفَى بهذا أن يكونَ ممَّا يُشرِكُونَ اللهَ به.

(٤٢) ـ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾: يومَ يشتدُّ الأمرُ ويَصعُبُ الخَطبُ، وكشفُ السَّاقِ مَثَلٌ في ذلك، وأصلُه: تَشميرُ المُخدَّراتِ عن سُوقِهنَّ في الهَرَبِ، قال حاتمٌ:

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا ... وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا[٢]

---

(١) قولُه: «من عقلٍ» كما نبَّهَ عليه بقولِه: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ «أو نقلٍ» وهو قولُه: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَـٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ «يدلُّ عليه» راجعٌ لكلٍّ منهما؛ لأنَّ الدَّليلَ إمّا عقليٌّ أو نقليٌّ، «لاستحقاقٍ» متعلق بـ«يتشبثون» وقولُه: «أو محضِ تقليدٍ» من قولِه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟﴾؛ لأنَّ المُرادَ مَن شارَكَهم في هذه المقالةِ وسبَقَهم لها، وهو معطوفٌ على «عقلٍ» أو على «نقل»، ولو أخر «لاستحقاق أو وعد» عنه لكان أسلم من التعقيد. عن الشهاب والقونوي في «الحاشية» (١٩/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «ديوان حاتم الطائي» (٤٩)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٤٠)، و«جمهرة الأمثال» (١/ ١٤٦). ونسبه في «الحماسة البصرية» (١/ ٧٨) لزيد الخيل، وهو في «ديوانه» (ص: ٦١)، وهو في «ديوان الهذليين» (٣/ ٢١)، و«العقد» لابن عبد ربه (٦/ ٩٦)، لحذيفة بن أنس أحدِ بني عامر بن عمرو بنِ الحارث بنِ تميم بنِ سعد بنِ هُذَيل.

أو: يومَ يُكشَفُ عَن أصلِ الأمرِ وحقيقتِه بحيثُ يَصيرُ عِيانًا، مُستعارٌ مِن ساقِ الشَّجرِ وساقِ الإنسانِ.

وتَنكيرُهُ للتَّهويلِ أو التَّعظيمِ.

وقُرِئَ: (تكشفُ) بالتَّاءِ على بناءِ الفاعلِ والمفعولِ(١)، والفعلُ للسَّاعةِ أو الحالِ.

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ تَوْبيخًا على تَركِهم السُّجودَ إن كانَ اليومُ يومَ القيامةِ، أو يدعونَ إلى الصَّلواتِ لأَوقَاتِها إن كانَ وقتَ النَّزعِ.

﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لذهابِ وَقتِه، أو زوالِ القدرةِ عليهِ.

(٤٣) ـ ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: يلحَقُهم ذلٌّ ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدُّنيا أو زمانَ الصِّحَّةِ ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾: مُتمكِّنونَ منه مُزاحو العللِ فيه.

(٤٤) ـ ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾: كِلْهُ إليَّ فإني أكفيكَهُ ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: سنُدْنيهِمْ مِن العذابِ درجةً درجةً بالإمهالِ وإدامةِ الصِّحَّةِ وازديادِ النِّعمةِ ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّه استدراجٌ، وهو الإنعامُ عليهم لأَنَّهم حَسِبُوه تَفضيلًا لهم على المُؤمنينَ.

(٤٥) ـ ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾: وأُمهِلُهُم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ لا يُدفعُ بشيءٍ، وإنَّما سُمِّيَ إنعامُه استدراجًا بالكيدِ لأنَّه في صُورَته.

(٤٦) ـ ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ على الإرشادِ ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾: مِن غرامةٍ ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ بحملِها فيُعرِضونَ عنك.

(٤٧) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾: اللوحُ، أو: المغيَّباتُ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمونَ ويَستغنونَ به عَن علمِك.

---

(١) القراءتان في «المحتسب» (٢/ ٣٢٦)، و«البحر» (٢٠/ ٤٦٤) كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤٨) ـ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالُهُم وتأخيرُ نُصرَتِك عليهِم ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يونسَ ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطنِ الحوتِ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مملوءٌ غيظًا في الضَّجَر، فتُبْتَلَى ببلائِه.

(٤٩) ـ ﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعني: توفيقَ التَّوبةِ[١] وقَبولَها، وحَسُنَ تذكيرُ الفعلِ للفَصلِ.

وقُرِئَ: (تَدارَكَتْهُ)[٢]، و: (تَدَّارَكَهُ)[٣]؛ أي: تَتدارَكَه على حكايةِ الحالِ الماضيةِ، بمعنى: لو لا أن كانَ يقالُ فيه: تتدارَكُه[٤].

﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾: بالأرضِ الخاليةِ عَن الأشجارِ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾: مُليمٌ مطرودٌ عَن الرَّحمةِ والكرامةِ، وهو حالٌ يَعتَمِدُ عليها الجوابُ؛ لأنَّها المَنفِيَّةُ دونَ النَّبذِ.

(٥٠) ـ ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بأَنْ ردَّ الوَحيَ إليه، أو: استنبَأَهُ إن صحَّ أنَّهُ لَم يَكُن نَبيًّا قبلَ هذه الواقِعَةِ.

﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: مِن الكاملينَ في الصَّلاحِ بأَنْ عَصَمهُ مِن أَنْ يفعلَ ما تَرْكُه أولى، وفيه دليلٌ على خلقِ الأفعالِ.

والآيةُ نزلَتْ حينَ همَّ رَسولُ اللهِ ﷺ أن يَدعوَ على ثقيفٍ.

---

(١) في نسخة الخيالي: «التوفيق للتوبة».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦٠ ـ ١٦١) عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ٣٢٦) عن ابن عباس وابن مسعود وابن هرمز.

(٤) هكذا قدره الزمخشري وزاد: كما يُقال: «كان زَيدٌ سَيقوم فمَنعَه فُلانٌ»؛ أي: كان يُقالُ فِيه: سَيقُومُ، والمعنى: كان مُتوقَّعاً مِنه القيامُ. انظر: «الكشاف» (٩/ ٢٤٣).

وقيل: بأُحد حينَ حلَّ به ما حلَّ فأرادَ أَنْ يَدعُوَ على المُنهَزِمينَ[١].

(٥١) - ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ﴾ (إنْ) هي المُخففَّةُ واللامُ دَليلُها، والمعنى: إنَّهُم لشدَّةِ عَداوَتِهم ينظرونَ إليكَ شَزَرًا بحيثُ يَكادونَ يُزِلُّون قدمكَ ويرمونَكَ، مِن قَولِهم: نظرَ إليَّ نظرًا يكادُ يَصرَعُني؛ أي: لو أمكنَهُ بنظرِه الصَّرعُ لفعلَهُ، أو: وإنَّهُم يكادونَ يُصيبُونَكَ بالعينِ، إذ رُوِيَ أنَّه كانَ في بني أسدٍ عَيَّانون، فأُريدَ بعضُهُم على أَنْ يَعِينَ رسولَ اللهِ ﷺ، فنزلَتْ[٢].

وفي الحديثِ: «إنَّ العينَ لتُدخِلُ الرَّجُلَ القبرَ والجَمَلَ القِدرَ»[٣]، ولعلَّهُ يكونُ مِن خصائصِ بعضِ النُّفوسِ.

وقرأَ نافِعٌ: ﴿لَيَزلِقُونكَ﴾[٤] مِن: زلَقْتُه فزَلِقَ كحَزَنْتُه فحَزِنَ.

---

(١) ذكرهما الزمخشري في «الكشاف» (٩/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٩)، و«تفسير الثعلبي» (٢٧/ ٢٥٩)، و«النكت والعيون» (٦/ ٧٤)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٤٤٣)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٢٠٢)، و«المحرر الوجيز» (٥/ ٣٥٣)، و«زاد المسير» (٤/ ٣٢٧)، وقال ابن الجوزي: هذا قول الكلبي، وتابعه قوم من المفسرين تلقفوا ذلك من تفسيره منهم الفراء.

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣١٦)، و(٨/ ١٤٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٠)، والقضاعي في «الشهاب» (١٠٥٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٣٧)، من حديث جابر رضي الله عنه.

وروى البخاري (٥٧٤٠)، ومسلم (٢١٨٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «العين حق»، وقال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٩٩) بعد أن ذكر حديث جابر رضي الله عنه: رواه أبو نعيم عن جابر مرفوعاً، وحديث «العين حق» بدون الزيادة متفق عليه عن أبي هريرة، والزيادة ضعيفة.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٦٤٧)، و«التيسير» (ص: ٢١٣).

وقُرِئَ: (ليُزهِقُونَكَ)[1]؛ أي: ليُهلِكُونَكَ.

﴿لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكۡرَ﴾؛ أي: القرآنَ؛ أي: ينبعثُ عندَ سَماعِه بُغْضُهم وحَسَدُهم.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ حيرةً في أَمرِه وتنفيرًا عنه.

(٥٢) ـ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ لَمَّا جنَّنوهُ لأَجلِ القُرآنِ بيَّنَ أَنَّه ذِكرٌ عامٌّ لا يُدرِكُه ولا يَتعاطاهُ إِلَّا مَن كانَ أكمَلَ النَّاسِ عَقْلًا وأمتنَهُمْ رَأْيًا.

عن النبيِّ عليهِ السَّلامُ: «مَنْ قرَأَ سُورةَ القلمِ أَعطاهُ اللهُ ثوابَ الذين حسَّنَ اللهُ أخلاقَهُم»[2].

* * *

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ١٧٩)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣١٥)، و«تفسير الطبري» (٢٣/ ٢٠٣)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٦١)، عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ١٣٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: مصنوع بلا شكٍّ.

سورة القلم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ
ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ
مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ
وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى
ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾.

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الآية، هذه السورة مكّية. ومعظمها نزل في الوليد بن المغيرة وأبي جهل. ومناسبتها لما قبلها أنه فيما قبلها ذكر أشياء من أحوال السعداء والأشقياء، وذكر قدرته الباهرة وعلمه الواسع، وأنه تعالى لو شاء لخسف بهم، أو لأرسل عليهم حاصباً. وكان ما أخبر به تعالى هو [ممّا] تلقّفه رسول الله ﷺ بالوحي. وكان الكفار ينسبونه مرة إلى السحر ومرة إلى الشعر ومرة إلى الجنون. فبدأ تعالى هذه السورة ببراءته ممّا كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجره على صبره على أذاهم، وبالثّناء على خلقه.

﴿نٓ﴾ حرف من حروف المعجم نحو ﴿صٓ ۝١﴾ [ص] و﴿قٓ ۝١﴾ [ق].

---

(١) مكية وهي اثنتان وخمسون آية.

وهو غير معرب كبعض[1] الحروف التي جاءت مع غيرها مهملة من العوامل. فالحكم على موضعها بالإعراب تخرّص[2]. ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ هو المعهود للكتابة. وجعل الضمير في ﴿يَسْطُرُونَ﴾ للناس فجاء القسم على هذا [٥٥٢/أ] بمجموع أمر الكتاب الذي هو قوام للعلوم وأمور الدنيا والآخرة؛ فإن القلم أخو اللسان ومظنّه الفطنة، ونعمة من الله تعالى عامّة. وجواب القسم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ ويظهر أن «بنعمة ربك» قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحُكْم، على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي: على ما تحمّلت من[3] أثقال النبوّة ومن أذاهم، بما ينسبون[4] إليك ممّا أنت لا تلتبس به من المعايب. ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع، مننتُ الحبل: قطعته.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ أي: دين عظيم، وهو من الثناء عليه

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ الباء ظرفية تقديره: في أيكم. و﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدر على وزن مفعول كالمعقول والمجلود بمعنى العقل والجلد.

وقيل: الباء زائدة و«أيكم» مبتدأ زيدت الباء فيه كما زادوها في قوله: بحسبك درهم، أي: حسبك. و«المفتون» في هذا الوجه اسم مفعول، والجملة في موضع نصب بالفعل الذي قبله وهو «ويبصرون» لأنه بمعنى

(١) ق: لبعض.

(٢) ق: نحرص، وفوقها كذا.

(٣) ق: به من.

(٤) ق: ينتسبون.

يعلمون.

﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ وعيد للضالّ وهم المجانين[١] على الحقيقة، حيث كانت لهم عقول، فلم ينتفعوا بها، ولا استعملوها في اتّباع ما جاءت به الرسل. أو يكون «أعلم» كناية عن جزاء الفريقين.

﴿فَلَا تُطِعِ﴾ أي: الذين كذّبوا[٢] ما أنزل الله عليك من الوحي. وهذا نهي عن طواعيتهم في شيء ممّا دعوه إليه من تعظيم آلهتهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ «لو» هنا على رأي بعض النحويين مصدرية بمعنى أن، أي: ودّوا إدهانكم.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ تقدم تفسير «مهين» وما بعده في المفردات[٣]. وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة. ونوسب فيها فجاء «حلّاف» وبعده «مهين» لأن النون فيها مع الميم تواخٍ. ثم جاء «هماز مشاء بنميم» بصفتي المبالغة. ثم جاء «مناع للخير» فـ«منّاع» و«أثيم» صفتا مبالغة. والظاهر أن الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير.

والزنيم: قال ابن عباس: الذي له زنمة في عنقه كزنمة الغنمة. والظاهر أن هذه الأوصاف ليست لمعيّن؛ ألا ترى إلى قوله «كل حلاف» وقوله «إنا بلوناهم» فإنما وقع النّهي عن طواعية من هو بهذه الصفات.

ولمّا ذكر قبائح أفعاله وأقواله ذكر ما يفعل به على سبيل التوعّد فقال

(١) ق: المحابين.

(٢) ق: كفروا.

(٣) انظر البحر ٨: ٣٠٥.

«سنسمه على الخرطوم» والسّمة العلامة. ولمّا كان الوجه أشرف ما في الإنسان، والأنف أكرم ما في الوجه لتقدّمه، ولذلك جعلوه مكان العزّ والحميّة، واشتقوا منه الأنفة وقالوا: حميّ الأنف شامخ العرنين، وقالوا في الذليل: جدع أنفه ورغم أنفه، [وكان أيضاً مما تظهر السمات فيه لعلوّه، قال «سنسمه على الخرطوم»].

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

ولمّا [٥٥٢/ب] ذكر المتّصف بتلك الأوصاف الذّميمة وهم كفار قريش، أخبر تعالى [عن] ما حلّ بهم من الابتلاء بالقحط والجوع بدعوة رسول الله ﷺ[1] «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف» الحديث. ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ المعروف [من] خبرها عندهم [أنها] كانت بصَوْران[2] على فراسخ من صنعاء لناسٍ[3] بعد رفع عيسى عليه السلام. وكان [صاحبها] يترك للمساكين ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكراس[4]، وما

---

(١) أخرجه مسلم ١: ٤٦٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) انظر معجم البلدان: الصَّوْران.

(٣) فوقها في ق: كذا.

(٤) الأكراس: جمع كِرْس وهو ما يُبنى لطُليان المعزى.

أخطأه القطاف من العنب، وما بقي على البساط تحت النخلة إذا صُرمت. فكان يجتمع لهم شيء كثير. فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، ونحن أولو عيال. فحلفوا ليصرمنّها مصبحين، [فبكروا] في الغدوّ خيفة من المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم: إن شاء الله. والكاف في «كما بلونا[1]» في موضع نصب و«ما» مصدرية.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ [قال الفراء][2]: والطائف: الأمر الذي يأتي بالليل. ورُدّ عليه بقوله ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف] فلم يخصّص بالليل. و﴿طَآئِفٌ﴾ مبهم فقيل: هو جبريل عليه السلام، اقتلعها وطاف بها حول البيت، ثم وضعها حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سميت بالطائف. وليس في أرض الحجاز بلدة فيها الشجر والماء والعنب [وغير ذلك] غيرها[3].

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ قال ابن عباس: كالرماد الأسود. والصّريم: الرّماد الأسود بلغة خزيمة.

﴿فَتَنَادَوْا﴾ دعا بعضهم بعضاً إلى المضي إلى ميعادهم.

﴿أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ قال الزمخشري[4]: فإن قلت: هلاّ قيل: اغدوا إلى حرثكم، وما معنى «على»؟. قلت: لما كان الغدوّ إليه ليصرموه ويقطعوه،

---

(١) ق: بلوناهم.

(٢) انظر معاني القرآن ٣: ١٧٥.

(٣) ق: وغيرها.

(٤) الكشاف ٤: ١٤٤.

كان غدوّاً عليه، كما تقول: غدا[١] عليهم العدوّ. ويجوز أن يضمّن الغدوّ معنى الإقبال كقولهم: يُغدى عليهم بالجفنة[٢] ويراح، أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين انتهى.

واستسلف الزمخشري أنّ غدا يتعدّى بإلى، ويحتاج ذلك إلى نقل، بحيث يكثر ذلك، فيصير أصلاً فيه، ويُتأوّل ما خالفه. والذي نحفظه أنه معدّى بعلى كقول الشاعر[٣]: [من الوافر]

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ نَشَاوَى واجدينَ لما نشاءُ

وكذا عدّي مرادفه، قال[٤]: [من الطويل]

بَكَـرْتُ عليـه غُـدوةً فـرأيتـه قُعوداً لديه بالصّريم عواذلُهْ

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ هو من صرام النخل.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يخفون كلامهم خوفاً من أن يشعر بهم المساكين.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: يتخافتون بهذا الكلام.

﴿قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قصد وقدرة في أنفسهم يظنون أنهم ملكوا مرادهم. والحرد المنع.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: [٥٥٣/أ] أرجحهم عقلاً. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أنبّهم

(١) ق: غدو.
(٢) ق: بالخفية.
(٣) البيت لزهير في ديوانه ص٧٢.
(٤) البيت أيضاً لزهير في ديوانه ص١٤٠.

ووبّخهم على تركهم ما حضّهم عليه، وهو تسبيح الله تعالى. ولمّا غفلوا عن ذكر الله، وعزموا على منع المساكين ابتلاهم الله تعالى.

ولمّا أنّبهم رجعوا إلى ذكر الله تعالى، واعترفوا على أنفسهم بالظلم وبادروا إلى تسبيح الله تعالى فقالوا «سبحان ربنا». قال ابن عباس: أي: نستغفر الله من ذنبنا.

ولمّا أقرّوا بظلمهم، لام بعضهم بعضاً إذ كان منهم من زيّن ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكفّ، ومنهم من عصى الأمر، ومنهم من سكت على رضاً منه. ثم اعترفوا بأنهم طغوا.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ أي: بهذه الجنة خيراً منها ﴿رَٰغِبُونَ﴾ أي: طالبون إيصال الخير إلينا منه. والظاهر أن أصحاب هذه الجنة كانوا مؤمنين أصابوا معصية وتابوا.

والإشارة بـ«ذلك» إلى العذاب الذي نزل بالجنة، أي: كذلك العذاب الذي ينزل بقريش بغتة، ثم عذاب الآخرة بعد ذلك أشدّ عليهم من عذاب الدنيا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ
تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ
إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟
بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى
وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى
مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾
فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن

رَبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَـٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ الآية، لمّا ذكر تعالى أنه بَلاَ كفار قريش، وشبّه بلاءهم ببلاء أصحاب الجنة، أخبر بحال أضدادهم، وهم المتّقون، فقال ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الكفر. ﴿جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أضافها إلى النعيم، لأن النعيم لا يفارقها، إذ ليس فيها إلا هو، ولا يشوبه كَدَرٌ كما يشوب جنات الدنيا. وروي أنه لما نزلت هذه قالت قريش: إن كان ثَمَّ جنة، فلنا فيها أكبر الحظّ فنزلت[١].

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: لا يتساوى المطيع والعاصي. وهو استفهام [فيه توقيف على خطأ ما قالوا وتوبيخ، ثم التفت إليهم فقال ﴿مَا لَكُمْ﴾ أي: أيُّ شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهام] إنكار عليهم.

ثم قال ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وهو استفهام ثالث على سبيل الإنكار عليهم، استفهم عن هيئة حكمهم. ففي قوله «ما لكم» [استفهام] عن كينونة مبهمة. وفي «كيف تحكمون» استفهام عن هيئة حكمهم.

ثم أضرب عن هذا إضراب انتقال لشيء آخر لاإبطال لما قبله فقال ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أي: بل ألكم. ﴿كِتَـٰبٌ﴾ أي: من عند الله. ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أنّ[٢] ما تختارونه يكون لكم.

و«ما» في قوله «لَمَا» موصولة[٣] بمعنى الذي وهي اسم «إن»، والجار

---

(١) انظر القرطبي ١٨ : ٢٤٦.

(٢) ق: أي. وفوقها: كذا.

(٣) ق: لما ولما موصولة.

والمجرور قبله في موضع الخبر. و﴿تَخَيَّرُونَ﴾ حذفت منه التاء، أصله تتخيرون.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامن بما يقولونه ويدّعون صحته. وسَلْ معلّقة عن مطلوبها الثاني. لما كان السؤال سبباً لحصول العلم، جاز تعليقه كالعلم، ومطلوبها الثاني أصله أن يعدّى بعن أو بالباء كما قال ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة]. ولو كان غير اسم استفهام لتعدّى إليه بعن أو بالباء، كما تقول: سل زيداً عمّن ينظر في كذا. لكنه علّق «سلهم» فالجملة في موضع نصب.

[٥٥٣/ب] ﴿فَلْيَأْتُوا۟﴾ المراد الأصنام أو ناس يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم فيه. أي: لا أحد يقول بقولهم، كما أنه لا كتاب لهم ولا عهد من الله[١] ولا زعيم بذلك. «فليأتوا» هذا استدعاء وتوقيف، قيل: في الدنيا، أي: ليحضروهم حتى[٢] يُرى هل هم بحال من يضرّ وينفع أم لا. وقيل: في الآخرة على أن يأتوا بهم.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كناية عن شدة الأمر وتفاقمه في ذلك اليوم. والناصب له محذوف تقديره: يكون كيتَ وكيتَ من الأمور الصعبة الشاقة. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ظاهره أنهم يُدعون. وتقدّم[٣] أن ذلك على سبيل التوبيخ لا على سبيل التكليف.

و﴿خَٰشِعَةً﴾ حال ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ أي: في الدنيا. ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾

---

(١) ق: من عهد الله.

(٢) ق: حين.

(٣) لم يتقدم شيء، وانظر البحر ٨: ٣١٦.

أي: الأعضاء، قادرين على السجود. ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تغشاهم ذلّة.

﴿فَذَرۡنِي﴾ المعنى: خَلِّ بيني[١] وبينه، فإني سأجازيه وليس ثَمَّ مانع منه. وهذا وعيد شديد لمن يكذّب بما جاء به الرسول عليه السلام من أمر الآخرة وغيره. وكان تعالى قد قدّم أشياء من أحوال السّعداء والأشقياء. و«مَن» في موضع نصب إمّا عطفاً على الضمير في «ذرني»، وإمّا على أنه مفعول معه. ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ تقدّم الكلام عليه[٢].

﴿أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ﴾ تقدّم الكلام [عليه أيضاً][٣].

روي أنه عليه السلام أراد أن يدعو على الذين انهزموا بأُحد، حين اشتدّ بالمسلمين الأمر، وقيل: حين اراد أن يدعو على ثقيف فنزلت[٤] «فاصبر لحكم ربك» وهو إمهالهم وتأخير نصرك عليهم، وامْضِ لما أُمرتَ به من التّبليغ واحتمال الأذى. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام. ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ أي في بطن الحوت. وليس النّهي منصباً على الذّوات إنما المعنى: لا يكن حالك مثل حاله إذ نادى. فالعامل في «إذ» هو المحذوف المضاف، أي: كحال أو كقصة صاحب الحوت إذ نادى. ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ مملوء غيظاً على قومه إذ لم يؤمنوا لمّا دعاهم إلى الإيمان، وأحوجوه[٥] إلى استعجال مفارقته إياهم.

---

(١) ق: بيننا.

(٢) انظر شرح الآية ١٨٢ من الأعراف.

(٣) انظر شرح الآية ٤٠ من الطور.

(٤) انظر الكشاف ٤: ١٤٨.

(٥) ق: وأخرجوه.

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ﴾ معناه لولا هذه الحال المرجوّة كانت له من نعمة الله تعالى لنُبذ بالعراء. وجواب «لولا»: «لنبذ بالعراء». والمعتمد فيه على الحال لا على النّبذ.

ولمّا[1] أمره تعالى بالصبر لما أراده تعالى، ونهاه[2] عمّا نهاه، [أخبره بشدّة عداوتهم، ليتلقّى ذلك بالصبر لما أراده تعالى ونهاه عمّا نهاه] فقال ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ أي: ليُزلّون قدمك بنظرهم الحادّ[3] الدالّ على العداوة المفرطة. ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ﴾ «الذكر» القرآن. ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ تنفيراً عنه، وقد علموا أنه عليه السلام أتمّهم فضلاً وأرجحهم عقلاً.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن. ﴿إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عظة وعبرة. ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ أي: للجن والإنس، فكيف ينسبون إلى الجنّ [٥٥٤/أ] من جاء به؟.

---

(١) ق: لمّا.

(٢) ق: نهاه.

(٣) ليزلقون.. اتحاد.

مفردات سورة القلم

المَهِين؛ قال الرُّمَّانيّ: الوَضيعُ؛ لإكثارِه من القبيح[1]، من المَهَانة، وهي القِلَّة.

الهَمْزُ أصلُه في اللغة الضربُ طعناً باليد أو بالعصا أو نحوِها؛ ثم استُعير للذي يغالُ بلسانِه، قال القاضي منذر بن سعيد: وبعينِه وإشارتِه[2].

النَّميم والنَّميمة مصدرانِ لـ «نَمَّ»، وهو نَقْلُ ما يسمعُ ممَّا يسوءُ ويُحَرِّشُ النُّفوس. وقيل: النَّميم جمع نَميمة، يريدون به اسمَ الجنس.

العُتُلُّ؛ قال الكلبيّ والفرَّاء: الشديدُ الخُصومةِ بالباطل، وقال معمر: هو الفاحشُ اللئيم[3]، قال الشاعر:

بِعُتُلٍّ من الرِّجالِ زَنيمٍ غيرِ ذي نَجْدَةٍ وغيرِ كريمِ[4]

وقيل: الذي يَعْتِلُ الناسَ، أي: يَجُرُّهم إلى حَبْسٍ أو عذابٍ، ومنه: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ﴾ [الدخان: ٤٧] قال ابنُ السكِّيت: عتلتُه وعتنتُه، باللام والنون[5].

الزَّنيم الدَّعيّ؛ قال حسَّان:

زَنيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زيادةً كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارعُ[6]

---

(١) في المطبوع: القبائح. والكلام في تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٠-١٥١، وقول الفراء في معانيه ٣/ ١٧٣.

(٤) المصدران السالفان الأولان.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٥١، وفيه: عَتَلَهُ وعَتَنَهُ، والقولُ الذي قبله فيه وفي النكت والعيون ٦/ ٦٤.

(٦) ونُسب لحسان أيضاً في الكامل ٣/ ١١٤٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨، وليس هو في ديوان

وقال أيضاً:

وأنتَ زنيمٌ نِيطَ في آلِ هاشمٍ كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[(١)]

والزَّنيم من الزَّنَمة، وهي الهَنَةُ من جِلد الماعزة[(٢)] تُقطع، فتُخَلَّى معلَّقةً في حَلْقِها[(٣)]؛ سُمِّيَ الدَّعِيُّ بذلك لأنه زيادةٌ معلَّقة بغيرِ أهلِهِ.

وَسَمه: جَعلَ له سِمَةً، وهي العلامةُ تدلُّ على شيء، قال جرير:

لَمَّا وضعتُ على الفَرَزْدقِ مِيسَمِي وعلى البَعِيثِ جَدَعْتُ أنفَ الأخْطَلِ[(٤)]

الخُرْطُوم: الأنف، والخُرطُومُ من صفات الخمر، قال الشاعر:

قد أشهدَ الشَّرْبَ فيهم مِزْهَرٌ رَنِمٌ والقومُ تصرعُهُمْ صَهْبَاءُ خُرْطُومُ[(٥)]

قال الشَّنْتَمِريّ: الخُرطُومُ أولُ خروجِها من الدَّنِّ، ويقال لها: الأنف أيضاً، وذلك أصْفَى لها وأرَقُّ[(٦)].

= حسان، ونُسب للخَطِيم التميمي في سيرة ابن هشام ١/ ٣٦١، واللسان (زنم). قال ابن منظور: وجدتُ حاشيةً صورتُها: الأعْرَفُ أن هذا البيت لحسان... ثم أورد عن ابن عباس أنه أنشده لحسان عندما سُئِل عن معنى قوله: «زنيم».

(١) ديوان حسان ص٢١٦ (بشرح البرقوقي). قوله: نِيطَ، أي: عُلِّقَ.

(٢) في (أ) و(ت) والمطبوع: الماعز. والكلام في الكشاف ٤/ ١٤٣.

(٣) في المطبوع: حَلْقِه. وفي تفسير البيضاوي ٨/ ٢٢٨ (بهامش حاشية الشهاب): «زَنِيم» مأخوذٌ من زَنَمتَي الشاة، وهما المتدلِّيتان من أُذُنها وحَلْقِها. وقال الشهاب: الزَّنَمةُ ـ بفتحات ـ ما يتدلَّى في حَلْق المعز، والفَلْقةُ من أذنهِ تُشَقُّ فتترك معلَّقةً، فشُبِّهَ من انتسبَ لغير أبيه بذلك.

(٤) ديوان جرير ٢/ ٩٤٠، وفيه: وضَغَا البَعِيث، بدل: وعلى البَعِيث. واسم البَعِيث: خِداش بن بشر، ذكره ابن سلَّام في طبقات فحول الشعراء ٢/ ٥٣٣ (في الطبقة الثانية من طبقات الإسلام). قوله: ضَغَا، أي: صاحَ من الألم.

(٥) البيت لعلقمة بن عَبَدَة الفحل، وهو في ديوانه ص٦٨ (بشرح الشنتمري)، وهو في الأغاني ٢١/ ١٩٩ برواية: مِزهرٌ صَدِحٌ. قوله: مِزهر: العُودُ يُضرب به، والشَّرْب: جماعة الشاربين، ورَنِمٌ: المُصَوِّت المترنِّم.

(٦) شرح ديوان علقمة للشنتمري السالف، وقال السمين الحلبي في الدُّرّ المصون ١٠/ ٤٠٨: =

وقال النَّضرُ بنُ شُمَيْل: الخُرطُومُ الخمر[(١)]. وأنشدَ للأعرج المَعْنِيّ:

تَظَلُّ يومَكَ في لهوٍ وفي لعبٍ وأنتَ بالليلِ شَرَّابُ الخَرَاطِيمِ[(٢)]

الصِّرَامُ: جِدَادُ النَّخْل.

الحَرْدُ: المنعُ، من قولهم حارَدَتِ الإبلُ: إذا قلَّتْ ألبانُها، وحارَدَتِ السَّنَةُ: قَلَّ مطرُها وخيرُها، قاله أبو عُبيدة والقُتبي[(٣)].

والحَرْدُ: الغَضَب؛ قال أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعي: وهو مخفَّف، وأنشد:

إذا جِيادُ الخيلِ جاءَتْ تَرْدِي مملوءةً من غَضَبٍ وحَرْدِ[(٤)]

وقال الأشهب بن رُمَيْلَة:

أُسُودُ شَرًى لاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَساقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ[(٥)]

= جُعلت كالأنف لأنه أوّلُ ما يبدو من الوجه، فليست الخرطومُ الخمرَ مطلقاً. انتهى. والدَّنُّ: وعاءٌ كبير للخمر وغيرِها.

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٥، والكشاف ٤/ ١٤٣، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٨. ويكون معنى الآية على هذا: سنحدُّه على شرب الخمر، واستبعدَه المصنِّف كما سيرد، وذكر الزمخشري أنه تعسُّف.

(٢) المصادر السالفة (إلا الكشاف) دون نسبة، وفيها: طَرَبٍ، بدل: لعبٍ. والأعرج المَعْنِيّ: هو عديّ بن عمرو بن سويد الطائي، مخضرم، ينظر معجم الشعراء ص٨٥.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩. ووقع في النسخ الخطية والمطبوع: أبو عبيد، والمثبت من تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦-١٦٧ والكلام منه، وبنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٣٧. وقد ردَّ الطبري هذا القول في تفسيره ٢٣/ ١٧٨-١٧٩.

(٤) الرَّجز لقَبِيصة بن النصراني كما في الحماسة ٢/ ٦٢٤ (بشرح المرزوقي). والرَّدَيان: ضَرْبٌ من المشي. قاله المرزوقي.

(٥) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٧٨، والكامل ١/ ٧٤، والزاهر ١/ ٤٤٥، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وزاد المسير ٨/ ٣٣٧. قال الجوهري في الصحاح (شرى): الشَّرَى: طريقٌ في سَلْمى كثيرة الأُسْد، وقال في مادّة (خفى): قولُهم أُسُودُ خَفِيَّة، كقولهم: =

وقال ابن السِّكِّيت[(١)]: وقد يحرَّك، تقول: حَرِدَ - بالكسر - حَرَداً، فهو حَرْدان، ومنه قيل: أسَدٌ حارِدٌ ولُيُوثٌ حَوَارِد، والحَرْدُ: الانفراد، حَرَدَ يَحْرِدُ حُرُوداً: تنحَّى عن قومه ونَزَلَ منفرداً ولم يُخالطهم، وكوكب حَرُودٌ[(٢)]: معتزلٌ عن الكواكب.

وقال الأصمعيّ: المُنْحَرِدُ: المُنفردُ في لغة هُذيل. انتهى.

والحَرْدُ القَصْدُ، حَرَدَ يَحْرِدُ، بالكسر: قَصَدَ، ومنه: حَرَدْتَ حَرْدَكَ، أي: قَصَدْتَ قَصْدَكَ، ومنه قول الشاعر:

أقبلَ سَيْلٌ جاءَ من عندِ اللهْ[(٣)] يَحْرِدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّهْ[(٤)]

* * *

سورة القلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ
۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ

= أُسُود حَلْيَة، وهما مأسَدَتان. اهـ. وينظر معجم البلدان ٢/ ٣٨٠ و٣/ ٣٣٠. والمراد بالأساود الشجعان، كما في خزانة الأدب ٦/ ٢٩، وفيه استيفاء شرحه.

(١) نقله عنه الجوهري في الصحاح (حرد) والقرطبي في تفسيره ٢١/ ١٦٧، ولم أقف عليه في إصلاح المنطق.

(٢) في الصحاح (حرد) والكلام فيه (ونقله القرطبي ٢١/ ١٦٦-١٦٧): كوكب حَرِيد. وكذا في المعاجم الأخرى، وفي الدر المصون ١٠/ ٤١٣: كوكب حارد، ولم أقف على من ذكرها.

(٣) في المطبوع: وجاء سيلٌ كان من أمر الله. وهي رواية الفراء في معانيه ٣/ ١٧٦، ونقله عنه صاحب الخزانة ١٠/ ٣٦٠.

(٤) إصلاح المنطق ص٥٥، والكامل ١/ ٧٤، والصحاح (حرد) وهو برواية المصنف في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦، وجاء في ضرائر الشعر لابن عصفور ص١٣٢ شاهداً على حذف الألف من اسم الله، وردَّه أبو حاتم كما في الخزانة ١٠/ ٣٦٠.

فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾
وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ
﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم
مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾
كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.

هذه السورة مكيَّة، قال ابن عطية[1]: ولا خلافَ فيها بين أحدٍ من أهل التأويل. انتهى.

ومعظمُها نزلَ في الوليد بن المغيرة وأبي جهل.

ومناسبتُها لِما قبلَها أنَّه فيما قبلَها ذكرَ أشياءَ من أحوال السُّعداءِ والأشقياء، وذكر قدرتَه الباهرة وعلمَه الواسع، وأنهُ تعالى لو شاء لخَسفَ بهم، أو لأرسلَ عليهم حاصباً، وكان ما أخبرَ تعالى به هو ما تَلَقَّفَهُ رسولُ الله ﷺ بالوحي، وكانَ الكفارُ ينسُبُونه مرَّةً إلى الشِّعر، ومرَّةً إلى السِّحر، ومرَّة إلى الجنون، فبدأ سبحانَه وتعالى هذه السورة ببراءته ممَّا كانوا يَنْسُبُونه إليه من الجنون، وتعظيمِ أجرِه على صبرِه على أذاهم، وبالثناء على خُلُقِه العظيم.

«ن» حرفٌ من حروفِ المعجم، نحو: «ص» و«ق»، وهو غيرُ مُعرب كبعضِ الحروف التي جاءت مع غيرها مهملةً من العوامل، والحُكمُ على موضعها بالإعراب تخرُّص.

وما يُروى عن ابنِ عبَّاس ومجاهدٍ أنه اسمُ الحُوتِ الأعظمِ الذي عليه الأرضون السبع، وعن ابن عباس أيضاً والحسن وقتادة والضحاك أنه اسمٌ الدَّوَاةِ، وعن

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٥.

معاوية بن قُرَّة يرفعُه أنه لوحٌ من نور، وعن ابن عباس أيضاً أنه آخِرُ حرف من حروف الرحمن. قال: الر، وحم، ونون، جاءت حروفاً مقطعة[١]، وعن جعفر الصادق أنه نهرٌ من أنهار الجنة؛ لعلَّه لا يصحُّ شيء من ذلك[٢].

وقال أبو نصر عبد الرحمن القُشيري في «تفسيره»: «ن» حرفٌ لم يُعرب، والمعروفُ أنه حرفٌ[٣] من حروف المعجم، فلو كان كلمةً تامَّةً أُعرِبَ كما أُعرِبَ القلم، فهو إذن حرفُ هجاء كما في سائر مفاتيح السور. انتهى.

ومن قال: إنه اسمُ الدَّواة أو الحوت، وزعمَ أنه مُقْسَمٌ به كالقلم؛ فإن كان عَلَماً فينبغي أن يُجَرَّ، فإنْ كان مؤنثاً مُنِعَ الصَّرفَ، أو مذكَّراً صُرِفَ، وإن كان جنساً أُعرِبَ ونُوِّنَ، وليس فيه شيء من ذلك، فضُعِّفَ القولُ به[٤].

وقال ابنُ عطية: إذا كان اسماً للدَّواة فإمَّا أن يكون لغةً لبعضِ العرب، أو لفظةً أعجميةً عُرِّبَتْ، قال الشاعر:

إذا ما الشَّوْقُ بَرَّحَ بي إليهمْ ... أَلَقْتُ النونَ بالدَّمعِ السَّجُومِ[٥]

فمَنْ جعلَه البَهْمُوتَ جعلَ القلمَ[٦] هو الذي خلقَه الله، وأمرَه بكتب الكائنات، وجَعلَ الضميرَ في «يَسْطُرُون» للملائكة.

---

(١) قوله: قال الر، وحم... إلى هذا الموضع، من (يه)، وهو كذلك في تفسير القرطبي ٢١/ ١٣٧، وبنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥.

(٢) تنظر هذه الأخبار في تفسير الطبري ٢٣/ ١٤١-١٤٢، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٥-٢٤٦، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٦-١٣٨.

(٣) قوله: «لم يُعرب والمعروف أنه حرف» من (يه) وهو أيضاً في تفسير القرطبي ٢١/ ١٣٨ والقول فيه بتقديم وتأخير.

(٤) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٤٠-١٤١.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ (والكلام منه) وتفسير الرازي ٣٠/ ٧٧. وفي (ع) و(يه): الشجون، بدل: السَّجوم. وقوله: أَلَقْتُ النونَ، أي: جعلتُ لها لِيقَةً (صوفةً فيها المِداد).

(٦) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥ (والكلام منه): فمن قال: إنه اسمُ الحوت جعل القلم... الخ. والبَهْمُوت: اسم الحوت في قول الكلبي ومقاتل، كما في تفسير القرطبي ٢١/ ١٣٧.

ومن قال: هو اسمٌ للدَّواة جَعَلَ القلمَ المتعارفَ[١] بأيدي الناس، نصَّ على ذلك ابنُ عباس، وجعلَ الضمير في «يَسْطُرون» للناس، فجاء القَسَمُ على هذا بمجموع أُمِّ الكتاب[٢] الذي هو قِوامٌ للعلوم وأمورِ الدنيا والآخرة، فإن القلم أخو اللسان ومَطِيَّةُ الفِطْنة[٣]، ونعمةٌ من الله عامَّة. انتهى.

وقرأ الجمهور «ن» بسكون النون وإدغامها في واو «والقلم» بغنَّة، وقومٌ بغير غنَّة، وأظهرَها حمزةُ وأبو عَمرو وابنُ كثير وقالون وحفص[٤].

وقرأ ابنُ عباس وابنُ أبي إسحاق والحسنُ وأبو السَّمَّال بكسر النون لالتقاء الساكنين[٥]، وسعيدُ بنُ جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها[٦]، فاحتملَ أن تكون حركةَ إعراب، وهو اسمٌ للسورة، أقسمَ به وحُذف حرفُ الجرّ، فانتصبَ ومُنع الصرفَ للعلمية والتأنيث، ويكون «والقلم» معطوفاً عليه.

واحتمل أن يكون لالتقاء الساكنين وأوثر الفتح تخفيفاً كـ «أَيْنَ».

و«ما» يحتمل أن تكون موصولة ومصدرية، والضمير في «يَسْطُرون» عائدٌ على الكُتَّاب لدلالةِ القلمِ عليهم، فإمَّا أنْ يُرادَ بهم الحفَظَة، وإمَّا أنْ يرادَ كلُّ كاتب.

وقال الزمخشريّ: ويجوزُ أن يُرادَ بالقلم أصحابُه، فيكون الضمير في «يَسْطُرُون» لهم، كأنه قيل: وأصحابِ القلمِ ومَسْطُورَاتِهم أو سَطْرِهِم[٧]. انتهى.

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥: جعل القلمَ هذا المتعارفَ... إلخ.

(٢) في النسخ الخطية والمطبوع: على هذا المجموع أمر الكتاب. والتصويب من المصدر السالف.

(٣) قوله: ومطيَّة الفِطْنَة، من (يه)، وهو في المصدر السالف، والكلام منه.

(٤) ينظر التيسير ص١٨٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥.

(٥) القراءات الشاذة ص١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥، ونُسبت القراءة في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ لابن عباس وأبي رَزِين وقتادة والأعمش.

(٦) القراءات الشاذة ص١٥٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥. قال ابن عطية: المعنى: اذكُرْ نونَ. وجاء في زاد المسير ٨/ ٣٢٦ عن الحسن وأبي عمران وأبي نَهِيك: «نُ» بالضم.

(٧) المثبت من (يه)، وهو كذلك في الكشاف ٤/ ١٤١، والكلام منه، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: تسطيرهم.

فيكون كقوله: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ [النور: ٤٠] أي: وكذي ظلماتٍ، ولهذا عاد عليه الضميرُ في قوله: ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾.

وجواب القسم ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ ويظهرُ أنَّ «بنعمةِ ربِّك» قَسَمٌ اعترض به بين المحكوم عليه والحُكم على سبيل التوكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه ﷺ.

وقال ابن عطية[1]: «بنعمةِ ربِّك» اعتراضٌ كما تقول للإنسان: أنتَ ـ بحمد الله ـ فاضلٌ. انتهى.

ولم يبيِّن ما تتعلَّق به الباء في «بنعمة».

وقال الزمخشريّ: يتعلَّق بـ «مجنون» منفيًّا كما يتعلَّق بـ «عاقل» مثبتاً في قولك: أنت بنعمة الله عاقل، مستوياً في ذلك الإثباتُ والنفيُ استواءَهما في قولك: ضربَ زيدٌ عَمراً، وما ضربَ زيدٌ عَمراً، تُعْمِلُ الفعلَ مُثْبَتاً ومنفيًّا إعمالاً واحداً، ومحلُّه النصبُ على الحال، كأنه قيل[2]: ما أنتَ بمجنونٍ مُنْعَماً عليك بذلك، ولم تمنع الباء أن يعمل «مجنون» فيما قبلَه؛ لأنها زائدة لتأكيد النفي. والمعنى استبعادُ ما كان ينسُبه إليه كفارُ مكةَ عداوةً وحَسَداً، وأنه من إنعام الله تعالى عليه بحصافةِ العقل والشَّهامة التي يقتضيها التأهيلُ للنبوَّة بمنزلة. انتهى.

وما ذهب إليه الزمخشريّ من أنَّ «بنعمةِ ربِّك» متعلِّق بـ «مجنون» وأنه في موضع الحال، يحتاجُ إلى تأمُّل، وذلك أنه إذا تسلَّطَ النفيُ على محكوم به، وذلك له معمول؛ ففي ذلك طريقان: أحدُهما أنَّ النفيَ يتسلَّط على ذلك المعمول فقط، والآخرُ أن يتسلَّطَ النفيُ على المحكوم به، فينتفي معمولُه لانتفائه، بيانُ ذلك تقول: ما زيدٌ قائمٌ مسرعاً، فالمُتبادِرُ إلى الذهن أنه منتفٍ إسراعُه دون قيامِه، فيكون قد قامَ غيرَ مسرع، والوجهُ الآخرُ أنه انتفى قيامُه فانتفى إسراعُه، أي: لا قيامَ فلا إسراعَ، وهذا الذي قرَّرْناه لا يتأتَّى معه قول الزمخشريّ بوجه، بل يؤدِّي إلى

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٦.

(٢) في الكشاف ٤/١٤١ (والكلام منه): كأنه قال.

ما لا يجوزُ أن يُنطق به في الحقِّ المعصوم ﷺ.

وقيل: معناه: ما أنتَ بمجنونٍ والنعمةُ لربِّك، كقولهم: سُبحانك اللهم وبحمدك، أي: والحمدُ لله، ومنه قول لَبِيد:

وأُفرِدْتُ في الدُّنيا بفَقْدِ عَشِيرتي وفـارقَـنـي جـارٌ بـأَرْبَـدَ نـافـعُ[1]

أي: وهو أَرْبَد. انتهى. وهذا تفسيرُ معنًى لا تفسيرُ إعراب.

وفي «المنتخب»[2] ما ملخَّصُه: المعنى: انتفَى عنك الجنونُ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ، أي: حصُولُ الصفةِ المحمودة وزَوالُ[3] الصفةِ المذمومة بواسطة إنعامِ ربِّك.

ثم قَرَنَ[4] بهذه الدَّعوى ما هُوَ كالدَّليل القاطع على صحَّتِها، لأنَّ نِعَمَهُ كانت ظاهرةً في حقِّه من كمال الفصاحة والعقل والسِّيرة المَرْضِيَّة والبراءة من كلِّ عيب والاتِّصاف بكلِّ مَكْرُمة، فحصولُ ذلك وظهورُه جارٍ مجرى اليقين في كونهم كاذبين في قولهم: إنه مجنون.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ في احتمال طعنِهم، وفي دعاء الخلقِ إلى الله، فلا يَمنَعْك ما قالوا عن الدعاء إلى الله.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا كالتفسير لما تقدَّم من قوله: ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وتعريفٌ لمن رَماه بالجنون أنه كذبٌ وخطأٌ، وأنَّ مَن كان بتلك الأخلاق المَرْضِيَّة لا يُضاف

---

(١) ديوان لَبِيد ص١٦٨ (بشرح الطُّوسي)، والبيت من قصيدة يرثي أخاه أَرْبَدَ، وروايتُه فيه: وقد كنتُ في أكنافِ جارِ مَضِنَّةٍ ففارقَني... والرواية أعلاه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٩ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٠، والكلام فيهما. وقوله: جارِ مَضِنَّةٍ، أي: جارٍ يُضَنُّ به. قاله الطُّوسي.

(٢) ذكرُ المُصنِّف هذا الكتاب عند تفسير الآية (٣٦) من سورة البقرة، ونسبه لأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المُرْسيّ، ولم أقف على من نسبه إليه عند غير المصنف، والكلام أعلاه بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٧٩-٨٠ دون نسبة، وتنظر ترجمة المُرْسيّ في معجم الأدباء ١٧/ ٢٠٩-٢١٢.

(٣) في المطبوع: وزال عنك، بدل: وزوال. والكلام بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٧٩.

(٤) في النسخ الخطية والمطبوع: قرَّر. والمثبت من المصدر السالف ٣٠/ ٨٠.

الجنونُ إليه، ولفظُه يدلُّ على الاستعلاء والاستيلاء[١]. انتهى.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾ أي: على ما تحمَّلْتَ من أثقال النبوَّة ومِن أذاهُم ممَّا ينسُبون إليك ممَّا أنت لا تلتبسُ به من المعائب ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غيرُ مقطوع، مَنَنْتُ الحبلَ قطعتُه، وقال الشاعر:

غُبْساً كواسِبُ لا يُمَنُّ طعامُها[٢]

أي: لا يُقطع.

وقال مجاهد: غير محسوب، وقال الحسن: غيرُ مُكَدَّرٍ بالمنّ، وقال الضحَّاك: بغير عمل، وقيل: غيرُ مقدَّر، وهو بمعنى قولِ مجاهد[٣].

وقال الزمخشريّ: أو غيرَ ممنُونٍ عليك لأنه ثوابٌ تستوجبُه على عملك وليس بتفضُّل ابتداءً، وإنما تُمَنُّ الفَواضِلُ لا الأجورُ على الأعمال. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزال[٤].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ قال ابنُ عباس ومجاهد: دينٍ عظيم ليس دينٌ أحبَّ إلى الله تعالى منه[٥].

(١) يعني في قوله: ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وعبارة تفسير الرازي ٣٠/ ٨١: وكلمة «على» للاستعلاء.

(٢) هو عجز بيت للَبِيد، وهو في ديوانه ص٣٠٨، وصدرُه: لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تنازعَ شِلْوَهُ، غُبْسٌ... الخ، بالرفع، وهو الصواب، وأما رواية المصنف «غُبْساً» ففي تفسير القرطبي ٢١/ ١٤١، وفيه عجز البيت فقط، وكذا وقع في «صحاح» الجوهري فيما ذكرَ ابنُ منظور في اللسان (منن)، وذكر أنَّ الجوهري غلطَ فيه، وينظر تمام كلام ابن منظور عليه ثمة، لكن البيت وردَ (وبتمامه) في مطبوع الصحاح على الجادّة، والله أعلم. قوله: لِمُعَفَّر، أي: من أجل مُعَفَّرٍ، وهذا المعفَّرُ (كما في القصيدة) ابنُ بقرة ـ وهو القَهْدُ ـ عُفِّر في التراب، وغُبْس، أي: ذئاب، من الغبَس، وهو لون الرماد.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٤٩، والنكت والعيون ٦/ ٦١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤١.

(٤) وذكر ابن المنير في الإنصاف (بهامش الكشاف ٤/ ١٤١) أن هذا الكلام سوء أدب من الزمخشري، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قيل: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة». انتهى. وينظر صحيح مسلم (٢٨١٧-٢٨١٨).

(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤١، وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٩ مختصر.

وقالت عائشة: إنَّ خُلُقَهُ كان القرآن[١].

وقال عليّ: هو أدبُ القرآن[٢].

وقال قتادة: ما كان يأتمرُ به من أمرِ الله تعالى[٣].

وقيل: سُمِّيَ عظيماً لاجتماع مكارم الأخلاق فيه[٤] من كَرَم السجيَّة وبَرَاعة[٥] القريحة والمَلَكةِ الجميلة وجُودة الضرائب[٦]، ما دعاه أحدٌ إلا قال: لبيك[٧].

وقال: «إن الله بعثني لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاق»[٨].

ووصَّى أبا ذَرّ فقال: «وخالقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن»[٩].

وعنه ﷺ: «ما من شيء يُوضَعُ في الميزان أثقلَ من خُلُقٍ حَسَن»[١٠]. وقال: «أحبُّكم إلى الله تعالى أحسنُكم أخلاقاً»[١١].

---

(١) هو قطعة من حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه مسلم (٧٤٦).
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٢.
(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٤٩، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٢.
(٤) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٣.
(٥) في المطبوع: ونزاهة.
(٦) جمع ضريبة، أي: الطبيعة والسَّجيَّة. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦.
(٧) جاء هذا الكلام ضمن حديث عن عائشة رضي الله عنها، أخرجه عنها أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ ص١٧-١٨، والواحدي في أسباب النزول ص٤٧١، وفي إسناده حسين بن علوان الكوفي، وهو متروك الحديث. ينظر ميزان الاعتدال ١/ ٤٩٥.
(٨) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٩٢ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «إنما بعثتُ...». وأخرجه عنه أحمد في المسند (٨٩٥٢) بلفظ: «إنما بعثت لأتمِّمَ صالح الأخلاق».
(٩) هو قطعة من حديثه رضي الله عنه، أخرجه أحمد في المسند (٢١٣٥٤) والترمذي في السنن (١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.
(١٠) هو عن أبي الدرداء (وليس عن أبي ذر كما يقتضيه السياق) أخرجه أحمد (٢٧٥١٧)، وأبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، وينظر سياق الكلام في تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٣.
(١١) هو بنحوه قطعة من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (٢٠١٨)، وفي الباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه أحمد (٨٨٢٢)، وتنظر بقية أحاديث الباب فيه.

والظاهر تعلق «بأيِّكم المفتون» بما قبلَه. وقال أبو عثمان المازني: تمَّ الكلامُ في قوله: «ويبصرون»، ثم استأنف قولَه: «بأيِّكم المفتون» انتهى. فيكون قوله: «بأيِّكم المفتون» استفهاماً يُرادُ به الترداد بين أمرَيْن، معلومٌ نفيُ الحكم عن أحدهما ويُعيِّنُهُ الوجود[1]، وهو أنَّ المؤمن ليس بمفتون ولا به فتون.

وإذا كان متعلِّقاً بما قبلَه ـ وهو قولُ الجمهور ـ فقال قتادة وأبو عبيدة معمر: الباء زائدة، والمعنى: أيُّكم المفتونُ[2]؟ وزيدت الباء في المبتدأ كما زيدت في قولهم: بحَسْبِكَ درهمٌ، أي: حَسْبُكَ.

وقال الحسن والضحَّاك والأخفش: الباء ليست بزائدة، والمفتون بمعنى الفتنة، أي: بأيِّكم هي الفتنةُ والفسادُ الذي سمَّوه جنوناً[3].

وقال الأخفش أيضاً: بأيِّكم فِتَنُ المفتون، حذف المضافَ وأقام المضافَ إليه مقامه[4]، ففي قوله الأول جعلَ المفتون مصدراً، وهنا أبقاه اسمَ مفعول وتأوَّله على حذف مضاف.

وقال مجاهد والفرَّاء: الباء بمعنى «في» أي: في أيِّ فريق منكم النوع المفتون[5]؟ انتهى. فالباء ظرفية نحو: زيدٌ بالبصرة، أي: في البصرة. فيظهر من هذا القول أنَّ الباء في القول قبلَه ليست ظرفية، بل هي سببيَّة.

وقال الزمخشري[6]: المفتون: المجنون، لأنه فُتِنَ، أي: مُحِنَ بالجنون، أو

---

(١) أي: تعيُّنُ وجوده للآخر، كما هي عبارة روح المعاني ٢٧/٣٣٧. وكلام المازني في المحرر الوجيز ٥/٣٤٦.

(٢) بنحوه في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٤، وردَّه الزجَّاج في معانيه ٥/ ٢٠٤-٢٠٥، وقال: الباء في «بأيكم المفتون» لا يجوز أن تكون لغواً. وينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٤-١٤٥.

(٣) القول في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦ وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٢ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٥ عن الحسن والضحَّاك.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦.

(٥) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٣، والكلام في المصدر السالف.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤١.

لأنَّ العرب يزعمون أنه من تخييل الجن، وهم الفُتَّان للفُتَّاك منهم. انتهى.

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «في أيِّكم المفتون»[1].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ وعيدٌ للضال، وهم المجانين على الحقيقة حيث كانت لهم عقولٌ لم ينتفعوا بها ولا استعملوها في اتِّباع ما[2] جاءت به الرسل، أو يكون «أعلم» كناية عن جزاء الفريقين.

﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ أي: الذين كذَّبوا بما أنزلَ الله عليك من الوحي، وهذا نهيٌ عن طَواعِيَتِهم في شيء ممَّا دَعَوْه إليه[3] من تعظيم آلهتهم.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ «لَوْ» هنا على رأي بعض النحويين[4] مصدرية بمعنى «أنْ»، أي: وَدُّوا إدهانَك[5].

وتقدَّم الكلامُ في ذلك في قوله تعالى: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦].

ومذهبُ الجمهور أنَّ معمولَ «وَدَّ» محذوف، أي: وَدُّوا إدهانَك[6]، وحُذف لدلالة ما بعدَه عليه، و«لَوْ» باقيةٌ على بابها من كونها حرفاً لِما كان سيقعُ لوقوع غيره، وجوابُها محذوف تقديرُه: لَسُرُّوا بذلك.

وقال ابن عباس والضحَّاك وعطيَّة والسُّدِّيّ: «لو تُدْهِنُ»: لو تكفرُ فيتمادَوْنَ على كفرهم.

وعن ابن عباس أيضاً: لو تُرَخِّصُ لهم فيُرَخِّصون لك.

وقال قتادة: لو تذهبُ عن هذا الأمر فيذهبون معك.

(١) المحرر الوجيز ٥/٣٤٧.

(٢) في (أ) و(ع) والمطبوع: فيما، بدل: في اتِّباع ما. والمثبت من (ت) و(يه).

(٣) في (يه): إليهم.

(٤) في (أ) والمطبوع: البصريين، بدل: بعض النحويين، وهو خطأ.

(٥) في النسخ الخطية والمطبوع والنهر المادّ (بهامش مطبوع البحر ٨/٣٠٦): إدهانكم. وأثبتُّ اللفظة على الجادَّة. وينظر التعليق التالي.

(٦) في (أ) و(ت) والمطبوع: إدهانكم. والمثبت من (ع) و(يه).

وقال الحسن: لو تُصانِعُهم في دينك فيصانعونك[١] في دينهم.

وقال زيد بنُ أسلم: لو تُنافق وتُرائي فينافقونك ويُراؤونك[٢].

وقال الرَّبيع بنُ أنس: لو تكذب فيكذبون.

وقال أبو جعفر: لو تَضعُفُ فيضعفون.

وقال الكلبيّ والفرَّاء: لو تَلِينُ فيلينون.

وقال أبان بن تغلب: لو تُحابي فيُحابون. وقالوا غير هذه الأقوال[٣].

وقال الفرَّاء: الإذهان التليين[٤].

وقال المفضَّل: النِّفاق وتركُ المناصحة[٥]، وهذا نقلُ أهل اللغة، وما قالوه لا يخرجُ عن ذلك، لأنَّ ما خالفَ ذلك هو تفسيرٌ باللازم.

و«فيُدْهِنُون» عطف على «تُدْهِنُ»، وقال الزمخشري[٦]: عُدِلَ به إلى طريق آخر، وهو أنْ جُعِلَ خبرَ مبتدأ محذوف، أي: فهم يُدْهِنُون، كقوله: ﴿فَمَن يُؤْمِنْ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ﴾ [الجن: ١٣] بمعنى: ودُّوا لو تُدْهِنُ فهم يدهنون حينئذٍ، أو: وَدُّوا إدْهانَك فهم الآن يُدْهِنُون لِطمعِهم في إدهانك. انتهى.

وجمهور المصاحف على إثبات النون، وقال هارون: إنه في بعض المصاحف: «فيُدْهِنُوا»[٧]، ولنصبه وجهان:

---

(١) في (ت) والمطبوع: فيصانعوك، وفي (أ): فيصانعون، والمثبت من (ع) و(يه).

(٢) في تفسير البغوي ٤/ ٣٧٧: فينافقون، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٧: فينافقون ويُراؤون.

(٣) ينظر ما سلف من أقوال مفرَّقةً في تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٦-١٥٧، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥١، والنكت والعيون ٦/ ٦٢، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٧، وزاد المسير ٨/ ٣٣٠-٣٣١، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٤٦-١٤٧.

(٤) بنحوه في معاني الفراء ٣/ ١٧٣، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٦ عنه: التليين لمن لا ينبغي له التليين.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٤٨، والمفضَّل: هو ابنُ سَلَمة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٢.

(٧) نقله عنه سيبويه في الكتاب ٣/ ٣٦، وجاء أيضاً عن سيبويه عن هارون في المصدر السالف. =

أحدُهما: أنه جواب «وَدُّوا» لتضمُّنِه معنى «لَيْتَ».

والثاني: أنه على توهُّم أنه نُطق بـ «أنْ» أي: وَدُّوا أن تُدْهِنَ فيدهنوا، فيكون عطفاً على التوهُّم، ولا يجيء هذا الوجه إلا على قول من جعلَ «لو» مصدرية بمعنى «أنْ».

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾ تقدَّم تفسير «مَهِين» وما بعده في المفردات، وجاءت هذه الصفات صفاتِ مبالغة، ونُوسب فيها، فجاء «حَلَّاف»، وبعدَه «مَهِين» لأن النون فيها مع الميم تواخٍ[١]، ثم جاء «همَّازٍ مَشَّاءٍ بنميم» بصفتي المبالغة، ثم جاء: «منَّاع للخير مُعْتَدٍ أثيم»، فـ «مَنَّاع» و«أثيم» صفتا مبالغة.

والظاهرُ أنَّ «الخير» هنا يُراد به العُمومُ فيما يطلقُ عليه خير.

وقيل: الخيرُ هنا المالُ، يُريدُ: منَّاعٍ للمال، عَبَّرَ به عن الشُّحِّ.

«مُعْتدٍ»[٢]: متجاوزِ الحدَّ في الظُّلم.

وفي حديث شدَّاد بن أوس: قلت ـ يعني لرسول الله ﷺ ـ: وما العُتُلُّ الزَّنيم؟ قال: «الرَّحِيبُ الجوف، الوثيرُ الخَلْق، الأكُولُ الشَّرُوب، الغَشُوم الظَّلُوم»[٣].

وقرأ الحسن: «عُتُلٌّ» برفع اللام[٤]، والجمهورُ بجرِّها.

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قال الزمخشريّ: جعلَ جَفاءَهُ ودعوتَه أشدَّ مَعَايبِهِ، لأنّه إذا جفا وغلُظ طبعُه، قَسَا قلبُه، واجترأ على كلِّ معصية، ولأنَّ الغالبَ أنَّ النُّطفةَ إذا خَبُثَتْ

= وهارون: هو ابنُ موسى الأزدي، نحويٌّ، ثقة صاحبُ قراءة، روى له الشيخان، ينظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١١٥.

(١) أي: تقارُب، فالنون في «مَهِين» في رأس الآية مناسِبةٌ للميم في رؤوس الآيات بعدها.

(٢) المثبت من (يه). وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: معناه، بدل: معتدٍ، وهو تحريف.

(٣) هو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٣ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٢، وأحكام القرآن للجصاص ٣/ ٤٦٧ بأطول منه. وأخرجه أحمد في المسند (١٨٩٩١) بنحوه عن عبد الرحمن بن غُنْم. قوله: الوثير، من الوثارة، وهي كثرةُ الشحم. (اللسان «وثر» عن أبي زيد).

(٤) القراءات الشاذة ص١٥٩، والكشاف ٤/ ١٤٣ (وسيذكرها المصنف عنه).

خَبُثَ الناشئُ منها، ومن ثَمَّ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ ولدُ الزِّنى ولا ولدُه ولا ولدُ ولدِه»[1].

و«بعد ذلك» نظير «ثُمَّ» في قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد: ١٧].

وقرأ الحسن: «عُتُلٌّ» رفعاً على الذَّمّ، وهذه القراءة تقوية لِما يدلُّ عليه «بعد ذلك». انتهى.

وقال ابن عطية[2]: «بَعْدَ ذَلِكَ» أي: بعد ما وصفناه به، فهذا الترتيب إنما هو في قول الواصف، لا في حصول تلك الصفات في الموصوف، وإلا فكونه عُتُلّاً هو قبل كونه صاحبَ خيرٍ يمنعُه. انتهى.

والزَّنيم: المُلْصَقُ في القوم وليس منهم. قاله ابنُ عباس وغيره[3].

وقيل: الزَّنيم: المُريبُ القبيحُ الأفعالِ[4].

وعن ابن عباس أيضاً: الزَّنيم الذي له زَنَمةٌ في عُنُقه كزَنَمةِ الشَّاة، وما كنَّا نعرفُ المشارَ إليه حتى نزلت فعرفناه بزَنَمتِه. انتهى[5].

ورُوِيَ أنَّ الأخنسَ بنَ شَرِيقٍ كان بهذه الصفة، كان له زَنَمة[6].

---

(١) الحديث في الكشاف ٤/ ١٤٣ (والكلام منه) وأورده ابنُ الجوزي في الموضوعات من حديث أبي هريرة (١٥٦٤-١٥٦٦) وبنحوه من حديث ابن عمرو (١٥٦١-١٥٦٣) وذكر الاضطراب والاختلاف في روايتهما، وقال: ليس في هذه الأحاديث شيءٌ يصحُّ. وهذه الأحاديث تخالف الأصول، وأعظمُها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨.

(٣) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٤، وتفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٢ دون نسبة، وقاله الفراء في معانيه ٣/ ١٧٣، ونقله عنه الرازي في تفسيره ٣٠/ ٨٤.

(٤) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨ عن بعض المفسرين.

(٥) المصدر السالف. وأخرج البخاري في صحيحه (٤٩١٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال: رجلٌ من قريش له زَنَمةٌ مثلُ زَنَمةِ الشاة. وبنحوه في تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٦.

(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨، وذكر الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٦٥ عن الضحاك أن

=

وروى ابنُ جُبير عن ابن عباس أنَّ الزَّنيم هو الذي يُعرف بالشرِّ كما تُعرف الشاة بالزَّنَمة[١].

وعنه أيضاً: أنه المعروف بالأُبْنَة، وعنه أيضاً: أنه الظَّلُوم[٢].

وعن عكرمة: هو اللئيم[٣].

وعن مجاهد وعكرمة وابن المسيّب: أنه ولد الزِّنى الملحَق في النسب بالقوم[٤].

وكان الوليد دَعِيًّا في قريش ليس من سِنْخِهم، ادَّعاه أبوه بعد ثمانَ عشرة من مولده[٥].

وقال مجاهد: كانت له ستةُ أصابعَ في يده، في كل إبهام أُصبعٌ زائدة[٦].

والذي يظهر أنَّ هذه الأوصاف ليست لمعيَّن، ألا ترى إلى قوله: ﴿كُلَّ حَلَّافٍ﴾ وقوله ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ فإنَّما وقعَ النهيُ عن طواعيةِ مَنْ هو بهذه الصِّفات.

قال ابن عطية ما ملخَّصُهُ: قرأ النَّحْويَّان والحِرْمِيَّان وحفص وأهلُ المدينة: «أَنْ كَانَ» على الخبر، وباقي السبعة والحسنُ وابنُ أبي إسحاق وأبو جعفر على الاستفهام[٧]، وحقَّق الهمزتين حمزة، وسهَّلَ الثانيةَ باقيهم[٨]، فأمَّا على الخبر فقال

= الوليد بن المغيرة كان بهذه الصفة، وذكر أيضاً عن ابن إسحاق أن الآية نزلت في الأخنس بن شريق لأنه حليف ملحق، ولذلك سُمِّيَ زنيماً.

(١) تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٦-١٦٧ (مختصر) وزاد المسير ٨/ ٣٣٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣. وهو في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٣، وتفسير الرازي ٣٠/ ٨٥ عن الشعبي.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣. والأُبنة: العيب.

(٣) أخرج الطبري ٢٣/ ١٦٨ عنه قوله: الزنيم الذي يُعرف باللؤم كما تُعرف الشاة بزنمتها.

(٤) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٤-١٦٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣.

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٢. وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣: بعد ثماني عشرة سنة من مولده، وذكره الثعلبي في تفسيره ٦/ ٢٥٢ عن مُرَّة الهَمْداني. قوله: سِنْخِهِم، أي: أصلهم.

(٦) تفسير القرطبي ٢١/ ١٥٣.

(٧) يعني بهمزة واحدة ممدودة. النحويان: أبو عمرو والكسائي، والحِرْميّان: نافع وابن كثير.

(٨) غير أن أبا بكر عن عاصم حقَّق الهمزتين، ولم يذكره ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨
=

أبو عليّ الفارسيَّ[١]: يجوز أن يعمل فيها «عُتُلّ» وإن كان قد وُصف. انتهى.

وهذا على قول كوفيّ، ولا يجوزُ ذلك عند البصريِّين.

وقيل: «زنيم»[٢] لاسيما على قول من فسَّره بالقبيح الأفعال.

وقال الزمخشريّ[٣]: متعلِّق بقوله: «ولا تُطِعْ» يعني: ولا تُطِعْهُ مع هذه المثالب لأنْ كان ذا مال، أي: ليسارِهِ وحظِّه مِن الدنيا، ويجوزُ أن يتعلَّق بما بعدَه على معنى: لكونهِ متموِّلاً مستظهِراً بالبنين كذَّبَ آياتِنا، ولا يعملُ فيه «قال» الذي هو جواب «إذا» لأنَّ ما بعدَ الشرط لا يعملُ فيما قبلَه، ولكنْ ما دلَّت عليه الجملةُ من معنى التكذيب. انتهى.

وأمَّا على الاستفهام فيحتمل أن يفسَّر عاملٌ يدلُّ عليه ما قبلَه، أي: أتكونُ طَوَاعيةً لأنْ كانَ، وقدَّره الزمخشريّ: أتطيعُه لِأنْ كانَ. أو عاملٌ يدلُّ عليه ما بعدَهُ[٤]، أي: أَكَذَّبَ أو جَحَدَ لِأَنْ كانَ.

وقرأ نافع في رواية اليزيديّ[٥] عنه: «إنْ كانَ» بكسر الهمزة، قال الزمخشريّ: والشرط للمخاطَب، أي لا تُطع كلَّ حلَّافٍ شارطاً يسارَه، لأنه إذا أطاعَ الكافرَ لِغناه فكأنَّه اشترطَ في الطاعة الغِنَى، ونحوُ صرفِ الشَّرط إلى المخاطَب صرفُ الترجِّي إليه في قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ﴾ [طه: ٤٤]. انتهى.

= (والكلام منه) إنما ذكرَ عن عاصم تسهيل الثانية. وينظر السبعة ص٦٤٦، والتيسير ص٢١٣، والنشر ١/ ٣٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٦.

(١) نقله عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨.

(٢) يعني جواز عمل «زنيم» في «أنْ كان»، وهو من كلام ابن عطية أيضاً.

(٣) الكشاف ٤/ ١٤٣.

(٤) في (أ) والمطبوع: ما قبله، وهو خطأ.

(٥) في القراءات الشاذة ص١٥٩: الزهري، ووقع في (ع) و(يه) والكشاف ٤/ ١٤٣: الزبيري. وهو خطأ. وجاء في حاشية (ع) ما صورتُه: «أظنُّها اليزيدي». اهـ. واليزيدي: هو يحيى بن المبارك أبو محمد العدوي البصري، نحوي مقرئ ثقة، توفي سنة (٢٠٢)هـ ينظر غاية النهاية ٢/ ٣٧٧.

وأقول: «إنْ كان» شرطٌ، و«إذا تُتلى» شرط، فهو ممَّا اجتمعَ فيه شرطان، وليسا من الشروط المترتّبةِ الوقوع، فالمتأخِّرُ لفظاً هو المتقدِّم، والمتقدِّم لفظاً هو شرطٌ في الثاني، فهو كقوله:

فــإنْ عَـثَـرْتُ بـعـدَهـا إنْ وَأَلَـتْ نـفـسـيَ مـن هَـاتَـا فـقُـولا لا لَـعَـا[١]

لأنَّ الحاملَ على تركِ تدبُّرِ آياتِ الله كونُه ذا مالٍ وبنينَ، فهو مشغولُ القلب بذلك، غافلٌ عن النظر والفِكْر، قد استولَتْ عليه الدُّنيا وأبطَرَتْهُ.

وقرأ الحسن: «آئذا» على الاستفهام[٢]، وهو استفهامُ تقريع وتوبيخ على قوله: القرآن أساطيرُ الأولين؛ لمَّا تُليت عليه آياتُ الله.

ولمَّا ذكرَ قبائحَ أفعالِه وأقوالِه؛ ذكرَ ما يَفعَلُ به على سبيل التوعُّد، فقال: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ والسِّمَةُ العلامة.

ولمَّا كان الوجه أشرفَ ما في الإنسان، والأنفُ أكرمَ ما في الوجه لتقدُّمِهِ ـ ولذلك جعلوه مكانَ العزِّ والحميَّة واشتقُّوا منه الأَنَفَة، وقالوا: حَمِيُّ الأنف، شامِخُ العِرْنِين[٣]، وقالوا في الذليل: جُدِعَ أنفُه ورَغِمَ أنفُهُ ـ وكان أيضاً ممَّا تظهرُ السِّماتُ فيه لعلوِّه؛ قال: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ وهو غايةُ الإذلال والإهانة والاستبلاد، إذ صارَ كالبهيمة لا يملكُ الدَّفْعَ عن وَسْمِهِ في الأنف، وإذا كان الوَسْمُ في الوجه شَيْناً، فكيف به على أكرم عُضْوٍ فيه؟! وقد قيل: الجمال في الأنف، وقال بعض الأدباء[٤]:

وحُسْنُ الفَتَى في الأنفِ والأنفُ عاطلٌ فكيـف إذا ما الخالُ كانَ له حَلْيَا

---

(١) البيت لابن دُريد، وهو في مقصورته ص١٦٧ (بشرح ابن هشام اللخمي) قال الشارح: «وَأَلَتْ»: نَجَتْ وخَلَصَتْ، و«هاتا» بمعنى هذه، وقوله: «لا لَعَا»؛ قال الخليل: «لَعَا» كلمة تقال عند العَثْرة.

(٢) القراءات الشاذة ص١٥٩-١٦٠.

(٣) العِرْنين: الأنف، أو ما صَلُبَ من عَظْمِه. ينظر القاموس.

(٤) يريد المصنف نفسَه، ذكره عنه الصفدي في أعيان العصر ٣/ ٤٧٩، والعيني في عقد الجمان (حوادث سنة ٦٩٢) ص١٩٧.

و«سَنَسِمُه» فعل مستقبَل لم يتعيَّن زمانه، فقال ابنُ عباس: هو الضَّربُ بالسَّيف، أي: يُضرب به في وجهه وعلى أنفِه، فيجيءُ ذلك كالوَسْم[1] على الأنف، وحَلَّ به ذلك يومَ بدر.

وقال المبرِّد: ذلك في عذاب الآخرة في جهنم، وهو تعذيبٌ بنارٍ على أنوفهم.

وقال آخرون: ذلك في يوم القيامة، أي: يُوسَمُ على أنفِهِ بِسِمَةٍ يُعرفُ بها كفرُهُ وانحطاطُ قَدْرِهِ.

وقال قتادة وغيرُه: معناه: سنفعلُ به في الدنيا من الذَّمّ والمقت والإشهار بِالشرِّ ما يبقَى فيه ولا يخفَى به، فيكون ذلك كالوَسْم على الأنف ثابتاً بيّناً كما تقول: سأطوِّقُك طَوْقَ الحمامة، أي: أُثبتُ لك الأمرَ بيِّناً فيك، ونحو هذا أراد جرير بقوله:

لـمَّا وضعتُ على الفرزدقِ مِيسَمي[2]

وفي الوَسْم على الأنف تشويهٌ، فجاءت استعارتُه في المذمَّات بليغةً جدّاً.

قال ابن عطية[3]: وإذا تأملتَ حال أبي جهلٍ ونظرائِه وما ثبتَ لهم في الدنيا من سُوءِ الأُحْدُوثةِ رأيتَ أنهم قد وُسِمُوا على الخراطيم. انتهى.

وقال أبو العالية ومقاتل واختاره الفرَّاء: يسودُّ وجهُه قبل دخولِ النار، وذكرَ الخرطومَ والمرادُ الوَجْهُ، لأنَّ بعضَ الوجه يؤدِّي عن بعض.

وقال أبو عبد الله الرازي[4]: إنما بالغَ الكفار في عداوة الرسول ﷺ بسبب

---

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩ (والكلام فيه): الوسم.

(٢) سلف في تفسير المفردات.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، والأقوال السالفة كلها فيه.

(٤) في تفسيره ٣٠/ ٨٦، والكلام السالف قبله فيه. وينظر معاني الفراء ٣/ ١٧٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٤-٢٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٨.

الأنَفَة والحميَّة، فلمَّا كان منشأ هذا[١] الإنكار هو الأَنَفَة والحميَّة؛ عبَّر[٢] عن هذا الاختصاص بقوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ انتهى كلامه.

وفي استعارة «الخرطوم» مكان «الأنف» استهانةٌ واستخفاف، لأنَّ حقيقة الخرطوم هو للسِّباع.

وتلخَّص من هذا أن قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أهو حقيقة أم مجاز؟ وإذا كان حقيقةً فهل ذلك في الدنيا أو في الآخرة؟ وأبعدَ النَّضْر بنُ شُميل في تفسيره «الخُرْطُوم» هنا بالخمر، وأنَّ معناه: سَنَحُدُّه على شُربها[٣].

ولمَّا ذكرَ المتَّصفَ بتلك الأوصاف الذميمة ـ وهم كفار قريش ـ أخبرَ تعالى بما حَلَّ بهم من الابتلاء بالقَحْطِ والجوع بدعوةِ رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَك على مُضَرَ، واجْعَلْها عليهم سنينَ كسِنِي يوسف» الحديث[٤]. ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ المعروفِ خبرُها عندَهم، كانت بأرض اليمن بالقُرب منهم قريباً من صنعاء لرجلٍ كان يؤدِّي حقَّ اللهِ منها، فماتَ فصارت إلى ولدِه، فمنعوا الناسَ خيرَها وبَخِلُوا بحقِّ اللهِ تعالى، فأهلكَها الله تعالى من حيث لم يُمْكِنْهم دفعُ ما حلَّ بها[٥].

وقيل: كانت بصَوْرَان على فراسخَ من صنعاء لناسٍ بعد رَفْع عيسى عليه السلام.

وكان صاحبُها يتركُ للمساكينِ ما أخطأه المِنْجَلُ وما في أسفلِ

---

(١) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: شاهد، بدل: منشأ هذا. وهي غير مجوَّدة في (يه)، والمثبت من تفسير الرازي والكلام منه.

(٢) في المصدر السالف: فلما كان منشأ هذا الإنكار هو الأَنَفَة والحميَّة كان منشأ عذاب الآخرة هو هذه الأَنَفَة والحميَّة، فعبَّر... الخ.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٩، وسلف القول في تفسير المفردات.

(٤) هو شطر من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٧٢٦٠) والبخاري (٦٢٠٠) ومسلم (٦٧٥).

(٥) في (أ) و(ت) والمطبوع: بهم؛ والمثبت من (ع) و(يه) وهو كذلك في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٠، والكلام فيه.

الأكْدَاس[١]، وما أخطأه القِطافُ من العِنَب، وما بقيَ على البِساط تحت النَّخْلة إذا صُرِمَتْ، فكان يجتمعُ لهم شيءٌ كثير، فلمَّا ماتَ قال بنُوه: إنْ فعَلْنا ما كان يفعلُ أبونا ضاقَ علينا الأمر، ونحن أولو عِيال، فحلفُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحين في السَّدَف خُفْيَةً من المساكين، ولم يستثنوا في يمينهم[٢].

والكاف في ﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ في موضع نصب[٣]، و«ما» مصدريَّة، وقيل: بمعنى «الذي»، و«إذْ» معمول لـ «بَلَوْنَاهُمْ».

﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ جواب القسَم لا على منطوقهم؛ إذْ لو كان على منطوقهم لكان: «لنَصْرِمُنَّها» بنون المتكلِّمين، والمعنى: لَيَجُدُّنَّ ثمرَها إذا دخلُوا في الصباح قبل خروج المساكين إلى عادتهم مع أبيهم.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: ولا يَنْثَنُون عمَّا عزمُوا عليه من منع المساكين[٤].

وقال مجاهد: معناه: لا يقولون إن شاء الله، بل عزموا على ذلك عَزْمَ من يملكُ أمرَه[٥].

وقال الزمخشري[٦] متَّبعاً قولَ مجاهد ولا يقولون إن شاء الله: فإن قلت: لِمَ سُمِّيَ استثناءً وإنما هو شرط؟

قلت: لأنه يؤدِّي مؤدَّى الاستثناء من حيث إنَّ معنى قولك: لأَخْرُجَنَّ إن شاء الله، ولا أَخْرُجُ إلا أن يشاء الله، واحد. انتهى.

---

(١) جمع كُدْس، وهو ما يُجمع من حبٍّ محصود، أو تمرٍ أو غيره في البَيْدَر.

(٢) بعده في الكشاف ٤/ ١٤٤ (والكلام فيه): فأحرقَ الله جنتهم. والخبر بنحوه في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٥-٢٥٦. قوله: السَّدَف، هو سواد الليل، أو الصُّبحُ وإقبالُه، وهو المناسب للآية. ينظر القاموس (سدف).

(٣) أي: في محل نصب صفة لمصدر مقدَّر، أي: بلوناهم ابتلاءً مثلَ ما بَلَوْنا.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩.

(٥) المصدر السالف، وقول مجاهد هو ما جاء في صدر الكلام، وهو قول الأكثرين كما في زاد المسير ٨/ ٢٣٥، وهو في النكت والعيون ٦/ ٦٧ دون نسبة.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٤.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ وقرأ النَّخعيّ: «طَيْف»[١].

قال الفرَّاء: والطائفُ الأمرُ الذي يأتي بالليل. ورُدَّ عليه بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فلم يتخصَّص بالليل[٢].

و«طائف» مبهم، فقيل: هو جبريل عليه السلام اقتلَعَها وطاف بها حول البيت، ثم وضعَها حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سُميت بالطائف، وليس في أرض الحجازِ بلدةٌ فيها الماءُ والشجرُ والأعنابُ غيرها[٣].

وقال ابن عبَّاس: طائفٌ من أمرِ ربِّك.

وقال قتادة: عذابٌ من ربِّك.

وقال ابنُ جُرَيج[٤]: عنقٌ من نارٍ خرجَ من وادي جهنم.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ قال ابنُ عبَّاس: كالرَّماد الأسود، والصَّرِيم: الرَّمادُ الأسود بلغة خُزيمة[٥].

وعنه أيضاً: الصَّرِيم رملة باليمن معروفة لا تُنبت، فشبَّه جنَّتهم بها[٦].

وقال الحسن: صُرِمَ عنها الخير، أي: قُطع، فالصَّرِيم بمعنى مَصْرُوم[٧].

وقال الثوري: كالصُّبح من حيث ابيضَّت، كالزَّرع المحصود[٨].

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٠، وهي في المصدر السالف دون نسبة.
(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٥، وبلفظه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩.
(٣) تفسير القرطبي ٢١/ ١٦١، وليس في هذا الكلام ما يصحُّ.
(٤) تحرف في (أ) والمطبوع إلى: جرير. وتنظر هذه الأقوال في النكت والعيون ٦/ ٦٧، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٣.
(٥) تفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩ (وفيه جذيمة، بدل: خزيمة) وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٤.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩.
(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، وتفسير البغوي ٤/ ٣٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥.
(٨) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥.

وقال مُؤرِّج: كالرملة انصرَمَتْ من معظم الرَّمل، والرملة: لا تُنبت شيئاً ينفع[١].

وقال الأخفش: كالصُّبح انصَرَمَ من الليل[٢].

وقال المبرِّد: كالنهار فلا شيء فيها[٣].

وقال شَمِر: الصَّرِيمُ الليل، والصَّرِيمُ النهار، أي: يَنصَرِمُ هذا عن ذاك، وذاك عن هذا[٤].

وقال الفرَّاء والقاضي منذر بن سعيد وجماعة: الصَّرِيمُ الليلُ من حيث اسودَّت جنَّتُهم[٥].

﴿فَتَنَادَوْا﴾: دعا بعضُهم بعضاً إلى المُضِيّ إلى ميعادهم: ﴿أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾.

قال الزمخشري[٦]: فإن قلتَ: هلَّا قيل: اغْدُوا إلى حَرْثِكم، وما معنى «على»؟

قلت: لمَّا كان الغُدُوُّ إليه لِيصْرِمُوه ويقطعُوه؛ كان غُدُوًّا عليه، كما تقول: غَدَا عليهم العَدُوّ، ويجوزُ أن يُضَمَّن الغُدُوُّ معنى الإقبال، كقولهم: يُغْدَى عليه بالجَفْنَةِ ويُراح، أي: فأَقْبِلُوا على حَرْثِكم باكرين. انتهى.

واستسلفَ الزمخشريُّ أنَّ «غَدَا» يتعدَّى بـ «إلى»، ويحتاجُ ذلك إلى نقل بحيث يكثُر ذلك فيصيرُ أصلاً فيه، ويُتأوَّلُ ما خالفه، والذي في حفظي أنه معدًّى بـ «على» كقول الشاعر:

---

(١) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥، وهو بنحوه في صحيح البخاري (تفسير سورة القلم) دون نسبة.

(٢) تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٥٦، والبغوي ٤/ ٣٧٩، والقرطبي ٢١/ ١٦٥.

(٣) الكامل ١/ ٣٠٥ (ونقله عنه القرطبي ٢١/ ١٦٥)، وذكر المبرِّد أيضاً أن الصَّريم الليل المظلم وقال: فهو من الأضداد.

(٤) بنحوه في تهذيب اللغة ١٢/ ١٨٥، وبلفظه في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٥.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٩، وفي معاني الفراء ٣/ ١٧٥: فأصبحت كالصَّريم: كالليل المسودّ.

(٦) الكشاف ٤/ ١٤٤.

وقــد أغْــدُو عــلــى ثُــبَــةٍ كــرامٍ نَـشَـاوَى وَاجـديـنَ لِـمـا نـشـاءُ[١]

وكذا غُدِّيَ مرادفُه؛ قال الشاعر[٢]:

بَـكَـرْتُ عـلـيـه[٣] غُـدْوَةً فـرأيـتُـهُ قُـعوداً لَـدَيْـهِ[٤] بـالـصَّـرِيـمِ عَـوَاذِلُـهْ[٥]

﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ الظاهر أنه من صِرَام النَّخل، قيل: ويحتمل أن يريد: إن كنتُم أهلَ عزمٍ وإقدامٍ على رَأيكم، من قولك: سيفٌ صارمٌ.

﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾: يُخفون كلامَهم خوفاً من أن يشعرَ بهم المساكين.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي: يتخافتون بهذا الكلام وهو «لا يَدْخُلَنَّها» و«أَنْ» مصدرية، ويجوز أن تكون تفسيرية.

وقرأ عبد الله وابنُ أبي عَبْلَة: «لا يَدْخُلَنَّها» بإسقاط «أَنْ»[٦] على إضمار: يقولون، أو على إجراء «يتخافتون» مُجرى القول، إذ معناه: يُسَارُّون القولَ.

والنهيُ عن الدُّخول نهيٌ عن التمكينِ منه، أي: لا تُمكِّنُوهم من الدخول فيدخلوا.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ أي: على قصد وقُدرة في أنفسهم يظنُّون أنهم تمكَّنوا من مُرادهم، قال معناه ابنُ عباس[٧]، أي: قاصدينَ إلى جَنَّتِهم بسرعة، قادرين عند أنفسهم على صِرَامِها.

---

(١) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص٧٢، وفيه شَرْب، بدل: ثُبَة، أي: جماعة، والشَّرْب جمع شارب، ونَشَاوَى جمع نَشْوَان، مثل سَكْران وسَكَارَى.
(٢) من قوله: وقد أغدو على... إلى هذا الموضع ليس في (أ) والمطبوع.
(٣) في (يه): عليهم.
(٤) في (أ) والمطبوع: عليه.
(٥) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص١٤٠.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وهي في الكشاف ٤/ ١٤٤ عن ابن مسعود فقط، وجاء في القراءات الشاذة ص١٦٠ عنه: لا يَدْخُلَنْها، بسكون النون (دون ذكر حذف «أنْ»).
(٧) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، والكلام في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦.

قال أبو عبيدة والقُتَبيّ: «على حَرْد»: على مَنْعٍ[١]، أي: قادرين في أنفسهم على منع المساكين من خيرِها، فجزاهم الله بأن منعَهم خيرها.

وقال الحسن: «على حَرْد» أي: حاجةٍ وفاقة[٢].

وقال السُّدِّيّ وسفيان: «على حَرْدٍ» على غضب[٣]، أي: لم يقدرُوا إلا على حَنَقٍ وغضبٍ بعضِهم على بعض[٤].

وقيل: «على حَرْدٍ»: على انفراد، أي: انفردُوا دونَ المساكين[٥].

وقال الأزهريّ: «حَرْد» اسم قريتهم[٦].

وقال السُّدِّيُّ: اسم جنَّتهم[٧] أي: غَدَوْا على تلك الجنة «قادِرِين» على صِرَامِها عند أنفسِهم، أو مقدِّرين أن يَتِمَّ لهم مرادُهُم من الصِّرَام.

قيل: ويحتمل أن يكون من التقدير بمعنى التضييق، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]، أي: مضيِّقين على المساكين إذْ حرمُوهم ما كان أبوهم يُنيلُهم منها[٨].

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي: على غير الحالة التي كانوا عَهِدُوها عليها من هلاكها وذهابِ ما فيها من الخير ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي عن الطريقِ إليها. قاله قتادة، وذلك في أوَّلِ وصولِهم أنكروا أنها هي، واعتقدُوا أنهم أخطؤوا الطريقَ إليها، ثم وَضَحَ لهم أنها هي، وأنه أصابَها من عذاب الله ما أذهبَ خيرَها.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، وتفسير غريب القرآن ص٤٧٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٦.
(٢) تفسير الطبري ٢٣/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٨.
(٣) ينظر وسيط الواحدي ٤/ ٣٣٨، والنكت والعيون ٦/ ٦٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٧.
(٤) الكشاف ٤/ ١٤٥.
(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٧، وسلف معناه في المفردات.
(٦) تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤ (وذكره الأزهري رواية عن بعض التفسير)، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٧.
(٧) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٦، والنكت والعيون ٦/ ٦٩، وزاد المسير ٨/ ٣٣٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٨.
(٨) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠.

وقيل: «لَضَالُّون» عن الصواب في غُدُوِّنا على نيَّةِ مَنْعِ المساكين فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ خَيْرَها لجِنايتِنا[1] على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أفضلُهم وأرجحُهم عقلاً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ أنَّبَهُمْ ووبَّخهم على تركِهم ما حضَّهم عليه من تسبيح الله، أي: ذكرِه وتنزيهِه عن السُّوء، ولو ذكرُوا الله وإحسانَه إليهم لامتثلُوا ما أمرَ به من مواساة المساكين، واقتَفَوْا سنةَ أبيهم في ذلك، فلمَّا غَفَلُوا عن ذِكْرِ الله تعالى وعزمُوا على منعِ المساكن ابتلاهم الله. وهذا يدلُّ على أنَّ أوسطَهم كان قد تقدَّم إليهم وحرَّضَهم على ذِكْرِ الله تعالى.

وقال مجاهد وأبو صالح: كان استثناؤهم «سبحان الله»[2].

قال النحَّاس: جعلَ مجاهدٌ التسبيحَ موضع «إن شاء الله» لأنَّ المعنى تنزيهُ الله أن يكون شيءٌ إلا بمشيئته[3].

وقال الزمخشري: لالتقائهما[4] في معنى التعظيم لله، لأنَّ الاستثناء تفويضٌ إليه، والتسبيحَ تنزيهٌ له، وكلُّ واحدٍ من التفويضِ والتنزيه تعظيمٌ له. انتهى.

وقيل: ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾: تستغفرون. ولمَّا أنَّبَهُمْ رجَعُوا إلى ذكرِ الله تعالى واعترفُوا على أنفسهم بالظُّلم وبادرُوا إلى تسبيح الله تعالى فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ﴾؛ قال ابنُ عباس: أي: نستغفرُ الله من ذنبنا[5].

ولمَّا أقرُّوا بظلمهم لامَ بعضُهم بعضاً وجعلَ اللَّوْمَ في حيِّزِ غيرِه، إذْ كان منهم مَنْ زَيَّن، ومنهم مَنْ قَبِلَ، ومنهم من أَمَرَ بالكَفِّ، ومنهم مَنْ عَصَى الأمرَ، ومنهم مَنْ سَكَتَ على رِضاً منه[6].

---

(١) في المطبوع: بخيانتنا، وهو تحريف. ينظر الكشاف ٤/ ١٤٥.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٦٩.

(٣) هو في تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٩ عن النحاس، ولم أقف عليه عنده.

(٤) يعني التسبيح والاستثناء، والكلام في الكشاف ٤/ ١٤٥.

(٥) تفسير القرطبي ٢١/ ١٦٩.

(٦) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٤٥.

ثم اعترفوا بأنهم طَغَوْا، وتَرَجَّوا انتظارَ الفَرَج في أن يُبْدِلَهم خيراً من تلك الجنَّة.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ أي: بهذه الجنة ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ﴾.

وتقدَّم في «الكهف» [٨١] الخلافُ في تخفيف «يبدلنا» وتثقيلها منسوباً إلى القُرَّاء[١].

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ أي: طالبون إيصالَ الخيرِ إلينا منه.

والظاهرُ أنَّ أصحابَ هذه الجنة كانوا مؤمنين، أصابوا معصيةً وتابوا.

وقيل: كانوا من أهل الكتاب[٢].

وقال عبد الله بنُ مسعود: بلغني أنَّ القومَ دَعَوا اللهَ وأخلصُوا، وعَلِمَ اللهُ منهم الصِّدْقَ فأبدَلَهُم بها جنةً يقال لها: الحَيَوان، فيها عِنَبٌ، يَحْمِلُ البغلُ منها العنقودَ.

وقال أبو خالد اليَمانيّ: رأيتُ الجنةَ[٣] وكلُّ عنقودٍ منها كالرجلِ الأسْودِ القائم.

وعن مجاهد: تابُوا فأُبدِلُوا خيراً منها[٤].

وقال القشيريّ: المعظمُ يقولون: إنهم تابوا وخلصوا. انتهى.

وتوقَّفَ الحسنُ في كونهم مؤمنين وقال: أكانَ قولُهم: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ إيماناً أو على حدِّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة؟[٥]

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ هذا خطابٌ للرسول ﷺ في أمرِ قريش.

---

(١) قرأ نافع وأبو عَمرو: «يُبَدِّلَنَا» بالتشديد، وباقي السبعة بالتخفيف. ينظر السبعة ص٣٩٧، والتيسير ص١٤٥.

(٢) سلف (في قول) أنَّ هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام.

(٣) من قوله: يقال لها الحيوان... إلى هذا الموضع سقط من (أ) والمطبوع، وهذا القول والذي قبله في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٠.

(٤) الكشاف ٤/ ١٤٥، وبنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٣٩ دون نسبة.

(٥) هذا القولُ وقول القشيري قبله في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٠.

قال ابنُ عطية[١]: والإشارة بـ «ذلك» إلى العذاب الذي نَزَلَ بالجنة، أي: كذلك العذاب، أي: الذي ينزلُ بقريش بغتةً، ثم عذابُ الآخرة بعد ذلك أشدُّ عليهم من عذاب الدنيا.

وقال كثير من المفسِّرين: العذاب النازل بقريش المماثل لأمر الجنة هو الجَدْبُ الذي أصابَهم سبع سنين حتى رأوا الدُّخانَ وأكلوا الجلود. انتهى.

وقال الزمخشريّ[٢]: مثلُ ذلك العذاب الذي بلونا به أهلَ مكة وأصحابَ الجنة عذابُ الدنيا، ولعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأعظمُ منه. انتهى.

وتشبيهُ بلاءِ قُريش ببلاءِ أصحابِ الجنَّة هو أنَّ أصحابَ الجنة عزموا على الانتفاعِ بثمرِها وحِرْمانِ المساكين، فقلبَ اللهُ تعالى عليهم وحَرَمَهم، وأنَّ قريشاً حين خرجُوا إلى بدر حلفُوا على قتلِ الرسول ﷺ وأصحابِه، فإذا فعلُوا ذلك رجعُوا إلى مكة، وطافُوا بالكعبة، وشربُوا الخمور، فقلبَ الله عليهم بأن قُتِلُوا وأُسِرُوا[٣].

ولمَّا عذَّبهم بذلك في الدنيا قال: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾.

❁ ❁ ❁

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١.
(٢) الكشاف ٤/ ١٤٥.
(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٩١.

ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

لـمَّا ذكرَ تعالى أنه بَلَا كفارَ قريش وشَبَّهَ بلاءَهم ببلاء أصحابِ الجنَّة، أخبرَ بحالِ أضدادِهم، وهم المتقون، فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: الكُفْرَ ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ أضافَها إلى النعيم لأن النعيم لا يُفارقها، إذ ليس فيها إلا هو، ولا يَشُوبُه كَدَرٌ كما يَشُوب جناتِ الدُّنيا.

ورُوِيَ أنه لـمَّا نزلَتْ هذه الآية قالت قريش: إنْ كانَ ثَمَّ جنةٌ فلنا فيها أكبرُ[1] الحظِّ. فنزلت: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾[2].

وقال مقاتل: قالوا: فَضَّلَنا الله عليكم في الدنيا، فهو يُفضِّلُنا عليكم في الآخرة، وإلا فالمشاركة. فأجاب تعالى: «أفنجعلُ»[3] أي: لا يتَساوَى المطيعُ والعاصي، وهو استفهامٌ فيه توقيفٌ على خطأ ما قالوا وتوبيخ.

ثم التفتَ إليهم فقال: «ما لكم»؟ أي: أيُّ شيء لكم فيما تزعمون؟ وهو استفهامُ إنكارٍ عليهم.

ثم قال: ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ وهو استفهامٌ ثالث على سبيل الإنكار عليهم، استفهمَ عن هيئةِ حُكمهم، ففي قوله: «مالكم» استفهامٌ عن كينونةٍ مبهمةٍ، وفي «كيف تحكمون» استفهامٌ عن هيئةِ حُكمهم.

ثم أضربَ عن هذا إضرابَ انتقالٍ لشيء آخرَ لا إبطالٍ لما قبلَه، فقال: ﴿أَمْ لَكُمْ﴾ أي: بل ألكُم ﴿كتابٌ﴾ أي: من عند الله ﴿تدرسون﴾ أي[4]: ما تختارونه يكونُ لكم؟

---

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: أكثر.

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٣٨١، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥١ (ولفظُه منه)، وزاد المسير ٨/ ٣٣٩. ونسب الخبر في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٢ لابن عباس.

(٣) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٩١، وبنحوه أيضاً في الكشاف ٤/ ١٤٥-١٤٦ دون نسبة.

(٤) في (أ) و(ع) والمطبوع: أنَّ، بدل: أي.

وقرأ الجمهور: «إنَّ لكم» بكسر الهمزة، فقيل: هو استئنافُ قولٍ على معنى: إنْ كان[1] لكم كتابٌ فلكم فيه متخيَّر.

وقيل: «إنَّ» معمولة لـ «تدرُسُون» أي: تدرُسُون في الكتاب أنَّ لكم لمَا تَخيَّرون، أي: تختارون من النعيم. وكُسِرت الهمزةُ من «إنَّ» لدخول اللام في الخبر، وهي بمعنى «أنَّ» بفتح الهمزة. قاله الزمخشري[2] وبدأ به وقال: ويجوزُ أن تكون حكايةً للمدرُوس كما هو كقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ [الصافات ٧٨-٧٩] انتهى.

وقرأ طلحة والضحَّاك: «أنَّ لكم» بفتح الهمزة[3]، واللام في «لَمَا» زائدة، كهي في قراءة من قرأ: «إلا أنهم ليأكلون الطعام» بفتح همزة «أنهم»[4].

وقرأ الأعرج: «أإنَّ لكم» على الاستفهام[5].

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ﴾ أي: أقسامٌ علينا بالغة، أي: متناهيةٌ في التوكيد، يقال: لفلانٍ عليَّ يمين: إذا حلفتَ له على الوفاء بما حلفتَ عليه.

و«إلى يوم القيامة» متعلِّق بما تعلَّق به الخبر، وهو «لكم» أي: ثابتةٌ لكم إلى يوم القيامة، أو بـ «بالغة» أي: تبلغُ إلى ذلك اليوم وتنتهي إليه.

وقرأ الجمهور: «بالغةٌ» بالرفع على الصفة، والحسنُ وزيد بنُ علي بالنصب على الحال من الضمير المستكنّ في «علينا»[6].

---

(١) كلمة «كان» من (يه).

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٩.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، ونُسبت القراءة في القراءات الشاذة ص١٦٠ للأعرج، ونُسبت في زاد المسير ٨/ ٣٣٩ لأبي الجوزاء وعاصم الجحدريّ وأبي عمران.

(٤) الآية (٢٠) من سورة الفرقان.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، وقُيِّدت بالمدّ في القراءات الشاذة ص١٦٠.

(٦) وذلك إن كان صفة لـ «أيمان» كما ذكر السمين في الدر المصون ١٠/ ٤١٥. وقراءة الحسن في القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحتسب ٢/ ٣٢٥، والكشاف ٤/ ١٤٦، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٣.

وقال ابنُ عطية: حال من نكرة[١] لأنها مخصَّصة بـ «عَلَيْنا»[٢].

﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جوابُ القسم، لأن معنى: «أم لكم أيمانٌ علينا»: أم أقسمنا لكم. قاله الزمخشريّ.

وقرأ الأعرج: «أإنَّ لكم» كالتي قبلَها على الاستفهام[٣].

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي: ضامنٌ بما يقولونه ويدَّعُون صحَّتَه. و«سَلْ» معلَّقة عن مطلوبها الثاني، لمَّا كان السؤالُ سبباً لحصول العلم جازَ تعليقُه كالعلم، ومطلوبُها الثاني أصلُه أن يُعدَّى بـ «عن» أو بالباء كما قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]. وقال الشاعر:

فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنَّني ... عليمٌ بأدواءِ النِّساءِ طَبِيبُ[٤]

ولو كان غير اسم استفهام لتَعدَّى إليه بـ «عن» أو بالباء كما تقول: سَلْ زيداً عن من ينظرُ في كذا، ولكنه علَّق «سَلْهُم» فالجملة في موضع نصب[٥].

وقرأ الجمهور: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ وعبدُ الله وابنُ أبي عَبْلَة: «فليأتوا بشِرْكِهِم»[٦].

قيل: والمرادُ في القراءتين الأصنام، أو ناسٌ يشاركونهم في قولهم ويوافقونهم فيه، أي: لا أحدَ يقولُ بقولهم كما أنه لا كتابَ لهم ولا عهدَ من الله ولا زعيمَ بذلك.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ هذا استدعاءٌ وتوقيف؛ قيل: في الدُّنيا، أي: ليُحْضِرُوهم حتى يُرى هل هم بحال من يضُرُّ وينفع أم لا.

(١) وهي كلمة «أيْمان»، وكلام ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢.
(٢) تحرفت اللفظة في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع إلى: تغليباً.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وقيِّدت بالمدّ في القراءات الشاذة ص١٦٠.
(٤) البيت لعلقمة الفحل، وهو في ديوانه ص٣٥، وسلف في الأعراف (١٨٧) والفرقان (٥٩).
(٥) يعني بعد إسقاط الخافض. ينظر الدر المصون ١٠/ ٤١٦.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢.

وقيل: في الآخرة على أن يأتوا بهم «يومَ يُكْشَفُ عن ساق»، وعلى هذا القولِ الناصبُ لـ «يومَ»: «فليأتوا». وقيل: اذكر[١]، وقيل: التقدير: يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ كانَ كيتَ وكيتَ، وحُذف للتهويل العظيم بما يكون فيه من الحوادث[٢].

والظاهر وقول[٣] الجمهور أنَّ هذا اليوم هو يومُ القيامة[٤].

وقال أبو مسلم: هذا اليومُ هو في الدنيا لأنه قال: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ ويومُ القيامة ليس فيه تعبُّدٌ ولا تكليف، بل المرادُ منه إمَّا آخِرُ أيامِ الرَّجلِ في دنياه، كقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ﴾ [الفرقان: ٢٢] ثم يَرَى الناسَ يُدْعَوْن إلى الصلاة إذا حضرت أوقاتُها، فلا يستطيع الصلاة لأنه الوقتُ الذي لا ينفعُ فيه نفساً إيمانُها.

وإمَّا حالُ المرَضِ والهَرَم والعَجْزِ[٥] وقد كانوا قبلَ ذلك اليوم يُدْعَوْنَ إلى السجود وهم سالمون ممَّا بهم الآن، فذلك إمَّا لشدَّةِ النازلةِ بهم من هَوْلِ ما عايَنُوا عند الموت، وإمَّا من العَجْزِ والهَرَم.

وأُجِيبَ بأنَّ الدُّعاء إلى السجود ليس على سبيل التكليف، بل على سبيل التقريع والتخجيل، وعندما يُدْعَوْنَ إلى السجود سُلِبُوا القدرةَ عليه، وحِيلَ بينهم وبين الاستطاعة حتى يزدادَ حُزنُهم وندامتُهم على ما فرَّطُوا فيه حين دُعُوا إليه وهم سالِمُو الأطرافِ والمفاصل[٦].

وقرأ الجمهور: «يُكْشَفُ» بالياء مبنيًّا للمفعول.

---

(١) وعلى هذا التقدير يُوقف على «صادقين» ولا يوقف عليه في التقدير الذي قبله. ينظر تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥.
(٢) بنحوه في تفسير الرازي ٣٠/ ٩٤.
(٣) في (يه): قول (دون واو).
(٤) ذكره عن الجمهور الرازيُّ في تفسيره ٣٠/ ٩٤.
(٥) في (أ) و(ع) و(يه) والمطبوع: المعجزة، وفي (ت): العجزة. والمثبت من تفسير الرازي (٣٠/ ٩٥) وقول أبي مسلم فيه.
(٦) بنحوه في الكشاف ٤/ ١٤٧.

وقرأ عبد الله وابن أبي عَبْلَة بفتح الياء مبنياً للفاعل[(١)].

وابنُ عبَّاس وابنُ مسعود أيضاً وابنُ هُرْمُز بالنون[(٢)].

وابنُ عباس أيضاً: «تَكْشِفُ» بفتح التاء مبنياً للفاعل[(٣)].

وعنه أيضاً بالتاء مضمومةً مبنيًّا للمفعول[(٤)].

وقرئ: «يُكْشِف» بالياء المضمومة وكسر الشين[(٥)] من: أكشَفَ إذا دَخَلَ في الكَشْف، ومنه: أكشَفَ الرجلُ: انقَلَبَتْ شفتُه العليا[(٦)].

وكَشْفُ الساق كنايةٌ عن شدَّة الأمر وتفاقمه، قال مجاهد: هي أولُ ساعةٍ من يوم القيامة[(٧)]، وهي أفظعُها.

وما جاء في الحديث من قوله: «فيُكْشَفُ لهم عن ساق»[(٨)] محمول أيضاً على

---

(١) على معنى: يكشفُ الله، كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣، والقراءة أيضاً في زاد المسير ٨/ ٣٤٠.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣، وزاد المسير ٨/ ٣٤٠-٣٤١، وهي في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥ دون نسبة.

(٣) وذلك على معنى أن القيامة هي الكاشفة، كما في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣، والقراءة أيضاً في معاني الفراء ٣/ ١٧٧، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٩٦، والمحتسب ٢/ ٣٢٦، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٨، وزاد المسير ٨/ ٣٤٠، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥.

(٤) على معنى: تُكْشَفُ القيامةُ والشِّدَةُ والحالُ الحاضرة، كما في المحرر الوجيز. والقراءةُ أيضاً في تفسير القرطبي ٢١/ ١٧٦، وهي في المحتسب ٢/ ٣٢٦ دون نسبة.

(٥) كذا في القراءات الشاذة ص١٦٠ عن الحسن. وجاءت العبارة في النسخة (يه): «تُكشِفُ، بالتاء المضمومة. . . .» وهي كذلك في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٨ عن الحسن، وفي الكشاف ٤/ ١٤٧ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٦ دون نسبة. وجاءت في الدُّرِّ المصون ١٠/ ٤١٧ على الوجهين، فقال السمين: وقُرئ: يُكشِفُ، بضم الياء أو التاء وكسر الشين.

(٦) في القراءات الشاذة ص١٦٠ والكشاف ٤/ ١٤٧: أكْشَفَ الرجلُ فهو مُكْشِفٌ: إذا انقلبَتْ شفتُه العليا. وذكر ابن خالويه أنه لا يوجد في كلام العرب: أكْشَفَ، إلا هذا الحرف.

(٧) كذا في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وهي في رواية عن ابن عباس كما في تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٨، وفي رواية أخرى فيه أيضاً عن ابن عباس ﵄: هي أشدُّ ساعة في يوم القيامة، وهي أيضاً في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٥٩ والرازي ٣٠/ ٩٤ والقرطبي ٢١/ ١٧٦.

(٨) جاء هذا اللفظ بنحوه في حديث أبي سعيد الخدري ﵁ في صحيح البخاري (٤٩١٩) =

الشدَّة في ذلك اليوم، وهو مجازٌ مشهورٌ شائعٌ في لسان العرب[١]؛ قال حاتم:

أخو الحربِ إنْ عَضَّتْ به الحربُ عَضَّها وإنْ شَمَّرَتْ عن ساقِها الحَرْبُ شَمَّرَا[٢]

وقال الراجز:

عجبتُ من نفسي ومِنْ إشفاقِها ومن طِرَادي الخيلَ[٣] عن أرزاقها
في سنةٍ قد كشفَتْ عن سَاقِها حَمراءَ تَبْرِي اللحمَ عن عُرَاقِها[٤]

وقال الراجز:

قد شَمَّرَتْ عن سَاقِها فشُدُّوا وجَدَّتِ الحربُ بكم فَجِدُّوا[٥]

وقال الراجز:

صبراً أُمامُ إنه شَرٌّ بَاقْ وقامتِ الحربُ بنا على سَاقْ[٦]

= ومسلم (١٨٣) مطولاً، ورُوي من روايات أخرى، ينظر حديث أبي هريرة (٨١٠) في الإيمان لابن منده.

(١) ينظر الكشاف ٤/ ١٤٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٤.

(٢) ديوان حاتم ص٤٩، ونُسب في العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ لحذيفة بن أنس، ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ٧٨ لزيد الخيل، وهو في ديوانه ص٦١، وفيهما: أخا الحرب. . . .

(٣) كذا في النسخ الخطية والمطبوع وروح المعاني ٢٧/ ٣٥٩، وهو خطأ، وفي: المصادر: الطير، والرَّجَز لشاعرٍ كان يطردُ الطير عن زرعٍ في عام جَدْب كما في الزَّاهر، وفي محاضرات الأدباء والتذكرة (كما سيرد) قصة لطيفة في ذلك، فتنظر ثمة.

(٤) الزاهر ٢/ ٣٧١، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٩، ومحاضرات الأدباء ١/ ٣٤٨، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥ (وفيه وفي الزَّاهر: طرادِ الطيرِ)، ونُسب الرَّجز في التذكرة لرؤبة بن عُيينة.

(٥) الكامل ٢/ ٤٩٤، وتفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٩، والنكت والعيون ٦/ ٧١، والأسماء والصفات ٢/ ١٨٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥، وفيه وفي النكت: قد كشفت عن. . .

(٦) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٥٩، وقد استشهد ابن عباس بهذا الرجز على تفسير هذه الآية كما في تفسير الطبري ٢٣/ ١٨٧ (البيت الثاني فقط) ومستدرك الحاكم ٢/ ٤٩٩-٥٠٠، والأسماء والصفات ٢/ ١٨٤، وزاد المسير ٨/ ٣٤١ (البيت الثاني) وفي هذه المصادر: اصبر عناق، بدل: صبراً أُمامُ.

وقال الشاعر:

كَشَفَتْ لهم عن سَاقِها وبَدَا من الشَّرِّ البَوَاحْ[(١)]

ويُرْوَى: الصُّرَاح[(٢)].

وقال ابن عبَّاس: يوم يكشف عن شدَّة[(٣)].

وقال أبو عبيدة[(٤)] هذه كلمة تستعمل في الشدة يقال: كشفَ عن ساقه: إذا تشمَّر، قال: ومن هذا تقول العرب لسنةِ الجَدْب: كشفت عن ساقها.

ونَكَّرَ «ساق» للدلالة على أنه أمرٌ مبهم في الشدَّة منكر خارجٌ عن المألوف، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦] فكأنه قيل: يوم يقعُ أمرٌ فظيعٌ هائل[(٥)].

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ظاهرُه أنهم يُدْعَوْن، وتقدَّم أن ذلك على سبيل التوبيخ، لا على سبيل التكليف.

وقيل: الداعي ما يرَوْنَه من سجود المؤمنين فيُريدون هم السجودَ فلا يستطيعونه، كما ورد في الحديث الذي حاورَهم فيه الله تعالى أنهم يقولون: أنت ربُّنا. ويخرُّون للسجود، فيسجدُ كلُّ مؤمن، وتصيرُ أصلابُ المنافقين والكفار كصياصي البقر

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢ وفيه: عن الشرّ، وذكر فيه ابن عطية أن البيت في وصف حرب، وهو في معاني الفراء ٣/ ١٧٧ وتفسير الطبري ٢٣/ ١٩٦ برواية: وبدا لهم من الشرّ البَرَاح، ونُسب في معاني الفراء لجد أبي طَرَفَة بن العبد. ونسبه التبريزي في شرح الحماسة ٢/ ٣١ لسعد بن مالك جد طرفة بن العبد.

(٢) هذه الرواية في المحتسب ٢/ ٣٢٦، والخصائص ٣/ ٢٥٢، وشرح الحماسة للتبريزي ٢/ ٣١، والأسماء والصفات ٢/ ١٨٥، والنكت والعيون ٦/ ٧٠، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٤، والقرطبي ٢١/ ١٧٥.

(٣) هو في المصادر المذكورة قبل تعليقين وفي النكت والعيون ٦/ ٧٠، واستشهد ابن عباس بإثره بالبيت المذكور.

(٤) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٦، ولم أقف على الكلام بحروفه.

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٧.

عظماً واحداً، فلا يستطيعون سجوداً. انتهى[(١)].

ونفيُ الاستطاعةِ للسجود في الآخرة لا يدلُّ على أنَّ لهم استطاعةً في الدنيا كما ذهب إليه الجُبَّائيّ[(٢)].

و«خاشعة» حال، وذُو الحال الضميرُ في «يُدْعَون» وخَصَّ الأبصار بالخشوع وإن كانت الجوارح كلُّها خاشعة لأنه فيه أبينُ منه في كلِّ جارحة.

﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ قيل: هو عبارة عن جميع الطاعات، وخُصَّ بالذِّكر من حيث هو عُظْمُ[(٣)] الطاعات، ومن حيث امتُحِنُوا به في الآخرة.

وقال النَّخعي[(٤)] والشعبي: أرادَ بالسُّجود الصلواتِ المكتوبةَ.

وقال ابن جُبير: كانوا يسمعون النِّداءَ للصلاة و«حيَّ على الفلاح» فلا يُجيبون[(٥)].

﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ المعنى خَلِّ بيني وبينه فإني سأجازيه، وليس ثَمَّ مانعٌ منه. وهذا وعيدٌ شديدٌ لمن يكذبُ بما جاءَ به الرسولُ ﷺ من أمرِ الآخرة وغيرِهِ. وكان تعالى قد قدَّم أشياءَ من أحوال السُّعداء والأشقياء.

و«مَنْ» في موضع نصب إمَّا عطفاً على الضمير في «ذَرْني»، وإمَّا على أنه مفعول معه[(٦)].

---

(١) تفسير أبي الليث ٣/ ٣٩٥، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٧-١٧٨.

(٢) نقل الرازي في تفسيره ٣٠/ ٩٦ عن الجُبَّائي (وهو من أئمة المعتزلة) قوله: لما خصَّص عدم الاستطاعة بالآخرة دلَّ على ذلك أنهم في الدنيا كانوا يستطيعون، فبطل بهذا قول من قال: الكافر لا قدرة له على الإيمان... الخ. وأجاب الرازي على كلامه، فينظر ثمة.

(٣) أي: أكثرُ، وهي مثبتة من (يه)، وكذلك هي في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ والكلام منه، وفي النسخ الأخرى والمطبوع: أعظم.

(٤) في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٣ والكلام منه: التيمي، وكذا هو في تفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٦٢ والقرطبي ٢١/ ١٧٩ وكلامه فيه بنحوه.

(٥) المصادر السالفة.

(٦) ذكر السمين في الدُّرّ ١٠/ ٤١٩ أنه مرجوحٌ لإمكان العطف من غير ضعف.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ إلى قوله: ﴿مَتِينٌ﴾ تُكلِّم عليه في «الأعراف» [١٨٢-١٨٣].

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ إلى ﴿يَكْتُبُونَ﴾ تُكلِّم عليه في «الطور» [٤٠-٤١].

رُوِيَ أنه ﷺ أرادَ أن يدعوَ على الذين انهزمُوا بأُحُد حين اشتدَّ بالمسلمين الأمر، وقيل: حين أرادَ أن يَدْعُوَ على ثَقِيف، فنزلت: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالُهم وتأخيرُ نصرِك عليهم[١]، وامْضِ لِما أُمرتَ به من التبليغ واحتمال الأذى[٢].

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونسُ عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: في بطن الحوت، وهو قوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ﴾[٣] [الأنبياء: ٨٧]. وليس النهيُ منصبًّا على الذَّوات، إنما المعنى: لا تكُنْ حالُك مثلَ حالِهِ إذْ نادَى، فالعاملُ في «إذْ» هو المحذوفُ المضاف، أي: كحال ـ أو كقصَّة ـ صاحب الحوت إذْ نادَى ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوءٌ غيظاً على قومه إذْ لم يؤمنوا لَمَّا دعاهم إلى الإيمان، وأحْوَجُوه إلى استعجالِ مفارقتِه إياهم، وقال ذو الرُّمَّة:

وأنتَ من حُبِّ مَيٍّ مُضْمِرٌ حَزَناً عاني الفؤادِ قريحُ القلبِ مكظومُ[٤]

وتقدَّمت مادة «كظم» في قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقرأ الجمهور: «تَدَارَكَهُ» ماضياً ولم تلحقه علامةُ التأنيث لمجازِ التأنيث، ولتحسين الفصل.

وقرأ أُبَيٌّ وعبدُ الله وابنُ عباس: «تَدَارَكَتْه» بتاء التأنيث[٥].

---

(١) الكشاف ٤/١٤٨، وتفسير الرازي ٣٠/٩٩.

(٢) بنحوه في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.

(٣) في النسخ الخطية والمطبوع: أن لا إله إلا أنت سبحانك، وحذفتُ لفظة «أن» لأنها ليست من القول.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤.

(٥) القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وزاد المسير ٨/ ٣٤٣.

وابنُ هُرْمُز والحسنُ والأعمش بشدِّ الدال[١]؛ قال أبو حاتم: ولا يجوزُ ذلك، والأصل في ذلك: «تَتَدارَكُهُ» لأنه مستقبل، انتصبَ بـ «أنْ» الخفيفة قبله.

وقال بعض المتأخرين: هذا يجوز[٢] على حكاية الحال الماضية المقتضية، أي: لولا أن كان يُقالُ: تَتَدارَكُه، ومعناه: لولا هذه الحالُ الموجودةُ كانت له من نِعَم الله لنُبذ بالعراء، ونحوُه قوله: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾[٣] [القصص: ١٥].

وجواب «لولا» قوله: ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: لكنه نَبَذَه وهو غيرُ مذموم، كما قال: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ [الصافات: ١٤٥] والمعتمدُ فيه على الحال لا على النَّبْذ مطلقاً، بل بقيد الحال. وقيل: لَنُبِذَ بعَراءِ القيامة مذموماً، ويدلُّ عليه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٤] [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

ثم أخبرَ تعالى أنه اجتباه، أي: اصطفاه وجعلَه من الصالحين، أي: الأنبياء.

وعن ابن عباس: رَدَّ اللهُ إليه الوحيَ وشفَّعه في قومه[٥].

ولمَّا أمرَه تعالى بالصبر لِما أرادَه تعالى ونهاه عمَّا نهاه، أخبرَه بشدَّة عداوتهم ليتلقَّى ذلك بالصبرِ[٦]، فقال: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ أي: لَيُزِلُّونَ قدمَك[٧] بنظَرِهم الحادِّ الدالِّ على العداوة المُفرِطة، أو: لَيُهْلِكُونَك، من قولهم:

---

(١) أي: تَدَّارَكُهُ، وهو مضارع أُدغمت التاءُ منه في الدال، كما في تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٣، والقراءة في المصادر السالفة، والمحتسب ٢/ ٣٢٦.

(٢) في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: لا يجوز، وهو خطأ، والمثبت من (يه)، والكلام بنحوه في المحتسب ٢/ ٣٢٧، وقول أبي حاتم السالف فيه.

(٣) قال ابن جني في المحتسب: أشار سبحانه إليهما إشارة الحاضر، لأنه لما كان حكايةَ حال صارت كأنها حاضرة.

(٤) تفسير الرازي ٣٠/ ٩٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٤، والنكت والعيون ٦/ ٧٣ (مختصر).

(٥) الكشاف ٤/ ١٤٨، وتفسير الرازي ٣٠/ ٩٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٤.

(٦) بعدها في (أ) والمطبوع: «لما أراده تعالى ونهاه عما نهاه أخبره» وهو تكرار.

(٧) قوله: لَيُزِلُّون، من (يه) وهو موافق لما في الكشاف ٤/ ١٤٨ والكلام فيه بنحوه، وفي (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: ليُزلقون. وتحرَّفت لفظة «قدمك» في (أ) والمطبوع إلى: قومك.

نظرَ إليّ نظراً يكادُ يصرعُني، ويكادُ يأكلُني، أي: لو أمكنَه بنظرِه الصَّرْعُ والأكلُ لفعلَه، وقال الشاعر:

يتقارضُون[١] إذا التَقَوْا في مَوْطنٍ ... نَظَراً يُزِلُّ مَوَاطِئَ[٢] الأقدامِ[٣]

وقال الكلبيّ: «لَيُزْلِقُونَكَ»: لَيَصْرِفُونك[٤].

وقرأ الجمهور: «لَيُزْلِقُونَكَ» بضم الياء، من: أَزْلَقَ، ونافعٌ بفتحها[٥] من زَلَقْتُ الرَّجُلَ، عُدِّيَ بالفتحة من زَلِقَ الرجلُ بالكسر، نحو: شَتِرَتْ عينُه، بالكسر، وشَتَرَها اللهُ، بالفتح.

وقرأ عبدُ الله وابنُ عبَّاس والأعمشُ وعيسى: «لَيُزْهِقُونَكَ» بالهاء بدل اللام[٦].

وقيل: معنى لَيُزْلِقُونَكَ بأبصارهم: لَيَأْخُذُونكَ بالعين، وذُكر أنَّ اللَّقْعَ بالعين[٧] كان في بني أسد؛ قال ابنُ الكلبيّ: كان رجلٌ من العرب يمكثُ يومين أو ثلاثةً لا يأكل، ثم يرفعُ جانبَ خِبائِه فيقول: لم أرَ كاليومَ إبلاً ولا غنماً أحسنَ من هذه! فما تذهبُ إلا قريباً حتى[٨] تسقطَ طائفةٌ أو عِدَّةٌ منها، فسألَ الكفارُ هذا

(١) في (أ) و(ت) والمطبوع: يتعارضون.
(٢) في (أ) و(يه) والمطبوع: مواطنَ.
(٣) المعاني الكبير ٢/ ٨٤٥، وغريب القرآن ص٤٨٢، واللسان (قرض). وروايتُه في هذه المصادر: يُزيل، بدل: يُزِلُّ، والرواية أعلاه في الكشاف ٤/ ١٤٨، وهو في المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤ وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٧ برواية: في مجلسٍ... نظراً يُزيلُ...
(٤) النكت والعيون ٦/ ٧٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٦، وفيهما: لَيَصْرَعُونَكَ، وهو الأشبه، لما سيرد في الخبر عن الكلبي.
(٥) ينظر السبعة ص٦٤٧، والتيسير ص٢١٣.
(٦) قوله: بالهاء بدل اللام، من (ع) و(يه). وينظر القراءات الشاذة ص١٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥.
(٧) أي: الإصابة بالعين، ولم تجوَّد لفظة «اللقع» في (ت)، ووقع في (أ) و(ع) والمطبوع: اللفع (بالفاء) وهو تحريف، والمثبت من (يه).
(٨) المثبت من (يه)، وهو موافق لما في تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٣، والخبر فيه، ووقع في (أ) و(ت) و(ع) والمطبوع: إلا قليلاً ثم، وفي تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥: إلا قليلاً حتى.

الرجلَ[١] أن يُصِيبَ رسولَ الله ﷺ، فأجابَهم، وأَنْشَدَ[٢]:

قد كانَ قومُكَ يَحْسَبُونَكَ سَيِّداً وإخالُ أنكَ سَيِّدٌ مَغْيُونُ[٣]

أي: مصابٌ بالعيون، فعصَمَ اللهُ نبيَّه ﷺ، وأنزل عليه هذه الآية[٤].

قال قتادة: نزلت لدفع العين حين أرادُوا أن يَعِينُوه عليه الصلاة والسلام.

وقال الحسن: دواءُ من أصابَتْهُ العينُ أنْ يقرأَ هذه الآية[٥].

وقال القُشيريّ: الإصابةُ بالعين إنَّما تكون مع الاستحسان، لا معَ الكراهة والبُغْض، وقال[٦]: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

وقال القرطبي: ولا يمنعُ كراهةُ الشيء من أن يُصابَ بالعين عداوةً له حتى يَهلِك. انتهى.

وقد يكون في المَعِين ـ وإن كان مُبْغَضاً عند العائن ـ صفةٌ يستحسنُها العائنُ فيَعِينُه من حيث تلك الصفة؛ لاسيما مَنْ تكونُ فيه صفاتُ كمال[٧].

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ على قول من يقول: «لمَّا» ظرف يكونُ العاملُ فيه «لَيُزْلِقُونكَ»، وإن كان حرفَ وجوب لوجوب ـ وهو الصحيح ـ كان الجواب محذوفاً لدلالة ما قبلَه

---

(١) في النسخ الخطية والمطبوع: قال الكفار لهذا الرجل، بدل: فسأل الكفار... إلخ. والمثبت من المصادر. ينظر إضافة إلى ما سلف: زاد المسير ٨/ ٣٤٣، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٥.

(٢) في تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥: فأجابهم، فلما مرَّ النبيُّ ﷺ أنشد.

(٣) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٣، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥، ونُسب في الحماسة البصرية ١/ ١٠ للعبَّاس بن مِرْداس.

(٤) ينظر أسباب النزول للواحدي ص٤٧٢، وتفسير كل من الثعلبي ٦/ ٢٦٣ والبغوي ٤/ ٣٨٤، والقرطبي ٢١/ ١٨٥.

(٥) تفسير الثعلبي ٦/ ٢٦٤، والكشاف ٤/ ١٤٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣٥٥، وتفسير الرازي ٣٠/ ١٠٠.

(٦) في تفسير القرطبي ٢١/ ١٨٥ (والقولُ فيه): ولهذا قال.

(٧) ينظر تفسير الرازي ٣٠/ ١٠٠.

عليه، أي: لمَّا سمعوا الذِّكْرَ كادوا يُزْلِقُونَك. والذِّكْرُ القرآن.

﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ تنفيراً عنه وقد علموا أنه ﷺ أتمُّهم فضلاً وأرْجَحُهم عقلاً.

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ وعِبْرةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: للجنِّ والإنس، فكيف ينسُبون إلى الجِنِّ مَنْ جاء به؟!

(٦٨) سورة القلم مكية وآياتها اثنتان وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته ههنا، **وقيل**: المراد بقوله ﴿ن﴾ حوت عظيم **وقيل**: المراد بقوله ﴿ن﴾ لوح من نور، **وقيل**: المراد بقوله ﴿ن﴾ الدواة، ﴿والقلم﴾ القلم، روي عن الحسن وقتادة في قوله ﴿ن﴾ قالا: هي الدواة، وقوله تعالى: ﴿والقلم﴾ الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله تعالى: ﴿الذي علَّم بالقلم ۝ علَّم الإنسان ما لم يعلم﴾ فهو قسم منه تعالى، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم، من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم، ولهذا قال: ﴿وما يسطرون﴾ قال ابن عباس: يعني وما يكتبون، وقال أبو الضحى عنه ﴿وما يسطرون﴾ أي وما يعملون، وقال السدي ﴿وما يسطرون﴾ يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد، وقال آخرون: بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر، حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف عام، روى ابن أبي حاتم عن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: أُكتب، قال: يا ربِّ وما أكتب؟ قال أُكتب القدر وما هو كائن إلى الأبد»[1]. وعن ابن عباس أنه كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء»[2]. وقال مجاهد ﴿والقلم﴾ يعني الذي كتب به الذكر، وقوله تعالى: ﴿وما يسطرون﴾ أي يكتبون كما تقدم.

وقوله تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ أي لست ولله الحمد بمجنون، كما يقوله الجهلة من قومك،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، ورواه أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح غريب.

(٢) رواه ابن جرير.

المكذبون بما جئتهم بـه من الهدى حيث نسبوك إلى الجنون، ﴿ وإن لك لأجراً غير ممنون﴾ أي بل إن لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق، وصبرك على أذاهم، ومعنى ﴿ غير ممنون﴾ أي غير مقطوع ، كقوله: ﴿ عطاء غير مجذوذ﴾، ﴿ فلهم أجر غير ممنون﴾ أي غير مقطوع عنهم، وقال مجاهد ﴿ غير ممنون﴾ : أي غير محسوب ، وهو يرجع إلى ما قلناه ، وقوله تعالى ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال ابن عباس: وإنك لعلى دين عظيم وهو الإسلام، وقال عطية: لعلى أدب عظيم، وقال قتادة: ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: ألست تقرأ القرآن ؟ قال: بلى، قالت: فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن، وروى الإمام أحمد عن الحسن قال: سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن[1] ، وقال ابن جرير ، عن سعد بن هشام قال: أتيت عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها فقلت لها: أخبريني بخلق النبي ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، أما تقرأ : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2] ؟ ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن سجية له وخلقـاً، وترك طبعه الجبلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مـع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين عن أنس، قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي : أفٍّ قط ، ولا قال لشيء فعلتُه لِمَ فعلتَه ؟ ولا لشيء لم أفعله ألاَ فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خُلقاً ولا مسست خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ[3] ، وروى البخاري ، عن البراء قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسن الناس خَلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير[4] ، وروى الإمام أحمد، عن عائشة قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً قط ، ولا ضرب امرأة، ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعد الناس من الإثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله عزَّ وجلّ[5] .

وقوله تعالى : ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتـون﴾ أي فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك ، من المفتون الضال منك ومنهم. وهذا كقوله تعالى: ﴿ سيعلمون غداً من الكذاب الأشر﴾، قال ابن عباس في هذه الآية: ستعلم ويعلمون يوم القيامة، ﴿ بأيكم المفتون﴾ أي المجنون ، وقال قتادة: ﴿ بأيكم المفتون﴾ أي أولى بالشيطان، ومعنى المفتون ظاهر أي الذي قـد افتتن عن الحق وضل عنه، وإنمـا دخلت الباء في قوله: ﴿ بأيكم﴾ لتدل على تضمين الفعل في قوله ﴿ فستبصر ويبصرون﴾ وتقديره : فستعلم ويعلمون، أي فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون، والله أعلم، ثم قـال تعالى: ﴿ إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي هو يعلم تعالى أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) رواه ابن جرير واللفظ له ورواه أبو داود والنسائي بنحوه .

(٣) أخرجه الشيخان عن أنس رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري . (٥) أخرجه الإمام أحمد والأحاديث في هذا كثيرة ، ولأبي عيسى الترمذي كتاب سمّاه (الشمائل) .

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى: كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم، والخلق العظيم ﴿فلا تطع المكذبين ، ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ قال ابن عباس: لو ترخص لهم فيرخصون، وقال مجاهد: تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق، ثم قال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته، يجترئ على أسماء الله تعالى، باستعمالها في كل وقت في غير محلها، قال ابن عباس: المهين الكاذب، وقال الحسن: ﴿كل حلاف﴾ مكابر ﴿مهين﴾ ضعيف، وقوله تعالى: ﴿هماز﴾ يعني الاغتياب، ﴿مشاء بنميم﴾ يعني الذي يمشي بين الناس ويحرش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين وهي الحالقة، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس قال: مرَّ رسول الله ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول. وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة»[1]. وعن همام بن الحارث قال: مر رجل على حذيفة فقيل: إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات»[2]. وعن أبي وائل قال: بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة نمام»[3]، وروى الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد ابن السكن أن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بخياركم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الذين إذا رؤوا ذكر الله عزَّ وجلَّ»، ثم قال: «ألا أخبركم بشراركم؟ المشاءون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون للبرآء العَنَت»[4].

وقوله تعالى: ﴿مناع للخير معتد أثيم﴾ أي يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿معتد﴾ في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحد المشروع، ﴿أثيم﴾ أي يتناول المحرمات، وقوله تعالى: ﴿عتُل بعد ذلك زنيم﴾ أما العتل فهو الفظ الغليظ، الجموع المنوع. روى الإمام أحمد، عن حارثة بن وهب قال، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره، ألا أنبئكم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر» وفي رواية: «كل جواظ جعظري مستكبر»[5]. وفي أُخرى لأحمد: «كل جعظري، جواظ[6]، مستكبر، جمّاع، منّاع» وفي الحديث: «تبكي السماء من عبد أصح الله جسمه، وأرحب جوفه، وأعطاه من الدنيا هضماً، فكان للناس

---

(١) رواه الشيخان وبقية الجماعة.

(٢) أخرجه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود. والقتات: النمام.

(٣) أخرجه أحمد.

(٤) أخرجه أحمد وابن ماجة.

(٥) أخرجه الشيخان والإمام أحمد.

(٦) قال أهل اللغة: الجعظري: الفظ الغليظ، والجواظ: الجموع المنوع.

ظلوماً، فذلك العتل الزنيم »(١) ، فالعتل هو الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك، وأما الزنيم في لغة العرب فهو الدعي في القوم، ومنه قول (حسان بن ثابت) يذم بعض كفّار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال ابن عباس في قوله ﴿ زنيم ﴾ قال: الدعي الفاحش اللئيم ، وأنشد :

زنيم تداعـاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع

والمراد بـه (الأخنس بن شريق) ، وقال مجاهد عن ابن عباس: ﴿ الزنيم ﴾ الملحق النسب، وقال سعيد بن المسيب : هو الملصق بالقوم ليس منهم؛ وسئل عكرمة عن الزنيم فقال: هو ولد الزنا، وقال سعيد بن جبير : الزنيم الذي يعرف بالشر ، كما تعرف الشاة بزنمتها ، والزنيم الملصق، وقال الضحّاك: كانت له زنمة في أصل أذنه، ويقال: هو اللئيم الملصق في النسب، والأقوال في هذا كثيرة، وترجع إلى ما قلناه، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر، الذي يعرف به من بين النـاس، وغالباً يكون دعياً ولد زنا، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط على غيره ، وقوله تعالى: ﴿ أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين، كفر بآيات الله عزّ وجلّ وأعرض عنها، وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين، كقوله تعالى: ﴿ ذرني ومن خلقت وحيداً ۞ وجعلت له مالاً ممدوداً ۞ وبنين شهوداً ۞ ومهدت له تمهيداً ۞ ثم يطمع أن أزيد۞ كلا إنه كان لآياتنا عنيداً ﴾. ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾، قال ابن جرير : سنبين أمره بياناً واضحاً، حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم، كما لا تخفي عليهم السمة على الخراطيم، وقال قتادة ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ : شين لا يفارقه آخر ما عليه، وعنه: سيما على أنفه، وقال ابن عباس: يقاتل يوم بدر فيخطم السيف في القتال، وقال آخرون: ﴿ سنسمه ﴾ سمة أهل النار، يعني نسود وجهه يوم القيامة، وعبر عن الوجه بالخرطوم، ولا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وفي الحديث: « من مات همازاً لمازاً ملقباً للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »(٢) .

إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ
عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ
حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ
﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم مرفوعاً .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً وهو جزء من حديث .

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝٣٢ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفّار قريش، فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة، ولهذا قال تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ أي اختبرناهم ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه، ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾ أي حلفوا ليجذن ثمرها ليلاً، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل، ولا يتصدقوا منه بشيء، ﴿ولا يستثنون﴾ أي فيما حلفوا به، ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ أي أصابتها آفة سماوية، ﴿فأصبحت كالصريم﴾ قال ابن عباس: أي كالليل الأسود، وقال السدي: مثل الزرع إذا حصد أي هشيماً يبساً، عن ابن مسعود قال، قال رسول الله ﷺ: «إياكم والمعاصي، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيئ له» ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم﴾[1] قد حرموا خير جنتهم بذنبهم، ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى (الجذاذ) أي القطع، ﴿أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين﴾ أي تريدون الصرام، قال مجاهد: كان حرثهم عنباً، ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون﴾ أي يتناجون فيما بينهم، بحيث لا يُسْمِعُون أحداً كلامهم، ثم فسر عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به، فقال تعالى: ﴿فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ أي يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم، قال تعالى: ﴿وغدوا على حرد﴾ أي قوة وشدة، وقال مجاهد: على جد، وقال عكرمة: على غيظ، ﴿قادرين﴾ أي عليها فيما يزعمون ويرومون، ﴿فلما رأوها قالوا إنا لضالون﴾ أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها، وهي على الحالة التي قال الله عزّ وجلّ، قد استحالت عن تلك النضارة والزهوة وكثرة الثمار، إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشيء منها، فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق، ولهذا قالوا: ﴿إنا لضالون﴾ أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها، ثم تيقنوا أنها هي فقالوا ﴿بل نحن محرومون﴾ أي بل هي هذه، ولكن نحن لاحظ لنا ولا نصيب.

وقال تعالى: ﴿قال أوسطهم﴾، أي أعدلهم وخيرهم[2] ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾! قال مجاهد والسدي: أي لولا تستثنون، وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحاً، وقال ابن جرير: هو قول القائل (إن شاء الله)، **وقيل**: ﴿لولا تسبحون﴾ أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ أتوا بالطاعة حيث لا تنفع، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع، ولهذا قالوا: ﴿إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ أي يلوم بعضهم بعضاً، على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب، ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ أي إعتدينا وبغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ **قيل**: راغبون في بذلها لهم في

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة.

الدنيا ، **وقيل**: احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة ، والله أعلم . ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن، **وقيل**: كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة، وكان يسير فيها سيرة حسنة، فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه، ويدخر لعياله قوت سنتهم، ويتصدق بالفاضل، فلما مات وورثه بنوه قالوا : لقد كان أبونا أحمق، إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء، ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا، فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية (رأس المال والربح والصدقة) فلم يبق لهم شيء؛ قال الله تعالى ﴿كذلك العذاب﴾ أي هكذا عذاب من خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير ، وبدّل نعمة الله كفراً، ﴿ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ أي هذه عقوبة الدنيا وعذاب الآخرة أشق .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عزَّ وجلَّ، بيّن أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم، التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها، ثم قال تعالى: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ ؟ أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء، ولهذا قال: ﴿مالكم كيف تحكمون﴾ ! أي كيف تظنون ذلك، ثم قال تعالى: ﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون﴾ يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء، تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه، بنقل الخلف عن السلف، متضمن حكماً مؤكداً كما تدعونه ؟ ﴿إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون﴾ أي أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ؟ ﴿إن لكم لما تحكمون﴾ أي أنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون، ﴿سلهم أيهم بذلك زعيم﴾ أي قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا ! قال ابن عباس: أيهم بذلك كفيل ﴿أم لهم شركاء﴾ أي من الأصنام والأنداد ﴿فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين﴾ .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالى أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم، بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾ يعني يوم القيامة، وما يكون فيه من الأهوال، والبلاء والامتحان

والأمور العظام، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»[١]. وقال ابن عباس: هو يوم القيامة يوم كرب وشدة. وعن ابن مسعود ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: عن أمر عظيم كقول الشاعر: شالت الحرب عن ساق[٢]. وقال ابن جرير عن مجاهد: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: شدة الأمر وجده، وقال ابن عباس قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة، وقال العوفي، عن ابن عباس قوله ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يقول: حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال، وكشفه دخول الآخرة، وروي عن النبي ﷺ قال: «﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يعني عن نور عظيم يخرون له سجداً»[٣]، وقوله تعالى: ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ أي في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة، إذا تجلى الرب عزَّ وجلَّ فيسجد له المؤمنون، ولا يستطيع أحد من الكافرين أو المنافقين أن يسجد، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرّ لقفاه، ثم قال تعالى: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني القرآن، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه أنا أعلم كيف أستدرجه ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر، ولهذا قال تعالى: ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ أي وهم لا يشعرون، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة، وهو في نفس الأمر إهانة، كما قال تعالى: ﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾، ولهذا قال ههنا: ﴿وأملي لهم إن كيدي متين﴾ أي أؤخرهم وأمدهم، وذلك من كيدي ومكري بهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إن كيدي متين﴾ أي عظيم لمن خالف أمري، وكذب رسلي، واجترأ على معصيتي، وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾[٤]. وقوله تعالى: ﴿أم تسألهم أجراً فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾! المعنى أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عزَّ وجلَّ بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى، وهم يكذبون بما جئتهم به، بمجرد الجهل والكفر والعناد.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالى: ﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم، فإن الله سيحكم لك ويجعل العاقبة لك

---

(١) أخرجه الشيخان وغيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث مشهور.

(٢) رواه عنهما ابن جرير رحمه الله.

(٣) أخرجه ابن جرير عن أبي بردة بن أبي موسى مرفوعاً، ورواه أبو يعلى وفيه رجل مبهم.

(٤) أخرجه الشيخان عن أبي هريرة مرفوعاً.

ولأتباعك في الدنيا والآخرة، ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يعني ذا النون وهو (يونس بن متى) عليه السلام حين ذهب مغاضباً على قومه، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر، والتقام الحوت له، وشرود الحوت به في البحار، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، فحينئذ نادى في الظلمات : ﴿أن لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾، قال الله تعالى: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾، وقال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين ۝ للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾، وقال ههنا: ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ قال ابن عباس ومجاهد: وهو مغموم، وقال عطاء: مكروب، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال ﴿لا إلّه إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ خرجت الكلمة تحنّ حول العرش، فقالت الملائكة: يا رب، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة، فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا؟ قالوا: لا، قال هذا يونس، قالوا: يا رب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة، قال: نعم، قالوا: أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء، فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء، ولهذا قال تعالى: ﴿فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى»[1]. وقوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم﴾ قال ابن عباس ومجاهد ﴿ليزلقونك﴾ لينفذونك ﴿بأبصارهم﴾ أي يحسدونك لبغضهم إياك، لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عزَّ وجلَّ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية، روى أبو داود عن أنَس قال، قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ»[2]. وروى ابن ماجة، عن بريدة بن الحصيب قال، قال رسول الله ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة»[3]. وروى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا»[4]. وعن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام»[5].

وروى الإمام أحمد، عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ اشتكى، فأتاه جبريل، فقال: باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من كل حاسد وعين والله يشفيك[6]، وقال رسول الله ﷺ: «إن العين حق»[7]. **حديث أسماء بنت عميس**: قال الإمام أحمد، عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال، قالت أسماء: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم. فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين»[8]. **حديث عائشة رضي الله**

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد عن أبي هريرة .

(٢) روه أبو داود .

(٣) أخرجه ابن ماجة ورواه البخاري والترمذي عن عمر بن حصين موقوفاً .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) أخرجه البخاري وأهل السنن .

(٦) أخرجه الإمام أحمد .

(٧) أخرجاه في الصحيحين . (٨) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

عنها : روى ابن ماجة ، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين[١]. وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « استعيذوا بالله فإن النفس حق »[٢] ، وقال أبو داود عن عائشة قالت: كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين[٣] . **حديث سهل ابن حنيف** : قال الإمام أحمد ، عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف أن أباه حدّثه : أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة ، حتى إذا كانوا بشعب الخرار من (الجحفة) اغتسل سهل بن الأحنف ، وكان رجلاً ابيض حسن الجسم والجلد ، فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، فأتى رسول الله ﷺ ، فقيل له : يا رسول الله هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفيق ، قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة ، فدعا رسول الله ﷺ عامرا فتغيظ عليه ، وقال: « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ هلا إذا رأيت ما يعجبك برّكت ؟ - ثم قال - اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبته وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صبَّ ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس[٤]. **حديث عبدالله بن عمرو** : قال الإمام أحمد، عن عبدالله بن عمرو قال، قال رسول الله ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق »[٥]. وقوله تعالى : ﴿ ويقولون إنه لمجنون﴾ أي يزدرونه بأعينهم، ويؤذونه بألسنتهم، ويقولون ﴿إنه لمجنون﴾ أي لمجيئه بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ .

[آخر تفسير سورة ن ، ولله الحمد والمنة]

* * *

---

(١) أخرجه الشيخان وابن ماجة .

(٢) أخرجه ابن ماجة .

(٣) رواه أبو داود وأحمد .

(٤) أخرجه الإمام أحمد ورواه ابن ماجة بنحوه .

(٥) تفرد به الإمام أحمد .

تفسير سورة « ن »

وهى مكية .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾ .

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء فى أول «سورة البقرة» ،وأن قوله: ﴿ ن ﴾ كقوله: ﴿ ص ﴾ ، ﴿ ق ﴾،ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور،وتحرير القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته.

وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ : حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل [١] للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير :

حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى ، حدثنا سفيان ــ هو الثورى ــ حدثنا سليمان ــ هو الأعمش ــ عن أبى ظَبْيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال: اكتب القَدَر . فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى يوم قيام الساعة . ثم خلق « النون » ورفع بخار الماء، ففُتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون فمادت الأرض ، فأثبتت بالجبال ، فإنها لتفخر على الأرض [٢] .

وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سِنان ، عن أبى معاوية ، عن الأعمش ، به . وهكذا رواه شعبة ، ومحمد بن فُضَيل ، ووَكِيع ، عن الأعمش ، به. وزاد شعبة فى روايته : ثم قرأ : ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . وقد رواه شريك ، عن الأعمش ، عن أبى ظبيان ، أو مجاهد ــ عن ابن عباس، فذكر نحوه . ورواه مَعْمَر ، عن الأعمش : أن ابن عباس قال . . . فذكره ، ثم قرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . ثم قال ابن جرير :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبى الضُّحَى ، عن ابن عباس قال : إن أول شىء خلق ربى ، عز وجل ، القلم ، ثم قال له : اكتب . فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة . ثم خلق « النون » فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه [٣] .

---

(١) فى أ : « وهو الحامل » .
(٢) تفسير الطبرى (٢٩/٩) .
(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠) .

وقد روى الطبرانى ذلك مرفوعاً فقال : حدثنا أبو حبيب (١) زيد بن المهتدى المروذى (٢) ، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى ، حدثنا مُؤَمَّل بن إسماعيل ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب، عن أبى الضحى مسلم بن صَبيح ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :« إن أول ما خلق الله القلم والحوت ، قال للقلم : اكتب ، قال : ما أكتب ، قال : كل شىء كائن إلى يوم القيامة». ثم قرأ : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ ، فالنون : الحوت .والقلم : القلم (٣) .

حديث آخر فى ذلك : رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول شىء خلقه الله القلم ، ثم خلق « النون » وهى : الدواة . ثم قال له : اكتب .قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما يكون ــ أو : ما هو كائن ــ من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلى يوم القيامة ، فذلك قوله : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ، ثم خلقَ العقل وقال : وعزتى لأكملنك فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت » (٤) .

وقال ابن أبى نَجيح : إن إبراهيم بن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال : كان يقال : النون : الحوت [العظيم] (٥) الذى تحت الأرض السابعة .

وذكر البغوى وجماعة من المفسرين : إن على ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السموات والأرض ،وعلى ظهرها ثور له أربعون ألف قرن،وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن (٦)، فالله أعلم . ومن العجيب (٧) أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذى رواه الإمام أحمد :

حدثنا إسماعيل ، حدثنا حُمَيد ، عن أنس : أن عبد الله بن سلام بَلَغه مَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ، فأتاه فسأله عن أشياء ، قال : إنى سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى ، قال : ما أول أشراط الساعة ؟وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ والولد ينزع إلى أمه ؟ قال : «أخبرنى بهن جبريل آنفاً » . قال ابن سلام : فذاك عدو اليهود من الملائكة . قال : « أما أول أشراط الساعة فنار تَحشرهم (٨) من المشرق إلى المغرب . وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادةُ كبد حوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع الولد ،وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت » .

---

(١) فى أ : « أبو صهيب » . (٢) فى أ : « المهدى ».

(٣) المعجم الكبير (١١/٤٣٣) وقال : « لم يرفعه عن حماد بن زيد إلامؤمل بن إسماعيل » .ومؤمل كثير الخطأ، فلعله أخطأ فى رفعه .

(٤) تاريخ دمشق (١٧/٤٩٢ « المخطوط») ورواه الحكيم الترمذى كما فى إتحاف السادة المتقين(١/٤٥٤) من طريق يحيى الغسانى ، عن أبى عبد الله ، عن أبى صالح ، به . ورواه ابن عدى فى الكامل (٦/٢٦٩) من طريق محمد بن وهب ، عن مسلم ، عن مالك ، عن سمى ، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة مرفوعاً بنحوه ، وقال : « هذا بهذا الإسناد باطل منكر » وآفته محمد بن وهب . قال الذهبى فى الميزان : « صدق ابن عدى فى أن هذا الحديث باطل » .

(٥) زيادة من م.

(٦) معالم التنزيل (٨/١٨٦) وهذا من الإسرائيليات كما ذكر ذلك الشيخ محمد أبو شهبة فى كتابه :« الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير » (ص٣٠٥) وقال الإمام ابن القيم فى المنار المنيف (ص٧٦) فى ذكر علامات الوضع : « أن يكون الحديث مما تشهد الشواهد الصحيحة على بطلانه ، ومن هذا حديث :« إن الأرض على صخرة ، والصخرة على قرن ثور ، فإذا حرك الثور قرنه تحركت الصخرة ، فتحركت الأرض، وهى الزلزلة » والعجب من مُسَوِّد كُتُبه بهذه الهذيانات » .أ.هـ .

(٧) فى أ : « ومن العجب » . (٨) فى أ : « تحشر الناس » .

ورواه البخارى من طرق عن حُمَيد ، ورواه مسلم أيضا [١] . وله من حديث ثوبان ـ مولى رسول الله ﷺ ـ نحو هذا . وفى صحيح مسلم من حديث أبى أسماء الرحبى ، عن ثوبان : أن حبراً سأل رسول الله ﷺ عن مسائل ، فكان منها أن قال : فما تحفتهم ؟ ـ يعنى أهل الجنة حين يدخلون الجنة ـ قال : « زيادة كبد الحوت » . قال : فما غذاؤهم على إثرها ؟ قال : « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال :« من عين فيها تسمى سلسبيلا » [٢] .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ نٓ ﴾ : لوح من نور .

قال ابن جرير : حدثنا الحسين بن شبيب المكتب ، حدثنا محمد بن زياد الجزرى ، عن فرات بن أبى الفرات ، عن معاوية بن قُرّة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ: « ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾: لوح من نور ، وقلم من نور ، يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » [٣] . وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جُرَيج [٤] : أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام .

وقيل : المراد بقوله : ﴿نٓ﴾ : دواة ، والقلم : القلم . قال ابن جرير :

حدثنا عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن الحسن وقتادة فى قوله : ﴿نٓ﴾ قالا : هى الدواة .

وقد روى فى هذا حديث مرفوع غريب جداً فقال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عبد الله مولى بنى أمية، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :« خلق الله النون ،وهى الدواة» [٥] .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أخى عيسى بن عبد الله ، حدثنا ثابت الثمالى ، عن ابن عباس قال : إن الله خلق النون ـ وهى الدواة ـ وخلق القلم ، فقال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول ، بر أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام . ثم ألزم كل شىء من ذلك ، شأنه : دخوله فى الدنيا ، ومقامه فيها كم؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل على العباد حفظة ، وللكتاب خزاناً ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل ، أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : فقال ابن عباس : ألستم قوماً عَرَبا تسمعون الحفظة يقولون : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل [٦] .

---

(١) المسند (٣/ ١٨٩) وصحيح البخارى برقم (٣٩٣٨) ولم أقع عليه فى صحيح مسلم .

(٢) صحيح مسلم برقم (٣١٥) .

(٣) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠) .

(٤) فى أ: « ابن جرير» .

(٥) ورواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (١٧/ ٤٩٢ « المخطوط») من طريق الفريابى ، عن هشام ، عن الحسن بن يحيى به مطولا ،وقد تقدم قريباً فى هذه السورة .

(٦) تفسير الطبرى (٢٩/ ١٠).

وقوله : ﴿وَالْقَلَمِ﴾ : الظاهر أنه جنس القلم الذى يكتب به كقوله : ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣ ـ ٥] . فهو قسم منه تعالى ، وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التى بها تنال العلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ . قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعنى : وما يكتبون .

وقال أبو الضُّحى ، عن ابن عباس : ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أى : وما يعملون .

وقال السدى : ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ : يعنى الملائكة وما تكتب من عمل العباد .

وقال آخرون : بل المراد هاهنا بالقلم الذى أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف سنة . وأوردوا فى ذلك الأحاديث الواردة فى ذكر القلم ، فقال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا : حدثنا أبو داود الطيالسى ، حدثنا عبد الواحد بن سُليم السلمى ، عن عطاء ـ هو ابن أبى رباح ـ حدثنى الوليد بن عبادة بن الصامت قال : دعانى أبى حين حضره الموت فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . قال : يا رب ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر [ما كان] (١) وما هو كائن إلى الأبد » .

وهذا الحديث قد رواه الإمام أحمد من طرق ، عن الوليد بن عبادة ، عن أبيه ، به (٢) . وأخرجه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى ، به (٣) . وقال : حسن صحيح غريب . ورواه أبو داود فى كتاب «السنة» من سننه ، عن جعفر بن مسافر ، عن يحيى بن حسان ، عن ابن رباح ، عن إبراهيم بن أبى عبلة (٤) ، عن أبى حفصة ـ واسمه حُبَيش بن شُريح الحَبشى الشامى ـ عن عبادة ، فذكره (٥) .

وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن عبد الله الطوسى ، حدثنا على بن الحسن بن شقيق ، أنبأنا عبد الله بن المبارك ، حدثنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبى بَزة (٦) ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال : « إن أول شىء خلقه الله القلم ، فأمره فكتب كل شىء » . غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجوه (٧) .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿وَالْقَلَمِ﴾ يعنى : الذى كتب به الذكر .

وقوله : ﴿ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ أى : يكتبون ، كما تقدم .

---

(١) زيادة من منحة المعبود . مستفاداً من هامش ط ـ الشعب .
(٢) المسند (٥/٣١٧) .
(٣) سنن الترمذى برقم (٣٣١٩) .
(٤) فى أ : « عن ابن أبى عبلة » .
(٥) سنن أبى داود برقم (٤٧٠٠) .
(٦) فى أ : « بن أبى مرة » .
(٧) تفسير الطبرى (٢٩/١١) .

وقوله : ﴿ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ أى : لست ، ولله الحمد ، بمجنون ، كما قد يقوله الجهلة من قومك ، والمكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين ، فنسبوك فيه إلى الجنون ،﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أى : بل لك الأجر العظيم ، والثواب الجزيل الذى لا ينقطع ولا يبيد ، على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق ، وصبرك على أذاهم . ومعنى ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴾ أى : غير مقطوع كقوله : ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨] ، ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ [التين:٦] أى : غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد : ﴿ غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أى : غير محسوب ، وهو يرجع إلى ما قلناه .

وقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ : قال العوفى ، عن ابن عباس : أى : وإنك لعلى دين (١) عظيم ، وهو الإسلام. وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدى ، والربيع بن أنس ، والضحاك، وابن زيد .

وقال عطية : لعلى أدب عظيم . وقال مَعْمَر ، عن قتادة : سُئلت عائشةُ عن خلق رسول الله ﷺ . قالت : كان خلقه القرآن ، تقول : كما هو فى القرآن .

وقال سعيد بن أبى عَرُوبَة ، عن قتادة قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ : ذكر لنا أن سعد (٢) ابن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله ﷺ . فقالت : ألست تقرأ القران ؟ قال : بلى . قالت : فإن خلق رسول الله ﷺ كان القرآن .

وقال عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن قتادة ، عن زُرارة بن أوفى (٣) ، عن سعد بن هشام قال : سألت عائشة فقلت : أخبرينى يا أم المؤمنين ـ عن خُلُق رسول الله ﷺ. فقالت : أتقرأ القرآن ؟ قلتُ : نعم . فقالت : كان خلقه القرآن (٤) .

هذا حديث طويل . وقد رواه الإمام مسلم فى صحيحه ، من حديث قتادة بطوله (٥) . وسيأتى فى سورة « المزمل » إن شاء الله تعالى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا يونس ، عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ ، فقالت : كان خلقه القرآن (٦) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بنى سواد قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ . فقالت : أما تقرأ القرآن:﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾؟ قال : قلت : حدثينى عن ذاك . قالت : صنعت له طعاماً ، وصنعت له حفصة طعاماً ، فقلت لجاريتى : اذهبى فإن جاءت هى بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحى الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام . قالت : فألقت (٧) الجارية ، فوقعت القصعة فانكسرت ـ وكان نِطْعاً (٨) ـ قالت : فجمعه رسول الله

---

(١) فى أ : « لعلى خلق » . (٢) فى أ : « أن سعيد » . (٣) فى أ : « زرارة بن أبى أوفى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق (٢/ ٢٤٥) .

(٥) صحيح مسلم برقم (٧٤٦) .

(٦) المسند (٦/ ٢١٦) .

(٧) فى أ : « فالتفتت » .

(٨) فى هـ ، م ، أ : « نطع » ، والمثبت من المسند .

ﷺ وقال : « اقتضوا ــ أو : اقتضى ــ شك أسود ــ ظَرفاً مكان ظَرفك ». قالت: فما قال شيئاً [١].

وقال ابن جرير : حدثنا عبيد بن آدم بن أبى أياس ، حدثنا أبى ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعد [٢] بن هشام : قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبرينى بخُلق النبى [٣] ﷺ . فقالت : كان خلقه القرآن . أما تقرأ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

وقد روى أبو داود والنسائى ، من حديث الحسن ، نحوه [٤] .

وقال ابن جرير: حدثنى يونس ، أنبأنا ابن وهب ،وأخبرنى معاوية بن صالح ،عن أبى الزاهرية ، عن جُبَير بن نفير قال : حججتُ فدخلتُ على عائشة ، رضى الله عنها ، فسألتها عن خُلُق رسول الله ﷺ . فقالت : كان خُلُق رسول الله ﷺ القرآن .

هكذا رواه أحمد ، عن عبد الرحمن بن مهدى . ورواه النسائى فى التفسير ، عن إسحاق بن منصور ، عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح ، به [٥] .

ومعنى هذا أنه ، عليه السلام ، صار امتثالُ القرآن ، أمراً ونهياً ، سجيةٌ له ، وخلقاً تَطَبَّعَه ، وترك طبعه الجِبلِّى ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه . هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم ، من الحياء والكرم والشجاعة ، والصفح والحلم ، وكل خلق جميل . كما ثبت فى الصحيحين عن أنس قال : خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين فما قال لى :« أف » قط ، ولا قال لشيء فعلته : لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعلَه : ألا فعلته ؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ، ولا مَسِسْتُ خزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شَمَمْتُ مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ [٦] .

وقال البخارى : [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله] [٧] ، حدثنا إسحاق بن منصور ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبى إسحاق قال : سمعت البراء يقول : كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس خلقاً ، ليس بالطويل البائن ، ولا بالقصير [٨] .

والأحاديث فى هذا كثيرة ، ولأبى عيسى الترمذى فى هذا كتاب « الشمائل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا مَعْمَر ، عن الزهرى ، عن عُرْوَة ، عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ، ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن

---

(١) المسند (٦/١١) .

(٢) فى هـ ، أ : « سعيد » ، والمثبت من م وتفسير الطبرى .

(٣) فى م : « رسول الله» .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/١٣) وسنن أبى داود برقم (١٣٥٢) وسنن النسائى (٣/ ٢٢٠) .

(٥) تفسير الطبرى (٢٩/١٣) والمسند (٦ / ١٨٨) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١١٣٨) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٦٠٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢٣٠٩) .

(٧) زيادة من م ، أ ،و صحيح البخارى .

(٨) صحيح البخارى برقم (٣٥٤٩) .

يجاهد فى سبيل الله . ولا خُيِّر بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثماً ، فإذا كان إثما كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله، فيكون هو ينتقم لله ، عز وجل (١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا سعيد بن منصور ، حدثنا عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عَجْلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبى صالح ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسولُ الله ﷺ :« إنما بُعثتُ لأُتمم صالح الأخلاق » . تفرد به (٢) .

وقوله: ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ . بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أى : فستعلم يا محمد ، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك : من المفتون الضال منك ومنهم . وهذه كقوله تعالى : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾ [القمر: ٢٦] ، وكقوله : ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٢٤] .

قال ابن جريج : قال ابن عباس فى هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أى : الجنون . وكذا قال مجاهد ، وغيره .

وقال قتادة وغيره : ﴿ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴾ أى : أولى بالشيطان .

ومعنى المفتون ظاهر ، أى : الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء فى قوله : ﴿بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ لتدل على تضمين الفعل فى قوله : ﴿ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ وتقديره : فستعلم ويعلمون ، أو : فستُخْبَر ويُخْبَرون بأيكم المفتون . والله أعلم .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ أى : هو يعلم تعالى أى الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (٩) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٣) أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٤) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ (١٦) ﴾ .

يقول تعالى : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ : قال ابن عباس : لو تُرَخِّص لهم فيُرَخِّصون .

وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق .

ثم قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴾ : وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التى يجترئ بها على أسماء الله تعالى ، واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها .

---

(١) المسند (٦/ ٢٣٢) .

(٢) المسند (٢/ ٣٨١) .

قال ابن عباس : المهين الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . قال الحسن : كل حلاف مكابر مهين ضعيف .

وقوله : ﴿ هَمَّازٍ ﴾ : قال ابن عباس وقتادة : يعنى الاغتياب .

﴿ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ يعنى : الذى يمشى بين الناس ، ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهى الحالقة ، وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد ،عن طاوس،عن ابن عباس قال : مر رسول الله ﷺ بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر [(١)] من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث . وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم ، من طرق عن مجاهد ، به [(٢)] .

وقال أحمد : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن هَمّام ؛أن حُذَيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قَتَّات » .

رواه الجماعة ــ إلا ابن ماجة ــ من طرق ، عن إبراهيم ، به [(٣)] .

وحدثنا عبد الرزاق ، حدثنا الثورى ،عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قتات » يعنى : نماما [(٤)] .

وحدثنا يحيى بن سعيد القطان أبو سعيد الأحول ، عن الأعمش ، حدثنى إبراهيم ــ منذ نحو ستين سنة ــ عن همام بن الحرث قال : مر رجل على حذيفة فقيل : إن هذا يرفع الحديث إلى الأمراء . فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ــ أو : قال ــ : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة قتات » [(٥)] .

وقال أحمد : حدثنا هاشم ، حدثنا مهدى ، عن واصل الأحدب ، عن أبى وائل قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ قال: « لا يدخل الجنة نمام » [(٦)] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن ابن خُثَيم ، عن شَهْر بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ؛ أن النبى ﷺ قال :« ألا أخبركم بخياركم ؟ » . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « الذين إذا رُؤوا ذُكر الله ، عز وجل » . ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاؤون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العَنَت » .

ورواه ابن ماجة ، عن سويد بن سعيد ، عن يحيى بن سليم ، عن ابن خُثَيم ، به [(٧)] .

---

(١) فى أ : « لا يستبرئ » .

(٢) صحيح البخارى برقم (٢١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٩٢) وسنن أبى داود برقم (٢٠) وسنن الترمذى برقم (٧٠) وسنن النسائى (٢٨/١) وسنن ابن ماجة برقم (٣٤٧) .

(٣) المسند (٣٨٢/٥) وصحيح البخارى برقم (٦٠٥٦) وصحيح مسلم برقم (١٠٥) وسنن أبى داود برقم (٤٨٧١) وسنن الترمذى برقم (٢٠٢٦) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٤) .

(٤ ، ٥) المسند (٣٨٩/٥) .

(٦) المسند (٥ / ٣٩١) .

(٧) المسند (٤٥٩/٦) وسنن ابن ماجة برقم (٤١١٩) وقال البوصيرى فى الزوائد (٢٧٣/٣) : « هذا إسناد حسن ، شهر وسويد مختلف فيهما ، وباقى رجال الإسناد ثقات » .

وقال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن ابن أبى حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن ابن غَنْم ــ يبلغ به النبى ﷺ :« خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ الله ، وشرار عباد الله المشاؤون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت » (١) .

وقوله : ﴿ مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ أى : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ﴿ مُعْتَدٍ ﴾ فى متناول ما أحل الله له ، يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿ أَثِيمٍ ﴾ أى : يتناول المحرمات .

وقوله : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾ : أما العتل : الفظ الغليظ الصحيح ، الجموع المَنُوعُ .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن مَعْبَد (٢) بن خالد ، عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله ﷺ :« ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف مُتَضَعِّف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عُتل جَوّاظ مستكبر » . وقال وَكِيع :« كل جَوَّاظ جعظرى مستكبر » .

أخرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة ، إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثورى وشعبة ،كلاهما عن معبد بن خالد ، به (٣).

وقال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن على قال : سمعت أبى يحدِّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؛ أن النبى ﷺ قال عند ذكر أهل النار :« كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » . تفرد به أحمد (٤) .

قال أهل اللغة : الجعظرى : الفَظُّ الغَليظ ، والجَوّاظ : الجَمُوع المَنُوع .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع ، حدثنا عبد الحميد ، عن شَهْر بن حَوْشب ، عن عبد الرحمن ابن غَنْم ، قال : سُئل رسول الله ﷺ عن العُتلِّ الزنيم ، فقال : « هو الشديد الخَلْق المصحح ، الأكول الشروب ، الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس ، رحيب الجوف » (٥) .

وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة الجَواظ الجعظرى ، والعتل الزنيم » (٦) وقد أرسله أيضاً غير واحد من التابعين .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، عن مَعْمَر ، عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله ﷺ : « تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه من الدنيا مِقضَماً ، فكان للناس ظلوماً . قال : فذلك العُتُل (٧) الزنيم » (٨) .

---

(١) المسند (٤/٢٢٧) .

(٢) فى أ : «سعيد ».

(٣) المسند (٤/٣٠٦) وصحيح البخارى برقم (٤٩١٨) وصحيح مسلم برقم (٢٨٥٣) وسنن الترمذى برقم (٢٦٠٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١١٦١٥) وسنن ابن ماجة برقم (٤١١٦) .

(٤) المسند (٢/١٦٩) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٣٩٣) : « رجاله رجال الصحيح » .

(٥) المسند (٤/٢٢٧) وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/٣٩٣) :« إسناده حسن ، إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبى ﷺ » وقال فى موضع آخر (٧/١٢٨) : « فيه شهر بن حوشب وثقه جماعة وفيه ضعف ، وعبد الرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح ».

(٦) المسند (٤/٢٢٧) .

(٧) فى م ،أ : «العبد » .

(٨) تفسير الطبرى (١٩/١٦) وهو مرسل .

وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العتل هو : المُصحَّح الخَلْق ، الشديد القوى فى المأكل والمشرب والمنكح ، وغير ذلك ، وأما الزنيم فقال البخارى :

حدثنا محمود ، حدثنا عُبَيد الله، عن[1] إسرائيل ، عن أبى حَصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ قال : رجلٌ من قريش له زَنَمة مثل زَنَمَة الشاة .

ومعنى هذا : أنه كان مشهوراً بالشر[2] كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وإنما الزنيم فى لغة العرب : هو الدّعِىُّ فى القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان ابن ثابت ، يعنى يذم بعض كفار قريش :

وأنتَ زَنيم نِيطَ فى آل هاشم ... كَمَا نِيطَ خَلْفَ الرّاكِب القَدَحُ الفَرْدُ [3]

وقال آخر :

زَنيمٌ لَيْسَ يُعرَفُ مَن أبوهُ ... بَغِىُّ الأم ذُو حَسَب لَئيم

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطى ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس فى قوله : ﴿ زَنِيمٍ ﴾ قال : الدعىُّ الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زَنيمٌ تَداعاه الرجالُ زِيادَةً ... كَما زِيدَ فى عَرَضِ الأديم الأكَارعُ [4]

وقال العوفى عن ابن عباس : الزنيم : الدعى . ويقال : الزنيم : رجل كانت به زنمة ، يعرف بها . ويقال : هو الأخنس بن شَريق الثقفى ، حليف بنى زهرة . وزعم أناس من بنى زهرة أن الزنيم الأسودُ بن عبد يغوث الزهرى ، وليس به .

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : أنه زعم أن الزنيم المُلحَق النسب .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنى يونس، حدثنا ابن وهب، حدثنى سليمان بن بلال ، عن عبد الرحمن ابن حَرملة ، عن سعيد بن المُسيَّب ، أنه سمعه يقول فى هذه الآية : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ قال سعيد : هو الملصق فى القوم ، ليس منهم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا عقبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة قال : سئل عكرمة عن الزنيم ، قال : هو ولد الزنا .

وقال الحكم بن أبان ، عن عكرمة فى قوله تعالى : ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء . والزنماء من الشياه : التى فى عنقها هَنَتان معلقتان فى حلقها .

وقال الثورى ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير قال : الزنيم : الذى يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . والزنيم : الملصق . رواه ابن جرير .

---

(١) فى أ : « بن » . (٢) فى أ : « بالسوء » .
(٣) تفسير الطبرى (١٧/١٩) .
(٤) البيت فى اللسان ، مادة « زنم » منسوباً إلى الخطيم التميمى .

وروى أيضا من طريق داود بن أبى هند عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال فى الزنيم : قال : نُعتَ فلم يعرف حتى قيل : زنيم . قال : وكانت له زَنَمَةٌ فى عنقه يُعرَف بها . وقال آخرون : كان دَعِياً .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن أصحاب التفسير قالوا[١]: هو الذى تكون له زَنَمةٌ مثل زَنَمة الشاة .

وقال الضحاك : كانت له زَنَمَة فى أصل أذنه ، ويقال : هو اللئيم الملصق فى النسب .

وقال أبو إسحاق : عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : هو المريب الذى يعرف بالشر .

وقال مجاهد : الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رَزِين : الزنيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزنيم الذى يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها .

والأقوال فى هذا كثيرة ، وترجع إلى ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو : المشهور بالشر ، الذى يعرف به من بين الناس ، وغالباً يكون دعياً ولد زنا ، فإنه فى الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره ، كما جاء فى الحديث : « لا يدخل الجنة ولد زنا » [٢] . وفى الحديث الآخر :« ولد الزنا شَرُّ الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه » [٣] .

وقوله : ﴿ **أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ . إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ : يقول تعالى : هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين ، كفر بآيات الله وأعرض عنها ، وزعم أنها كَذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : ﴿ **ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا . وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا . وَبَنِينَ شُهُودًا . وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا . ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ . كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا . سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا . إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ . فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ . ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ . فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ . إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴾ قال الله تعالى : ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾ [المدثر: ١١ ــ ٢٦] . وقال تعالى هاهنا : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ .

قال ابن جرير : سنبين أمره بياناً واضحاً ، حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم ، كما لا تخفى السمة على الخراطيم [٤] . وهكذا قال قتادة : ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ : شين لا يفارقه آخر ما عليه .

---

(١) فى أ :« قال » .

(٢) رواه الإمام أحمد فى المسند (٢/ ٢٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنه، ورواه النسائى فى السنن الكبرى برقم (٤٩٢٥، ٤٩٢٦) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه ، وقد ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٣/ ١١١) قال : « وفيه مخالفة للأصول وأعظمها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] » . قال الإمام ابن القيم متعقباً على ابن الجوزى فى المنار المنيف (ص١٣٣) :« ليست معرضة بها إن صحت ،فإنه لم يحرم الجنة بفعل والديه ، بل لأن النطفة الخبيثة لا يتخلق منها طيب فى الغالب ، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة ، فإن كانت فى هذا الجنس طيبة دخلت الجنة ،وكان الحديث من العام المخصوص، وقد ورد فى ذمه :« أنه شر الثلاثة » وهو حديث حسن ومعناه صحيح بهذا الاعتبار، فإن شر الأبوين عارض ، وهذه نطفة خبيثة فشره فى أصله وشر الأبوين فى فعلهما » . قلت : ويوجه أيضاً بالتقييد الذى فى حديث عائشة الآتى بأنه شر الثلاثة إذا عَمِلَ عَمَلَ أبويه ،وكلام ابن الجوزى منطبق على حديث : « ولد الزنا فى النار إلى سبعة أبناء » . وهو موضوع .

(٣) رواه الإمام أحمد (٦/ ١٠٩) من حديث عائشة ، رضى الله عنها ، و(٢/ ٣١١) من حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه .

(٤) فى م : « على الخرطوم » .

وفى رواية عنه : سيما [(١)] على أنفه . وكذا قال السدى .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ : يقاتل يوم بدر ، فيُخطم بالسيف فى القتال . وقال آخرون : ﴿سَنَسِمُهُ﴾ :سمة أهل النار ، يعنى : نسود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخرطوم . وحكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه فى الدنيا والآخرة ، وهو متّجه .

وقد [(٢)] قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث، حدثني الليث ، حدثني خالد عن [(٣)] سعيد ، عن عبد الملك بن عبد الله ، عن عيسي بن هلال الصدفي ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن العبد يكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحقابا [(٤)] ثم يموت والله عليه ساخط . وإن العبد يكتب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً ، ثم يموت والله عليه [(٥)] راض . ومن مات همَّازاً لـمَّازاً مُلَقِّبا للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يسميه الله على الخرطوم ، من كلا الشفتين » [(٦)] .

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ .

هذا مَثَل ضَرَبَه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو بَعْثُه محمداً ﷺ إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ ﴾ أى : اختبرناهم ، ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار

(١) فى م :« سنسمه سيما » .

(٢) فى م : « ولهذا ».

(٣) فى م ، أ ، هـ: « بن » والصواب ما أثبتناه من المعجم الكبير للطبرانى .

(٤) فى أ: «أحيانا ثم أحيانا » .

(٥) فى م : « عنه » .

(٦) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير برقم (٦٠) « القطعة المفقودة » والمعجم الأوسط برقم (٣٢٣٤) « مجمع البحرين » عن المطلب الأزدى، عن عبد الله بن صالح به . وقال فى الأوسط : « لا يروى عن عبد الله بن عمرو إلا بهذا الإسناد ، تفرد به الليث » .

والفواكه ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ أى :حلفوا فيما بينهم لَيجُذّنَ ثمرها ليلا ، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشىء ، ﴿ وَلا يَسْتَثْنُونَ ﴾ أى: فيما حلفوا به. ولهذا حَنَّثهم الله فى أيمانهم ، فقال : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ أى : أصابتها آفة سماوية ، ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ : قال ابن عباس : أى كالليل الأسود . وقال الثورى، والسدى : مثل الزرع إذا حُصِد ، أى : هشيماً يبساً .

وقال ابن أبى حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح : أنبأنا بشير بن زاذان ، عن عمر بن صبح [(١)]، عن ليث بن أبى سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إياكم والمعاصى ، إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هُيِّئ له » ، ثم تلا رسول الله ﷺ : ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾،قد حرموا خير جنّتهم بذنبهم[(٢)] .

﴿ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴾ أى : لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضاً ليذهبوا إلى الجَذَاذ ، ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴾ أى : تريدون الصرام . قال مجاهد : كان حرثهم عِنَباً ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴾ أى : يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحداً كلامهم . ثم فسر الله عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به ، فقال : ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ . أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾ أى : يقول بعضهم لبعض : لا تمكنوا اليوم فقيراً يدخلها عليكم ! قال الله تعالى : ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ أى : قوة وشدة . وقال مجاهد : ﴿ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أى : جد . وقال عكرمة : غيظ . وقال الشعبى : ﴿ عَلَىٰ حَرْدٍ ﴾ : على المساكين . وقال السدى : ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أى: كان اسم قريتهم حرد . فأبعد السدى فى قوله هذا ! .

﴿ قَادِرِينَ ﴾ أى: عليها فيما يزعمون ويَرومون. ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى : فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها ، وهى على الحالة التى قال الله ، عز وجل ، قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مُدْلَهِمَّة ، لا يُنتفع بشىء منها ، فاعتقدوا أنهم قد أخطؤوا الطريق ؛ ولهذا قالوا : ﴿ إِنَّا لَضَالُّونَ ﴾ أى : قد سلكنا إليها غير الطريق فتُهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره . ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هى فقالوا : ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أى: بل هذه هى، ولكن نحن لا حَظّ لنا ولا نصيب .

﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومحمد بن كعب، والربيع بن أنس ،والضحاك ، وقتادة: أى : أعدلهم وخيرهم:﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾! قال مجاهد ، والسدى ، وابن جريج : ﴿ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أى : لولا تستثنون . قال السدى : وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان تسبيحاً .

---

(١) فى أ :« بن صبيح » .

(٢) وفى إسناده عمر بن صبح قال ابن حبان : كان ممن يضع الحديث . وقال الدارقطنى : متروك . وقال الأزدى : كذاب . وله شاهد من حديث ثوبان ، رضى الله عنه ، رواه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ٢٧٧) .

قال ابن جريج : هو قول القائل : إن شاء الله . وقيل : معناه : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ أى : هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم ، ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ ، أتوا بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ؛ ولهذا قالوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴾ أى : يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجَذاذ ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴾ أى : اعتدينا وبَغَينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا ، ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ قيل : رغبو فى بدلها لهم فى الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة ، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ــ قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها ضروان [١] ، على ستة أميال من صنعاء . وقيل : كانوا من أهل الحبشة ــ وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله منها يرد فيها ما يحتاج إليها ويدّخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل . فلما مات ورثه بنوه ، قالوا : لقد كان أبونا أحمقَ إذ كان يصرف من هذه شيئاً للفقراء ، ولو أنَّا منعناهم لتوفر ذلك علينا . فلما عزموا على ذلك عُوقبوا بنقيض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، ورأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شىء .

قال الله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾ أى :هكذا عذاب من خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء [٢] وذوى الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرا ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق . وقد ورد فى حديث رواه الحافظ البيهقى من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، عن أبيه ، عن جده ؛ أن رسول الله ﷺ نهى عن الجداد [٣] بالليل ، والحصاد بالليل [٤] .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤١) ﴾ .

---

(١) فى أ : « جردان » .

(٢) فى أ : « حق المسكين والفقير » .

(٣) فى م ، أ ، هـ : « الجذاذ » بالذال وهو خطأ والمثبت من سنن البيهقى .

(٤) سنن البيهقى الكبرى (٤/ ١٣٣) والجداد ــ بالدال بالفتح والكسر ــ قال ابن الأثير فى النهاية (١/ ٢٤٤) : « هى صرام النخل ، وهو قطع ثمرتها ، يقال : جدّ الثمرة يجدُّها جدّا ،وإنما نهى عن ذلك لأجل المساكين حتى يحضروا فى النهار فيتصدق عليهم منه » .

لما ذكر [الله] (١) تعالى حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله ، عز وجل ، وخالفوا أمره ، بين أن لمن اتقاه وأطاعه فى الدار الآخرة جنات النعيم التى لا تَبيد ولا تفرغ ولا ينقضى نعيمها .

ثم قال : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ ؟ أى : أفنساوى بين هؤلاء وهؤلاء فى الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ؛ ولهذا قال : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ! أى : كيف تظنون ذلك ؟ .

ثم قال : ﴿ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ . إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴾ يقول : أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف، مُتضمن حكما مؤكداً كما تدعونه؟ ﴿ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ . أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ أى : أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ، ﴿ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴾ أى : إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ، ﴿ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴾ ؟ أى : قل لهم : من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟ ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴾ أى: من الأصنام والأنداد ، ﴿ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ (٤٢) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٣) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) ﴾ .

لما ذكر تعالى أن للمتقين عنده (٢) جنات النعيم ، بين متى ذلك كائن وواقع ، فقال : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ يعنى : يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخارى هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبى سعيد الخدرى قال : سمعت النبى ﷺ يقول : « يكشفُ ربّنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقاً واحداً » (٣) .

وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق (٤) ، وله ألفاظ ، وهو حديث طويل مشهور .

وقد قال عبد الله بن المبارك ، عن أسامة بن زيد ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ

---

(١) زيادة من م . (٢) فى م : « عند ربهم » .

(٣) صحيح البخارى برقم (٤٩١٩) .

(٤) وهو حديث الشفاعة وقد سبق سياقه بطرقه وألفاظه عند تفسير أول سورة الإسراء .

عَن سَاق ﴾ قال : هو يوم كَرْب وشدة . رواه ابن جرير ثم قال :

حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، عن ابن مسعود ـ أو : ابن عباس ، الشك من ابن جرير ـ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق ﴾ قال : عن أمر عظيم ، كقول الشاعر :

وقامت الحرب بنا على ساق [١]

وقال ابن أبى نَجيح ، عن مجاهد : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق ﴾ قال : شدة الأمر [٢] .

وقال ابن عباس : هى أول [٣] ساعة تكون فى يوم القيامة .

وقال بن جُرَيج ، عن مجاهد : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق ﴾ قال : شدة الأمر وجده .

وقال على ابن أبى طلحة ، عن ابن عباس قوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق ﴾ : هو الأمر الشديد المُفظِع من الهول يوم القيامة .

وقال العوفى ، عن ابن عباس قوله : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق ﴾ يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال . وكشفه دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روى الضحاك عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ثم قال :

حدثنى أبو زيد عمر بن شَبَّة ، حدثنا هارون بن عمر المخزومى ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبى بردة بن أبى موسى ، عن أبيه ، عن النبى ﷺ قال : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاق ﴾ قال : « عن نور عظيم ، يخرون له سجداً » .

ورواه أبو يعلى ، عن القاسم بن يحيى ، عن الوليد بن مسلم ، به [٤] . وفيه رجل مبهم [٥]، فالله أعلم .

---

(١) البيت فى تفسير الطبرى (٢٩/ ٢٤) .

(٢) فى أ : « الأمر وجده».   (٣) فى م : « هى أشد » .

(٤) تفسير الطبرى (٢٩/ ٢٧) ومسند أبى يعلى (١٣/ ٢٦٩) .

تنبيه : ظن بعض الناس أن الحافظ ابن كثير سلك هنا مسلك التأويل لصفة الساق،وهذا فهم خاطئ ؛ وذلك لأن الحافظ ابن كثير فسر هذه الآية بحديث أبى سعيد ،رضى الله عنه ،ثم ذكر ما قيل فى هذه الآية،وقد تكلم الإمام ابن القيم عن هذه الآية كلاماً بديعاً قال، رحمه الله ، فى الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢،٢٥٣) : « والصحابة متنازعون فى تفسير هذه الآية : هل المراد الكشف عن الشدة ؟ أو المراد بها أن الرب تعالى يكشف عن ساقه؟ ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيها يذكر أنه من الصفات أم لا فى غير هذا الموضوع ، وليس فى ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله ؛ لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه ، وإنما ذكره مجرداً عن الإضافة منكرًا، والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والأصبع لم يأخذ ذلك من ظاهر القرآن ، وإنما أثبتوه بحديث أبى سعيد الخدرى المتفق على صحته ، وهو حديث الشفاعة الطويل وفيه : « فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجداً » . ومن حمل الآية على ذلك قال : قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ [القلم :٤٢] : مطابق لقوله ﷺ: « فيكشف عن ساقه فيخرون له سجداً » . وتنكيره للتعظيم والتفخيم كأنه قال : يكشف عن ساق عظيمة،جلت عظمتها وتعالى شأنها أن يكون لها نظير أو مثل أو شبيه ،قالوا :وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه ؛ فإن لغة القوم فى مثل ذلك أن يقال: كشف الشدة عن القوم لاكشف عنها كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٠] ، وقال:﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ ﴾ [المؤمنون :٧٥] ، فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه ، وأيضاً فهناك تحدث الشدة وتشتد ، ولا تزال إلا بدخول الجنة، وهناك لا يدعون إلى السجود ، وإنما يدعون إليه أشد ما كانت الشدة» انتهى نقلا عن التحذير من مختصرات الصابونى ، وانظر: عقيدة الحافظ ابن كثير للشيخ عبد الآخر الغنيمى (ص٤٨،٤٩) والتحذير للشيخ بكر أبو زيد (ص٣٥٠ ـ ٣٥٣) .

(٥) فى أ :« رجل متهم » .

وقوله : ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ أى : فى الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم فى الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه . ولما دعوا إلى السجود فى الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه فى الآخرة ، إذا تجلى الرب ، عز وجل ، فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجُد ، بل يعود ظهر أحدهم طبقاً واحداً ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه ، عكس السجود ، كما كانوا فى الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ يعنى : القرآن . وهذا تهديد شديد ، أى : دعنى وإياه منى ومنه ، أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمده فى غيه وأنظر [(١)]، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ؛ ولهذا قال : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ أى : وهم لا يشعرون ، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة ، وهو فى نفس الأمر إهانة ، كما قال: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ . نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦] ، وقال : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤] . ولهذا قال هاهنا : ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أى : وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم [(٢)] ، وذلك من كيدى ومكرى بهم ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ أى : عظيم لمن خالف أمرى ، وكذب رسلى ، واجترأ على معصيتى .

وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله ليُملى للظالم ،حتى إذا أخذه لم يُفْلته ». ثم قرأ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢] [(٣)] .

وقوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ . أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ : تقدم تفسيرهما فى سورة «الطور» [(٤)] [(٥)]. والمعنى فى ذلك : أنك يا محمد تدعوهم إلى الله ، عز وجل ، بلا أجر تأخذه منهم، بل ترجوا ثواب ذلك عند الله ، عز وجل ، وهم يكذبون بما جئتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠) وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥١) وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٥٢) ﴾ .

---

(١) فى أ : « وأنظره » . (٢) فى أ : « وأمد لهم » .
(٣) صحيح البخارى برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه .
(٤) فى م : « فى سورة النور » .
(٥) عند تفسير الآيتين : ٤٠، ٤١ .

يقول تعالى : ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ؛ فإن الله سيحكم لك عليهم، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك فى الدنيا والآخرة ، ﴿ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ يعنى : ذا النون ، وهو يونس بن متى ، عليه السلام ، حين ذهب مُغَاضباً على قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه فى البحر والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به فى البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلى القدير ، الذى لا يُرَدّ ما أنفذَه من التقدير ، فحينئذ نادى فى الظلمات: ﴿ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧] . قال الله : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣ ، ١٤٤] وقال ههنا : ﴿ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴾ قال ابن عباس ، ومجاهد ، والسدى : مغموم . وقال عطاء الخراسانى ، وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا فى الحديث أنه لما قال : ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، خرجت الكلمة تَحُفّ حول العرش ، فقالت الملائكة : يا رب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة . فقال الله : أما تعرفون هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، عبدك الذى لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله فى الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا وَكيع ،حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « لا ينبغى لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى » .

ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى (١) . وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة (٢) .

وقوله : ﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وغيرهما: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ : لَيَنفُذونك بأبصارهم ، أى : لَيَعينُوك بأبصارهم ، بمعنى : يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك ، وحمايته إياك منهم . وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق، بأمر الله ، عز وجل ، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة :

حديث أنس بن مالك ، رضى الله عنه : قال أبو داود : حدثنا سليمان بن داود العَتَكى ، حدثنا شريك (ح) ، وحدثنا العباس العَنْبَرىّ ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذَريح، عن الشعبى ــ قال العباس : عن أنس ــ قال : قال النبى ﷺ: « لا رقية إلا من عين أو حُمة أو دم لا يرقأ » . لم يذكر العباس العين . وهذا لفظ سليمان (٣) .

حديث بُرَيدة بن الحُصَيب ، رضى الله عنه : قال أبو عبد الله بن ماجة :حدثنا محمد بن عبد الله ابن نُمَير ، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبى جعفر الرازى ، عن حُصَين ، عن الشعبى ، عن

---

(١) المسند (١/ ٣٩٠) وصحيح البخارى برقم (٤٦٠٣) .

(٢) صحيح البخارى برقم (٤٦٣١) وصحيح مسلم برقم (٢٣٧٦) .

(٣) سنن أبى داود برقم (٣٨٨٩) .

بُرَيدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا رقية إلا من عين أو حُمة » (١) .

هكذا رواه ابن ماجة ، وقد أخرجه مسلم فى صحيحه ، عن سعيد بن منصور ، عن هشيم ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عامر الشعبى ، عن بريدة موقوفاً ، وفيه قصة (٢) . وقد رواه شعبة ، عن حصين ، عن الشعبى ،عن بريدة .قاله الترمذى (٣) . وروى هذا الحديث الإمام البخارى من حديث محمد بن فضيل ، وأبو داود من حديث مالك بن مغْول ، والترمذى من حديث سفيان ابن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين ، عن عامر الشعبى ، عن عمرانَ بن حُصَين موقوفاً (٤) .

حديث أبى جندب بن جنادة : قال الحافظ أبو يعلى الموصلى ، رحمه الله : حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة بن البِرِند السامى ، حدثنا ديلم بن غَزوان ، حدثنا وهْب بن أبى دبى ، عن أبى حرب ، عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العين لتولع الرجلَ بإذن الله ، فيتصاعد حالقا، ثم يتردى منه » إسناده غريب ، ولم يخرجوه (٥) .

حديث حابس التميمى : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيى بن أبى كثير ، حدثنى حَيَّة بن حابس التميمى : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « لا شىء فى الهام ، والعين حق ، وأصدق الطِّيَرَة (٦) الفَأْلُ » (٧) .

وقد رواه الترمذى عن عمرو بن على ، عن أبى غسان يحيى بن كثير ، عن على بن المبارك ، عن يحيى بن أبى كثير ، به (٨) . ثم قال غريب . قال : وروى شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن حَيَّة بن حابس ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ .

قلت : كذلك رواه الإمام أحمد ، عن حسن بن موسى وحُسَين بن محمد ، عن شيبان ، عن يحيى بن أبى كثير ، عن حَيَّة ، حدثه عن أبيه ، عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « لا بأس فى الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل » (٩) .

حديث ابن عباس : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن دُوَيد ، حدثنى إسماعيل بن ثوبان ، عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « العين

---

(١) سنن ابن ماجة برقم(٣٥١٣) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٠) .

(٣) سنن الترمذى (٤/ ٣٤٥) .

(٤) صحيح البخارى برقم (٥٧٠٥) وسنن أبى داود برقم (٣٨٨٤) وسنن الترمذى برقم (٢٠٧٥) .

(٥) ورواه ابن عدى فى الكامل (٣/ ١٠٤) من طريق أبى يعلى لكنه وقع فيه : إبراهيم ، عن ديلم ،عن وهب بن أبى دبى ، عن محجن، عن أبى زر به ، فأسقط أبوحرب ،وسيأتى توجيه ذلك من كلام ابن عدى ،ورواه الإمام أحمد فى المسند (٥/ ١٤٦) من طريق يونس بن محمد ، وابن عدى فى الكامل (٣/ ١٠٤) من طريق الصلت بن مسعود كلاهما عن ديلم بن غزوان،عن وهب ، عن أبى حرب ، عن محجن ، عن أبى ذر به، قال ابن عدى : « وهذا الحديث يرويه ديلم عن وهب بن أبى دبى ، وأظن أنه وهم من رواية الصلت حيث قال : عن وهب بن أبى دبى ، عن أبى حرب ، عن محجن ، ولعل أبا حرب هو محجن » .

(٦) فى م : « الطير » ، وفى أ : «الظن » .

(٧) المسند (٥/ ٧٠) .

(٨) سنن الترمذى برقم (٢٠٦١) .

(٩) المسند (٥/ ٧٠) .

حق ، العين حق ، تستنزل الحالق » [١] غريب .

طريق أخرى : قال مسلم فى صحيحه : حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، أخبرنا مسلم ابن إبراهيم ، حدثنا وُهَيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبى ﷺ قال : «العين حق ، ولو كان شىء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَت العين ، وإذا اغتُسلتم فاغسلوا » . انفرد به دون البخارى [٢] .

وقال عبد الرزاق ، عن سفيان الثورى ، عن منصور ، عن المِنْهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين ، يقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهَامَّة ، ومن كل عين لامَّة » ، ويقول : « هكذا كان إبراهيم يُعَوِّذ إسحاق وإسماعيل ، عليهما السلام » .

أخرجه البخارى وأهل السنن من حديث المنهال ، به [٣] .

حديث أبى أمامة أسعد بن سهل بن حنيف ، رضى الله عنه : قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سفيان ، عن الزهرى ، عن أبى أمامة بن سهل بن حُنَيف قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حُنَيف ، وهو يغتسل ، فقال : لم أر كاليوم ولا جلدَ مخبأة . فما لبث أن لُبِطَ به ، فأتى به رسول الله ﷺ فقيل له : أدرك سهلا صريعاً . قال : « من تتهمون به ؟ ». قالوا: عامر بن ربيعة . قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فَلْيَدعُ له بالبركة » . ثُم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، وركبتيه ، ودَاخِلة إزاره ، وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال مَعْمَر ، عن الزهرى : وأمر أن يكفأ الإناء من خلفه [٤] .

وقد رواه النسائى ، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس ، كلاهما عن الزهرى ، به . ومن حديث سفيان بن عيينة أيضاً عن معمر ، عن الزهرى ، عن أبى أمامة : ويكفَأ الإناء من خلفه. ومن حديث ابن أبى ذئب عن الزهرى ، عن أبى أمامة أسعد بن سهل بن حُنَيف ، عن أبيه ،به . ومن حديث مالك أيضاً ، عن محمد بن أبى أمامة بن سهل ، عن أبيه ، به [٥] .

حديث أبى سعيد الخدرى : قال ابن ماجة : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا سعيد بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريرى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين [٦] الجان وأعين الإنس . فلما نزل [٧] المعوذتان أخذهما وترك ما سوى ذلك .

---

(١) المسند (١/ ٢٧٤) .

(٢) صحيح مسلم برقم (٢١٨٨) .

(٣) صحيح البخارى برقم (٣٣٧١) وسنن أبى داود برقم (٤٧٣٧) وسنن الترمذى برقم (٢٠٦٠) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٨٤٤) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٥) .

(٤) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٩) .

(٥) سنن النسائى الكبرى برقم (٧٦١٧ ــ ٧٦١٩) .

(٦) فى م : « من عين » .

(٧) فى م : « فلما نزلت » .

ورواه الترمذى والنسائى من حديث سعيد بن إياس [١] أبى مسعود الجُرَيرى ، به [٢] . وقال الترمذى : حسن .

حديث آخر عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنى أبى ، حدثنى عبد العزيز بن صُهيب ، حدثنى أبو نضرة ، عن أبى سعيد : أن جبريل أتى رسول الله ﷺ فقال : اشتكيت يا محمد ؟ قال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم الله أرقيك [٣] .

ورواه عن عفان ، عن عبد الوارث ، مثله . ورواه مسلم وأهل السنن ـ إلا أبا داود ـ من حديث عبد الوارث ، به [٤] .

قال الإمام أحمد أيضاً : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبى نَضرة ، عن أبى سعيد ـ أو : عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله ﷺ اشتكى ، فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شىء يؤذيك ، من كل حاسد وعين الله يُشفيك [٥] .

ورواه أيضاً ، عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ، عن داود ، عن أبى نَضرة ، عن أبى سعيد، به [٦] .

قال أبو زُرْعَة الرازى : روى عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد العزيز ، عن أبى نَضْرَةَ ، وعن عبد العزيز ، عن أنس ، فى معناه ، وكلاهما صحيح .

حديث أبى هُرَيرة : قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا مَعْمَر ، عن هَمَّام بن مُنَبِّه قال: هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله ﷺ : « إن العين حق » [٧].

أخرجاه من حديث عبد الرزاق [٨].

وقال ابن ماجة : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن الجُرَيرى ، عن مُضَارب بن حَزن ، عن أبى هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق » . تفرد به .

ورواه أحمد ، عن إسماعيل بن عُلَيَّة ، عن سعيد الجُرَيْرى ، به [٩].

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور ـ يعنى ابن يزيد ـ عن مكحول ، عن أبى

---

(١) فى م : « سعيد بن أبى إياس » .

(٢) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١١) وسنن الترمذى برقم (٢٠٥٨) وسنن النسائى (٨/ ٢٧١) .

(٣) المسند (٣/ ٢٨).

(٤) المسند (٣/ ٥٦) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٦) وسنن الترمذى برقم (٩٧٥) وسنن النسائى الكبرى برقم (١٠٨٤٣) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥٢٣) .

(٥) المسند (٣/ ٧٥) .

(٦) المسند (٣/ ٥٨) .

(٧) المسند (٢/ ٣١٨) .

(٨) صحيح البخارى برقم (٥٧٤٠) وصحيح مسلم برقم (٢١٨٧) .

(٩) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٧) والمسند (٢/ ٤٨٧) .

هُرَيرة قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ، ويحضُرها الشيطانُ ، وحسد ابن آدم » (١) .

وقال أحمد : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو معشر ، عن محمد بن قيس : سُئل أبو هُرَيرة: هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة فى ثلاث : فى المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت : إذاً أقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ! ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :« أصدق الطيرة الفألُ ، والعين حق » (٢) .

حديث أسماء بنت عُمَيس : قال الإمام أحمد : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ،عن عُروةَ ابن عامر ، عن عُبيدَ بن رفاعة الزُرقى قال : قالت أسماء : يا رسول الله ، إن بنى جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقى لهم ؟ قال : « نعم ، فلو كان شىء يسبق القدرَ لسبقته العين » .

وكذا رواه الترمذى وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، به(٣) . ورواه الترمذى أيضاً والنسائى ، من حديث عبد الرزاق ، عن مَعْمَر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عُرْوَة بن عامر ، عن عُبَيد بن رفاعة ، عن أسماء بنت عميس ، به (٤) . وقال الترمذى : حسن صحيح .

حديث عائشة ، رضى الله عنها : قال ابن ماجة : حدثنا على بن أبى الخَصيب ، حدثنا وَكيع ، عن سفيان ، ومِسْعَر ، عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شدَّاد ، عن عائشة ؛ أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقىَ من العين (٥).

ورواه البخارى عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد بن خالد ، به . وأخرجه مسلم من حديث سُفيانَ ومِسْعَر ، كلاهما عن معبد ، به (٦) . ثم قال ابن ماجة :

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو هشام المخزومى ، حدثنا وُهَيب ، عن أبى واقد ، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ: «استعيذوا بالله ، فإن العين حق». تفرد به (٧) .

وقال أبو داود : حدثنا عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المَعين (٨).

حديث سهل بن حُنَيف : قال الإمام أحمد : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا أبو أويس (٩)، حدثنا الزهرى ، عن أبى أمامة بن سَهل بن حُنَيف : أن أباه حدثه أن النبى ﷺ خرج وساروا معه

(١) المسند (٢/ ٤٣٩) .

(٢) المسند (٢/ ٢٨٩) .

(٣) المسند (٦/ ٤٣٨) وسنن الترمذى برقم (٢٠٥٩) وسنن ابن ماجة برقم (٣٥١٠) .

(٤) سنن الترمذى برقم (٢٠٥٩) وسنن النسائى الكبرى برقم (٧٥٣٧) .

(٥) سنن ابن ماجة برقم (٣٥١٠) .

(٦) صحيح البخارى برقم (٥٧٣٨) وصحيح مسلم برقم (٢١٩٥) .

(٧) سنن ابن ماجة برقم (٣٥٠٨) وقال البوصيرى فى الزوائد (٣/ ١٣٤) : « هذا إسناد فيه مقال » .

(٨) سنن أبى داود برقم (٣٨٨٠) .

(٩) فى م : « أبو إدريس » .

نحو مكة، حتى إذا كانوا بشعب الخَرَار ــ من الجحفة ــ اغتسل سهلُ بن حُنَيف ــ وكان رجلاً أبيض حَسن الجسم والجلد ــ فنظر إليه عامر بن ربيعة ، أخو بنى عدى بن كعب ، وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخبَّأة . فلُبِطَ سهل ، فأتى رسول الله ﷺ فقيل له : يا رسول الله ، هل لك فى سهل . والله ما يرفع رأسه ولا يُفيق . قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » . قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول الله ﷺ عامرا ، فتغيظ عليه ، وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بَركت ؟ » . ثم قال له : « اغتسل له » ــ فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه ودَاخلَة إزاره فى قَدح ــ ثم صُب ذلك الماء عليه . يَصبُه رجل على رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ[1] القدح وراءه . ففعل ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس به بأس [٢] .

حديث عامر بن ربيعة : قال الإمام أحمد فى مسند عامر: حدثنا وَكِيع ،حدثنا أبى،حدثنا عبد الله ابن عيسى، عن أميَّة بن هند بن سهل بن حُنَيْف ، عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال : فانطلقا يلتمسان الخمرَ ــ قال : فوضع عامر جُبَّة كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بعينى فنزل الماء يغتسل . قال : فسمعت له فى الماء فرقعة ، فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبنى . فأتيت النبى ﷺ فأخبرته . قال : فجاء يمشى فخاض الماء كأنى أنظر إلى بياض ساقيه ، قال : فضرب صدره بيدى ثم قال : « اللهم ، اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » . قال: فقام .فقال رسول الله ﷺ : « إذا رأى أحدكم من أخيه ، أو من نفسه أو من ماله ، ما يعجبه ، فَلْيُبرِّك ، فإن العين حق » [٣] .

حديث جابر : قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : حدثنا محمد بن مَعْمَر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصارى ــ ويقال له :ابن الضَجِيع ، ضجيع حمزة ، رضى الله عنه ــ حدثنى عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : «أكثر من يموت من أمتى بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » [٤] .

قال البزار : يعنى العين . قال : ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبى ﷺ إلا بهذا الإسناد .

قلت : بل قد روى من وجه آخر عن جابر ؛ قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروى ــ المعروف بشكَّر ــ فى كتاب العجائب ، وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة : حدثنا الرهاوى ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا على بن أبى على الهاشمى ، حدثنا محمد بن المُنكَدِر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال : « العين حق ، لتُورِد الرجل القبر ، والجمل القِدر ، وإن أكثر هلاك أمتى فى العين » [٥] .

---

(١) فى أ : « ثم يلقى » .

(٢) المسند (٣/٤٨٦) .

(٣) المسند (٣/٤٤٧) .

(٤) مسند البزار برقم (٣٠٥٢) « كشف الأستار » وقال الهيثمى فى المجمع (٥/١٠٦) : « رجاله رجال الصحيح ، خلا طالب بن حبيب ابن عمرو ،وهو ثقة » .

(٥) ورواه ابن عدى فى الكامل (٥/١٨٥) من طريق رحيم عن ابن أبى فديك ، عن على بن أبى على اللهبى ، به . وقال : « غير محفوظ » وعلى بن أبى على هو آفته ،قال أحمد : يروى أحاديث مناكير عن جابر .

ثم رواه عن شعيب بن أيوب ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « قد تُدخل الرجلَ العينُ فى القبر ، وتدخل الجمل القدر » (١).

حديث عبد الله بن عمرو : قال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام بن أبى رُقية ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «لا عدوى ولا طيرةَ ، ولا هَامة ولا حَسَد ، والعين حق » . تفرد به أحمد (٢) .

حديث عن على : روى الحافظ ابن عساكر من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ : حدثنا عبيد بن محمد الكَشَورى ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصرى ، عن أبى رجاء ، عن شعبة ، عن أبى إسحاق ، عن الحارث ، عن على؛ أن جبريل أتى النبى ﷺ فوافقه مغتما، فقال: يا محمد ، ما هذا الغم الذى أراه فى وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتهما عين ». قال : صَدَق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « وما هن يا جبريل ؟ » . قال : قل: اللهم ذا السلطان العظيم ، ذا المن (٣) القديم ، ذا الوجه الكريم ، ولى الكلمات التامات، والدعوات المستجابات ،عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . فقالها النبى ﷺ فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبى ﷺ : « عَوِّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » .

قال الخطيب البغدادى : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحَبَطى (٤) من أهل تُسْتَر . ذكره ابن عساكر فى ترجمة « طراد بن الحسين » ، من تاريخه (٥) .

وقوله : ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُون ﴾ أى : يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : ﴿ إِنَّهُ لَمَجْنُون ﴾ أى : لمجيئه بالقرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ .

---

(١) ورواه ابن عدى فى الكامل (٦/ ٢٤٠٨) وأبو نعيم فى الحلية (٧/ ٩٠) من طرق عن شعيب بن أيوب به ،وقال أبونعيم : « غريب من حديث الثورى ، تفرد به معاوية » وكذا قال ابن عدى .

(٢) المسند (٢/ ٢٢٢) .

(٣) فى م : « والمن » .

(٤) وقع فى تاريخ دمشق :« محمد بن عبد الله الحنظلى » وفى كنز العمال : « محمد بن عبد الله الخطيبى » ولم يتبين لى الصواب ، والله أعلم .

(٥) تاريخ دمشق (٨/ ٥٠٣«المخطوط»).

تفسير سورة « ن »

وهي مكية

﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ ﴾

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول « سورة البقرة » ، وأن قوله : ﴿ ن ﴾ كقوله : ﴿ ص ﴾ ، ﴿ ق ﴾ ، ونحو ذلك من الحروف المقطعة في أوائل السور ، وتحرير القول في ذلك بما أغنىٰ عن إعادته . وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ : حوت عظيم علىٰ تيار الماء العظيم المحيط ، وهو حامل للأرضين السبع ، كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير(١) : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيىٰ ، حدثنا سفيان - هو الثوري - حدثنا سليمان - هو الأعمش - عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب القَدرَ . فجرىٰ[١] بما يكون من ذلك اليوم إلىٰ يوم قيام الساعة . ثم خلق « النون » ورفع بخار الماء ، ففُتقت منه السماء ، وبسطت الأرض علىٰ ظهر النون ، فاضطرب النون فمادت الأرض ، فأثبتت[٢] بالجبال ، فإنها لتفخر[٣] علىٰ الأرض .

وكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن أحمد بن سنان ، عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، به[٤] . وهكذا رواه شعبة ، ومحمد بن فُضَيل[٥] ، ووكيع ، عن الأعمش ، به . وزاد شعبة في روايته : ثم قرأ : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ . وقد رواه شريك ، عن الأعمش ؛ عن أبي ظبيان[٦] - أو مجاهد - عن ابن عباس ، فذكر نحوه . ورواه معمر ، عن الأعمش : أن ابن عباس [قال .... فذكره][٧] ، ثم قرأ : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ . ثم قال ابن

(١) تفسير الطبري (١٤/٢٩) ، وفي التاريخ (١٧/١) ، والحاكم وصححه (٤٩٨/٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (حديث ٨٠٤) ، وفي السنن (٣/٩) ، والآجري في الشريعة (١٧٨ ، ١٧٩) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٧/٦) . لعبد الرزاق ، والفريابي ، وسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر =

[١] - في خ : يجري .
[٢] - في ت : فأنبتت .
[٣] - في ز ، خ: لتفجر .
[٤] - سقط من ز ، خ .
[٥] - في ز ، خ : فضل .
[٦] - تقرأ في ز : حليان . أو : حلبان .
[٧] - في خ : فذكر نحوه .

جرير(٢) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي الضحىٰ ، عن ابن عباس ؛ قال : إن أول شيء خلق ربي - عز وجل - القلم ، [فقال له][١] : اكتب . فكتب ما هو كائن إلىٰ أن تقوم الساعة ، ثم خلق « النون » فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .

وقد روىٰ الطبراني ذلك مرفوعًا فقال(٣) : حدثنا أبو حبيب [زيد بن][٢] المهتدي المَرْوِدي[٣] ، حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقاني ، حدثنا مؤمل بن إسماعيل[٤] ، حدثنا حماد بن زيد ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحىٰ - مسلم بن صبيح - عن ابن عباس قال : قال رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « **إن أول ماخلق اللَّه القلم والحوت ، [قال للقلم : اكتب][٥] . قال : ما أكتب ؟ قال : كل شيءٍ كائن إلىٰ يوم القيامة** » . ثم قرأ : ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ ، فالنون : الحوت . والقلم : القلم .

حديث آخر في ذلك رواه [ابن عساكر][٦] (٤) عن أبي عبد اللَّه مولىٰ بني أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هُريرة : سمعت رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول : « **إن أول شيء خلقه اللَّه القلم ، ثم خلق « النون » وهي : الدواة . ثم قال له : اكتب . قال : وما أكتب ؟ [قال : اكتب][٧] ما يكون - أو : ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل . فكتب ذلك إلىٰ يوم القيامة ، فذلك قوله : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾، ثم ختم علىٰ القلم فلم يتكلم إلىٰ يوم القيامة ، ثم خلق العقل ، وقال : وعزتي لأُكملنك[٨] [فيمن أحببت ، ولأنقصنك ممن أبغضت** »][٩] .

= وابن مردويه ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة ، والخطيب في تاريخه ، والضياء في المختارة .

(٢) تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

(٣) المعجم الكبير (٤٣٣/١١) رقم (١٢٢٢٧) . وقال الطبراني : لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل . قال الهيثمي في : « المجمع » (١٣١/٧) : ومؤمل ثقة كثير الخطأ ، وقد وثقه ابن معين وغيره ، وضعفه البخاري وغيره ، وبقية رجاله ثقات . اهـ . وفي إسناده عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٤) - تاريخ دمشق (٤٩٢/١٧ مخطوط) ، و(٩٥/١٦ مخطوط) ، ورواه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٧٢) من طريق محمد بن وهب ، عن الوليد بن مسلم ، عن مالك ، عن سمي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعًا به نحوه ، وقال : هذا بهذا الإسناد باطل منكر ، وآفته محمد بن وهب . قال الذهبي في الميزان (٦١/٤) : صدق ابن عدي في أن هذا الحديث باطل . وقال ابن القيم في المنار المنيف (٩٦) : « أحاديث العقل كلها كذب » .

---

[١] - في ت ، خ : ثم قال له .
[٢] - بياض في ز ، خ .
[٣] - في ز ، : المبرود . وفي المطبوع من الطبراني : المروذي .
[٤] - في ز : إسحاق .
[٥] - سقط من ز ، خ .
[٦] - سقط من خ .
[٧] - سقط من ز .
[٨] - في ز ، خ : لاكلمنك .
[٩] - بياض في ز .

وقال ابن أبي نجيح: إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره، عن مجاهد قال: كان يقال: النون: الحوت الذي تحت الأرض السابعة.

وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين؛ أن علىٰ ظهر هذا الحوت صخرة سمكها كغلظ السمٰوات والأرض، وعلىٰ ظهرها ثور له أربعون ألف قرن، وعلىٰ متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن، فالله أعلم. ومن العجيب أن بعضهم حمل علىٰ[١] هذا المعنىٰ الحديث الذي رواه الإمام أحمد (٥): حدثنا إسماعيل، حدثنا حُميد، عن أنس: أن عبد الله بن سلام بَلَغه مَقدَم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء، قال: إني سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ و[٢] ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ وما بال الولد ينزع إلىٰ أبيه؟ والولد ينزع إلىٰ أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفًا**». قال ابن سلام: فذاك عدو اليهود من الملائكة. قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تَحشرهم من المشرق إلىٰ المغرب. وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادةُ كبد حوت. وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نَزَع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت**».

ورواه البخاري من طرق، عن حميد، ورواه مسلم أيضًا. وله من حديث ثوبان مولىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نحو[٣] هذا.

وفي صحيح مسلم(٦) من حديث أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان: أن حَبرًا سأل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم عن مسائل، فكان منها: قال: فما تحفتهم؟ - يعني أهل الجنة حين يدخلون الجنة - قال: «**زيادة كبد الحوت**»، قال: فما غذاؤهم علىٰ إثرها؟ قال: «**ينحر لهم[٤] ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**». قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها[٥] تسمىٰ سلسبيلًا**». وقيل: المراد بقوله: ﴿ن﴾ لوح من نور.

قال ابن جرير(٧): حدثنا الحسن بن شبيب المكتب، حدثنا محمد بن زياد الجزري، عن فرات بن أبي الفرات، عن معاوية بن قُرّة، عن أبيه؛ قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه

(٥) المسند (١٨٩/٣) (١٢٩٩٣). والبخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم وذريته، حديث (٣٣٢٩) (٣٦٢/٦ - ٣٦٣)، وأطرافه في [٣٩١١، ٣٩٣٨، ٤٤٨٠]. ولم أجده في مسلم.

(٦) صحيح مسلم في كتاب: الحيض، باب: بيان صفة مني الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما، حديث (٣١٥/٣٤) (٢٩١/٣ - ٢٩٣).

(٧) تفسير الطبري (١٥/٢٩ - ١٦).

[١] - سقط من ز، خ.

[٢] - سقط من ز.

[٣] - في ز: عن.

[٤] - سقط من ز.

[٥] - سقط من ز.

وسلم : « ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ : لوح من نور ، وقلم من نور يجري بما هو كائن إلى يوم القيامة » . وهذا مرسل غريب .

وقال ابن جريج[١] : أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام .

وقيل : المراد بقوله : ﴿ ن ﴾ دواة ، والقلم : القلم . قال ابن جرير :

حدثنا [ ][٢] عبد الأعلىٰ ، حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن وقتادة في قوله : ﴿ ن ﴾ ، قالا : هي الدواة . وقد روي في هذا حديث مرفوع غريب جدًّا ، فقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن خالد ، حدثنا الحسن بن يحيىٰ ، حدثنا أبو عبد الله مولىٰ بني[٣] أمية ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ؛ قال : سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « خلق الله النون ، وهي الدواة » .

وقال ابن جرير(٨) : حدثنا ابن حميد ، حدثنا يعقوب ، حدثنا أخي عيسى بن عبد الله ، حدثنا ثابت [البناني][٤] عن ابن عباس ؛ قال : إن الله خلق النون - وهي الدواة - وخلق القلم ، فقال : اكتب . قال : وما أكتب ؟ قال[٥] : اكتب ما هو كائن إلىٰ يوم القيامة من عمل معمول ، بر[٦] أو فجور ، أو رزق مقسوم حلال أو حرام . ثم ألزم كل شيء من ذلك شأنه : دخوله في الدنيا ، ومقامه فيها كم[٧] ؟ وخروجه منها كيف ؟ ثم جعل علىٰ العباد حفظة ، وللكتاب خزانًا ، فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم ، فإذا فني الرزق وانقطع الأثر وانقضىٰ الأجل ؛ أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم ، فتقول لهم الخزنة : ما نجد لصاحبكم عندنا شيئًا . فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا . قال : فقال ابن عباس : ألستم قومًا عَرَبًا تسمعون الحفظة يقولون : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ ؟ وهل يكون الاستنساخ إلا من أصل ؟ !

وقوله : ﴿ والقلم ﴾ : الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به[٨] كقوله : ﴿ اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ . فهو قسم منه تعالىٰ ، وتنبيه لخلقه علىٰ ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تنال العلوم ؛ ولهذا قال : ﴿ وما يسطرون ﴾ ، قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة : يعني وما [يكتبون .

---

(٨) تفسير الطبري (١٥/٢٩) .

[١] - في ز ، خ : جرير .
[٢] - ما بين المعكوفين في ز : ابن .
[٣] - في ز : ابن .
[٤] - في . ، خ : الشمالي .
[٥] - في ز : فقال .
[٦] - في ز ، خ : به .
[٧] - سقط من ز ، خ .
[٨] - سقط من ز ، خ .

وقال أبو الضحىٰ، عن ابن عباس: ﴿وما يسطرون﴾ أي: وما يعملون][١] .

[وقال السدي: ﴿وما يسطرون﴾ يعني: الملائكة، وما][٢] تكتب من عمل العباد .

وقال آخرون: بل المراد هاهنا بالقلم الذي أجراه اللّٰه بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة . وأوردوا في[٣] ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم، فقال ابن أبي حاتم:

حدثنا أبو سعيد بن يحيىٰ بن سعيد القطان، ويونس بن حبيب؛ قالا: حدثنا أبو داود الطيالسي(٩)، حدثنا عبد الواحد بن سُليم السلمي، عن عطاء - هو ابن أبي رباح - حدثني الوليد بن عبادة بن الصامت قال: دعاني أبي حين حضره الموت فقال: إني سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول: « إن أول ما خلق اللّٰه القلم، فقال له: اكتب. قال: يارب، ما أكتب؟ قال: اكتب القدر [ما كان][٤] وما هو كائن إلى الأبد .

وهذا الحديث قد رواه الإِمام أحمد من طرق، عن الوليد بن عبادة، عن أبيه به[٥] . وأخرجه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي به. وقال: حسن صحيح غريب. ورواه أبو داود في « كتاب السنة » من سننه، عن جعفر بن مسافر، عن يحيىٰ بن حسان، عن ابن رباح، عن إبراهيم بن أبي عبلة، عن أبي[٦] حفصة - واسمه حُبَيش بن شُريح الحَبشي الشامي - عن عبادة، فذكره .

وقال ابن جرير(١٠): حدثنا محمد بن عبد اللّٰه الطوسي، حدثنا عليّ بن الحسن بن شقيق، أنبأنا عبد اللّٰه بن المبارك، حدثنا رباح بن زيد، عن عمر بن حبيب، عن القاسم بن أبي بَزة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس؛ أنه كان يحدث أن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم قال: « إن أول شيء خلقه اللّٰه القلم، فأمره فكتب كل شيء » . غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه .

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿والقلم﴾ يعني: الذي كتب به الذكر .

---

(٩) أخرجه الطيالسي (ص ٧٩) (٥٧٧) . وأخرجه أحمد (٥/٣١٧) . والترمذي في كتاب: القدر، باب: (١٧)، حديث (٢١٥٦) (٦/٣٢٥ - ٣٢٦) . وأبو داود في كتاب: السنة، باب: في القدر، حديث (٤٧٠٠) (٤/٢٢٥ - ٢٢٦) . وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٩٣٣) .

(١٠) تفسير الطبري (٢٩/١٦) .

---

[١] - سقط من ز، خ .

[٢] - سقط من ز، خ .

[٣] - في ز: إلى .

[٤] - سقط من ز، خ .

[٥] - سقط من خ .

[٦] - في ز: ابن .

وقوله : ﴿ وما يسطرون ﴾ ، أي : يكتبون ، كما تقدم .

وقوله : ﴿ ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ ، أي : لست - ولله الحمد - بمجنون كما قد[١] يقوله الجهلة من قومك ، والمكذبون بما جئتهم به من الهدىٰ والحق المبين ، فنسبوك فيه إلىٰ الجنون ، ﴿ وإن لك لأجرًا غير ممنون ﴾ ، أي : بل لك الأجر العظيم ، والثواب الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد ، علىٰ إبلاغك رسالة ربك إلىٰ الخلق ، وصبرك علىٰ أذاهم .

ومعنىٰ ﴿غير ممنون﴾ أي : غير مقطوع كقوله : ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ .

[﴿ فلهم أجر غير ممنون ﴾ أي غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد : ﴿غير ممنون﴾][٢] أي غير محسوب وهو يرجع إلىٰ ما قلناه .

وقوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، قال العوفي ، عن ابن عباس : أي وإنك لعلىٰ دين عظيم ، وهو الإسلام . وكذلك قال مجاهد ، وأبو مالك ، والسدي ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وابن زيد .

وقال عطية : لعلىٰ أدب عظيم . وقال معمر ، عن قتادة : سُئلت عائشةُ عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قالت : كان خلقه القرآن ، تقول[٣] : كما هو في القرآن . وقال سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة قوله : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ، ذُكر لنا أن سعد[٤] بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلىٰ . قالت : فإن خلق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كان القرآن(١١) .

وقال عبد الرزاق(١٢) عن معمر ، عن قتادة ، عن زرارة بن أوفىٰ ، عن سعد بن هشام ؛ قال : سألت عائشة فقلت : أخبريني يا أم المؤمنين ؛ عن خُلُق رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم . فقالت : أتقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . فقالت : كان خلقه القرآن .

هذا حديث طويل، وقد رواه الإمام مسلم(١٣) في صحيحه ، من حديث قتادة بطوله ، وسيأتي في « سورة المزمل » إن شاء الله تعالىٰ .

---

(١١) تفسير الطبري (١٩/٢٩) ، وأحمد (٩٤/٦) (٢٤٧٤٨) كلاهما من طريق قتادة ، وهو عند مسلم وسيأتي قريبا بإذن الله .

(١٢) وأخرجه أحمد (١٦٣/٦) (٢٥٤٠٩) من طريق عبد الرزاق .

(١٣) صحيح مسلم في كتاب : صلاة المسافرين ، باب : جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض ، حديث (١٣٩ - ٧٤٦/١٤٢) (٣٧/٦ - ٤٢) .

---

[١] - سقط من خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : يقول سعيد .
[٤] - في ز ، خ : سعيد .

وقال الإمام أحمد(١٤) : حدثنا إسماعيل، حدثنا يونس، عن الحسن ؛ قال : سألت[١] عائشة عن خلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم ، فقالت : كان خلقه القرآن .

وقال الإمام أحمد(١٥) : حدثنا أسود ، حدثنا شريك ، عن قيس بن وهب ، عن رجل من بني سواد ؛ قال : سألت عائشة عن خلق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالت : أما تقرأ[٢] القرآن : ﴿ وإنك لعلىٰ خلق عظيم ﴾ ؟ قال : قلت : حدثيني عن ذاك . قالت : صنعت له طعامًا ، وصنعت له حفصة طعامًا ، فقلت لجاريتي : اذهبي فإن جاءت هي بالطعام فوضعته قبلُ فاطرحي الطعام ! قالت : فجاءت بالطعام ، قالت : فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت - وكان نطْعٌ - قالت : فجمعه[٣] رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم وقال : « اقتصوا - أو : [اقتصي ، شك][٤] أسود - ظَرفًا مكان ظَرفِك » . قالت : فما قال شيئًا .

وقال ابن جرير(١٦) : حدثنا عبيد بن آدم بن أبي أياس ، حدثنا أبي ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن الحسن ، عن سعد[٥] بن هشام ؛ قال : أتيت عائشة أم المؤمنين فقلت لها : أخبريني بخُلق النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم . فقالت : كان خلقه القرآن ، أما تقرأ : ﴿ **وإنك لعلىٰ خُلق عظيم** ﴾ ؟

وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه .

وقال ابن جرير(١٧) : حدثني يونس ، أنبأنا ابن وهب ، أخبرني معاوية بن صالح ، عن أبي الزاهرية ، عن جبير بن نُفير ؛ قال : حججتُ فدخلتُ علىٰ عائشة -رضي اللّٰه عنها- فسألتها عن خُلُق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقالت : كان خُلُق رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم القرآن .

هكذا رواه [أحمد(١٨) عن][٦] عبد الرحمن بن مهدي. ورواه النسائي في التفسير ، عن

(١٤) المسند (٢١٦/٦) (٢٥٩٢٢) .
(١٥) المسند (١١١/٦) (٢٤٩١٢) .
(١٦) تفسير الطبري (١٩/٢٩) .
(١٧) تفسير الطبري (١٩/٢٩) .
(١٨) المسند (١٨٨/٦) (٢٥٦٥٥) . والنسائي في الكبرى (٣٣٣/٦) (١١١٣٨) في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ .

[١] - في خ : سئلت .
[٢] - في ز ، خ : هذا .
[٣] - في ز ، خ : فحفه .
[٤] - في ز ، خ : « اقتفي بيد » .
[٥] - في ز ، خ : سعيد .
[٦] - سقط من خ .

إسحاق بن منصور، عن عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح به.

ومعنىٰ هذا أنه - عليه السلام - صار امتثالُ القرآن، أمرًا ونهيًا - سجيةً له[١]، وخلقًا تَطَبَّعَه، وترك طبعه الجِبِلّي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه، هذا مع ما جَبَله اللَّه عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم، والشجاعة والصفح، والحلم، وكل خلق جميل، كما ثبت في الصحيحين(١٩) عن أنس قال: خدمتُ رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم عشر سنين فما قال لي: أفّ قطّ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلتَه؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم [ ][٢] أحسن الناس خلقًا، ولا مَسِسْتُ خزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم، ولا [شَمِمْتُ مسكًا][٣] ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم.

وقال البخاري(٢٠): [حدثنا أحمد بن سعيد أبو عبد الله][٤]، حدثنا إسحاق بن منصور، حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه، عن أبي إسحاق؛ قال: سمعت البراء يقول: كان رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم أحسن الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا، ليس بالطويل البائن[٥] ولا بالقصير.

والأحاديث في هذا كثيرة، ولأبي عيسىٰ الترمذي في هذا كتاب[٦] «الشمائل».

وقال الإمام أحمد(٢١): حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عُرْوة، عن عائشة؛ قالت: ما ضرب رسول اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم بيده خادمًا له قط، ولا امرأة، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل اللَّه، ولا خُير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتىٰ يكون إثمًا، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإِثم، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتىٰ[٧] إليه إلا أن تنتهك حرمات اللَّه، فيكون هو ينتقم للَّه عز وجل.

وقال الإمام أحمد(٢٢): حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا [عبد العزيز][٨] بن محمد، عن

(١٩) صحيح البخاري في كتاب: النكاح، باب: الوليمة حق، حديث (٥١٦٦) (٣/٣٧٩ - متن) ومسلم في كتاب: الفضائل، باب: كان رسول اللَّه ﷺ أحسن الناس خلقًا (٥١ - ٢٣٠٩/٥٣) (١٥/ ١٠٠ - ١٠٢).

(٢٠) صحيح البخاري في كتاب: المناقب، باب: صفة النبي ﷺ، حديث (٣٥٤٩) (٦/٥٦٤).

(٢١) المسند (٦/٢٣٢) (٢٦٠٦٥).

(٢٢) المسند (٢/٣٨١). وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

[١] - سقط من خ.
[٢] - في ز، خ: من.
[٣] - في خ: تيممت.
[٤] - سقط من ز، خ.
[٥] - سقط من ز.
[٦] - في ت خ: الكتاب.
[٧] - في ز: يعني.
[٨] - في ز: عبد الله.

محمد بن عجلان ، عن القعقاع بن حكيم ، عن أبي صالح ، عن أبي هُرَيرة ؛ قال : قال رسولُ اللَّه صلىٰ اللَّه عليه وسلم : « إنما بُعِثْتُ لأُتمِّم صالح الأخلاق ...» تفرد به .

وقوله : ﴿ **فستبصر ويُبصرُون * بأيكم المفتون** ﴾ ، أي : فستعلم يامحمد ، وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذه كقوله تعالىٰ : ﴿ **سيعلمون غدًا من الكذاب الأشر** ﴾ ، وكقوله : ﴿ **وإنا أو إياكم لعلىٰ هدًى أو في ضلال مبين** ﴾ .

قال ابن جريج : قال ابن عباس في هذه الآية : ستعلم ويعلمون يوم القيامة .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ أي : الجنون وكذا قال مجاهد ، وغيره .

وقال قتادة وغيره : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ أي : أولىٰ بالشيطان .

ومعنىٰ المفتون ظاهر ، أي : الذي قد افتتن عن الحق وضل عنه ، وإنما دخلت الباء في قوله : ﴿ **بأيكم المفتون** ﴾ لتدل علىٰ تضمين الفعل في قوله : ﴿ **فستبصر ويبصرون** ﴾ ، وتقديره فستعلم ويعلمون ، أو[١] : فستُخْبَر ويُخْبَرون بأيكم المفتون ، واللَّه أعلم .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ، أي : هو يعلم تعالىٰ أي الفريقين منكم ومنهم هو المهتدي ، ويعلم الحزب الضال عن الحق .

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

يقول تعالىٰ : كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم ، ﴿ **فلا تطع المكذبين** ﴾ . ﴿ **وَدّوا لو تدهن فيدهنون** ﴾ . قال ابن عباس : لو ترخص لهم فيرخصون . وقال مجاهد : ودوا لو تركن إلىٰ آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحق .

ثم قال تعالىٰ : ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين** ﴾ ، وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئُ بها علىٰ أسماء اللَّه تعالىٰ ، واستعمالها في كل وقت في غير محلها .

قال ابن عباس : المهين : الكاذب . وقال مجاهد : هو الضعيف القلب . و[٢] قال الحسن :

---

[١] - سقط من خ . [٢] - سقط من ت .

كل حلاف مكابر مهين ضعيف . وقوله : ﴿ هماز ﴾ . قال ابن عباس وقتادة : يعني الاغتياب .

﴿ مشاء بنميم ﴾ ، يعني : الذي يمشي بين الناس ، ويحرش بينهم ، وينقل الحديث لفساد ذات البين ، وهي الحالقة ، وقد ثبت في الصحيحين(٢٣) من حديث مجاهد ، عن طاوس ، عن ابن عباس ؛ قال : مر رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم بقبرين فقال : « إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر[١] من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » . الحديث . وأخرجه بقية الجماعة في كتبهم ، من طرق عن مجاهد به .

وقال أحمد(٢٤) : حدثنا أبو معاوية ، حدثنا الأعمش ، عن إبراهيم ، عن همام ، أن حذيفة ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قتّات » . رواه الجماعة إلا ابن ماجة من طرق عن إبراهيم[٢] به .

وحدثنا عبد الرزاق(٢٥) ، حدثنا الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن همام ، عن حذيفة ؛ قال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول : « لايدخل الجنة قتات » . يعني نمامًا .

وحدثنا يحيىٰ بن سعيد القطان(٢٦) - أبو سعيد الأحول - عن الأعمش ، حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة ، عن همام بن الحارث[٣] قال : مر رجل علىٰ حذيفة فقيل : إن هذا يرفع الحديث إلىٰ الأمراء . فقال : سمعت رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم يقول - أو : قال :

---

(٢٣) صحيح البخاري في كتاب : الوضوء ، باب : ما جاء في غسل البول ، حديث (٢١٨) (٣٢٢/١) . وأطرافه في : [١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢] . ومسلم في كتاب : الطهارة ، باب : الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ، حديث (٢٩٢/١١١) (٢٥٧/٣ - ٢٥٨) . وأبو داود في كتاب : الطهارة ، باب : الاستبراء من البول ، حديث (٢٠) (٢٠/١) . والترمذي في كتاب : الطهارة ، باب : ما جاء في التشديد في البول ، حديث (٧٠) (٧٥/١ - ٧٦) . والنسائي (٢٨/١ - ٣٠) ، (١٠٦/٦) . وابن ماجة في كتاب : الطهارة ، باب : التشديد في البول ، حديث (٣٤٧) (١٢٥/١) . قال الترمذي : حسن صحيح .

(٢٤) أخرجه أحمد (٣٨٢/٥) . والبخاري في كتاب : الأدب ، باب : ما يكره من النميمة ، حديث (٦٠٦٥) (٤٧٢/١٠) . ومسلم في كتاب : الإيمان ، باب : بيان غلظ تحريم النميمة ، حديث (١٦٨ - ١٠٥/١٧٠) . وأبو داود في كتاب : الأدب ، باب : في القتات ، حديث (٤٨٧١) (٢٦٨/٤) . والترمذي في كتاب : البر والصلة ، باب : ما جاء في النمام ، حديث (٢٠٢٧) (٢٢٩/٦) . والنسائي في الكبرى في كتاب : التفسير ، باب : سورة القلم ، حديث (١١٦١٤) (٤٩٦/٦) .

(٢٥) المسند (٣٨٩/٥) .

(٢٦) المسند (٣٨٩/٥) .

---

[١] - في خ : يستبرئ .

[٢] - في ز : ابن ماجة . كذا .

[٣] - في ز : حرب .

قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة قتات » .

وقال أحمد(٢٧) : حدثنا هاشم [١] ، حدثنا مهدي ، عن واصل الأحدب ، عن أبي وائل ؛ قال : بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث ، فقال سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لايدخل الجنة نمام » .

وقال الإمام أحمد(٢٨) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر، عن ابن خثيم ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد بن السكن ؛ أن النبي صلىٰ الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بخياركم ؟ » . قالوا : بلىٰ يا رسول الله . قال[٢] : « الذين إذا رُءُوا ذُكرَ الله عز وجل » . ثم قال : « ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العَنَت».

ورواه ابن ماجة عن سويد بن سعيد ، عن يحيىٰ بن سليم ، عن ابن خثيم به .

وقال الإمام أحمد(٢٩) : حدثنا سفيان ، عن ابن أبي حُسَين ، عن شهر بن حوشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم - يبلغ به النبي صلىٰ الله عليه وسلم - : « خيار عباد الله الذين إذا رُءُوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الباغون للبرآء العنت ».

وقوله : ﴿ **مناع للخير معتد أثيم** ﴾ أي : يمنع ما عليه وما لديه من الخير ، ﴿ **معتد** ﴾ في تناول ما أحل الله له[٣] ، يتجاوز فيها الحد المشروع ﴿ **أثيم** ﴾ ، أي يتناول المحرمات .

وقوله : ﴿**عتل بعد ذلك زنيم**﴾ أما العتل فهو : الفظ الغليظ الصحيح ، الجموع المنوع .

قال الإمام أحمد(٣٠) : حدثنا وكيع وعبد الرحمن ، عن سفيان ، عن مَعْبَد بن خالد ، عن حارثة[٤] بن وهب ؛ قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأهل الجنة ؟

---

(٢٧) المسند (٣٩١/٥) وليس في الإسناد أبو وائل . وأخرجه (٣٩٩/٥) عن حماد بن خالد عن مهدي بهذا الإسناد .

(٢٨) المسند (٤٥٩/٦) (٢٧٧٠٧) . وابن ماجة في كتاب : الزهد ، باب : من لايؤبه له ، حديث (٤١١٩) (١٣٧٩/٢) . قال البوصيري في « الزوائد » (٢٧٣/٣) : هذا إسناد حسن ؛ شهر وسويد مختلف فيهما وباقي رجال الإسناد ثقات .

(٢٩) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٥٣) قال الهيثمي في « المجمع » (٩٦/٨) : رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٣٠) المسند (٣٠٦/٤) (١٨٧٨٢، ١٨٧٨٤) .

---

[١] - في ز ، خ : هشام .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز ، خ : جارية .

كل ضعيف مُتَضَعّف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار ؟ كل عُتلّ جَوّاظ مستكبر » . وقال وكيع : كل جواظ جعظري مستكبر .

أخرجاه في الصحيحين[٣١] وبقية الجماعة إلا أبا داود ، من حديث سفيان الثوري وشعبة ، كليهما عن معبد[١] بن خالد به .

وقال الإمام أحمد أيضًا[٣٢] : حدثنا أبو عبد الرحمن ، حدثنا موسى بن عليّ ؛ قال : سمعت أبي يحدّث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار : « كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع » . تفرد به أحمد .

قال أهل اللغة : الجعظري : الفظ الغليظ ، والجواظ : الجموع المنوع .

وقال الإمام أحمد[٣٣] : حدثنا وكيع ، حدثنا عبد الحَميد ، عن شهر بن حَوشب ، عن عبد الرحمن بن غَنْم ، قال : سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العُتلّ الزنيم ، فقال : « هو الشديد الخَلْق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب ، الظلوم للناس ، رحيب الجوف » .

وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري ، والعتل الزنيم »[٣٤] . وقد أرسله أيضًا غير واحد من التابعين .

وقال ابن جرير[٣٥] : حدثنا ابن عبد الأعلى ، حدثنا ابن[٢] ثور ، عن معمر ، عن زيد بن

---

(٣١) صحيح البخاري ، كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ ، حديث (٤٩١٨) (٨/ ٦٦٢) . وطرفاه في : [٦٠٧١ ، ٦٦٥٧] . ومسلم في كتاب : الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، حديث (٤٦ ، ٢٨٥٣/٤٧) . والترمذي في كتاب : صفة جهنم ، باب : أهل الجنة كل ضعيف ، وأهل النار كل متكبر ، حديث (٢٦٠٨) (٢٦٦/٧) . والنسائي في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ حديث (١١٦١٥) (٤٩٧/٦) . وابن ماجة في كتاب : الزهد، باب : من لا يؤبه له ، حديث (٤١١٦) (١٣٧٨/٢) .

(٣٢) المسند (١٦٩/١) (٦٥٨٠) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٦/١٠) : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند .

(٣٣) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٤٦) . قال الهيثمي في « المجمع » (٣٩٦/١٠) : رواه أحمد وإسناده حسن إلا أن ابن غنم لم يسمع من النبي ﷺ . اهـ .

(٣٤) المسند (٢٢٧/٤) (١٨٠٤٨) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠١٦ - ٤٨٠١) .

(٣٥) تفسير الطبري (٢٤/٢٩) .

---

[١] - في ز : سعيد .

[٢] - في خ : أبو .

أسلم ؛ قال : قال رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم : « تبكي السماء من عبد أصح اللّه جسمه ، وأرحب جوفه ، وأعطاه [من الدنيا][١] مِقْضَمًا ، فكان للناس ظلومًا » قال : « فذلك العُتُلّ[٢] الزنيم » .

وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ، ونص عليه غير واحد من السلف ، منهم مجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة ، وغيرهم : أن العتل هو : المُصَحَّح الخَلْق ، الشديد القوي في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك ، وأما الزنيم فقال البخاري(٣٦) :

حدثنا محمود ، حدثنا عُبَيد[٣] اللّه ، عن إسرائيل ، عن أبي حَصِين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال : رجلٌ من قريش له زَنَمة مثل زنمة الشاة .

ومعنىٰ هذا أنه كان مشهورًا بالشر كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها . وإنما الزنيم في لغة العرب : هو الدَّعِيّ في القوم . قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة ، قال : ومنه قول حسان ابن ثابت ، يعني يذم بعض كفار قريش :

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر :

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي الأم ذو حسب لئيم

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا عمار بن خالد الواسطي ، حدثنا أسباط ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ **زنيم** ﴾ ، قال : الدعيّ[٤] الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارع[٥]

وقال العوفي عن ابن عباس : الزنيم : الدعيّ . ويقال : الزنيم : رجل كانت به زنمة ، يعرف بها . ويقال : هو الأخنس بن شَرِيق الثقفي ، حليف بني زهرة . وزعم أناس من بني زهرة أن الزنيم الأسودُ بن عبد يغوث الزهري ، وليس به .

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد ، عن ابن عباس : إنه زعم أن الزنيم المُلْحَق النسب .

وقال ابن أبي حاتم : حدثني يونس ، حدثنا ابن وهب ، حدثني سليمان بن بلال ، عن عبد

(٣٦) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ عتل بعد ذلك زنيم ﴾ ، حديث (٤٩١٧) (٨/ ٦٦٢) .

[١] - سقط من خ .

[٢] - في ز ، خ : العبد .

[٣] - في ز : عبد .

[٤] - في ز : المدعي .

[٥] - في ز ، خ : أكارعه .

الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه سمعه يقول في هذه الآية : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال سعيد : هو الملصق في القوم ، ليس منهم .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عقبة بن خالد ، عن عامر بن قدامة قال : سئل عكرمة [عن الزنيم قال : هو ولد الزنا .

وقال الحكم بن أبان عن عكرمة][١] في قوله تعالىٰ : ﴿ **عتل بعد ذلك زنيم** ﴾ ، قال : يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء ، [والزنماء من الشياه][٢] : التي في عنقها [هَنتَان معلقتان في حلقها][٣] .

وقال الثوري ، عن جابر ، عن الحسن ، عن سعيد بن جبير ؛ قال : الزنيم : الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها . والزنيم : الملصق . رواه ابن جرير .

وروىٰ أيضًا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : قال : نُعتَ فلم يعرف حتىٰ قيل : زنيم . قال : وكانت له زَنَمَة في عنقه يُعرَف بها . [ ][٤] وقال آخرون : كان دَعيًا .

وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، عن أصحاب التفسير قالوا : هو الذي تكون له زَنمة مثل زَنمة الشاة .

وقال الضحاك : كانت له زَنمة في أصل أذنه ، ويقال : هو اللئيم الملصق في النسب .

وقال أبو إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : هو المريب الذي يعرف بالشر .

وقال مجاهد : الزنيم يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة . وقال أبو رَزين : الزنيم علامة الكفر . وقال عكرمة : الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة[٥] بزنمتها .

والأقوال في هذا كثيرة ، وترجع إلىٰ ما قلناه ، وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر ، الذي يعرف به من بين الناس ، وغالبًا يكون دعيًا ولد زنا ، فإنه في الغالب يتسلط الشيطان عليه ما لا يتسلط علىٰ غيره ، كما جاء في الحديث : « لا يدخل الجنة ولد زنا »(٣٧) وفي الحديث الآخر :

(٣٧) المسند (٢/ ٢٠١، ٢٠٣) (٦٨٨٢، ٦٨٩٣) . والبخاري في « التاريخ الصغير » (١/ ٢٩٨) . وابن خزيمة (٣٦٥)، والطيالسي (٣٠٣) برقم (٢٢٩٥)، وابن حبان (٣٣٨٣) . وأخرجه النسائي (٨/ ٣١٨) دون ذكر ولد الزنا . كلهم من طريق جابان عن عبد الله بن عمرو به . قال البخاري : ولا يعلم لجابان سماع من عبد الله ، ولا لسالم سماع من جابان ولا نبيط . اهـ . وقال ابن خزيمة : ليس هذا الخبر =

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ز ، خ .
[٣] - في ز ، خ : « المتعلقتين في حلق الشاة » .
[٤] - في ز : قال .
[٥] - سقط من ز .

« ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه »(٣٨) .

وقوله : ﴿ أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ ، يقول تعالىٰ : هذا مقابلة ما أنعم اللّٰه عليه من المال والبنين ، كفر بآيات اللّٰه وأعرض عنها ، وزعم أنها كَذب مأخوذ من أساطير الأولين ، كقوله : ﴿ ذرني ومن خلقت وحيدًا * وجعلت له مالًا ممدودًا * وبنين شهودًا * ومهدت له تمهيدًا * ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا * سأرهقه صعودًا إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر ﴾ قال اللّٰه تعالىٰ : ﴿ سأصليه سقر ﴾ . وقال تعالى هاهنا : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ .

قال ابن جرير : سنبين أمره بيانًا واضحًا حتىٰ يعرفوه ولا يخفىٰ عليهم ، كما لا تخفىٰ السمة علىٰ الخراطيم . وهكذا قال قتادة : ﴿ سنسمه علىٰ الخرطوم ﴾ : شين[١] لا يُفارقه آخر ما عليه . وفي رواية عنه : سيما علىٰ أنفه . وكذا قال السدي .

وقال العوفي عن ابن عباس : ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ [يقاتل يوم بدر ، فيُخطم بالسيف في القتال . وقال آخرون : ﴿ سنسمه ﴾][٢] : سمة أهل النار ، يعني نسود وجهه يوم القيامة ، وعبر عن الوجه بالخرطوم . و[٣] حكىٰ ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ومال إلىٰ أنه لا مانع من[٤] اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة ، وهو مُتّجه .

وقد قال ابن أبي حاتم في سورة ﴿ عم يتساءلون ﴾ : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح كاتب الليث ، [حدثني الليث][٥] ، حدثني خالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عبد اللّٰه ، عن عيسىٰ بن هلال الصدفي ، عن عبد اللّٰه بن عمرو ، عن رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم أنه

= من شرطنا ، ولا خبر نبيط عن جابان لأن جابان مجهول . اهـ .

وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أبو يعلى (٢/٣٩٤) (١١٦٨) . وأخرجه أحمد (٣/٢٨) دون ذكر ولد الزنا . كلاهما من طريق يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وقد حسن الألباني الحديث بطرقه في الصحيحة (٦٧٣) وفيه بحث جيد فليراجعه من شاء الاستزادة .

(٣٨) أخرجه الطبراني (١٠/٣٤٦) (١٠٦٧٤) وابن عدي في الكامل (٣/٩٥٨) . والبيهقي (١٠/٥٨) كتاب الأيمان ، باب : ما جاء في ولد الزنا . كلهم من طريق ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن جده ابن عباس - رضي اللّٰه عنه - به . قال البيهقي : هذا إسناد ضعيف . قال الهيثمي (٦/٢٦٠) : فيه محمد بن أبي ليلى وهو سيئ الحفظ . وقد صحح الألباني « ولد الزنا شر الثلاثة » في الصحيحة برقم (٦٧٢) بشواهده.

[١] - في خ : سن .

[٢] - سقط من ز .

[٣] - سقط من ز .

[٤] - في ز : في .

[٥] - سقط من ز .

قال : « إن العبد يكتب مؤمنًا [أحقابًا ثم أحقابًا][١] ثم يموت والله عليه ساخط . وإن العبد يكتب كافرًا [أحقابًا ثم أحقابًا][٢] ثم يموت والله عنه[٣] راض . ومن مات همّازًا لمّازًا مُلقّبًا للناس ، كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم ، من كلا الشفتين » .

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

هذا مَثَلٌ ضَرَبَه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو بَعْثُهُ محمدًا صلى الله عليه وسلم إليهم ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال : ﴿ **إنا بلوناهم** ﴾ ، أي : اختبرناهم ، ﴿ **كما بلونا أصحاب الجنة** ﴾ ، وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ، ﴿ **إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين** ﴾ ، أي : حلفوا فيما بينهم ليَجُذُّنّ ثمرها ليلًا ، لئلا يعلم بهم فقير ولاسائل ، ليتوفر ثمرُها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء ، ﴿ **ولا يستثنون** ﴾ أي : فيما حلفوا به . ولهذا حَنَّثهم الله في أيمانهم ، فقال : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون** ﴾ ، أي : أصابتها آفةٌ سماوية ، ﴿ **فأصبحت كالصريم** ﴾ ، قال ابن عباس : أي كالليل الأسود . وقال الثوري ، والسدّي : مثل الزرع إذا حُصِد ، أي : هشيمًا يبسًا .

وقال ابن أبي حاتم : ذكر عن أحمد بن الصباح : أنبأنا بَشِير[٤] بن زاذان ، عن عمر بن صبح ، عن ليث بن أبي سليم ، عن عبد الرحمن بن سابط ، عن ابن مسعود ؛ قال : قال رسول

---

[١] - في ز ، خ : « أحيانًا ثم أحيانًا » . [٢] - في خ : « أحيانًا ثم أحيانًا » .
[٣] - في ت ، خ : عليه . [٤] - في ز : بشر .

الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إياكم والمعاصي ، إن العبد ليذنب الذنبَ فيحرم به رزقًا قد كان هُيّئ له » ، ثم تلا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : ﴿ **فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون * فأصبحت كالصَّريم** ﴾ ، قد حُرموا خَير جنَّتهم بذنبهم(٣٩) .

﴿ **فتنادوا مصبحين** ﴾ ، أي : لما كان وقت الصبح نادىٰ بعضهم بعضًا ليذهبوا إلىٰ الجَذاذ ، ﴿ **أن اغدوا علىٰ حرثكم إن كنتم صارمين** ﴾ ، أي : تريدون الصرام . قال مجاهد : كان حرثهم عِنبًا ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون** ﴾ ، أي : يتناجون فيما بينهم بحيث لا يُسمعون أحدًا كلامهم . ثم فسر الله عالم السر والنجوىٰ ما كانوا يتخافتون به ، فقال : ﴿ **فانطلقوا وهم يتخافتون * أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين** ﴾ ، أي : [يقول بعضهم لبعض][١] : لا تمكنوا اليوم فقيرًا يدخلها عليكم ! قال الله تعالىٰ : ﴿ **وغدوا علىٰ حرد** ﴾ ، أي : قوة وشدة . وقال مجاهد : ﴿ **وغدوا علىٰ حرد** ﴾، أي جِد . وقال عكرمة : غيظ . وقال الشعبي : ﴿ **علىٰ حرد** ﴾ : علىٰ المساكين . وقال السدي : ﴿ **علىٰ حرد** ﴾ ، أي : كان اسم قريتهم « حرد » . فأبعد السدي في قوله هذا !

﴿ **قادرين** ﴾ ، أي : عليها فيما يزعمون ويَرومون . ﴿ **فلما رأوها قالوا إنا لضالون** ﴾ ، أي : فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها ، وهي علىٰ[٢] الحالة التي قال الله - عز وجل - قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلىٰ أن صارت سوداء مُدْلَهِمة ، لا يُنتفع بشيء منها ، فاعتقدوا أنهم قد أخطئوا الطريق . ولهذا قالوا : ﴿ **إنا لضالون** ﴾ ، أي : قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنا عنها . قاله ابن عباس وغيره . ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هي فقالوا : ﴿ **بل نحن محرومون** ﴾ ، أي : بل هذه هي ، ولكن نحن لا حَظّ لنا ولا نصيب .

﴿ **قال أوسطهم** ﴾ ، قال ابن عباس، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، ومحمد ابن كعب ، والربيع بن أنس ، والضحاك ، وقتادة : أي أعدلهم وخيرهم : ﴿ **ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ ، قال مجاهد ، والسدي ، وابن جريج : ﴿ **لولا تسبحون** ﴾ ، أي : لولا تستثنون ، قال السدي : وكان استثناؤهم في ذلك الزمان تسبيحًا .

وقال ابن جريج : هو قول القائل : إن شاء الله .

وقيل : معناه : ﴿ **قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون** ﴾ ، أي : هلا تسبحون الله وتشكرونه علىٰ ما أعطاكم وأنعم به عليكم ، ﴿ **قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين** ﴾ ، أتوا

---

(٣٩) ذكره السيوطي في « الدر » (٦/٣٩٥) وزاد نسبته إلى ابن مردويه من حديث ابن مسعود .

---

[١] - في ز ، خ : « يقولون لبعضهم بعضًا » .

[٢] - سقط من ز ، خ .

بالطاعة حيث لا تنفع ، وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ، ولهذا قالوا : ﴿ **إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم علىٰ بعض يتلاومون** ﴾ ، أي : يلوم بعضهم بعضًا علىٰ ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذَاذ ، فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ، ﴿ **قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين** ﴾ ، أي : اعتدينا وبَغَينا وطغينا وجاوزنا الحد حتىٰ أصابنا ما أصابنا ، ﴿ **عسىٰ ربنا أن يبدلنا خيرًا منها إنا إلىٰ ربنا راغبون** ﴾ ، قيل : رغبوا في بدلها لهم في الدنيا . وقيل : احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة، والله أعلم .

ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد[١] كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير : كانوا من قرية يقال لها : ضروان ، علىٰ ستة أميال من صنعاء . وقيل: كانوا من أهل الحبشة ، وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة ، وكانوا من أهل الكتاب ، وقد كان أبوهم يسير فيها سيرة حسنة ، فكان ما استغله[٢] منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدّخر لعياله قوت سنتهم ، ويتصدق بالفاضل . فلما مات وورثه بنوه، قالوا : لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئًا للفقراء ، ولو أنّا منعناهم لتوفر ذلك علينا . فلما عزموا علىٰ ذلك عُوقِبوا بنقيض قصدهم ، فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية ، و[٣] رأس المال والربح والصدقة ، فلم يبق لهم شيء .

قال الله تعالىٰ : ﴿ **كذلك العذاب** ﴾ ، أي : هكذا عذاب من خالف أمر الله ، وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ، ومنع حق المساكين والفقراء وذوي الحاجات ، وبدل نعمة الله كفرًا ﴿ **ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون** ﴾ ، أي : هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم ، وعذاب الآخرة أشق . وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي[٤] (٤٠) من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه ، عن جده : أن[٥] رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نهى عن الجذَاذ بالليل ، والحصاد بالليل .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

---

(٤٠) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٣٣/٤) .

---

[١] - سقط من ز .
[٢] - في خ : استقله .
[٣] - سقط من ز .
[٤] - في ز ، خ : السهيلي .
[٥] - في ز : إلى .

لما ذكر تعالىٰ حال أهل الجنة الدنيوية ، وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا اللَّه - عز وجل - وخالفوا أمره ، بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تَبِيد ولا تفرغ ولا ينقضي نعيمها .

ثم قال : ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين** ﴾ ، أي : أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ، ولهذا قال : ﴿ **ما لكم كيف تحكمون** ﴾ أي كيف تظنون[١] ذلك ؟

ثم قال : ﴿ **أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون** ﴾ ، يقول : أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل[٢] الخلف عن السلف ، مُتضمّن حكمًا مؤكدًا كما تدعونه ؟ ﴿ **إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلىٰ يوم القيامة إن لكم لما تحكمون** ﴾ أي : أمعكم عهود منا ومواثيق مؤكدة ، ﴿ **إن لكم لما تحكمون** ﴾ ، أي : إنه سيحصل لكم ما تريدون وتشتهون ، ﴿ **سلهم أيهم بذلك زعيم** ﴾ أي : قل لهم : من هو المتضمن المتكفل بهذا ؟ ﴿ **أم لهم شركاء** ﴾ ، أي : من الأصنام والأنداد ، ﴿ **فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين** ﴾ .

يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾

لما ذكر تعالىٰ أن للمتقين عنده جنات النعيم ، بين متىٰ ذلك كائن وواقع ، فقال : ﴿ **يوم يكشف عن ساق ويدعون إلىٰ السجود فلا يستطيعون** ﴾ ، يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلابل والامتحان والأمور العظام ، وقد قال البخاري(٤١) هاهنا :

حدثنا آدم ، حدثنا الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن سعيد بن أبي هلال ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يَسَار ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم يقول[٣] : « يَكشِفُ رَبّنا عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقىٰ من كان يسجد في

(٤١) صحيح البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ ، حديث (٤٩١٩) (٨/ ٦٦٣ - ٦٦٤) .

[١] - بياض في ز ، خ . [٢] - في ز : نقل .
[٣] - سقط من خ .

الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طَبَقًا واحدًا » .

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين(٤٢) وفي غيرهما من طرق ، وله ألفاظ ، وهو حديث طويل مشهور .

وقد قال عبد اللَّه بن المبارك : عن أسامة بن زيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال : هو يوم كرب وشدة . رواه ابن جرير(٤٣) ثم قال :

حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن[١] إبراهيم عن ابن مسعود ، أو ابن عباس - الشك من ابن جرير : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ قال : عن أمر عظيم كقول الشاعر :

* [وقامت الحرب بنا على ساق] [٢] *

وقال ابن أبي نجيح : [عن مجاهد][٣] : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، قال : شدة الأمر .

وقال ابن عباس : هي أول ساعة تكون في يوم القيامة .

وقال عليّ بن أبي طلحة : عن ابن عباس : قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، هو : الأمر الشديد المُفظع من الهول يوم القيامة .

وقال العوفي : عن ابن عباس قوله : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، يقول : حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال وكشفه[٤] دخول الآخرة ، وكشف الأمر عنه . وكذا روىٰ الضحاك عن ابن عباس .

أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير(٤٤) ثم قال : حدثني أبو زيد عمر بن شبة[٥] ، حدثنا هارون بن عمر المخزومي ، حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا أبو سعيد روح بن جناح ، عن مولى لعمر بن عبد العزيز ، عن أبي بردة بن أبي موسىٰ ، عن أبيه ، عن النبي صلىٰ اللَّه عليه وسلم قال : ﴿ **يوم يكشف عن ساق** ﴾ ، قال[٦] : عن نور عظيم ، يخرون له سجدًا .

---

(٤٢) سيأتي تخريجه بإذن اللَّه عند تفسير آية (٢٣) من سورة القيامة .

(٤٣) أخرجه الطبري (٣٨/٢٩) من حديث ابن عباس من غير شك فيه .

(٤٤) أخرجه الطبري (٤٢/٢٩) .

---

[١] - في ز ، خ : بن .

[٢] - في ز ، خ : « سالت الحرب عن ساق » .

[٣] - سقط من خ .

[٤] - في ز : يكشفه .

[٥] - في ز : شيبة .

[٦] - في خ : يعني .

ورواه أبو يعلىٰ(٤٥) ، عن القاسم بن يحيىٰ ، عن الوليد بن مسلم ، به ، وفيه رجل مبهم ، فالله أعلم .

وقوله : ﴿ **خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة** ﴾ ، أي : في الدار الآخرة بإجرامهم وتكبرهم في الدنيا ، فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلىٰ السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم ، كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة ، إذا تجلىٰ الرب - عز وجل - فسجد له المؤمنون ، لا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجدَ ، بل يعود ظهر أحدهم طبقًا واحدًا ، كلما أراد أحدهم أن يسجد خَرَّ لقفاه، عكس السجود ، كما كانوا في الدنيا ، بخلاف ما عليه المؤمنون .

ثم قال تعالى : ﴿ **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** ﴾ يعني : القرآن ، وهذا تهديد شديد أي : دعني وإياه مني ومنه . أنا أعلم به كيف أستدرجه ، وأمده في غيه وأنظره[١] ، ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر . ولهذا قال : ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ ، أي : وهم لا يشعرون ، بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة ، وهو في نفس الأمر إهانة ، كما قال : ﴿ **أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون** ﴾ وقال : ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كلِّ شيء حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون** ﴾ . ولهذا قال هاهنا : ﴿ **وأملي لهم إن كيدي متين** ﴾ ، [أي : وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم ، وذلك من كيدي ومكري بهم ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ **إن كيدي متين** ﴾][٢] أي : عظيم لمن خالف أمري ، وكذب رسلي ، واجترأ علىٰ معصيتي .

وفي الصحيحين(٤٦) عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله ليملي للظالم ، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ : ﴿ **وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد** ﴾ .

وقوله : ﴿ **أم تسألهم أجرًا فهم من مغرم مثقلون * أم عندهم الغيب فهم يكتبون** ﴾ ، تقدم تفسيرهما في سورة الطور . والمعنىٰ في ذلك : أنك يا محمد تدعوهم إلىٰ الله - عز وجل - بلا أجر تأخذه منهم ، بل ترجو ثواب ذلك عند الله - عز وجل - وهم يكذبون بما جئتهم به ، بمجرد الجهل والكفر والعناد .

---

(٤٥) أخرجه أبو يعلى (١٣/٢٦٩) (٧٢٨٣) .

(٤٦) أخرجه البخاري في كتاب : التفسير ، باب : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ ، حديث (٤٦٨٦) (٨/٣٥٤) . ومسلم في كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، حديث (٦١/٢٥٨٣) (١٦/٢٠٥ - ٢٠٦) . كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه .

---

[١] - في ت : وأنظر . [٢] - سقط من ز ، خ .

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

يقول تعالىٰ : ﴿ فاصبر ﴾ يا محمد علىٰ أذىٰ قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكم لك عليهم ، ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة ، ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ ، يعني : ذا النون ، وهو يونس بن متىٰ - عليه السلام - حين ذهب مُغَاضِبًا علىٰ قومه ، فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له ، وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم ، وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير، الذي لا يُرَدّ ما أنفذَه من التقدير ، فحينئذ نادىٰ في الظلمات : ﴿ أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ قال الله تعالىٰ : ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ وقال تعالىٰ : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلىٰ يوم يبعثون ﴾ . وقال هاهنا : ﴿إذ نادى وهو مكظوم﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والسدي: مغموم وقال عطاء الخراساني ، وأبو مالك : مكروب . وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال : ﴿ لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾ ، خرجت [الكلمة تحفُّ[١]][٢] حول العرش ، فقالت الملائكة : يارب ، هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة ! فقال الله تعالى : أماتعرفون هذا . قالوا : لا ! قال : هذا يونس . قالوا : يارب ، عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة ؟ قال : نعم . قالوا : أفلا ترحم ما كان يعمله في الرخاء فتنجيه من البلاء ؟ فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ﴾ .

وقد قال الإمام أحمد(٤٧) : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبد الله قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا ينبغي لأحد أن يقول : أنا خير من يونس بن متىٰ » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري ، وهو في الصحيحين(٤٨) من حديث أبي هريرة .

(٤٧) المسند (١/٣٩٠) (٣٧٠٣) . والبخاري في كتاب : أحاديث الأنبياء ، باب : قول الله تعالى : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ... ﴾ حديث (٣٤١٢) (٦/٤٥٠) .

(٤٨) صحيح البخاري في الموضع السابق (٣٤١٦) (٦/٤٥١) وطرفه في [٤٦٣١] . ومسلم في كتاب : الفضائل ، باب : في ذكر يونس عليه السلام ، حديث (١٦٦/٢٣٧٦) (١٥/١٩٢ - ١٩٣) وهو عنده من كلام رب العزة تبارك وتعالى .

[١] - في ز : عن . [٢] - في خ : الظلمة .

وقوله : ﴿ **وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم** ﴾ ، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما : ﴿ **ليزلقونك** ﴾ : لَيَنْفُذونك بأبصارهم . [أي : لَيعينُوك][١] بأبصارهم ، بمعنىٰ يحسدونك لبغضهم[٢] إياك لولا وقاية الله لك ، وحمايته إياك منهم . وفي هذه الآية دليل علىٰ أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله - عز وجل - كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة .

(حديث أنس بن مالك) - رضي الله عنه - : قال أبو داود(٤٩) : حدثنا سليمان بن داود العَتَكي ، حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري ، حدثنا يزيد بن هارون ، أنبأنا شريك ، عن العباس بن ذَريح ، عن الشعبي - قال العباس : عن أنس - قال : قال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمة أو دم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين ، وهذا لفظ سليمان .

(حديث بُرَيدة بن الحُصَيب) - رضي الله عنه - : قال أبو عبد الله بن ماجة(٥٠) : حدثنا محمد ابن عبد الله بن نُمَير، حدثنا إسحاق بن سليمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن حُصَين ، عن الشعبي ، عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا رقية إلا من عين أو حُمة » .

هكذا رواه ابن ماجة ، وقد أخرجه مسلم(٥١) في صحيحه ، عن سعيد بن منصور، عن هشيم ، عن حُصَين بن عبد الرحمن ، عن عامر الشعبي ، عن بريدة موقوفًا ، وفيه قصة .

وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة . قاله الترمذي(٥٢) .

وروىٰ هذا الحديث الإمام البخاري(٥٣) من حديث محمد بن فضيل، وأبو داود من حديث مالك بن مِغْول ، والترمذيُ من حديث سفيان ابن عيينة ، ثلاثتهم عن حصين ، عن عامر الشعبي ، عن عمران بن حُصَين موقوفًا .

---

(٤٩) سنن أبي داود في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى ، حديث (٣٨٨٩) (١١/٤) . وضعفه الألباني في « ضعيف سنن أبي داود » (٨٣٨) .

(٥٠) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : ما رخص فيه من الرقى ، حديث (٣٥١٣) (١١٦١/٢) .

(٥١) صحيح مسلم في كتاب : الإيمان ، باب : الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، حديث (٣٧٤/٢٢٠) (١١٦/٣) ومابعدها في حديث طويل .

(٥٢) السنن ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرخصة في ذلك ، حديث (٢٠٥٨) (٢٥٢/٦) .

(٥٣) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : من اكتوى أو كوى غيره ، حديث (٥٧٠٥) =

---

[١] - في ز : ليعنونك .

[٢] - في ز : لبغضتهم .

(حديث أبي ذر جندب بن جنادة)(٥٤) : قال الحافظ أبو يعلىٰ الموصلي رحمه الله :- حدثنا إبراهيم بن محمد [بن عرعرة بن البرند][١] السامي[٢] ، حدثنا ديلم بن[٣] غزوان ، حدثنا وهْب بن أبي دبي ، عن أبي حرب [ ][٤] عن أبي ذر قال : قال رسول رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إن العين لتولع الرجل بإذن الله فيتصاعد حالقًا ثم يتردى منه » إسناده غريب ولم يخرجوه .

(حديث حابس التميمي) : قال الإمام أحمد(٥٥) : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا حرب ، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير، حدثني حَيَّة بن حابس التميمي : أن أباه أخبره : أنه سمع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول : « لا شيء في الهام والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » . وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي ، عن أبي غسان يحيىٰ بن كثير ، عن علي بن المبارك ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، به ثم قال : «غريب » ، قال : وروىٰ شيبان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن حية[٥] بن حابس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم .

[قلت : كذلك رواه الإمام أحمد(٥٦) عن حسن بن موسىٰ ، وحُسَين بن محمد ، عن شيبان ، عن يحيىٰ بن أبي كثير ، عن حية حدثه ، عن أبيه ، عن أبي هريرة : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « لا بأس في الهام ، والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل »][٦] .

حديث ابن عباس : قال الإمام أحمد(٥٧) : حدثنا عبد الله بن الوليد ، عن سفيان ، عن دُوَيد ، حدثني إسماعيل بن[٧] ثوبان عن جابر بن زيد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق ، العين حق، تستنزل الحالق» . غريب

= (١٠/١٥٥) . وسنن أبي داود ، كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقى ، حديث (٣٨٨٤) (٤/١٠) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرخصة في ذلك ، حديث (٢٠٥٨) (٦/٢٥٢) .

(٥٤) المسند (٥/١٤٦) (٢١٣٨٢) ، (٢١٥٥٢) والبزار كما في المجمع (٥/١٠٩) كلاهما من حديث أبي ذر - رضي الله عنه . قال الهيثمي : ورجال أحمد ثقات . والحديث صححه الألباني في الصحيحة (٨٨٩) . ولم أجده في المطبوع من أبي يعلى .

(٥٥) المسند (٥/٧٠) (٢٠٧٣٧) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء أن العين حق ، حديث (٢٠٦٢) (٦/٢٥٤ - ٢٥٥) .

(٥٦) المسند (٥/٧٠) (٢٠٧٣٨) والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٥٨ - ٢١٥٥) وعزاه إلى الضعيفة (٤٨٠٤) دون قوله : « العين حق » فقد عزاه للصحيحة (١٢٤٨) .

(٥٧) المسند (١/٢٩٤) (٢٦٨١) .

---

[١] - في ز : « عن عروة بن الزبير » .
[٢] - في خ : الشامي .
[٣] - في ز : عن .
[٤] - في ز : عن محجن .
[٥] - في خ : حنة .
[٦] - سقط من ز ، خ .
[٧] - في ز : عن .

طريق أخرىٰ قال مسلم(٥٨) في صحيحه : حدثنا عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمي ، أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، حدثنا وُهَيب ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، عن النبي - صلىٰ اللّه عليه وسلم - قال : « العين حق ، ولو كان شيء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَت العين وإذا استغسلتم[١] فاغسلوا » . انفرد به دون البخاري. وقال عبد الرزاق(٥٩) : عن سفيان الثوري ، عن منصور ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جُبَير ، عن ابن عباس قال : كان رسول اللّه صلىٰ اللّه عليه وسلم يُعَوِّذ الحسن والحسين ، يقول : « أُعيذكما بكلمات اللّه التامة ، من كل شيطان وهَامَّة ومن كل عين لامة » ويقول : « هكذا كان[٢] إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهم السلام » .

أخرجه البخاري(٦٠) [وأهل السنن][٣] من حديث المنهال به . حديث أبي أمامة أسعد ابن سهل بن حنيف رضي اللّه عنه : قال ابن ماجة : حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا سفيان ، عن الزهري ، عن أبي أمامة بن سهل بن حُنَيف [قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حُنَيف][٤] وهو يغتسل، فقال: لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة . فما لبث أن لُبِطَ به، فأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل له: أدرك [سهلًا صريعًا][٥] . قال : « من تتهمون به ؟ » قالوا : عامر بن ربيعة . قال : « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ إذا رأى أحدكم من أخيه ما يُعجبه فَليدْعُ له[٦] بالبركة » . ثُمّ دعا بماء فأمر عامرًا أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلىٰ المرفقين ، وركبتيه ، وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه .

قال سفيان : قال معمر ؛ عن الزهري : وأمر أن يكفأ إناء[٧] من خلفه .

---

(٥٨) صحيح مسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٤٢/٢١٨٨) (١٤/ ٢٤٥) .

(٥٩) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٣٣٧/٤) (٧٩٨٨) .

(٦٠) صحيح البخاري في كتاب : الأنبياء ، باب : (١٠) ، حديث (٣٣٧١) (٤٠٨/٦) وأبو داود في كتاب : السنة ، باب : في الرد على الجهمية ، حديث (٤٧٣٧) (٢٣٥/٤) . والترمذي في كتاب : الطب، باب : «١٨»، حديث (٢٠٦١) (٢٥٣/٦ - ٢٥٤) . والنسائي في الكبرى في كتاب : النعوت ، باب : كلمات اللّه - سبحانه وتعالى - حديث (٧٧٢٦) (٤١١/٤) ، وفي التفسير (١٠٨٤٤، ١٠٨٤٥) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : رقية الحية والعقرب ، حديث (٣٥١٩) (٢/ ١١٦٣) .

---

[١] - في ت : اغْتُسلتم .

[٢] - سقط من ت .

[٣] - بياض في ز ، خ .

[٤] - سقط من ز ، خ .

[٥] - بياض في ز ، خ .

[٦] - سقط من ز ، خ .

[٧] - في ز : الإناء .

وقد رواه النسائي(٦١) ، من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس، كليهما عن الزهري ، به . ومن حديث سفيان بن عيينة أيضًا عن معمر ، عن الزهري ، عن أبي أمامة : ويكفأ الإناء من خلفه . ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري ، عن أبي أمامة [ ][١] أسعد بن سهل بن [ ][٢] حُنَيف ، عن أبيه ، به . ومن حديث مالك أيضًا ، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل ، عن أبيه به .

(حديث أبي سعيد الخدري) : قال ابن ماجة(٦٢) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا سعيد[٣] بن سليمان ، حدثنا عباد ، عن الجريري ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد قال : كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس . فلما نزل المعوذتان أخذهما وترك ما سوىٰ ذلك .

ورواه الترمذي والنسائي ، من حديث سعيد بن [ ][٤] إياس أبي مسعود الجُرَيري به . وقال الترمذي : « حسن » .

(حديث آخر) عنه : قال الإمام أحمد(٦٣) : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثني أبي ، حدثني عبد العزيز بن صُهَيب ، حدثني أبو نضرة ، عن أبي سعيد : أن جبريل أتىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فقال : اشتكيت يا محمد ؟ قال : « نعم » . قال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم الله أرقيك .

ورواه عن عفان(٦٤) عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن - إلا أبا داود - من حديث عبد الوارث به .

---

(٦١) سنن النسائي في الكبرى في كتاب : الطب ، باب : وضوء العائن ، حديث (٧٦١٧ - ٧٦١٩) .

(٦٢) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١١) (١١٦١/٢) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : « ما جاء في الرقية بالمعوذتين » حديث (٢٠٥٩) (٢٥٢/٦) . والنسائي (٢٧١/٨) كتاب الاستعاذة باب : الاستعاذة من عين الجان .

(٦٣) المسند (٢٨/٣) (١١٢٣٩) .

(٦٤) المسند (٥٦/٣) (١١٥٥٠) . ومسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٢١٨٦/٤٠) (٢٤٤/١٤) . والترمذي في كتاب : الجنائز ، باب : ما جاء في التعوذ للمريض ، حديث (٩٧٢) (٣٥٣/٣) . والنسائي في الكبرى في كتاب : عمل اليوم والليلة ، باب : ذكر ما كان جبريل يعوذ به النبي ﷺ حديث (١٠٨٤٣) (٢٤٩/٦) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : ما عَوَّذَ به النبي ﷺ وما عُوِّذَ به ، حديث (٣٥٢٣) (١١٦٤/٢) .

---

[١] - في ز : عن .
[٢] - في ز ، خ : أبي .
[٣] - في ز ، خ : معبد .
[٤] - في ز ، خ : أبي .

وقال الإمام أحمد(٦٥) أيضًا : حدثنا عفان ، حدثنا وهيب ، حدثنا داود ، عن أبي نَضرَة ، عن أبي سعيد - أو عن جابر بن عبد الله - : أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم اشتكىٰ ، فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من كل حاسد وعين الله يشفيك .

ورواه أيضًا(٦٦) ، عن محمد بن عبدالرحمن الطفاوي ، عن داود ، عن أبي نَضرَةَ ، عن أبي سعيد ، به .

قال أبو زرعة الرازي : روىٰ عبد الصمد بن عبد الوارث ، عن أبيه ، عن عبد العزيز [عن أبي نَضْرَة ، وعن عبد العزيز][١] عن أنس في معناه وكلاهما صحيح .

حديث أبي هُرَيرة : قال الإمام أحمد(٦٧) : حدثنا عبد الرزاق ، أنبأنا معمر ، عن هَمَّام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هُرَيرة عن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال[٢] : « إن العين حق » .

أخرجاه(٦٨) من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجة(٦٩) : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا إسماعيل ابن عُلَيَّة ، عن الجُرَيري ، عن مُضَارب بن حَزن ، عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق » تفرد به . ورواه أحمد(٧٠) عن إسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به .

وقال الإمام أحمد(٧١) : حدثنا ابن نمير ، حدثنا ثور - يعني ابن يزيد - ، عن مكحول ، عن أبي هُرَيرة قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « العين حق ، ويحضُرها[٣] الشيطانُ وحسد ابن آدم » .

---

(٦٥) المسند (٣/٧٥) (١١٧٢٧) .
(٦٦) المسند (٣/٥٨) (١١٥٧٣) .
(٦٧) المسند (٢/٣١٩) .
(٦٨) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : العين حق ، حديث (٥٧٤٠) (١٠/٢٠٣) وطرفه في [٥٩٤٤] ، ومسلم في كتاب : السلام ، باب : الطب والمرض والرقى ، حديث (٤١/٢١٨٧) (١٤/ ٢٤٥) .
(٦٩) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : العين ، حديث (٣٥٠٧) (٢/١١٥٩) .
(٧٠) المسند (٢/٤٨٧) .
(٧١) أخرجه أحمد (٢/٤٣٩) . قال الهيثمي (٥/١١٠) : رجاله رجال الصحيح .

---

[١] - سقط من ز ، خ .
[٢] - سقط من ت .
[٣] - في ز : ومحضرها .

وقال أحمد(٧٢) : حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا أبو[١] معشر ، عن محمد بن قيس : سُئل أبو هُرَيرة : هل سمعت رسول الله يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت : إذًا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ! ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول : « أصدق[٢]][٣] الطيرة الفألُ ، والعين حق » .

حديث أسماء بنت عُمَيس : قال الإمام أحمد(٧٣) : حدثنا سفيان ، عن عمرو بن دينار ، عن عُروةَ بن عامر ، عن عُبيد بن رفاعة الزُرقي قال : قالت أسماء : يارسول الله ، إن بني جعفر تصيبهم العين ، أفأسترقي لهم ؟ قال : «نعم ، فلو كان شيء يسبق القدرَ لسبقته العين » .

وكذا رواه الترمذي وابن ماجة ، من حديث سفيان بن عيينة ، به ، ورواه الترمذي(٧٤) أيضًا والنسائي ، من حديث عبد الرزاق ، عن معمر ، عن أيوب ، عن عمرو بن دينار ، عن عروة بن عامر ، عن عُبيَد بن رفاعة ، عن أسماء بنت عميس ، به[٤] ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

حديث عائشة - رضي الله عنها - : قال ابن ماجة(٧٥) : حدثنا علي بن أبي الخَصِيب[٥] ، حدثنا وكيع ، عن سفيان ، ومسعر ، عن معبد بن خالد ، عن عبد الله بن شَداد ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين ، ورواه البخاري(٧٦) عن محمد بن كثير ، عن سفيان ، عن معبد [بن خالد ، به . وأخرجه مسلم(٧٧) من حديث سُفيان ومِسعر ، كليهما عن معبد ، به][٦] ثم قال ابن ماجة(٧٨) :

---

(٧٢) المسند (٢/٢٨٩) .

(٧٣) المسند (٦/٤٣٨) (٢٧٥٧٧) . والترمذي في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في الرقية من العين ، حديث (٢٠٥٩) (٦/٢٥٣) . وابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١٠) (٢/١١٦٠) .

(٧٤) أخرجه الترمذي في الموضع السابق بهذا الإسناد . وأخرجه النسائي في الكبرى في كتاب : الطب ، باب : رقية العين ، حديث (٧٥٣٧) (٤/٣٦٥) من طريق أحمد بن الأزهر عن عبد الرحمن عن معمر بالإسناد السابق . وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٥٢) .

(٧٥) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : من استرقى من العين ، حديث (٣٥١٢) (٢/١١٦١) .

(٧٦) صحيح البخاري في كتاب : الطب ، باب : رقية العين ، حديث (٥٧٣٨) (١٠/١٩٩) .

(٧٧) صحيح مسلم في كتاب : السلام ، باب : استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة ، حديث (٥٥،٥٦/٢١٩٥) (١٤/٢٦٤) .

(٧٨) سنن ابن ماجة في كتاب : الطب ، باب : العين ، حديث (٣٥٠٨) (٢/١١٥٩) . وصححه الألباني في الصحيحة (٧٣٧) .

---

[١] - في ز ، خ : ابن .
[٢] - سقط من ز .
[٣] - سقط من خ .
[٤] - سقط من ز .
[٥] - في ز : الحصيب .
[٦] - سقط من ز ، خ .

حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا أبو[١] هشام المخزومي ، حدثنا وُهَيب ، عن أبي واقد ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : قال رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم : «استعيذوا باللّٰه ، فإن العين[٢] حق » . تفرد به [خالد وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به][٣] وقال أبوداود(٧٩) : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل[٤] منه المَعِين .

[قلت : كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان أن ابن حية حدثه عن أبيه ، عن أبي هريرة عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا [...][٥] إلهام والعين حق وأصدق طيرة الفأل][٦] .

حديث سهل بن حُنَيف : قال الإمام أحمد(٨٠) : حدثنا حُسَين بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا الزّهري ، عن أبي أمامة بن سَهل بن حُنَيف : أن أباه حدثه : أن النبي صلىٰ اللّٰه عليه وسلم خرج وساروا معه نحو مكة ، حتىٰ إذا كانوا بشعب الخَرّار - من الجحفة - اغتسل سهلُ بن حُنَيف - وكان رجلًا أبيض حَسن الجسم والجلد - فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو[٧] بني عدي بن كعب وهو يغتسل ، فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مُخبَّأة . فلُبِطَ سهل ، فأتى رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم فقيل له : يارسول اللّٰه ، هل لك في سهل ! . واللّٰه مايرفع رأسه ولا يُفيق . قال : « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا : نظر إليه عامر بن ربيعة . فدعا رسول اللّٰه صلىٰ اللّٰه عليه وسلم عامرًا فتغيظ عليه ، وقال : « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت ما يعجبك بَرّكت ؟ » ثم قال له : « اغتسل له[٨] » . فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وَداخلَة إزاره في قَدح ، ثم صُبَّ ذلك الماء عليه ، يَصُبّه[٩] رجل علىٰ رأسه وظهره من خلفه ، ثم يكفأ القدح وراءه . ففعل[١٠] ذلك ، فراح سهل مع الناس ، ليس

(٧٩) سنن أبي داود في كتاب : الطب ، باب : ما جاء في العين ، حديث (٣٨٨٠) (٩/٤) . وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٨٦) .

(٨٠) أخرجه أحمد (٤٨٦/٣ - ٤٨٧) (١٦٠٢٧) قال الهيثمي في « المجمع » (١١٠/٥) : رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح ، وفي أسانيد الطبراني ضعف .

[١] - في ز : ابن .
[٢] - في ز : النفس .
[٣] - سقط من ت .
[٤] - في ز : يغتسل .
[٥] - بياض في ز .
[٦] - سقط من ت .
[٧] - في ز : أحد .
[٨] - سقط من خ .
[٩] - في ز : فصبه .
[١٠] - في ز : يفعل .

به بأس .

(حديث عامر بن ربيعة) : قال الإمام أحمد(٨١) في مسند عامر : حدثنا وكيع ، حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن عيسى عن أميه بن هند بن سهل بن حُنيف ، عن عبد الله بن عامر قال : انطلق عامر ابن ربيعة ، وسهل بن حنيف يريدان الغسل ، قال : فانطلقا يلتمسان الخَمَر ، قال : فوضع عامر جُبّة كانت عليه من صوف ، فنظرت إليه فأصبته بعيني ، فنزل الماء يغتسل ، قال : فسمعت له في الماء فرقعة ، فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني . فأتيت النبي صلىٰ الله عليه وسلم فأخبرته ، قال : فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلىٰ بياض ساقيه ، قال : فضرب صدره بيده ثم قال : « اللّهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » . قال : فقام . فقال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ، ما يعجبه، فليبرّك ، فإن العين حق » .

(حديث جابر) : قال الحافظ أبو بكر البزار(٨٢) في مسنده : حدثنا محمد بن معمر ، حدثنا أبو داود ، حدثنا طالب بن حبيب بن عمرو[١] بن سهل الأنصاري - ويقال له : ابن الضَجيع ، ضجيع حمزة - رضي الله عنه - حدثني عبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » .

قال البزار: يعني : العين . قال : ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الإسناد .

قلت : بل قد روي من وجه آخر عن جابر، قال الحافظ أبو عبدالرحمن محمد بن المنذر الهروي - المعروف بشَكّر - في كتاب العجائب ، وهو مشتمل علىٰ فوائد جليلة وغريبة : حدثنا الرهاوي ، حدثنا يعقوب بن محمد ، حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي ، حدثنا محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال : « العين حق لتورد الرجل القبر ، والجمل القدر ، وإن أكثر هلاك أمتي في[٢] العين » .

ثم رواه عن شعيب بن أيوب ، عن معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « قد تُدخل الرجلَ العينُ في القبر ،

(٨١) المسند (٤٤٧/٣) (١٥٧٤١) . قال الهيثمي في « المجمع » (١١١/٥) : رواه الطبراني وفيه أمية بن هند ، وهو مستور ولم يضعفه أحد ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٨٢) أخرجه البزار (٦٤٣/١ - مختصر) (١١٦٤) . قال الهيثمي في « المجمع » (١٠٩/٥) : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا طالب بن حبيب بن عمرو وهو ثقة .

[١] - في خ : عمر . [٢] - سقط من ز ، خ .

وتدخل الجمَل القدر » .

(حديث عبد الله بن عمرو) : قال الإمام أحمد(٨٣) : حدثنا قتيبة ، حدثنا رشدين[١] بن سعد ، عن الحسن بن ثوبان ، عن هشام بن أبي رُقية ، عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم : « لا عدوىٰ ولاطيرة ، ولا هَامة ولاحَسَد ، والعين حق » تفرد به أحمد .

حديث عن عليّ : روىٰ الحافظ ابن عساكر(٨٤) من طريق خَيْثمة بن سليمان الحافظ : حدثنا عبيد بن محمد الكَشْوري ، حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري ، عن أبي رجاء ، عن شعبة ، عن[٢] أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن[٣] علي : أن جبريل أتىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم فوافقه مغتمًّا ، فقال له[٤] : يا محمد ؛ ما هذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال : « الحسن والحسين أصابتهما عين » قال : صَدّق بالعين ، فإن العين حق ، أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال : « وماهن ياجبريل ؟ » . قال : قل : اللّهم ذا السلطان العظيم ، [ذا المن][٥] القديم ، ذا الوجه الكريم ، ولي الكلمات التامات ، والدعوات المستجابات ، عاف الحسن والحسين من أنفس الجن ، وأعين الإنس . فقالها النبي صلىٰ الله عليه وسلم ، فقاما يلعبان بين يديه . فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم : « عَوّذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ ، فإنه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » .

قال الخطيب البغدادي : تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد[٦] الله الحَبَطي من أهل تُسْتَر ، ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين ، من تاريخه .

وقوله ﴿ ويقولون إنه لمجنون ﴾ ، أي : يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ، ويقولون : ﴿ إنه لمجنون ﴾ ، أي : لمجيئه بالقرآن . قال الله تعالىٰ : ﴿ **وما هو إلا ذكر للعالمين** ﴾ .

[آخر تفسير سورة « ن » ولله الحمد] .

☆ ☆ ☆

(٨٣) أخرجه أحمد (٢٢٢/٢) (٧٠٧٠) قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠٤/٥) : رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف وقد وثق ، وبقية رجاله ثقات .اهـ .

(٨٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه (٥٠٣/٨ - مخطوط) .

[١] - في خ : رشيد .

[٢] - في ز ، خ : ابن .

[٣] - في ز : ابن .

[٤] - سقط من ت .

[٥] - بياض في ز ، خ .

[٦] - في خ : عبد .

سورة نٓ[1]

مكّيّة، وهي ثنتان وخمسون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾

﴿نٓ﴾ بالسكون على الوقف، وقُرئ بالكسر[2] وبالفتح[3] لالتقاء الساكنين. ويجوز أن يكون / الفتح بإضمار حرف القسَم في موضع الجرّ، كقولهم: "اللهِ لأفعلنّ" بالجرّ، وأن يكون ذلك نصبًا بإضمار "اذكُر"،[4] لا فتحًا كما سبَق في فاتحة سورة البقرة.[5] وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث على أنّه عَلَم للسورة. [٢١٤و]

ثمّ إن جُعل اسمًا للحرف مسرودًا على نمط التعديد للتحدّي بأحد الطريقين المذكورين في موقعه، أو اسمًا للسورة منصوبًا على الوجه المذكور، أو مرفوعًا على أنّه خبر لمبتدأ محذوف،[6] فـ"الواو"[7] في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ للقسَم، وإن جُعل مقسَمًا به فهي للعطف عليه.

وأيًّا ما كان فإن أُريدَ به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للإعظام بالإقسام به ظاهر، وإن أُريدَ به الجنس فاستحقاق ما في أيدي الناس لذلك لكثرة منافعه، ولو لم يكن له مزيّة سوى كونه آلةً لتحرير كتبِ الله عزّ قائلًا لكفى به فضلًا موجِبًا لتعظيمه. وقُرئ بإدغام "النون" في "الواو".[8]

---

[1] وتُسمّى سورة القلم.

[2] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وابن أبي إسحاق وأبي السّمّال والحسن والأعمش. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٠؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٠؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨١٥.

[3] قراءة شاذّة، مرويّة عن سعيد بن جُبير وعيسى بن عمر الثقفي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٠؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٠.

[4] الوجهان في اللباب لابن عادل، ١٩/٢٦٤.

[5] في تفسير الآية الأولى منها.

[6] مرّت هذه الوجوه مفصّلة في تفسير البقرة، ١/٢.

[7] السياق: ثمّ إن جُعل... فالواو...

[8] قرأ بها الكسائي ويعقوب وخلف وهشام. النشر لابن الجزري، ١٨/٢.

﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ الضمير لأصحاب القلم المدلول عليهم بذِكره، وقيل: لـ﴿ٱلْقَلَمِ﴾ على أنّ المراد به أصحابه، كأنّه قيل: وأصحاب القلم ومسطوراتهم على أنّ ﴿مَا﴾ موصولة، أو وسَطْرهم على أنّها مصدريّة.[١] وقيل: لـ﴿ٱلْقَلَمِ﴾ نفسه بإسناد الفعل إلى الآلة وإجرائه مُجرى العقلاء لإقامته مُقامهم.[٢] وقيل المراد بـ﴿ٱلْقَلَمِ﴾ ما خَطّ اللوح خاصّةً، والجمع للتعظيم.[٣]

وقوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ جواب القسَم، و"الباء" متعلّقة بمضمر هو حال مِن الضمير في خبر ﴿مَا﴾، والعامل فيها معنى النّفي، كأنّه قيل: أنت بريء مِن الجنون ملتبِسًا بنعمة الله التي هي النبوّة والرياسة العامّة.

والتعرّض لوَصْف الربوبيّة المنبئة عن التبليغ إلى معارج الكمال مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام، لتشريفه عليه السلام والإيذانِ بأنّه تعالى يُتمّ نعمته عليه ويُبلّغه مِن العلوّ إلى غاية لا غايةَ وراءها. والمراد تنزيهُه صلّى الله عليه وسلّم عمّا كانوا ينسبونه عليه السلام إليه مِن الجنون حسدًا وعداوةً ومكابرةً، مع جزمهم بأنّه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية مِن حصانة العقل ورَزانة الرأي.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بمقابلة مقاساتك ألوانَ الشدائد مِن جهتهم / وتحمُّلِك لأعباء الرسالة ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا عظيمًا لا يُقادَر قَدْره ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ مع عِظَمه، كقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود، ١١/١٠٨]، أو غيرَ ممنون عليك مِن جهة الناس، فإنّه عطاؤه تعالى بلا توسّط. [٢١٤ظ]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ لا يُدرِك شَأْوَه أحد مِن الخَلْق، ولذلك تحتمل مِن جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر. وسُئلت عائشةُ رضي الله عنها عن خُلقه عليه الصلاة والسلام فقالت: «كان خُلقه القرآن، ألست تقرأ القرآن:

---

١ الوجهان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٣.
٢ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٣٢.
٣ القول في اللباب لابن عادل، ١٩/٢٦٦.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون، ١/٢٣]».[١] والجملتانِ معطوفتان على جواب القسم.

﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾

﴿فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ﴾ قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبيّن الحقّ مِن الباطل».[٢] وقيل: فستُبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة أمركم بغلَبة الإسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب، وصيرورتِك مَهيبًا معظَّمًا في قلوب العالمين وكونِهم أذلّة صاغرين. قال مقاتل: هذا وعيد بعذاب يوم بدر.[٣]

﴿بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ أي: أيّكم الذي فُتن بالجنون، و"الباء" مزيدة، أو بأيّكم الجنون على أنّ ﴿ٱلۡمَفۡتُونُ﴾ مصدر كـ"المعقول" و"المجلود"، أو بأيّ الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين؟ أي: في أيّهما يوجد مَن يستحقّ هذا الاسم؟ وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما،[٤] كقوله تعالى: ﴿سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ﴾ [القمر، ٢٦/٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ تعليل لِما ينبئ عنه ما قبله مِن ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على أحد، وتأكيدٌ لِما فيه مِن الوعد والوعيد، أي: هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله تعالى المؤدّي إلى سعادة الدارين، وهامَ في تِيه الضلال متوجّهًا إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبديّة. وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضرر؛ بل يحسب الضررَ نفعًا فيُؤثِره والنفعَ ضررًا فيهجُره.

﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ إلى سبيله الفائزين بكلّ مطلوب، الناجين عن كلّ محذور، وهم العقلاء المَراجيح، فيجزي كلًّا مِن الفريقين حسبما يستحقّه مِن العقاب والثواب. وإعادة ﴿هُوَ أَعۡلَمُ﴾ لزيادة التقرير.

---

١ مسند أحمد، ١٤٨/٤١ (٢٤٦٠١)؛ الأدب المفرد للبخاري، ص ١١٥ (٣٠٨)؛ جامع البيان للطبري، ١٥٠/٢٣-١٥١؛ معالم التنزيل للبغوي، ١٨٧/٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٤٤/٤؛

٢ لم أجِده في مظانّه. وهو بلفظه في تفسير القرطبي، ٢٢٩/١٨؛ واللباب لابن عادل، ٢٧١/١٩.

٣ القول في اللباب لابن عادل، ٢٧١/١٩.

٤ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤٤٤/٤.

و"الفاء" في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ لترتيب النّهي على ما ينبئ عنه ما قبله مِن اهتدائه عليه السلام وضلالهم، أو على جميع ما فُصّل مِن أوّل السورة، وهذا تهييج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم، أي: دُمْ على ما أنت عليه مِن عدم طاعتهم وتصلّبْ في ذلك، أو نهيٌ عن مُداهنتهم ومُداراتهم بإظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام، استجلابًا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقةً، كما ينبئ عنه / قوله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾، فإنّه تعليل للنّهي أو للانتهاء، وإنّما [٢١٥و] عُبّر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير، أي: أحبُّوا لو تُلاينُهم وتُسامِحهم في بعض الأمور.

﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ أي: فهم يُدهنون حينئذ، أو فهم الآن يدهنون طمعًا في إدهانك. وقيل: هو عطفٌ على ﴿تُدْهِنُ﴾ داخلٌ في حيّز ﴿لَوْ﴾، والمعنى: ودّوا لو يُدهِنون عَقيبَ إدهانك.[١] ويأباه ما سيأتي مِن بدئهم بالإدهان، على أنّ إدهانهم أمر محقَّق لا يناسب إدخاله تحت التمنّي.

وأيًّا ما كان فالمعتبَر في جانبهم حقيقة الإدهان الذي هو إظهار المُلاينة وإضمار خلافها، وأمّا في جانبه عليه السلام فالمعتبرُ بالنسبة إلى وَدادتهم هو إظهار المُلاينة فقط، وأمّا إضمار خلافها فليس في حيّز الاعتبار؛ بل هم في غاية الكراهة له، وإنّما اعتباره بالنسبة إليه عليه السلام.

وفي بعض المصاحف "فَيُدْهِنُوا"[٢] على أنّه جواب التمنّي المفهوم مِن ﴿وَدُّوا۟﴾، وأنّ ما بعده حكاية لودادتهم. وقيل: على أنّه عطفٌ على ﴿تُدْهِنُ﴾ بناءً على أنّ ﴿لَوْ﴾ بمنزلة "أنْ" الناصبة، فلا يكون لها جواب، وينسَبِكُ منها وممّا بعدها مصدر يقع مفعولًا لـ﴿وَدُّوا۟﴾، كأنّه قيل: ودّوا أن تُدهنَ فيُدهنوا. وقيل ﴿لَوْ﴾ على حقيقتها، وجوابها محذوف وكذا مفعول ﴿وَدُّوا۟﴾، أي: ودّوا إدهانك لو تُدهن فيُدهنوا لَسُرُّوا بذلك.[٣]

---

[١] القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٣٢.

[٢] قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٤.

[٣] الوجهان بإيجاز في اللباب لابن عادل، ١٩/٢٧٣.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾
عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحقّ والباطل. تقديم هذا الوصف على سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخَلَ في الزجر. ﴿مَّهِينٍ﴾ حقير الرّأي والتدبير.

﴿هَمَّازٍ﴾ عيّاب طعّان ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ مُضرِّب نقّال للحديث مِن قوم إلى قوم على وجه السِّعاية والإفساد بينهم، فإنّ النميم والنميمة: السِّعاية.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: بخيل، أو منّاع للناس مِن الخير الذي هو الإيمان والطاعة والإنفاق. ﴿مُعْتَدٍ﴾ متجاوِز في الظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الآثام.

﴿عُتُلٍّ﴾ جافٍ غليظ مِن "عتَلَه" إذا قاده بعُنف وغِلظة ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد ما عُدّ مِن مَثالبه ﴿زَنِيمٍ﴾ دَعِيّ مأخوذ مِن الزَّنَمة: وهي الهَنَة مِن جلد الماعزة تُقطَع فتُخلّى متدلّيةً في حلقها. وفي قوله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ دلالة على أنّ دِعْوَتَه أشدّ معايبه وأقبح قبائحه. قيل: هو الوليد بن المُغيرة، / فإنّه كان دَعيًّا في [٢١٥ظ] قريش وليس مِن سِنخهم،[١] ادّعاه[٢] المُغيرة بعد ثماني عشرةَ مِن مَولده.[٣] وقيل: هو الأخنس بن شَريق، أصله مِن ثَقيف وعِداده في زُهْرة.[٤]

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ متعلِّق بقوله تعالى: ﴿لَا تُطِعْ﴾ أي: لا تطع مَن هذه مَثالبه، لأن كان متموِّلًا مستظهِرًا بالبنين.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ استئناف جارٍ مَجرى التعليل للنّهي. وقيل: متعلِّق بما دلّ عليه الجملة الشرطيّة مِن معنى الجُحود والتكذيب لا بجواب الشرط؛ لأنّ ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، كأنّه قيل:

---

١ السِّنخ: الأصل مِن كلّ شيء. لسان العرب لابن منظور، «سنخ».
٢ س ي: ادّعاه.
٣ القول بمعناه في معالم التنزيل للبغوي، ١٩٨/٨؛ وبلفظ قريب في الكشّاف للزمخشري، ٤٤٥/٤.
٤ مَرويّ عن الكلبي في جامع البيان للطبري، ١٦٠/٢٣؛ وعن السدّي في الكشّاف للزمخشري، ٤٤٥/٤.

لكونه مستظهِرًا بالمال والبنين كذّب بآياتنا.[١] وفيه أنّه يدلّ على أنّ مَدار تكذيبه كونُه ذا مال وبنين مِن غير أن يكون لسائر قبائحه دَخْل في ذلك.

وقُرئ: "أَأَنْ كَانَ"[٢] على معنى أَلِأن كان ذا مال كذّب بها؟ أو أتُطيعه لأن كان ذا مال؟ وقُرئ: "إِنْ كَانَ"[٣] بالكسر، والشرط للمخاطَب، أي: لا تطع كلّ حلّاف شارطًا يساره؛ لأنّ إطاعة الكافر لغِناه بمنزلة اشتراط غِناه في الطاعة.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ بالكيّ على أكرَم مواضعه لغاية إهانته وإذلاله. قيل: أصاب أنفَ الوليد جِراحةٌ يوم بدر فبقيَت علامتها. وقيل: معناه سنُعلِمه يوم القيامة بعلامة مشوّهة يُعلَم بها عن سائر الكفرة.[٤]

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ﴾ أي: أهل مكّة بالقحط بدعوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وهم قوم مِن أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنّة دون صنعاءَ بفرسخين، فكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدّق بالباقي، وكان ينادي الفقراءَ وقت الصِّرام، ويترك لهم ما أخطأه المِنجَل، وما في أسفل الأكداس، وما أخطأه القِطاف مِن العنب، وما بقيَ على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صُرمت، فكان يجتمع لهم شيءٌ كثير، فلمّا مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا / الأمر، فحلفوا فيما بينهم، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ [٢١٦و]
أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ لَيقطعُنّها داخلين في الصباح.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ أي: لا يقولون: "إن شاء الله". وتسميتُه استثناء مع أنّه شرط مِن حيث إنّ مؤدّاه مؤدّى الاستثناء، فإنّ قولك: "لأخرجنّ إن شاء الله"

---

[١] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٦.

[٢] قرأ بها ابن عامر وحمزة ويعقوب وأبو جعفر وأبو بكر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٦٧.

[٣] قراءة شاذّة، مرويّة عن الزُّهري والنقّاش عن نافع. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٠؛ شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٠.

[٤] القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٦.

و"لا أخرج إلّا أن يشاء الله" بمعنى واحد. أو لا يستثنون حِصّة المساكين كما كان يفعله أبوهم، والجملة مستأنفة.

﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ٢٠﴾

﴿فَطَافَ عَلَيۡهَا﴾ أي: على الجنّة ﴿طَآئِفٞ﴾ بلاءٌ طائف، وقُرئ: "طَيْف".[1] ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدئ مِن جهته تعالى ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ غافلون عمّا جرت به المقادير.

﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالبستان الذي صُرِمت ثماره بحيث لم يبقَ منها شيء، "فعيل" بمعنى "مفعول". وقيل: كالليل، أي: احترقت فاسودّت. وقيل: كالنّهار، أي: يبِست وابيضّت، سُمِّيا بذلك لأنّ كلًّا منهما ينصرِم عن صاحبه. وقيل: الصريم الرِّمال.[2]

﴿فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ٢٢﴾

﴿فَتَنَادَوۡاْ﴾ أي: نادى بعضهم بعضًا ﴿مُصۡبِحِينَ﴾ داخلين في الصباح.

﴿أَنِ ٱغۡدُواْ﴾ أي: اغدوا على أنّ ‹أن› مفسِّرة، أو بأن اغدوا، على أنّها مصدريّة، أي: اخرجوا غدوةً. ﴿عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ﴾ بستانكم وضيعتكم. وتعدية الغدوّ بـ﴿عَلَىٰ﴾ لتضمينه معنى الإقبال أو الاستيلاء. ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ﴾ قاصدين للصّرم.

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ٢٣ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ٢٤ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾

﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: يتشاورون فيما بينهم بطريق المُخافَتة، و"خفيَ" و"خفتَ" و"خفَد" ثلاثتُها في معنى الكتم، ومنه "الخُفدُود" للخفّاش.[3]

﴿أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا﴾ أي: الجنّة ﴿ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ﴾ ‹أن› مفسِّرة لِما في التخافُت مِن معنى القول. وقرئ بطَرْحها[4] على إضمار القول. والمراد

---

[1] قراءة شاذّة، مرويّة عن إبراهيمَ النخَعي. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٠.

[2] الأقوال الثلاثة في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٧.

[3] الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٧.

[4] قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨١.

بنهي المِسكين عن الدخول المبالغةُ في النهي عن تمكينه مِن الدخول، كقولهم: "لا أُرينَّك ههنا".

[٢١٦ظ] ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ / أي: على نكَدٍ لا غيرُ، مِن "حارَدَت السَّنَة" إذا لم يكن فيها مطر، و"حارَدَت الإبل" إذا منعتْ درّها، والمعنى أنّهم أرادوا أن يتنكّدوا على المساكين ويحرِموهم وهم قادرون على نفعهم، فغدوا بحال لا يقدرون فيها إلّا على النّكَد والحِرمان. وذلك أنّهم طلبوا حِرمان المساكين فتعجّلوا الحِرمان والمَسكنَة، أو وغدَوا على محارَدة جنّتهم وذهاب خيرِها قادرين بدلَ كونهم قادرين على إصابة خيرِها ومنافعها، أي: غدوا حاصلين على النّكَد والحِرمان مكانَ كونهم قادرين على الانتفاع.

وقيل: الحَرْد: الحَرَد،[١] وقد قُرئ بذلك،[٢] أي: لم يقدروا إلّا على حَنَق بعضهم لبعض لقوله تعالى: ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾.[٣] وقيل: الحَرْد: القصد والسرعة، أي: غدوا قاصدين إلى جنّتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صِرامها. وقيل: هو عَلَم للجنّة.[٤]

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ﴾ في بديهة رؤيتهم ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي: طريق جنّتنا، وما هي بها.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ قالوه بعد ما تأمّلوا ووقفوا على حقيقة الأمر مُضربين عن قولهم الأوّل، أي: لسنا ضالّين؛ بل نحن محرومون حُرمنا خيرها بجِنايتنا على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٢٩﴾

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: رأيًا أو سِنًّا ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ لولا تذكرون الله تعالى وتتوبون إليه مِن خُبث نيّتكم، وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وتوبوا إليه عن هذه العزيمة الخبيثة مِن فوركم، وسارعوا إلى حَسْم شرّها قبل حلول النقمة، فعصوه فعيّرهم، كما ينبئ عنه قوله تعالى:

---

[١] القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٧. والحَرَد: الغضب. لسان العرب لابن منظور، «حرد».

[٢] قراءة شاذّة، غير منسوبة. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦٠.

[٣] في الآية الثلاثين مِن هذه السورة.

[٤] القولان في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٧.

﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾. وقيل: المرادُ بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما في التعظيم، أو لأنّه تنزيه له تعالى عن أن يجري في ملكه ما لا يشاؤه.[١]

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ۝٣٢﴾

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ﴾ أي: يلوم بعضهم بعضًا، فإنّ منهم مَن أشار بذلك، ومنهم مَن استصوبه، ومنهم مَن سكت راضيًا به، ومنهم مَن أنكره.

/ ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ متجاوِزين حدودَ الله. [٢١٧و]

﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا﴾ وقرئ بالتشديد،[٢] أي: يُعطينا بدلًا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة. ﴿خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ راجون العفوَ طالبون الخيرَ. و﴿إِلَىٰ﴾ لانتهاء الرغبة، أو لتضمُّنها معنى الرجوع.

عن مجاهد: «تابوا فأُبدلوا خيرًا منها».[٣] ورُوي أنّهم تعاقدوا وقالوا: إن أبدلَنا الله تعالى خيرًا منها لنصنعَنّ كما صنع أبونا، فدعوا الله تعالى وتضرّعوا إليه فأبدلهم الله تعالى مِن ليلتهم ما هو خير منها. قالوا: إنّ الله تعالى أمر جبريلَ عليه السلام أن يقتلع تلك الجنّة المحترِقة فيجعلها بزعر[٤] مِن أرض الشام ويأخذ مِن الشام جنّة فيجعلها مكانها.[٥] وقال ابن مسعود: «إنّ القوم لمّا أخلصوا وعرَف الله منهم الصدقَ أبدلهم جنّة يقال لها الحيوان، فيها عنب يحمل البغلُ منه عنقودًا».[٦]

وقال أبو خالد اليماني:[٧] دخلتُ تلك الجنّة فرأيتُ كلّ عنقود منها كالرجُل الأسود القائم. وسُئل قتادة عن أصحاب الجنّة: أهم مِن أهل الجنّة أم مِن أهل النار؟ فقال: لقد كلّفتني تعبًا. وعن الحسن رحمه الله: قول أصحاب الجنّة:

---

١ القول في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٨.
٢ قرأ بها نافع وأبو عمرو وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣١٤.
٣ الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٨.
٤ الزّعَر: قلّة النبات في الأرض. لسان العرب لابن منظور، «زعر». وفي مطبوع اللباب لابن عادل، ١٩/٢٩٣: «زغر».
٥ الكلام في اللباب لابن عادل، ١٩/٢٩٣.
٦ معالم التنزيل للبغوي، ٨/١٩٧.
٧ وفي هامش م: ابن عادل.

﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ لا أدري إيمانًا كان ذلك منهم، أو على حدّ ما يكون مِن المشركين إذا أصابتهم الشدّة، فتوقّف في أمرهم. والأكثرون على أنّهم تابوا وأخلصوا. حكاه القُشيري.[١]

﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾

﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُ﴾ جملة مِن مبتدأ وخبر مقدَّم لإفادة القصر، و"الألف" و"اللام" للعهد، أي: مثلُ الذي بلونا به أهلَ مكّة وأصحابَ الجنّة عذابُ الدنيا. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُ﴾ أعظم وأشدّ ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أنّه أكبر لاحترزوا عمّا يؤدّيهم إليه.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٣٤ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ٣٦ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ٣٧ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨﴾

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ أي: مِن الكفر والمعاصي ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ أي: في الآخرة، أو في جوار القدس ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ جنات ليس فيها إلّا التنعّم الخالص عن شائبة ما يُنغّصه مِن الكدورات وخوف الزوال، كما عليه نعيم الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ تقرير لِما قبله مِن فوز المتّقين بجنّات النعيم، وردٌّ لِما يقوله الكفَرة عند سماعهم بحديث الآخرة / وما وعَد الله المسلمين فيها، فإنّهم كانوا يقولون: إن صحّ أنّا نُبعث كما يزعم محمّد ومَن معه لم تكن حالنا وحالهم إلّا مثلَ ما هي في الدنيا، وإلّا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يُساوونا. و"الهمزة" للإنكار، و"الفاء" للعطف على مقدَّر يقتضيه المقام، أي: أنَحيف في الحُكم فنجعَل المسلمين كالكافرين. [٢١٧ظ]

---

[١] هذه الأقوال كلُّها في اللباب لابن عادل، ٢٩٣/١٩. وانظر كلام القُشيري في لطائف الإشارات، ٦٢٠/٣. | هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، مِن بني قشير بن كعب، أبو القاسم (ت. ٤٦٥هـ/١٠٧٢م). الإمام القدوة الأستاذ الشافعي الصوفي المفسِّر. زين الإسلام وشيخ خراسان في عصره زهدًا وعِلمًا بالدِّين. برع بالفروسيّة والعمل بالسلاح. أقام بنيسابور ومات فيها. مِن كتبه: الرسالة القشيريّة، ولطائف الإشارات. انظر: وسير أعلام النبلاء للذهبي، ١٨، ٢٢٧؛ والأعلام للزركلي، ٥٧/٤.

ثمّ قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الردّ وتشديده: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ تعجيبًا مِن حكمهم واستبعادًا له وإيذانًا بأنّه لا يصدر عن عاقل.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ نازل مِن السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ أي: تقرأون.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ أي: ما تتخيَّرونه وتشتهونه، وأصله "أنّ لكم" بالفتح؛ لأنّه مدروس، فلمّا جيء بـ"اللام" كُسِرت. ويجوز أن يكون حكاية للمدروس، كما هو كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات، ٣٧/٧٨-٧٩].[1] وتخيُّر الشيءِ واختِيارُه: أَخْذ خَيره.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ أي: عهود مؤكَّدة بالأيمان ﴿بَالِغَةٌ﴾ متناهية في التوكيد. وقُرئت بالنصب[2] على الحال والعامل فيها أحد الظرفين. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ متعلِّق بالمقدَّر في ﴿لَكُمْ﴾، أي: ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا نخرُج عن عهدتها حتّى نحكِّمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون، أو بـ﴿بَالِغَةٌ﴾، أي: أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرةً لم تبطل منها يمين. ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ جوابُ القسَم، لأنّ معنى "أم لكم علينا أيمان": أم أقسَمنا لكم.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

﴿سَلْهُمْ﴾ تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بإسقاطهم عن رتبة الخطاب، أي: سَلْهم مُبكِّتًا لهم. ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحُكم الخارج عن العقول ﴿زَعِيمٌ﴾ أي: قائم يتصدّى لتصحيحه.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبَهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم؛ إذ لا أقلَّ مِن التقليد، وقد نُبّه في هذه الآيات الكريمة على أن ليس لهم / شيء يُتوهَّم أن يتشبَّثوا به حتّى التقليد [٢١٨و]

---

١ الوجه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٤٩.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وإبراهيم وابن أبي عبلة. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨١؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٨١٨.

الذي لا يفلح مَن تشبَّث بذيله. وقيل: المعنى: أم لهم شركاء يجعلونهم مثلَ المسلمين في الآخرة.[١]

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ أي: يوم يشتدّ الأمر ويصعُب الخَطْب، وكَشْفُ الساق مثَل في ذلك، وأصله تشمير المخدَّرات عن سُوقهنّ في الهرَب. قال حاتم:[٢]

أخو الحربِ إن عضّتْ به الحرب عضّها وإن شمّرتْ عن ساقها الحربُ شمّرا[٣]

وقيل: "ساقُ الشيء" أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان، أي: يوم يُكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عِيانًا.[٤] وتنكيره للتهويل أو التعظيم. وقُرئ: "تَكْشِفُ" بـ"التاء" على البناء للفاعل[٥] والمفعول،[٦] والفعل للساعة أو الحال، وقُرئ: "نَكْشِفُ"[٧] بـ"النون"، و"تُكْشِفُ"[٨] بـ"التاء" المضمومة وكسرِ "الشين" مِن "أكشَف الأمر"، أي: دخَل في الكَشْف.

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٣٦/٣.

٢ هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي، أبو عديّ (ت. ٥٧٨م). فارسٌ شاعر جواد جاهلي، يُضرب المَثَل بجوده، مِن أهل نجد، وزار الشام فتزوّج ماويّة بنت حجر الغسانيّة، ومات في عوارض: جبل في طيئ. له شعر كثير ضاع معظمه، وبقي قليل منه، وديوانه مطبوع. وأخباره كثيرة متفرّقة في كتب الأدب والتاريخ. أرّخوا وفاته في السنة الثامنة بعد مولد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة، ٢٤١/١؛ والأعلام للزركلي، ١٥١/٢.

٣ البيت لحاتم الطائي في زيادات ديوانه، ص ٢٩٧، ممّا نُسِب إليه وصحّ له؛ وهو لحاتم في الكشّاف للزمخشري، ٤٤٩/٤؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٣٦/٣؛ واللباب لابن عادل، ٢٩٩/١٩.

٤ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٤٣٦/٣.

٥ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس. المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ١٨١٩.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن أبي عبلة وابن يعمر وأبي البَرَهسم. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤١؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ١٨١٩.

٧ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وابن يعمر وأبي البَرَهسم. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٤١؛ المغني في القراءات للنّوْزاوازي، ص ١٨١٩.

٨ قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٤٥٠/٤.

وناصب الظرف ﴿فَلۡيَأۡتُواْ﴾،[١] أو مضمَر مقدَّم، أي: اذكُر يومَ... إلخ، أو مؤخَّر، أي: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾... إلخ، يكون مِن الأهوال وعظائم الأحوال ما لا يبلغه الوصف.

﴿وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ توبيخًا وتعنيفًا على تَرْكهم إيّاه في الدنيا، وتحسيرًا لهم على تفريطهم في ذلك. ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ﴾ لزوال القدرة عليه، وفيه دلالة على أنّهم يقصدون السجودَ فلا يتأتّى منهم ذلك. عن ابن مسعود رضي الله عنه: تُغقَم أصلابهم،[٢] أي: تُرَدّ عظامًا بلا مفاصلَ لا تنثني عند الرفع والخفض. وفي الحديث: وتبقى أصلابهم طبقًا واحدًا،[٣] أي: فَقارة واحدة.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ حال مِن مرفوع ﴿يُدۡعَوۡنَ﴾، على أنّ ﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ مرتفع به على الفاعليّة. ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها. ﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تلحَقهم وتغشاهم ﴿ذِلَّةٞ﴾ شديدة ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا.

والإظهار في موضع الإضمار لزيادة التقرير، أو لأنّ المراد به الصلاة، أو ما فيها مِن السجود، والدعوة دعوة التكليف. ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ متمكِّنون منه أقوى تمكّن، أي: فلا يُجيبون إليه ويأبَونه، وإنّما تُرِك ذِكره ثقةً بظهوره.

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٤ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ٤٥ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٦ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤٧﴾

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ أي: كِلْه إليّ فإنّي أكفيك أمرَه، أي: حسبك في الإيقاع به والانتقام منه أن تكِل أمره إليّ وتُخلّي بيني وبينه، فإنّي عالم بما يستحقّه / مِن العذاب ومُطيق له. و"الفاء" لترتيب الأمر على ما قبلها مِن أحوالهم المحكيّة، أي: وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فذرني ومَن يكذِّب بالقرآن، وتوكّل عليّ في الانتقام منه. [٢١٨ظ]

---

[١] في الآية السالفة.

[٢] بمعناه في جامع البيان للطبري، ٢٣/١٩٠؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٠.

[٣] بمعناه في معالم التنزيل للبغوي، ٨/٢٠٠؛ وبلفظه في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥٠.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ استئناف مَسوق لبيان كيفيّة التعذيب المستفاد مِن الأمر السابق إجمالًا، والضمير لـ﴿مَن﴾، والجمع باعتبار معناها، كما أنّ الإفراد في ﴿يُكَذِّبُ﴾ باعتبار لفظها، أي: سنستنزلهم إلى العذاب درجةً فدرجةً بالإحسان وإدامة الصحّة وازدياد النعمة. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنّه استدراج، وهو الإنعام عليهم؛ بل يزعمون أنّه إيثار لهم وتفضيل على المؤمنين مع أنّه سبب لهلاكهم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأمهلهم ليزدادوا إثمًا وهم يزعمون أنّ ذلك لإرادة الخير بهم. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ لا يُوقَف عليه ولا يُدفَع بشيء. وتسمية ذلك كيدًا لكونه في صورة الكيد.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على الإبلاغ والإرشاد ﴿أَجْرًا﴾ دُنيويًّا ﴿فَهُم﴾ لأجل ذلك ﴿مِّن مَّغْرَمٍ﴾ أي: غرامة ماليّة ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ مكلَّفون حِملًا ثقيلًا فيُعرِضون عنك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح أو المغيّبات ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ منه ما يحكمون ويستغنون به عن عِلمك.

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ أي: يونس عليه السلام ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوءٌ غيظًا. والجملة حال مِن ضمير﴿نَادَىٰ﴾، وعليها يدور النهي لا على النداء، فإنّه أمر مُستحسَن، ولذلكَ لم يُذكَر المنادى. و﴿إِذْ﴾ منصوب بمضاف محذوف، أي: لا يكن حالك كحاله وقتَ ندائه، أي: لا يُوجَد منك ما وُجِد منه مِن الضجر والمُغاضبة فتُبتلى ببلائه.

﴿لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وقُرئ: "رَحْمَةٌ"،[1] وهو توفيقه للتوبة وقَبولها منه،

---

[1] قراءة شاذّة، غير منسوبة. الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥١.

وحَسُن تذكير الفعل للفصل بالضمير. وقرئ: "تَدارَكَتْهُ"[١] و"تَدارَكُهُ"،[٢] أي: "تتدارَكُه" على حكاية الحال الماضية، بمعنى لولا أن كان يقال فيه: تتداركه.

﴿لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ﴾ بالأرض الخالية مِن الأشجار ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ مُليم مَطرود مِن الرحمة والكرامة، وهو حال مِن مرفوع ﴿نُبِذَ﴾، عليها يعتمد جواب ﴿لَوۡلَآ﴾ لأنّها هي المُنتفية لا النَّبذ بالعراء كما مرّ في الحال الأولى. والجملة الشرطيّة / استئناف وارد لبيان كون المنهيّ عنه أمرًا محذورًا مستتبعًا للغائلة. [٢١٩و]

وقوله تعالى: ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ عطفٌ على مقدَّر، أي: فتدارَكته نعمة مِن ربّه فاجتباه بأن ردّ إليه الوحيَ، وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون. وقيل: استنبأه إن صحّ أنّه لم يكن نبيًا قبل هذه الواقعة.[٣] ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ مِن الكاملين في الصلاح بأن عصَمه مِن أن يفعل فعلًا يكون تَرْكه أَوْلى.

رُوي أنّها نزلت بأُحُد حين همّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يدعو على المنهزمين مِن المؤمنين، وقيل: حين أراد أن يدعو على ثَقيف.[٤]

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ۝٥١ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ وقُرئ: "لَيَزۡلِقُونَكَ"[٥] بفتح "الياء" مِن "زَلَقه" بمعنى أزلَقه، و"يُزۡهِقُونَكَ".[٦] و﴿إن﴾ هي المخفَّفة و"اللام" دليلها، والمعنى أنّهم مِن شدّة عداوتهم لك ينظرون إليك شَزْرًا بحيث يكادون يُزِلّون قدمك فيَرمونك، مِن قولهم: "نظَر إليّ نظرًا يكاد يصرعني"، أي: لو أمكنه بنظره الصرع لفعله، أو أنّهم يكادون يُصيبونك بالعين؛ إذ قد رُوي أنّه كان في بني أسدٍ عيّانون فأراد بعضهم أن يَعين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم،

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن عبّاس وابن مسعود وإبراهيم النخَعي. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٤٨٢.

٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن. الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥١.

٣ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٣٧.

٤ كلاهما في الكشّاف للزمخشري، ٤/٤٥١؛ وأنوار التنزيل للبيضاوي، ٣/٤٣٧.

٥ قرأ بها نافع وأبو جعفر. النشر لابن الجزري، ٢/٣٨٩.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن مسعود وابن عبّاس. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٦١.

فنزلت.[١] وفي الحديث: «إنّ العين لتُدخِل الرجلَ القبرَ والجملَ القِدْرَ»،[٢] ولعلّه مِن خصائص بعض النفوس، وعن الحسن: دواء الإصابة بالعين أن تُقرأ هذه الآية.[٣]

﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ أي: وقتَ سماعهم بالقرآن، على أنّ ﴿لَمَّا﴾ ظرفيّة منصوبة بـ﴿يُزْلِقُونَكَ﴾، وذلك لاشتداد بُغضهم وحسَدهم عند سماعه.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لغاية حيرتهم في أَمْره عليه السلام، ونهايةِ جهلهم بما في تضاعيف القرآن مِن تعاجيب الحِكَم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمِسة بأحكام الطبائع، ولتنفير النّاس عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾.

وحيث كان مَدارُ حُكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رُدّ ذلك ببيان علوّ شأنه وسطوع برهانه فقيل: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ على أنّه حال مِن فاعل ﴿يَقُولُونَ﴾ مفيدةٌ لغاية بُطلان / قولهم، وتعجيبِ السامعين[٤] مِن جرأتهم [٢١٩ظ]
على تفوّه تلك العظيمة، أي: يقولون ذلك والحال أنّه ذِكر للعالمين، أي: تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه مِن أمور دينهم، فأين مَن أنزل عليه ذلك وهو مطّلع على أسراره طُرًّا ومحيطٌ بجميع حقائقه خُبرًا ممّا قالوا؟

وقيل: معناه: شرف وفضل، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف، ٤٣/٤٤]. وقيل: الضمير لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وكونُه مذكِّرًا وشرفًا للعالمين لا ريبَ فيه.[٥]

عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسّن الله أخلاقهم».[٦]

---

١ بمعناه في أسباب النزول للواحدي، ص ٤٦٣-٤٦٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٢٠٢/٨؛ والكشّاف للزمخشري، ٤٥١/٤.

٢ الكشف والبيان للثعلبي، ٢٦٣/٢٧؛ حلية الأولياء لأبي نُعيم، ٩٠/٧؛ معالم التنزيل للبغوي، ٢٥٨/٤ (يوسف، ٦٧/١٢).

٣ معالم التنزيل للبغوي، ٢٠٣/٨؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٥١/٤.

٤ السياق: رُدّ ذلك ببيان... وتعجيبِ...

٥ القولان في اللباب لابن عادل، ٣١١/١٩.

٦ الكشف والبيان للثعلبي، ١٣٠/٢٧ (القلم، ١/٦٨)؛ التفسير الوسيط للواحدي، ٣٣٢/٤ (القلم، ١/٦٨)؛ الكشّاف للزمخشري، ٤٥١/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٦٨

سورة ن

مكية، ثنتانِ وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ن﴾: أحدُ حروف الهجاء، اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقَلَمِ﴾ الذي كُتب به الكائناتُ في اللوح المحفوظ ﴿وما يَسطُرُونَ﴾، أي: الملائكةُ ....

سورة ن

قولُهُ: (أَحَدُ حُرُوفِ الهِجَاءِ) يعني: أنَّه ليسَ اسماً للحوتِ، أو الدَّواةِ كما قيلَ، لكنَّ النَّفيَ غيرُ مُناسِبٍ، فإنَّ الأوَّلَ مَنقولٌ عن كَثيرٍ من السَّلَفِ منهم ابنُ عبَّاسٍ[١]، والثَّاني عن الحسَنِ وقتادَةَ[٢] وغيرهما، وقيلَ: مفتاحُ اسمِهِ نُورٌ وناصِرٌ، وقيلَ: أقسَمَ بنُصرَتِهِ المؤمِنينَ[٣].

قولُهُ: (في اللَّوحِ المَحفُوظِ) الوارِدِ في الحديثِ: «جَفَّ القَلَمُ بما هو كائِنٌ في عِلمِ الله»[٤] والمرادُ: كُلُّ قَلَمٍ ومَكتوبٍ.

قولُهُ: (أي: المَلائِكَةُ) فالضَّميرُ لأصحابِ القَلَمِ، أو الحَفَظَةِ، و﴿ما﴾ مصدَريَّةٌ، أو موصولَةٌ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٠٣) بنحوه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٥) عن الحسن، وقتادة.

(٣) تعقب أكثر هذه الأقول في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٤) بقوله: لعله لا يصح شيء من ذلك. ونقله عنه الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٢٧) وتوسع في البحث فيها، فانظره.

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٦٨٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٩) بنحوه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروى البخاري (٥٠٧٦) من حديث أبي هريرة وفيه: «جف القلم بما أنت لاق».

من الخير والصلاح، ٢ ـ ﴿ما أنتَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجُنونُ عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوّة وغيرها ـ وهذا ردّ لقولهم: إنه مجنونٌ ـ ٣ ـ ﴿وإنَّ لَكَ لَأجرًا غيرَ مَمنُونٍ﴾: مقطوع، ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾: دِينٍ ﴿عَظِيمٍ. فستُبصِرُ ويُبصِرُونَ: بِأَيِّكُمُ المَفتُونُ﴾؟ مصدرٌ كالمَعقول، أي: الفُتونُ بمعنى الجُنون، أي: أبِكَ أم بِهِم؟

٧ ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ له. وأعلم بمعنى: عالمٌ.
٨ ـ ٩ ـ ﴿فلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ. وَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لَو﴾: مصدريّةٌ ﴿تُدهِنُ﴾: تَلينُ لهم ﴿فيُدهِنُونَ﴾: يلينون لك. وهو معطوف على «تُدهِنُ»..

قولُهُ: (مِنَ الخَيرِ والصَّلاحِ) الظَّاهِرُ من الخَيرِ والشَّرِ.

قولُهُ: (يا مُحَمَّدُ) جوابٌ للقَسَم.

قولُهُ: (بِسَبَب) أو وحقِّ نعمَةِ ربِّكَ.

قولُهُ: (مَقطُوعٍ) سَواءٌ آمَنوا أو لم يؤمِنوا، فإنَّ الأجرَ على الإبلاغِ، والاحتِمالِ لا يتَوقَّف على الامتِثالِ.

قولُهُ: (دِينٍ) أو وَصفٍ، وسُئِلت عائشَةُ عن خُلُقِهِ فقالَت: كانَ خُلُقُه القُرآنَ، ألستَ تَقرَأُ القرآنَ: ﴿قَد أَفلَحَ المؤمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] رواهُ مُسلِم[1]، فأشارَت إلى بعضِ خُلُقِهِ، وأرادَتْ هذا وأمثالَهُ، وقالَ بعضُ العارِفينَ[2]: لم يُؤثِّرْ فيكَ جَفاءُ الخَلقِ بعدَ مُطالَعَةِ عَطاءِ الحَقِّ.

قولُهُ: (مَصدَرٌ) والباءُ زائدَةٌ.

قولُهُ: (بمَعنَى: عَالِم) لا أعلمُ له وَجهاً.

قولُهُ: (مَصدَرِيَّةٌ) أي: وَدُّوا التَّداهُنَ؛ لكنَّهم أخَّروا إدهانَهُم حتَّى تُدهِن.

قولُهُ: (وَهوَ مَعطُوفٌ) وفي بعضِ المصاحِفِ: (فيُدْهِنُوا)[3] على أنَّهُ جوابُ التَّمَنِّي.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨).
والذي رواه مسلم (٧٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ليس فيه ذكر للآية.
ولعل الأنسب هنا ما رواه أحمد في «مسنده» (٢٤٦٠١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٨٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤]. وهو المناسب للموضع، فالله أعلم.

(٢) هو للحسين بن منصور الحلاج كما في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٣).

(٣) ذكرها سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٣٦) وقال: زعم هارون أنها في المصاحف. قلت: هو المقرئ هارون بن موسى الأزدي البصري.

وإن جُعل جوابَ التمنّي المفهومِ من «ودّوا» قُدّرَ قبله، بعد الفاء: «هم».

١٠ ـ ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ﴾: كثير الحَلْف بالباطل ﴿مَهِينٍ﴾: حقير، ١١ ـ ﴿هَمَّازٍ﴾: عيّاب أو مُغتاب ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، ١٢ ـ ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيرِ﴾: بَخيلٍ بالمال عن الحُقوق ﴿مُعتَدٍ﴾: ظالم ﴿أثِيمٍ﴾: آثمٍ، ١٣ ـ ﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جافٍ ﴿بَعدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾: دعيٌّ في قريش ـ وهو الوليد بن المُغيرة، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشْرةَ سنةً. قال ابن عبّاس: لا نعلم أنّ الله وصف أحدًا بما وصفه به من العُيوب، فألحقَ به عارًا لا يُفارقه أبدًا. وتعلّقَ بـ «زنيم» الظرفُ قبله ـ

قولُهُ: (بَعدَ الفَاءِ) للسَّببيَّةِ.

قولُهُ: (هُم) أي: فهم يُدهِنونَ حينَئِذٍ.

قولُهُ: (بالبَاطِلِ) وقالَ القاضِي[1]: في الحَقِّ والباطِلِ، ولعَلَّ الإطلاقَ؛ لأنَّ من يحلف كَثِيراً يَقَعُ في الكَذِب، وفي الحديثِ: «كَفَى بالمرءِ إثماً أن يُحدِّثَ بكُلِّ ما سَمِع»[2].

قولُهُ: (حَقِيرٍ) عندَ الله، وعِندَ أوليائِهِ.

قولُهُ: (أَو) حقيرِ الرَّأيِ.

قولُهُ: (أي: مُغتَابٍ) فيه أنَّ الأوَّلَ أعمُّ.

قولُهُ: (سَاعٍ) أي: نَقَّالٍ للحَديثِ على وجهِ السِّعايةِ.

قولُهُ: (بَخِيلٍ) الظَّاهِرُ أنَّ مَعناهُ: يمنَعُ النَّاسَ عنِ الخَيرِ من الإيمانِ والإنفاقِ والعَمَلِ الصَّالِح.

قولُهُ: (ظَالِمٍ) أو مُتَجاوِزٍ في الظُّلمِ.

قولُهُ: (آثِمٍ) الظَّاهِرُ: كثيرِ الإثمِ.

قولُهُ: (غَلِيظٍ) من عَتَله: إذا قادَهُ بعُنفٍ وغِلْظَة.

قولُهُ: (دَعِيٌّ) مُتَّهمٍ في نَسَبِه.

قولُهُ: (في قُرَيشٍ) أي: مُستَلحَقٍ فيهم ليسَ منهم.

قولُهُ: (سَنَةً) من مَولِدِه.

قولُهُ: (قَبلَه) أي: بعدَ ذلكَ، والمعنَى: بعدَ ما عَدَّ مثالِبَه.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٣٤).

(٢) رواه مسلم في «مقدمة الصحيح» (١/ ١٠)، وأبو داود (٤٩٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي مسلم: «كذباً»، بدل: «إثماً».

١٤ ـ ﴿أن كانَ ذا مالٍ وبَنِينَ﴾ أي: لِأنْ، وهو مُتعلّق بما دلّ عليه: ١٥ ـ ﴿إذا تُتلَى علَيهِ آياتُنا﴾: القرآنُ ﴿قالَ﴾: هي ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾ أي: كذّبَ بها لِإنعامنا عليه بما ذُكر. وفي قراءةٍ: «أأن» بهمزتين مفتوحتين. ١٦ ـ ﴿سَنَسِمُهُ علَى الخُرطُومِ﴾: سنجعل على أنفه علامة يُعيَّرُ بها ما عاش. فخُطم أنفه بالسيف يوم بدر.

١٧ ـ ﴿إنّا بَلَوناهُم﴾: امتحَنّا أهلَ مكّةَ بالقحط والجوع ﴿كَما بَلَونا أصحابَ الجَنّةِ﴾: البُستانِ ـ ﴿إذ أقسَمُوا لَيَصرِمُنَّها﴾: يقطعون ثمرتها ﴿مُصبِحِينَ﴾: وقتَ الصباح كيلا يشعر بهم المساكينُ، فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدّق به عليهم منها، ١٨ ـ ﴿ولا يَستَثنُونَ﴾ في يمينهم بمشيئة الله، تعالى. والجملة: مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿فطافَ علَيها طائفٌ مِن رَبِّكَ﴾: نارٌ أحرقتها ليلاً

قولُهُ: (بِمَا دَلَّ) أي: مَدلولِ قالَ، لا نفسِهِ؛ لأنَّ ما بَعدَ الشَّرطِ لا يعمَلُ فيما قبلَهُ[1]، ويُمكِنُ أن يَتوسَّعَ في الظَّرفِ ما لا يُتَوسَّعُ في غيرِه؛ أي: قالَ ذلك حينَئذٍ؛ لأنه كانَ مُتمَوِّلاً مُستظهِراً بالبَنِينَ مِن فَرطِ غُرورِهِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لشُعبَة وحَمزَة، والشَّاميُّ مُسَهِّلاً[2].

قولُهُ: (عَلَامَةً) من الوسمِ.

قولُهُ: (فَخُطِمَ) أي: فجُرِحَ وبَقِيَ أثرُهُ[3].

قولُهُ: (بِالقَحْطِ) أو الأموالِ.

قولُهُ: (البُستَانُ) كانت بضَرَوان قَريَةٌ باليَمَنِ بينها وبينَ صَنعاءَ ستَّةُ أميالٍ، كذا في «المبهمات»[4]، وكان لرَجُلٍ صالِحٍ، وكانَ يُنادي الفُقَراءَ وقتَ الصِّرامِ ويَترُكُ لهم ما أخطَأَهُ المِنجَلُ أو ألقَتهُ الرِّيحُ، أو بعُدَ من البِساطِ الذي يُبسَطُ تحتَ النَّخلَةِ، فيجتَمِعُ لهم شيءٌ كَثيرٌ، فلمَّا ماتَ قالَ بَنوهُ: إن فَعَلنا ما كان يفعَلُ أبونا ضاقَ علينا.

قولُهُ: (وَقتَ الصَّبَاحِ) أي: داخِلِينَ في الصَّباحِ خفيَةً عن المساكينِ.

قولُهُ: (فِي يَمِينِهِم) أو لا يستَثنونَ حِصَّةَ المساكين، كما كان يخرِجُ أبوهُم.

قولُهُ: (نَارٌ) أي: بلاءٌ طائفٌ مُبتَدأً منه.

---

(١) وانظر: «شرح كتاب سيبويه» (١/ ٤٧٩).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٥).

(٣) وانظر: «تاج العروس» (٣٢/ ١١٩).

(٤) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١١) وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٥) عنه.

﴿وهُم نائمُونَ، فأصبَحَتْ كالصَّرِيمِ﴾: كالليل الشديد الظُّلمة، أي: سوداءَ. ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فتَنَادَوا مُصبِحِينَ أنِ اغدُوا علَى حَرثِكُم﴾: غلّتكم ـ تفسيرٌ للتنادي، أو أنْ: مصدريّة أي: بأن ـ ﴿إن كُنتُم صارِمِينَ﴾: مُريدين القطع. وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله. ٢٣ ـ ﴿فانطَلَقُوا وهُم يَتخافَتُونَ﴾: يتشاورون ٢٤ ـ ﴿أنْ لا يَدخُلَنَّها اليَومَ علَيكُم مِسكِينٌ﴾: تفسيرٌ لما قبله، أو أنْ: مصدريّة أي: بأنْ. ٢٥ ـ ﴿وغَدَوا علَى حَرْدٍ﴾: منع للفُقراء ﴿قادِرِينَ﴾ عليه في ظنّهم.

٢٦ ـ ﴿فلَمّا رأَوها﴾ سوداء مُحترقة ﴿قالُوا: إنّا لَضالُّونَ﴾ عنها، أي: ليست هذه. ثمّ قالوا لمّا علموها: ٢٧ ـ ﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾ ثمرتَها بمنعنا الفُقراءَ منها. ٢٨ ـ ﴿قالَ أوسَطُهُم﴾: خيرُهم: ﴿ألَم أقُل لَكُم: لَولا﴾: هلاّ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ اللهَ تائبين؟ ٢٩ ـ ﴿قالُوا: سُبحانَ رَبِّنا! إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ بمنعنا الفُقراءَ حقَّهم. ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿فأقبلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ يَتَلاوَمُونَ. قالُوا: يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿إنّا كُنّا طاغِينَ. عَسَى رَبُّنا أن يُبَدِّلَنا﴾ ....

قولُهُ: (غَلَّتِكُم) أي: اخرُجوا، أو بأن اخرُجوا إليه غُدوَةً، وتعدِيَةُ الفِعلِ بـ﴿عَلَى﴾، لتضمُّنِهِ مَعنى الإقبالِ.

قولُهُ: (يتَسَارُّونَ) يتشاوَرونَ فيما بينَهُم.

قولُـهُ: (تَفسِيرٌ) أي: ﴿أنَّ﴾ مُفسِّـرَةٌ لمـا فـي: ﴿يَتَخَافَتُـونَ﴾ مـن مَعنـى القَـولِ، وقُـرئَ بطَرحِهـا علـى إضمـارِ القَـول[1].

قولُهُ: (مَنَعَ) في «القاموسِ»[2]: حرَدَهُ: قصَدَهُ ومَنَعَهُ وغَضِبَ، وقيل: الحردُ بمَعنى: النَّكدِ؛ أي: غدواً قادِرِينَ على نَكدٍ لا غَير، والمعنى: أنَّهُم عَزَموا على أنّهم يُنكِّدونَ على المساكين فنُكِّدَ عليهِم بحيثُ لا يَقدِرونَ فيها إلا على النَّكدِ، وقيل: علَمٌ للجنَّة.

قولُهُ: (سَودَاءَ) أي: أوَّلَ ما رَأوها.

قولُهُ: (عَنهَا) أو طَرِيقَها.

قولُهُ: (لـمَّا عَلِمُوهَا) بعدَ التَّأمُّلِ فيها.

قولُهُ: (خَيرُهُم) أي: أوسَطُهُم رَأياً، وقيلَ: سِنّاً.

قولُهُ: (تَائِبِينَ) أي: لولا تَذكُرُونَهُ وتَتوبونَ إليه من خُبثِ نيَّتِكُم، وقَد قالها حَيثما عَزَموا على ذلك.

قولُهُ: (للتَّنبِيهِ) والظَّاهِرُ أنَّه: للنِّداءِ.

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٦).

ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿خَيرًا مِنها. إنّا إِلَى رَبِّنا راغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا ويردّ علينا خيرًا من جنّتنا. رُوي أنهم أُبدِلوا خيرًا منها. ٣٣ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلُ العذابِ لهؤلاء ﴿العَذابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كُفّار مكّة وغيرهم. ﴿ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا.

ونزل لمّا قالوا: «إن بُعثنا [فإنّا] نُعطَى أفضلَ منكم»: ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿إنَّ لِلمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِم جَنّاتِ النَّعِيمِ. أفنَجعَلُ المُسلِمِينَ كالمُجرِمِينَ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء؟ ٣٦ ـ ﴿مالَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ ٣٧ ـ ﴿أم﴾ أي: بل أ ﴿لَكُم كِتابٌ﴾ مُنزَل، ﴿فِيهِ تَدرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون: ٣٨ ـ ﴿إنَّ لَكُم فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون؟ ٣٩ ـ ﴿أم لَكُم أيمانٌ﴾: عُهود ﴿عَلَينا بالِغةٌ﴾: وثيقة ﴿إلَى يَومِ القِيامةِ﴾: مُتعلّق معنًى بـ «علينا». وفي هذا الكلام معنى القَسَم، أي: أأقسَمنا لكم؟ وجوابه: ﴿إنَّ لَكُم لَما تَحكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

٤٠ ـ ﴿سَلْهُم: أيُّهُم بِذلِكَ﴾ الحُكمِ الذي يحكمون به لأنفسهم من أنهم يُعطَون في الآخرة أفضلَ من المُؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل لهم؟ ٤١ ـ ﴿أم لَهُم شُرَكاءُ﴾ مُوافقون لهم في هذا المَقول،..........

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) نافِعٌ وبَصريٌّ[1].

قولُهُ: (لمَنْ خَالَفَ) أي: في الدُّنيا.

قولُهُ: (نُعطَى أَفضَلَ) كما نحنُ عليه في الدُّنيا.

قولُهُ: (أي: تَابِعِينَ) الظَّاهِرُ مُساوينَ لهم ﴿لا يَستَوِي أصحابُ النَّارِ وأَصحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابُ الجَنَّةِ هُم الفَائِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

قولُهُ: (هَذَا الحُكمَ) التِفاتٌ فيه تعَجُّبٌ من حُكمِهِم واستِبعادٌ له.

قولُهُ: (بَل) لا بُدَّ من الهَمزَة.

قولُهُ: (تَختَارُونَ) استِئنافُ بَيانٍ.

قولُهُ: (عُهُودٌ) مُؤَكَّدَةٌ بالأيمانِ.

قولُهُ: (وَاثِقَةٌ) مُتَناهيَةٌ في التَّوكيدِ.

قولُهُ: (بِـ ﴿عَلَينَا﴾) أي: ثابِتَةٌ علينا.

قولُهُ: (كَفِيلٌ لَهُم) قائِمٌ يدَّعيهِ ويُصَحِّحُه.

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٤٣).

يكفُلون لهم به؟ فإن كان كذلك ﴿فليأتوا بِشُرَكائِهِم﴾ الكافلين لهم به، ﴿إن كانُوا صادِقِينَ﴾.

٤٢ ـ اذكرْ ﴿يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ﴾ ـ عِبارةٌ عن شِدّة الأمر يوم القِيامة للحِساب والجزاء. يقال: كَشفَتِ الحربُ عن ساق، إذا اشتدّ الأمر فيها ـ ﴿ويُدعَونَ إلَى السُّجُودِ﴾ امتحانًا لإيمانهم ﴿فلا يَستَطِيعُونَ﴾، تصير ظهورهم طبقًا واحدًا، ٤٣ ـ ﴿خاشِعةً﴾: حالٌ من ضمير «يُدعون» أي: ذليلةً ﴿أبصارُهُم﴾ لا يرفعونها، ﴿ترهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلّةٌ، وقَد كانُوا يُدعَونَ﴾ في الدنيا ﴿إلَى السُّجُودِ، وهُم سالِمُونَ﴾، فلا يأتون به بألاّ يُصلّوا.

٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿فذَرْنِي﴾: دَعْني ﴿ومَن يُكَذِّبُ بِهذا الحَدِيثِ﴾: القُرآنِ. ﴿سَنَستَدرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً، ﴿مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ، وأُملِي لَهُم﴾: أُمهِلُهم. ﴿إنَّ كَيدِي مَتِينٌ﴾: شديد لا يُطاق. ٤٦ ـ ﴿أم﴾: بل أ﴿تَسأَلُهُم﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أجرًا، فهُم مِن مَغرَمٍ﴾: ممّا يُعطونَكَهُ ﴿مُثقَلُونَ﴾، فلا يُؤمنون لذلك؟ ٤٧ ـ ﴿أم عِندَهُمُ الغَيبُ﴾ أي: اللوح الذي فيه الغيب، ﴿فهُم يَكتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟

قولُهُ: (الكَافِلِينَ) إذ لا أقَلَّ من التَّقليدِ.

قولُهُ: (للحِسَابِ) أي: يومَ يشتَدُّ الأمرُ، وكَشفُ السَّاقِ مَثَلٌ في ذلك، وأصلُهُ: تَشمِير المخَدَّراتِ عن سُوقِهِنَّ في الهرب، أو يومَ يُكشَفُ عن أصلِ الأمرِ وحَقيقَتِهِ بحيثُ يصيرُ عِياناً، مُستَعارٌ من ساقِ الشَّجرِ وساقِ الإنسانِ، وتَنكيرُهُ للتَّهويلِ أو التَّعظِيمِ.

قولُهُ: (تَغشَاهُم) وتَلحَقُهُم.

وقولُهُ تَعالَى: (﴿وَهُم سَالِمُونَ﴾) أي: وهم مُتَمكِّنونَ منهُ.

قولُهُ: (دَعنِي) أي: كِلْهُ إليَّ فإنِّي أكفيكَهُ (فَلا يَأتُونَ به).

قولُهُ: (نَأخُذُهُم) أي: سَنُدنيهِم من العَذابِ درَجَةً درَجَةً بالإمهالِ وإدامَةِ الصِّحَّةِ وازديادِ النِّعمَةِ، وجَمعِ الضَّميرِ لمعنى: ﴿من﴾.

قولُهُ: (لا يُطَاقُ) ولا يُدفَعُ بشَيءٍ.

قولُهُ: (أي: اللَّوحُ) أو المغَيَّباتُ.

٤٨ ـ ﴿فاصبِرْ لِحُكمِ ربِّكَ﴾ فيهم بما يشاء، ﴿ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة ـ وهو يُونسُ عليه السلام ـ ﴿إذ نادَى﴾: دعا ربّه ﴿وهُوَ مَكظُومٌ﴾: مملوء غمًّا في بطن الحوت، ٤٩ ـ ﴿لَولا أن تَدارَكَهُ﴾: أدركه ﴿نِعْمةٌ﴾: رحمة ﴿مِن رَبِّهِ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالعَراءِ﴾: بالأرض الفضاء ﴿وهُوَ مَذمُومٌ﴾. لكنه رُحِم فنُبذ غير مذموم، ٥٠ ـ ﴿فاجتَباهُ رَبُّهُ﴾ بالنبوّة، ﴿فجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾: الأنبياء.

٥١ ـ ﴿وإن يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ﴾ ـ بضمّ الياء وفتحها ـ ﴿بِأبصارِهِم﴾ أي: ينظرون إليك نظرًا شديدًا، يكاد يصرعُك ويُسقِطك عن مكانك ﴿لَمّا سَمِعُوا الذِّكرَ﴾: القُرآنَ، ﴿ويَقُولُونَ﴾ حسدًا: ﴿إنَّهُ لَمَجنُونٌ﴾ بسبب القُرآن الذي جاء به. ٥٢ ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إلّا ذِكرٌ﴾: موعظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجِنّ، لا يَحدث بسببه جُنون.

قولُهُ: (بمَا يشَاءَ) وهو إمهالُهُم وتَأخيرُ نُصرَتِكَ عليهِم.

قولُهُ: (وهوَ يُونُسُ) فَتَبتَلى ببلائِهِ.

قولُهُ: (رَحمَةٌ) يعني: تَوفيقَ التَّوبَةِ وقَبولَها.

قولُهُ: (غَيرَ مَذمُومٍ) يعني: الجُملَةُ حالٌ يَعتَمدُ عليها الجَوابُ؛ لأنَّها المنفيَّةُ دُونَ النَّبذ.

قولُهُ: (بالنُّبُوَّةِ) بأن رَدَّ إليه الوَحيَ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) نافِعٌ[1].

قولُهُ: (حَسَداً) أو حيرَةً في أمرِهِ وتَنفيراً عنه.

قولُهُ: (جُنُونٌ) بل يرتَفِعُ به، من الجُنونِ فُنونٌ، واللهُ أَعلَم.

* * *

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

سورة «نٓ»

هي من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت ـ على ما رُوي عن ابن عباس ـ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ثم هذه، ثم «المزمل»، ثم «المدثر». وفي «البحر» أنها مكية بلا خلافٍ فيها بين أهل التأويل(١). وفي «الإتقان»(٢): استُثني منها: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ﴾ إلى ﴿يَعۡلَمُونَ ۝٣٣﴾ [١٧-٣٣]، ومن: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ إلى ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠﴾ [٤٨-٥٠] فإنه مدنيٌّ. حكاه السَّخاويُّ في «جَمال القرَّاء»(٣).

وآيُها ثنتان وخمسون آيةً بالإجماع.

ومناسبتُها لسورة «الملك» ـ على ما قيل ـ من جهة خَتْم تلك بالوعيد، وافتتاح هذه به. وقال الجلال السُّيوطيُّ في ذلك: إنه تعالى لمَّا ذكر في آخر «الملك» التهديدَ بتغويرِ الماء، استظهر عليه في هذه بإذهاب ثمر أصحاب البستان في ليلةٍ بطائفٍ طافَ عليهم وهم نائمون، فأصبحوا ولم يجدوا له أثراً، حتى ظنُّوا أنهم ضلُّوا الطريق، وإذا كان هذا في الثمار، وهي أجرامٌ كثيفةٌ، فالماءُ الذي هو لطيفٌ أقربُ إلى الإذهاب، ولهذا قال سبحانه هنا: ﴿وَهُمۡ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [١٩-٢٠] وقال جلَّ وعلا هناك: ﴿إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ [٣٠] إشارةً إلى أنه يسري عليه في ليلةٍ كما أُسري على الثمر في ليلة(٤). انتهى. ولا يخلو عن حُسْن.

وقال أبو حيان فيه: إنه ذكر فيما قبلُ أشياء من أحوال السُّعداء والأشقياء، وذكر قدرتَه الباهرةَ وعلمَه تعالى الواسعَ، وأنه عزَّ وجلَّ لو شاء لخَسَفَ بهم

---

(١) البحر ٨/٣٠٧، وانتفاء الخلاف نقله أبو حيان عن ابن عطية.

(٢) ١/٥١.

(٣) ١/١٤٥.

(٤) تناسق الدرر في تناسب السور ص٨٧.

الأرض، أو لأرسل عليهم حاصباً، وكان ما أخبر به سبحانه هو ما أوحى به إلى رسوله ﷺ، فتلاه عليه الصلاةُ والسلام، وكان الكفَّارُ ينسبونه في ذلك مرَّة إلى الشِّعر، ومرَّة إلى السِّحر، ومرَّة إلى الجنون، فبدأ جلَّ شأنُه هذه السورةَ الكريمةَ ببراءته ﷺ مما كانوا ينسبونه إليه من الجنون، وتعظيم أجرِهِ على صبرِه على أذاهم، وبالثناء على خُلُقه[١]، فقال عزَّ من قائل:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ﴾ بالسكون على الوقف، وقرأ الأكثرون بسكونِ النُّون وإدغامِها في واوِ ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ بغنَّةٍ عند بعضٍ، وبدونها عند آخرين[٢]. وقُرئ بكسر النون، وقرأ ابنُ عباس، وابنُ أبي إسحاق، وعيسى بخلافٍ عنه بفتحها[٣]؛ وكلٌّ لالتقاء الساكنين. وجُوِّز أن يكون الفتحُ بإضمار حرفِ القَسَم في موضع الجرِّ، كقولهم: اللهِ لأفعلنَّ، بالجرِّ، وأن يكون ذلك نصباً بإضمار: اذكر ونحوه، لا فتحاً، وامتناعُ الصَّرف للتعريف والتأنيث على أنه عَلَم للسورة، ثم إن جُعل اسماً للحرف مسروداً على نمط التعديد للتحدِّي، على ما اشتهر وبُيِّنَ في موضعه، أو اسماً للسورة منصوباً على الوجه المذكور، أو مرفوعاً على أنه خبرُ مبتدأ محذوفٌ، فالواو في قوله تعالى: «والقلم» للقَسَم، وإن جُعل مُقْسَماً به فهي للعطف عليه على الشائع.

واختار السَّلفُ أن «ن» من المتشابه، وغيرُ واحد من الخَلَف أنه هنا من أسماء الحروف، وقالوا: يؤيِّدُ ذلك أنه لو كان اسمَ جنسٍ أو علماً لأُعرِب منوَّناً أو ممنوعاً من الصرف، ولكُتب كما يُتلفَّظ به، وكونُ كتابته كما ترى لنيَّةِ الوقف

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٠٧.

(٢) انظر تفصيل ذلك في التيسير ص١٨٣، والنشر ٢/ ١٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٧.

(٣) كذا نسب المصنف القراءة، غير أن ما وقفت عليه في المصادر أن قراءة ابن عباس وابن أبي إسحاق بكسر النون لا بفتحها. ونسبت قراءة الفتح لسعيد بن جبير وعيسى بن عمر بخلاف عنه. انظر القراءات الشاذة ص١٥٩، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٣٥، والبحر المحيط ٨/ ٣٠٧.

وإجراءِ الوصل مجراه خلافُ الأصل، وكونُ خطِّ المصحف لا يُقاسُ مسلَّم، إلا أنَّ الأصلَ إجراؤه على القياس ما أمكن.

وقيل: هو اسمٌ لحوتٍ عليه الأرضُ، يقال له: اليَهْموت بفتح الياء المثنَّاة التحتية وسكون الهاء، ففي حديثٍ رواه الضياء في «المختارة»، والحاكم وصحَّحه، وجمعٌ عن ابن عباس: خلق الله تعالى النُّونَ، فبُسِطت الأرضُ عليه، فاضطربَ النونُ، فمادَت الأرضُ، فأُثبتت بالجبال، ثم قرأ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ إلخ(١). ورُوي ذلك عن مجاهد.

ورُوي عن ابن عباس أيضاً، والحسن، وقتادة، والضحَّاك أنه اسمٌ للدَّواة. وأنكر الزمخشريُّ(٢) وُرُودَ النُّون بمعنى الدواة في اللغة، أو في الاستعمالِ المُعتدِّ به. وقال ابنُ عطية: يحتمل أن يكون لغةً لبعض العرب، أو لفظةً أعجميةً عربية، وأنشد قولَ الشاعر:

إذا ما الشوقُ برَّح بي إليهم أَلَقْتُ النون بالدمع السجوم(٣)

والأوَّلون منهم مَن فسَّر «القلم» بالذي خَطَّ في اللوح المحفوظ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ومنهم من فسَّره بقلم الملائكة الكرام الكاتبين. و«أل» فيه على التفسيرين للعهد، والآخِرون منهم من فسَّره بالجنس، على أن التعريف فيه جنسيٌّ، ومنهم ـ وهم قليل ـ مَنْ فسَّره بما تقدَّم أيضاً، لكن الظاهر من كلامهم أن الدَّواة ليست عبارةً عن الدواة المعروفة، بل هي دواةٌ خُلقت يومَ خُلق ذلك القلمُ.

وعن معاوية بن قُرَّة يرفعُه: «إنَّ «ن» لوحٌ من نور، و«القلم» قلمٌ من نور يجري بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»(٤). وعن جعفر الصادق أنه نهرٌ من أنهار الجنة.

---

(١) المختارة ١٠/ ١٨، والمستدرك ٢/ ٤٩٨، وأخرجه أيضاً ابن جرير في التفسير ٢٣/ ١٤١.
(٢) في الكشاف ٤/ ١٤٠-١٤١.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٥، والبيت أورده أيضاً الرازي في تفسيره ٣٠/ ٧٧، وأبو حيان في البحر ٨/ ٣٠٧.
(٤) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٤٤، قال ابن كثير بعد أن أورده: وهذا مرسل غريب.

وفي «البحر»: لعلَّه لا يصحُّ شيء من ذلك[١]، أي: من جميع ما ذُكر في «ن»، ما عدا كونه اسماً من أسماء الحروف، وكأنه إن كان مطَّلعاً على الروايات التي ذكرناها لم يعتبر تصحيحَ الحاكم فيما رُوي أولاً عن ابن عباس، ولا كونَ أحدِ رواته الضياءُ في «المختارة» التي هي في الاعتبار قريبةٌ من الصِّحاح، ولا كثرةَ راويه عنه، وهو الذي يغلب على الظنِّ؛ لكثرة الاختلاف فيما رُوي عنه في تعيين المراد به، حتى إنه رُوي عنه أنه آخرُ حرفٍ من حروف «الرحمن»، وأن هذا الاسمَ الجليل فُرِّق في «آلر» و«حم» و«ن».

ولا يخفى أنه إن أُريد الحوتُ أو نهرٌ في الجنة يصيرُ الكلام من باب: كُمُّ الخليفةِ وألفُ باذنجانة[٢]، وأما إن أُريد الدواةُ فالتنكيرُ آبٍ عن ذلك أشدَّ الإباء، على أنه ـ كما سمعتَ عن الزمخشريِّ ـ لغةٌ لم تثبت، والردُّ عليه إنما يتأتَّى بإثبات ذلك عن الثقات، وأنَّى به! وذِكْر صاحبِ «القاموس»[٣] لا ينتهض حجَّةً على أنه معنًى لغويٌّ، وفي صحَّة الروايات كلامٌ، والبيتُ الذي أنشده ابنُ عطيةَ لم يثبت عربيّاً. وكونُه بمعنى الحوت أُطلق على الدّواة مجازاً بعلاقة المشابهة؛ فإنَّ بعض الحيتان يُستخرج منه شيءٌ أشدُّ سواداً من النِّقْس[٤] يُكتب به = لا يخفى ما فيه من السَّماجة؛ فإنَّ ذلك البعضَ لم يشتهر حتى يصحَّ جعلُه مشبَّهاً به، مع أنه لا دلالةَ للمنكِر على ذلك الصِّنف بعينه، وكونُه بمعنى الحرف مجازاً عنها أدهى وأمرُّ. كذا قيل، وللبحث في البعض مجال.

وللقُصَّاص في هذا الفصل روايات لا يعوَّل عليها، ولا ينبغي الإصغاء إليها.

ثم إن استحقاقَ «القلم» للإعظام بالإقسام به إذا أُريد به قلمُ اللوح الذي جاء في الأخبار أنه أولُ شيء خلقَه الله تعالى أو قلمُ الكرام الكاتبين ظاهرٌ،

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٠٧.
(٢) لعله يريد ـ والله أعلم ـ أنه لا يكون حينئذ بين المعطوف والمعطوف عليه جهة جامعة، كما أنه ليس هنالك شيء مشترك بين كمِّ الخليفة وألف باذنجانة.
(٣) مادة (نون).
(٤) النقس: المِداد. القاموس: (نقس).

وأما استحقاقُ ما في أيدي الناس ـ إذا أُريد به الجنسُ ـ لذلك، فلكثرةِ منافعه، ولو لم يكن له مزيةٌ سوى كونه آلةً لتحرير كُتُب الله عزَّ وجل لكفى به فضلاً موجباً لتعظيمه.

والضميرُ في قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ أي: يكتبون، إما لـ «القلم» مُراداً به قلمُ اللوح، وعبَّر عنه بضمير الجمعِ تعظيماً له، أو له مُراداً به جنسُ ما به الخطُّ، فضميرُ الجمع لتعدُّدِهِ، لكنه ليس بكاتبٍ حقيقة، بل هو آلةٌ للكاتب، فالإسنادُ إليه إسنادٌ إلى الآلةِ مجازاً، والتعبيرُ عنه بضمير العقلاء لقيامِهِ مقامَهم، وجعلِهِ فاعلاً.

أو للكَتَبة أو الحَفَظة المفهومين من «القلم»، أو لهم باعتبار أنه أُريد بـ «القلم» أصحابه تجوُّزاً، أو بتقدير مضافٍ معه، ولا يخفى ما هو الأوجهُ من ذلك.

وأما كونُه لـ «ما» وهي بمعنى «مَن» فتكلُّفٌ بارد، والظاهرُ فيها أنها إمَّا موصولةٌ، أي: والذي يسطُرونه، أو مصدريةٌ، أي: وسَطْرِهم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ جوابُ القَسَم، والباءُ الثانية مزيدةٌ لتأكيد النفي، و«مجنون» خبرُ «ما»، والباءُ الأولى للمُلابسة، والجارُّ والمجرورُ في موضع الحال من الضمير في الخبر، والعاملُ فيها معنى النفي، والمعنى: انتفى عنكَ الجنونُ في حال كونك مُلتبساً بنعمة ربِّك، أي: منعماً عليك بما أنعم من حَصَافة الرأي، والنبوَّةِ، والشَّهامةِ، واختاره ناصرُ الدِّين[1].

وقريبٌ منه جعلُ الباء للسببية، والجارَّ والمجرور متعلِّقاً بالنفي كالظرف اللغوِ، كأنه قيل: انتفى عنك الجنونُ بسبب نعمةِ ربِّك عليك.

وجُوِّز أن تكون الباءُ للملابسة في موضع الحال، والعاملُ «مجنون»، وباؤه لا تمنعُ العمل؛ لأنها مزيدةٌ.

وتعقَّبه ناصرُ الدِّين[2] بأن فيه نظراً من حيث المعنى، ووُجِّه بأنَّ محصِّلَه على هذا التقدير أنه انتفى عنك الجنونُ وقتَ التباسك بنعمة ربِّك، ولا يُفهم منه انتفاءُ

---

(١) تفسير البيضاوي على هامش حاشية الشهاب ٨/ ٢٢٧.

(٢) تفسير البيضاوي ٨/ ٢٢٧.

مطلقِ الجنون عنه ﷺ، وهل المرادُ إلا هذا؟! وقيل عليه: لا يخفى أنه واردٌ على ما اختاره هو أيضاً، أي: وذلك لأنَّ المعنى حينئذٍ: انتفى عنك ملتبساً بنعمةِ ربِّك الجنونُ، ولا يُفهم منه انتفاؤه عنه عليه الصلاة والسلام في جميع الأوقات، وهو المرادُ.

وأُجيب بأن تلك الحالة لازمةٌ له ﷺ، غيرُ منفكَّةٍ عنه، فنفيُه عنه فيها مستلزمٌ لنفيه عنه دائماً، وسائر الحالات.

وتُعقِّب بأن هذا متأتٍّ على كلا التقديرين، لا اختصاصَ له بأحدهما دون الآخر.

وأنت خبيرٌ بأنه فُرِّقَ بينهما؛ إذ يصيرُ المعنى على تقدير كونِ العاملِ «مجنون» كما أُشير إليه: إنه انتفى عنك الجنونُ الواقعُ عليك حالةَ الالتباس المذكور، وهذا يدلُّ على إمكانِ وقوعه في تلك الحالة، بل على تحقُّقه أيضاً، وهو معنًى لاغٍ إذ كيف يُتصوَّر وجودُ الجنون ووقوعُه وقتَ التباسِهِ ﷺ بالنِّعمة، ومن جملتها الحَصَافة.

ولا يَرِدُ هذا على التقديرِ المختارِ؛ إذ الانتفاءُ المفهومُ حينئذٍ لا يكونُ وارداً على الجنون المقيَّد بما ذُكر، وهو وإنْ كان مقيَّداً فيه أيضاً لا ضيرَ به؛ لكون قيدِهِ لازماً لذات المنفيِّ عنه كما عرفت.

هذا، وقيل: إذا حُمِل الباءُ على السببية واعتُبِرَ الظرفُ لغواً، يظهر عدمُ جواز تعلُّقه بما بعدَه من حيث المعنى:

ظهورَ نارِ القِرَى ليلاً على علمِ[1]

ولهم في الجملةِ الحاليَّةِ والحال إذا وقعت بعد النفي كلامٌ ذكرَهُ الخفاجيُّ، وحقَّقَ أنه حينئذٍ إنما يلزمُ انتفاءُ مقارنةِ الحال لذي الحال، لا نفيُها نفسَها[2]. فتدبَّر ولا تغفل.

---

(١) قوله: ظهور نار... عجز بيت من بردة البوصيري، وصدره كما في القصائد البصيرية:
دعني ووصفيَ آيات له ظهرت

(٢) حاشية الشهاب ٨/ ٢٢٧.

وجُوِّز كون «بنعمة ربك» قَسَماً متوسِّطاً في الكلام لتأكيده، من غيرِ تقدير جواب، أو يُقدَّر له جوابٌ يدلُّ عليه الكلامُ المذكور، واستظهرَ هذا الوجهَ أبو حيان[1].

والتعرُّضُ لوصفِ الربوبية المنبئةِ عن التبليغ إلى معارجِ الكمال، مع الإضافة إلى ضميرِهِ عليه الصلاةُ والسلام، لتشريفه ﷺ، والإيذانِ بأنه تعالى يُتمُّ نعمتَه عليه، ويبلغه في العلوِّ إلى غايةٍ لا غايةَ وراءها، والمرادُ تنزيهُهُ ﷺ عمَّا كانوا ينسبونه إليه ﷺ من الجنون، حَسَداً وعداوةً ومكابرةً، فحاصلُ الكلام: أنتَ منزَّهٌ عمَّا يقولون.

﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ بمقابلةِ مُقاساتك ألوانَ الشدائدِ من جهتهم، وتحمُّلك أعباءَ الرسالة ﴿لَأَجْرًا﴾ لَثواباً عظيماً لا يُقادَرُ قدرُه. ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٣﴾ أي: مقطوعٍ مع عِظَمِه، أو غيرَ ممنونٍ عليك من جهة الناس؛ فإنه عطاؤه تعالى بلا واسطة، أو من جهته تعالى؛ لأنك حبيبُ الله تعالى، وهو عزَّ وجلَّ أكرمُ الأكرمين، ومن شِيْمة الأكارم أن لا يمنُّوا بإنعامهم، لاسيَّما إذا كان على أحبابهم، كما قال:

سأشكرُ عَمراً إن تراخت مَنيَّتي أياديَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلَّتِ[2]

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ لا يدرِكُ شأوَه أحدٌ من الخَلْق، ولذلك تحتمِلُ من جهتهم ما لا يحتمِلُه أمثالُك من أُولي العزم.

وفي حديث مسلم، وأبي داود، والإمام أحمد، والدارميِّ، وابن ماجه، والنسائيِّ، عن سَعْد بن هشام قال: قلتُ لعائشة ﵂: يا أمَّ المؤمنين، أنبئيني عن خُلُق رسول الله ﷺ، قالت: ألستَ تقرأُ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإنَّ خُلُقَ نبيِّ الله كان القرآن[3]. وأرادت بذلك ـ على ما قيل ـ أن ما فيه من المكارم كلَّه كان

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٠٧.

(٢) البيت في الحماسة البصرية ١/ ١٣٥، وخزانة الأدب ٢/ ٢٦٥ منسوب لعبد الله بن الزَّبِير الأسدي، قال في الحماسة: وتروى لعمرو بن كميل، وانظر كلام الأستاذ عبد السلام هارون في نسبة البيت في تعليقه على رسائل الجاحظ ١/ ٣٨.

(٣) صحيح مسلم (٧٤٦)، وسنن أبي داود (١٣٤٢)، ومسند الإمام أحمد (٢٤٢٦٩)، ومسند الدارمي (١٥١٦)، وسنن ابن ماجه (٢٣٣٣)، والمجتبى للنسائي ٣/ ١٩٩.

فيه ﷺ، وما فيه من الزَّجر عن سَفْساف الأخلاق كان منزجراً به عليه الصلاة والسلام؛ لأنه المقصودُ بالخطاب بالقَصْد الأول ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] وربَّما يرجع إلى هذا قولُها، كما في رواية ابن المنذر وغيرِه عن أبي الدرداء أنه سألَها عن خُلُقه عليه الصلاةُ والسلام، فقالت: كان خلقُه القرآن، يرضى لرضاه، ويَسْخَط لسَخَطه(١).

وقال العارفُ بالله تعالى المُرصفي: أرادت بقولها: كان خلقُه القرآن: تخلُّقَه بأخلاق الله تعالى، لكنها لم تُصرِّح به تأدُّباً منها.

وفي «الكشف» أنه أدمج في هذه الجملة أنه ﷺ متخلِّق بأخلاق الله عزَّ وجل بقوله سبحانه: «عظيم».

وزعم بعضُهم أن في الآية رمزاً إلى أنَّ الأخلاق الحسنةَ مما لا تُجامع الجنونَ، وأنه كلَّما كان الإنسان أحسنَ أخلاقاً كان أبعدَ عن الجنون، ويلزمُ من ذلك أن سوءَ الأخلاق قريبٌ من الجنون.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أي: المجنون؛ كما أخرجه ابنُ جرير عن ابن عباس(٢)، وابنُ المنذر عن ابن جُبير، وعَبْد بنُ حُميد عن مجاهد(٣).

وأُطلق على المجنون لأنه فُتِنَ، أي: مُحِنَ بالجنون، وقيل: لأن العربَ يزعمون أنَّ الجنون من تخييل(٤) الجنِّ، وهم الفتَّان للفُتَّاك منهم، والباءُ مزيدةٌ في المبتدأ، وجوَّز ذلك سيبويه(٥).

---

(١) سلف ٢/ ٣٣٣.

(٢) كذا نقل المصنف عن السيوطي في الدر ٦/ ٢٥١، والذي في تفسير الطبري ٢٣/ ١٥٤ عن ابن عباس هو قوله: بأيكم الجنون. وقال الطبري في توجيهه ٢٣/ ١٥٣: وكأن الذين قالوا هذا القول وجَّهوا «المفتون» إلى معنى الفتنة أو الفُتُون، كما قيل: ليس له معقول ولا معقود رأي، بمعنى: ليس له عقل ولا عقد رأي، فكذلك وضع «المفتون» موضع الفتون. وسيرد القول بأن «المفتون» مصدر بمعنى الجنون قريباً.

(٣) وكذلك أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/ ١٥٣.

(٤) في (م): تخبيل.

(٥) الكتاب ١/ ٦٧-٦٨.

أو: الفتنة، فـ «المفتون» مصدرٌ كالمَعْقول والمَجْلود، أي: الجنون؛ كما أخرجه عَبْد بنُ حُميد عن الحسن وأبي الجوزاء[١]، وهو بناء على أنَّ المصدر يكون على وزن المفعول كما جوَّزه بعضُهم، والباءُ عليه للملابسة.

أو: بأيِّ الفريقين منكم الجنونُ، أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين، أي: في أيِّهما يوجد مَنْ يستحقُّ هذا الاسم، وهو تعريضٌ بأبي جهل والوليد بن المُغيرة وأضرابهما. والباءُ على هذا بمعنى «في»، وقُدِّر: بأيِّ الفريقين منكم؛ دفعاً لما قيل من أنَّ الخطابَ لرسول الله ﷺ وجماعةِ قريش، ولا يصحُّ أن يُقال لجماعةٍ وواحدٍ: في أيِّكم زيدٌ.

وأُيِّد الاعتراضُ بأنَّ قوله تعالى: «فستبصر ويبصرون» خطابٌ له عليه الصلاة والسلام خاصَّة.

وجوابُ التأييد: أنَّ الخطابَ بظاهره خُصَّ برسول الله ﷺ ليجري الكلامُ على نهجِ السَّوابق ولا يتنافر، لكنَّه ليس كالسوابق في الاختصاص حقيقةً؛ لدخول الأمَّة فيه أيضاً، فيصحُّ تقدير: بأيِّ الفريقين. وادَّعى صاحبُ «الكشف» أن هذا أوجهُ الأوجه؛ لإفادته التعريض، وسلامتِهِ عن استعمال النادر، يعني: زيادةَ الباء في المبتدأ، وكون المصدر على زِنَةِ المفعول، وإليه ذهب الفرَّاءُ[٢]، ويُؤيِّده قراءةُ ابن أبي عَبْلة: «في أيكم»[٣].

وأيّاً ما كان فالظاهرُ أن «بأيكم المفتون» معمولٌ لما قبلَه على سبيل التنازع، والمراد: فستعلم ويعلمون ذلك يومَ القيامة، حين يتبيَّنُ الحقُّ من الباطل. ورُوي ذلك عن ابن عباس.

وقيل: «فستبصرُ ويبصرون» في الدنيا بظهور عاقبة الأمر بغَلَبة الإسلام، واستيلائك عليهم بالقتل والنَّهب، وصيرورتِكَ مَهيباً معظَّماً في قلوب العالمين،

(١) كذا ذكر المصنف، والذي في الدر المنثور ٦/ ٢٥١ عن عبد بن حميد أن الحسن قال: المجنون، وأبا الجوزاء قال: الشيطان.

(٢) معاني القرآن ٣/ ١٧٣.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣٠٩.

وكونهم أذلَّةً صاغرين، ويشملُ هذا ما كان يوم بدر. وعن مقاتل: أن ذلك وعيدٌ بعذابِ يوم بدر.

وقال أبو عثمان المازنيُّ: إنَّ الكلام قد تمَّ عند قوله تعالى: «ويبصرون»، ثم استأنَفَ قولَه سبحانه: «بأيكم المفتون» على أنه استفهامٌ يُراد به التَّردادُ بين أمرين معلومٌ نفيُ الحكم عن أحدهما، وتعيُّنُ وجودِهِ للآخر. وهو كما ترى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ استئنافٌ لبيان ما قبلَه، وتأكيدٌ لما تضمَّنه من الوعد والوعيد، أي: هو سبحانه أعلمُ بمَنْ ضلَّ عن سبيله المؤدِّي إلى سعادة الدارين، وهامَ في تيهِ الضلال متوجِّهاً إلى ما يقتضيه من الشقاوة الأبدية، ومَزِيد النَّكال، وهذا هو المجنونُ الذي لا يُفرِّقُ بين النفع والضرِّ، بل يحسِبُ الضرر نفعاً فيُؤْثره، والنفعَ ضرراً فيهجُره، وهو عزَّ وجلَّ أعلمُ بالمهتدين إلى سبيله، الفائزين بكلِّ مطلوبٍ، الناجين عن كلِّ محذورٍ، وهم العقلاءُ المراجيح، فيَجْزي كُلًّا من الفريقين حسبما يستحقُّه من العقاب والثواب.

وفي «الكشاف»[1]: إنَّ ربك هو أعلم بالمجانين على الحقيقة، وهم الذين ضلُّوا عن سبيله، وهو أعلمُ بالعقلاء وهم المهتدون، أو يكونُ وعيداً ووعداً، وأنه سبحانه أعلمُ بجزاء الفريقين.

قال في «الكشف»: هو على الأول تذييلٌ مؤكِّد لِمَا رمز إليه في السابق من أنَّ المفتون: مَن قَرَفَك به، جارٍ على أسلوب المؤكد في عدم التصريح، ولكن على وجه أوضح؛ فإن قوله تعالى: «بأيكم المفتون» لا تعيين فيه بوجهٍ، وهذا بدل: هو أعلمُ بالمجنون وبالعاقل، يدلُّ على أن المجنون بهذا الاعتبار، لا بما توهَّموه، فأثبت لهم صرفَ الضلال في عينِ هذا الزَّعم. وعلى الثاني: هو تذييلٌ أيضاً، ولكن على سبيل التصريح؛ لأنَّ «بمن ضل» أُقيم مقامَ بهم، و«بالمهتدين» أُقيم مقامَ بكم.

ولعلَّ ما اعتبرناه أملأُ بالفائدة، وكأنَّ تقديم الوعيدِ ليتَّصلَ بما أشعر به أولاً،

---

(١) ٤/ ١٤٢.

والتعبير في جانب الضلال بالفعل للإيماء بأنه خلافُ ما تقتضيه الفِطْرة، وزيادة «هو أعلم» لزيادة التقرير، مع الإيذان باختلاف الجزاء.

والفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ لترتيب النهي على ما يُنبئُ عنه ما قبلَه من اهتدائه ﷺ وضلالهم، أو على جميع ما فصّل من أول السورة، وهذا تهييجٌ وإلهابٌ للتصميم على معاصاتهم، أي: دُمْ على ما أنتَ عليه من عدم طاعتهم، وتصلَّبْ في ذلك.

وجُوِّز أن يكون نهياً عن مداهنتهم ومداراتهم بإظهار خلافِ ما في ضميره ﷺ استجلاباً لقلوبهم، لا عن طاعتهم حقيقةً، ويُنبئُ عنه قولُه تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ﴾ لأنه تعليلٌ للنهي، أو للانتهاء، وإنما عبَّر عنها بالطاعة للمبالغة في التنفير، أي: أَحَبُّوا لو تُلاينُهم وتُسامحهم في بعض الأمور ﴿فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾ أي: فهم يدهنون حينئذٍ، أو: فهم الآن يدهنون طمعاً في إدهانك، فالفاءُ للسببية داخلةٌ على جملة مسبَّبة عمَّا قبلها، وقُدِّر المبتدأ لمكان رفع الفعل.

والفرق بين الوجهين: أنَّ المعنى على [الأول][1] أنهم تمنَّوا لو تُدهن، فتترتَّب مداهنتُهم على مداهنتك، ففيه ترتُّبُ إحدى المُداهنتين على الأخرى في الخارج، و«لو» فيه غيرُ مصدرية، وعلى الثاني هي مصدريةٌ، والترتُّبُ ذهنيٌّ على وَدَادتهم وتمنِّيهم.

وجُوِّز أن تكون الفاءُ لعطف «يدهنون» على «تدهن»، على أنه داخلٌ معه في حيِّز «لو» مُتَمَنًّى مثلُه، والمعنى: ودُّوا لو يدهنون عَقِيب إدهانك. وما تقدَّم أبعدُ عن القيل والقال.

وأيَّاما كان فالمعتبَرُ في جانبهم حقيقةُ الإدهان الذي هو إظهارُ المُلاينة، وإضمارُ خلافها، وأما في جانبه عليه الصلاة والسلام فالمعتبرُ بالنسبة إلى وَدَادتهم هو إظهارُ المُلاينة فقط، وأمَّا إضمارُ خلافها فليس في حيِّز الاعتبار، بل هم في غاية الكراهة له، وإنما اعتبارُه بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) قوله: الأول، ساقط من (م).

وفي بعض المصاحف ـ كما قال هارون ـ: «فيدهنوا» بدون نون الرفع[١]. فقيل: هو منصوبٌ في جواب التمنِّي المفهومِ من «ودُّوا»، وقيل: إنه عطفٌ على «تدهن»، بناءً على أن «لو» بمنزلة «أنْ» الناصبة، فلا يكونُ لها جوابٌ، وينسَبِكُ منها وممَّا بعدها مصدرٌ يقع مفعولاً لـ «ودُّوا»، كأنه قيل: ودُّوا أن تُدهن فيدهنوا، ولعلَّ هذا مرادُ من قال: إنه عطفٌ على توهُّم «أنْ».

وجمهورُ النُّحاة على أنَّ «لو» على حقيقتها، وجوابها محذوفٌ، وكذا مفعولُ «ودُّوا»، أي: ودُّوا إدْهانَكَ، لو تُدْهن فيُدهنون لسُرُّوا بذلك.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثيرِ الحلف في الحقِّ والباطل. وكفى بهذا مزجرةً لمن اعتادَ الحلف؛ لأنه جُعل فاتحة المَثالب، وأساسَ الباقي، وهو يدلُّ على عدم استشعار عظمةِ الله عزَّ وجلَّ، وهو أُمُّ كلِّ شرٍّ عقداً وعملاً. وذكر بعضُهم أن كثرةَ الحلف مذمومةٌ ولو في الحقِّ؛ لما فيها من الجُرأة على اسمه جلَّ شأنُه.

وهذا النهيُ للتهييج والإلهاب أيضاً، أي: دُمْ على ما أنتَ عليه من عدم طاعة كلِّ حلَّافٍ ﴿مَّهِينٍ ﴿١٠﴾﴾ حقيرِ الرأي والتدبير. وقال الرُّمَّانيُّ: المهينُ: الوضيعُ؛ لإكثاره من القبيح، من المَهانة وهي القلَّة. وأخرج ابنُ المنذر وعَبْد بنُ حُميد عن قتادة أنه قال: هو المِكْثارُ في الشرِّ[٢]. وأخرج ابنُ جريرٍ وغيرُه عن ابن عباس أنه الكذَّاب[٣].

﴿هَمَّازٍ﴾ عيَّاب طعَّان. قال أبو حيان[٤]: هو من الهَمْز، وأصلُه في اللغة: الضَّرْب طعناً باليد، أو بالعصا ونحوِها، ثم استُعير للذي يَنال بلسانه. قال مُنْذِر بنُ سعيد: وبعينه وإشارته.

﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ نقَّال للحديث من قومٍ إلى قوم على وجهِ الإفساد بينهم؛ فإنَّ

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣٠٩. وهارون: هو ابن موسى الأزدي العتكي، روى عن أبي عمرو بن العلاء، وعنه شعبة، توفي قبل المئتين. طبقات القراء ٢/ ٣٤٨، وتهذيب التهذيب.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٥١-٢٥٢.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٢٥٣، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٥٨.

(٤) البحر المحيط ٨/ ٣٠٥.

النميمَ والنميمةَ مصدران بمعنى السّعاية والإفساد. وقيل: النميمُ جمعُ نميمة، يريدون به الجنس، وأصلُ النميمة: الهمسُ والحركةُ الخفيفة، ومنه: أسكَتَ الله تعالى نامَّتَه، أي: ما ينمُّ عليه من حركته.

﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي: بخيل مُمْسكٍ، مِن منَعَ معروفه عنه: إذا أمسَكَه، فاللامُ للتقوية، و«الخير» ـ على ما قيل ـ المالُ، أو منَّاع الناس الخير: وهو الإسلام، من منعتُ زيداً من الكفر: إذا حملتَه على الكفِّ، فذَكَر الممنوعَ منه، كأنه قيل: منَّاع من الخير، دون الممنوع، وهو الناس، عكس الوجه الأول، والتعميمُ هنالك، وعدمُ ذِكْر الممنوع منه أوقعُ.

﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوزٍ في الظلم حدَّه.

﴿أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ كثيرِ الآثام: وهي الأفعالُ المبطئةُ عن الثواب، والمرادُ بها المعاصي والذنوب.

﴿عُتُلٍّ﴾ قال ابنُ عباس: الشديدُ الفاتكُ، وقال الكلبيُّ: الشديد الخُصومة بالباطل، وقال مَعْمَر وقتادة: الفاحشُ اللئيم، وقيل: هو الذي يَعْتُل الناس، أي: يجرُّهم إلى حبسٍ أو عذاب بعنفٍ وغِلْظة. ويقال: عتَنَه بالنون، كما يقال: عتَلَه باللام، كما قال ابنُ السِّكِّيت. وقرأ الحسن: «عتلٌّ» بالرفع على الذمِّ[١].

﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: المذكور من مَثَالبه وقبائحه، و«بعد» هنا كـ «ثمَّ» الدالَّةِ على التفاوت الرُّتبيِّ، فتدلُّ على أنَّ ما بعدُ أعظمُ في القَباحة.

وفي «الكشف»: أشعر كلامُ الزمخشريِّ أنه متعلِّقٌ بـ «عتل» فلزِمَ تبايُنُه من الصفات السابقة، وتبايُنُ ما بعدَه أيضاً، لأنه في سِلْكه[٢].

﴿زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ دَعِيٍّ، مُلْحَقٍ بقومٍ ليس منهم كما قال ابنُ عباس، والمراد به ولدُ الزِّنى كما جاء بهذا اللفظ عنه رضي الله عنه، وأنشد لحسان:

---

(١) القراءات الشاذة ص١٥٩، والبحر المحيط ٨/ ٣١٠.
(٢) انظر الكشاف ٤/ ١٤٢-١٤٣.

زنيمٌ تداعَتْه الرجالُ زيادةً   كما زِيْدَ في عَرْض الأديمِ الأكارعُ[(١)]

وكذا جاء عن عكرمة، وأنشد:

زنيمٌ ليس يُعرف مَنْ أبوه   بَغِيُّ الأمِّ ذو حَسَبٍ لئيمِ[(٢)]

من الزَّنَمَة بفتحات: وهي ما يتدلَّى من الجلد في حَلْق المعز، والفَلْقةُ من أذنه تُشَقُّ فتُترك معلَّقةً، وإنما كان هذا أشدَّ المَعَايب لأن الغالب أنَّ النطفة إذا خبثت خبث الناشئُ منها، ومن ثَمَّ قال ﷺ: «فَرْخُ الزنى - أي: ولدُه - لا يدخل الجنة»[(٣)]، فهو محمولٌ على الغالب؛ فإنه في الغالب لِخَباثة نطفته يكون خبيثاً لا خيرَ فيه أصلاً، فلا يعمل عملاً يدخل به الجنة. وقال بعض الأجلَّة: هذا خارجٌ مخرَجَ التهديد والتعريض بالزاني، وحُمِلَ على أنه لا يدخل الجنةَ مع السابقين؛ لحديث الدارِميِّ عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «لا يدخل الجنةَ عاقٌّ، ولا ولدُ زَنْيةٍ، ولا منَّانٌ، ولا مدمنُ خمرٍ»[(٤)]؛ فإنه سُلِكَ في قرن العاقِّ والمنَّان ومدمن الخمرِ، ولا ارتيابَ أنهم عند أهل السُّنة ليسوا من زمرةِ مَنْ لا يدخل الجنة أبداً. وقيل: المرادُ أنه لا يدخلُ الجنةَ بعملِ أبويه إذا ماتَ صغيراً، بل يدخُلُها بمحضِ فضلِ الله تعالى ورحمته سبحانه، كأطفال الكفار عند الجمهور.

وروى ابنُ جُبير عن ابن عباس أن الزَّنيم هو الذي يُعرف بالشرِّ كما تُعرف الشاةُ بالزَّنمة. وفي رواية ابن أبي حاتم عنه: هو الرجل يمرُّ على القوم فيقولون: رجل سوْء[(٥)]. والمآلُ واحد. وعنه أيضاً أنه المعروف بالأُبْنَة، ولا يخفى أنَّ المأبون

---

(١) البيت ليس في ديوان حسان، وقد نسبه له المبرد في الكامل ٣/ ١١٤٦، والزمخشري في الكشاف ٤/ ١٢٤. والخبر أخرجه عن ابن عباس الطستيُّ كما في الدر المنثور ٦/ ٢٥٢، والسيوطي في الإتقان ١/ ٣٩٤، وورد البيت فيهما دون نسبة.

(٢) البيت في تفسير الطبري ٢٣/ ١٦٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٥٤.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٢٨٦، وابن الجوزي في الموضوعات (١٤٣٧) وقال: فيه مَن لا يعرف.

(٤) مسند الدارمي (٢١٣٨)، وأخرجه كذلك أحمد (٦٨٩٢)، وإسناده ضعيف، إلا أن له شواهد تصححه دون قوله: «ولا ولد زينة»، وينظر الكلام عليه في حاشية المسند.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣.

معدنُ الشرور، بل مَنْ لم يصل في ذلك الأمر الشنيع إلى تلك المرتبة كذلك في الأغلب، ولا حاجة إلى كثرةِ الاستشهاد في هذا الباب، وفي قول الشاعر الاكتفاءُ، وهو:

ولَكَمْ بذلتُ لك المودَّةَ ناصحاً فغدوتَ تسلُكُ في الطريق الأعوجِ
ولكم رجوتُكَ للجميل وفِعْلِهِ يوماً فناداني النُّهى لا ترْتجِ

وأخرج ابنُ جرير وابن مَرْدويه عنه أنه قال: نزل على النبيِّ ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ إلخ، فلم يُعرف حتى نزل عليه ـ عليه الصلاةُ والسلام ـ: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ فعرفناه، له زَنَمةٌ في عنقه كزَنَمة الشاة[(١)].

واستُشكل هذا بأنَّ الزَّنيم عليه ليس صفةَ ذمٍّ، فضلاً عن كونه أعظمَ فيه من الصفات التي قبل ذلك على ما يُفيده «بعد ذلك»، ولا يكاد يَحسُنُ تعليلُ النهي به.

على أنَّ من المعلوم أنْ ليس المرادُ بالموصوف بهذه الصفات شخصاً بعينه؛ لمكان «كلّ»، ويُحمل ما جاء في الروايات من أنه الوليد بنُ المغيرة المخزوميُّ[(٢)]، وكان دَعِيّاً في قريش، ليس من سِنْخِهم[(٣)]، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة من مولده، أو الحَكَم طريدُ رسولِ الله ﷺ، أو الأخنسُ بنُ شَريق، وكان أصلُه من ثقيف وعِدادُه في زُهْرة، أو الأسود بنُ عبد يغُوث، أو أبو جهل = على بيانِ سبب النزول.

وقيل في ذلك: إن المرادَ ذَمُّه بقبح الخَلْق بعد ذَمِّه بما تقدَّم. وهو كما ترى، فتأمَّل فلعلَّك تظفَرُ بما يُريح البال، ويُزيح الإشكال.

وقوله تعالى ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ بتقدير لام التعليل، متعلِّقٌ بقوله سبحانه: «لا تطع»، أي: لا تطع مَنْ هذه مَثَالبُه؛ لأنْ كان متموّلاً متقوّياً بالبنين.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٥٢، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٦٦.

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه: كان موسراً، له عشرة بنين، وكان يقول: من أسلم منكم منعته رفدي. اهـ منه وعزاه الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٤٢ لابن عباس.

(٣) السِّنْخ: الأصل. القاموس: (سنخ). وجاء في هامش الأصل ما نصه: قال مجاهد: كان له في كلِّ يد إبهام زائدة. اهـ منه.

وقولُه سبحانه: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ استئنافٌ جارٍ مجرى التعليل للنهي، وجُوِّز أن يكون لـ «أَنْ» متعلّقاً بنحو: كذَّبَ، ويدلُّ عليه الجملةُ الشرطية، ويُقدَّر مقدَّماً؛ دفعاً لتوهُّم الحصر؛ كأنه قيل: كذَّب لأَنْ كان.. إلخ، والمرادُ أنه بَطِرَ نعمة الله تعالى، ولم يَعْرِفْ حقَّها، ولم يُجَوِّز تعلُّقُه بـ «قال» المذكور بعدُ؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبلَه، ولعلَّ من يقول باطِّراد التوسُّع في الظرف يُجوِّز ذلك، وكذا من يجعل «إذا» هنا ظرفيةً.

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: يجوز تعلُّقه بـ «عتلٍّ»، وإن كان قد وُصف. وتعقَّبه أبو حيان(١) بأنه قولٌ كوفي، ولا يجوز ذلك عند البصريين.

وقيل: متعلِّق بـ «زنيم»، ويحسُن ذلك إذا فُسِّر بقبيح الأفعال.

وقرأ الحسن، وابنُ أبي إسحاق، وأبو جعفر، وأبو بكر، وحمزة، وابنُ عامر: «أأن كان» على الاستفهام، وحقَّق الهمزتين حمزةُ، وسهَّل الثانية باقيهم على ما في «البحر»(٢). وقال بعضٌ: قرأ أبو بكر وحمزةُ بهمزتين، وابنُ عامر بهمزة ومدَّة. والمعنى: أكذَّب بها لأَنْ كان ذا مال، أو: أتطيعه لأَنْ كان.. إلخ.

وقرأ نافعٌ في رواية اليزيديِّ عنه: «إن كان» بالكسر(٣) على أنَّ شرطَ الغنى في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الأولاد(٤)؛ لأن(٥) النهي في غير ذلك يُعلم بالطريق الأَولى، فيثبُتُ بدلالة النصِّ، والشرط والعلَّة في مثله ممَّا

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣١٠.

(٢) ٨/ ٣١٠، وكذلك حقَّق الهمزتين أبو بكر ويعقوب في رواية روح، وفصل بينهما بألف مع تسهيل الثانية أبو جعفر وهشام (راوية ابن عامر)، وبالتسهيل من غير فصل قرأ رويس وابن ذكوان. ينظر التيسير ص٢١٣، والنشر ١/ ٣٦٧، والبدور الزاهرة ص٣٢٥.

(٣) القراءات الشاذة ص١٥٩، وتفسير البيضاوي مع حاشية الشهاب ٨/ ٢٢٩.

(٤) يعني أن شرط الغنى في النهي عن الطاعة ليس لتقييد النهي به كما أن النهي عن الوأد في قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١] غير مقيد بذلك. حاشية الشهاب ٨/ ٢٢٩، والكلام منه.

(٥) في الأصل و(م): بمعنى، بدل: لأن، والمثبت من حاشية الشهاب.

لا مفهوم له. أو على أنَّ الشرط للمخاطب، وحاصلُ المعنى: لا تطع كلَّ حلافٍ. إلخ شارطاً يَسَارَه[١]؛ لأنَّ إطاعةَ الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه في الطاعة، وفيه تنزيلُ المخاطب منزلةَ مَنْ شَرَطَ ذلك وحقَّقه؛ زيادةً للإلهاب والثبات، وتعريضاً بمن يحسِبُ الغنى مكرمةً.

والظاهر أن الجملة الشرطيةَ بعدُ استئناف، وقيل: هذا مما اجتمع فيه شرطان، وليسا من الشروط المترتِّبة الوقوع، فالمتأخِّرُ لفظاً هو المتقدِّم، والمتقدِّم لفظاً هو شرطٌ في الثاني، فهو كقوله:

فـإن عـثـرتُ بـعـدَهـا إنْ وألَـتْ نـفـسي مِـنْ هـاتـا فـقـولا لا لَـعَـا[٢]

وقرأ الحسن: «أئذا»[٣] على الاستفهام، وهو استفهامُ تقريعٍ وتوبيخٍ على قوله: أساطير الأولين.

﴿سَنَسِمُهُۥ﴾ سنجعل له سِمَةً وعلامةً ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾ أي: على الأنف، وهو من بابِ إطلاق مشفر على شفةٍ غليظة لإنسان؛ كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى، وعبَّر بذلك عن غاية الإذلال؛ لأن السِّمة على الوجه شَيْنٌ، حتى إنه ﷺ نهى عنه في الحيوانات، ولعن فاعلَه[٤]، فكيف على أكرمِ موضعٍ منه وهو الأنف؛ لتقدُّمه.

وقد قيل: الجمال في الأنف، وعليه قولُ بعض الأدباء:

وحسنُ الفتى في الأنف والأنفُ عاطل فكيف إذا ما الخالُ كان له حَلْيا[٥]

وجعلوه مكان العزَّة والحميَّة، واشتقوا منه الأنَفَة، وقالوا: الأنف في الأنف،

---

(١) جاء في هامش الأصل ما نصه: فلا يرد أن الجملة الشرطية لا تقع حالاً. اهـ منه.

(٢) البيت لابن دريد، وهو في مقصورته بشرح ابن هشام اللخمي ص١٦٧. وقوله: وألت: أي: نجت وخلصت، وهاتا بمعنى هذه، ولعاً كلمة تقال عند العثرة، أو يدعى بها للعاثر، ومعناها الانجبار والارتفاع، و: لا لعاً، نفي للدعاء.

(٣) القراءات الشاذة لابن خالويه ص١٥٩-١٦٠، والبحر ٨/ ٣١١.

(٤) سلف ٤/ ٣١٤.

(٥) البحر ٨/ ٣١١.

وحمى أنفَه، وفلانٌ شامخُ العِرْنِين[١]، وقالوا في الذليل: جدع أنفه، ورَغِم أنفُه، ومنه قولُ جرير:

لمَّا وضعتُ على الفرزدق مِيْسَمي وعلى البَعيثِ جَدَعتُ أنفَ الأخطل[٢]

وفي لفظ «الخرطوم» استهانةٌ؛ لأنه لا يُستعمل إلا في الفيل والخنزير، ففي التعبير عن الأنف بهذا الاسم ترشيحٌ لِمَا دلَّ عليه الوَسْمُ على العضو المخصوص من الإذلال، والمرادُ: سنهينُه في الدنيا ونذلُّه غايةَ الإذلال.

وكونُ الوعيد المذكور في الدنيا هو المرويُّ عن قتادة، وذهب إليه جمعٌ، إلا أنهم قالوا: المعنى: سنفعل به في الدنيا من الذمِّ، والمَقْتِ، والاشتهار بالشرِّ، ما يبقى فيه ولا يخفى، فيكونُ ذلك كالوسم على الأنف ثابتاً بيِّناً، كما تقول: سأطوِّقُكَ طوقَ الحمامة، أي: أُثبتُ لك الأمر بيِّناً فيك، وزاد ذلك حُسْناً ذِكْر الخرطوم. انتهى. وبينه وبين ما تقدَّم فرقٌ لا يخفى.

وقال بعضٌ: هو في الآخرة، ومن القائلين بأنَّ هذا وعيدٌ بأمرٍ يكونُ فيها مَنْ قال: هو تعذيبٌ بنار على أنفه في جهنَّم، وحُكي ذلك عن المبرّد. وقال آخرون منهم: يُوسَمُ يوم القيامة على أنفه بِسِمَة يُعرف بها كفرُه وانحطاطُ قدرِه.

وقال أبو العالية ومُقاتل ـ واختاره الفرَّاء[٣] ـ: المراد: يُسوَّد وجهُهُ يوم القيامة قبل دخول النار، وذُكر «الخرطوم» ـ والمرادُ الوجه ـ مجازاً.

ومن القائلين بأنه يكون في الدنيا مَنْ قال: هو وعيدٌ بما أصابَه يومَ بدرٍ؛ فإنه خُطم فيه بالسيف، فبقيت سِمَة على خرطومه، ورُوي هذا عن ابن عباس. والمعروفُ في كتب السِّيَر والأحاديث أنَّ أبا جهلٍ قُتل يوم بدر، والباقين ما عدا

---

(١) العرنين: أول الأنف حيث يكون الشمم، وهو تحت مجتمع الحاجبين. مختار الصحاح: (عرن).

(٢) البيت في ديوان جرير ٢/ ٩٤٠ بشرح ابن حبيب، وروايته: وضغا البعيث. والبعيث: هو خداش بن بشر الشاعر، نشب الهجاء بينه وبين جرير والفرزدق، وسقط البعيث. خزانة الأدب ٢/ ١٨٨ و٢٧٩.

(٣) معاني القرآن ٣/ ١٧٤.

الحَكَم ماتوا قبلَه، فلم يُسَم أحدٌ منهم بذلك الوَسْم، وكذا الحَكَم لم يُعلم أنه وُسِمَ بذلك، وإن كان لم يمت قبل.

وعن النضر بن شُمَيل أن الخرطوم الخمر، وأنشد:

تـظـلُّ يـومَـكَ فـي لـهـوٍ وفـي لـعـبٍ وأنـتَ بـالـلـيـل شَـرَّابُ الـخَـراطـيـم(١)

وأن المعنى: سَنَحُدُّه على شُرْبها. وتُعقِّب بأنه تنفيه الرواية بأنَّ أولئك الكَفَرةَ هَلَكوا قبل تحريم الخمر ما عدا الحَكَم، وهو لم يثبت أنه حُدَّ، على أنهم لم يكونوا ملتزمي الأحكام، والدرايةُ أيضاً؛ لتعقيد اللفظ، وفواتِ فخامة المعنى.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ أي: أصبنا أهلَ مكة ببليَّةٍ، وهي القحطُ، بدعوة رسول الله ﷺ، وقولِه: «اللهمَّ اشدُدْ وطأتَكَ على مُضَر، واجعلها عليهم سنين كسِني يوسف»(٢).

﴿كَمَا بَلَوْنَآ﴾ أي: مثل ما بلونا، فالكافُ في محلٍّ نصبِ صفةِ مصدرٍ مقدَّرٍ، و«ما» مصدريةٌ، وقيل: بمعنى «الذي»، أي: كالبلاء الذي بلوناه ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ المعروفِ خيرُها عندهم، كانت بأرض اليمن بالقرب منهم، قريباً من صنعاء، لرجلٍ كان يؤدِّي حقَّ الله تعالى منها، فمات، فصارت إلى ولده، فمنعوا الناسَ خيرَها، وبخلوا بحقِّ الله تعالى منها، فكان ما ذَكَره الله تعالى، وكانت ـ على ما أخرج ابنُ المنذر وغيرُه عن ابن جُبير ـ بأرضٍ في اليمن يقال لها: ضَرَوان(٣)، بينها وبين صنعاء ستَّةُ أميال.

وأخرج ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس: هم ناسٌ من الحبشة، كانت لأبيهم جنَّةٌ، وكان يُطعم منها المساكين، فمات، فقال بنوه: إنْ كان أبونا لَأحمق حين يُطعم المساكين، فأقسموا على أن لا يُطعموا منها مسكيناً(٤).

---

(١) البيت للأعرج المَعْنيّ كما في البحر ٨/ ٣٠٥، وأورده القرطبي ٢١/ ١٥٩ من غير نسبة.
(٢) سلف ١٨/ ١٠٨.
(٣) في الأصل و(م): صوران، والمثبت من الدر المنثور ٦/ ٢٥٣، وتفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٠٩، وتفسير الطبري ٢٣/ ١٧٥، والخراج ليحيى بن آدم (٤٢٦)، وينظر معجم البلدان ٣/ ٤٥٦، ومعجم ما استعجم ٣/ ٨٥٩.
(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣.

وأخرج عَبْد بنُ حُميد عن قتادة أنه قال: كانت لشيخٍ من بني إسرائيل، وكان يُمسك قوتَ سَنَته ويتصدَّق بالفضل، وكان بنوه ينهونَه عن الصدقة، فلما مات أقسموا على منع المساكين(١).

وفي رواية: أنها كانت لرجلٍ صالحٍ على فَرْسَخَين من صنعاء، وكان يترك للمساكين ما أخطأه المِنْجَل، وما في أسفل الأكداس، وما أخطأه القِطاف من العنب، وما بقي على البِساط تحت النخلة إذا صُرِمت، فكان يجتمعُ لهم شيء كثيرٌ، فلما مات قال بنوه: إنْ فعلنا ما كان يفعلُ أبونا ضاقَ علينا الأمر، ونحن أُولو عِيال، فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها وقتَ الصباح خفيةً عن المساكين، كما قال عزَّ وجل.

﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ معمول لـ «بَلَونا»: ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ ليقطعُنَّ من ثمارها بعد استوائها ﴿مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ داخلين في الصباح. وهذا حكايةٌ لقَسَمهم لا على منطوقهم، وإلا لقيل: لنصرمُنَّها، بنون المتكلِّمين، وكلا الأمرين جائزٌ في مثله.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ قيل: أي: ولا يقولون: إن شاء الله تعالى، وتسميتُه استثناءً مع أنه شرطٌ من حيث إن مؤدَّاه مؤدَّى الاستثناء؛ فإنَّ قولك: لأخرجنَّ إن شاء الله تعالى، و: لا أخرجُ إلا أَنْ يشاء الله تعالى، بمعنى واحدٍ.

وقال الإمام(٢): أصلُ الاستثناء من الثَّني: وهو الكفُّ والردُّ، وفي التقييد بالشرط ردٌّ لانعقاد ذلك اليمين، فإطلاقُه عليه حقيقة.

وقيل: أي: ولا ينثنون عمَّا همُّوا به من منع المساكين.

والظاهر على القولين عطفُه على «أقسموا»، فمقتضى الظاهر: وما استثنَوا، وكأنه إنمَّا عدَلَ عنه إليه استحضاراً للصورة؛ لما فيها من نوع غرابةٍ؛ لأن اللائقَ في الحلف على ما يلزمُ منه تركُ طاعة الاستثناءُ.

وفي «الكشف»: هو حالٌ، أي: غيرَ مستثنين، وفي العُدول إلى المضارع نوعُ تعييرٍ وتنبيهٍ على مكان خطئهم، وفيه رمزٌ إلى ما ذكرنا.

---

(١) الدر ٦/٢٥٣، وأخرجه عبد الرزاق ٢/٣٠٩.
(٢) تفسير الرازي ٣٠/٨٨.

وقيل: المعنى: ولا يستثنون حصَّة المساكين كما كان يُخرِج أبوهم. وعليه هو معطوفٌ على قوله تعالى: «ليصرمُنَّها»، ومُقْسَمٌ عليه، أو على قوله سبحانه: «مصبحين» الحال، وهو معنًى لا غبارَ عليه.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ أي: أحاطَ نازلاً على الجنة ﴿طَآئِفٌ﴾ أي: بلاءٌ محيطٌ، فهو صفةٌ لمحذوفٍ، وقولُ قتادة: «طائف» أي: عذابٌ، بيانٌ لحاصل المعنى، ونحوُه قولُ ابن عباس أي: أمرٌ، وعن الفرَّاء[1] تخصيصُ الطائف بالأمر الذي يأتي بالليل، وكان ذلك ـ على ما قال ابن جُرَيج ـ عُنقاً من نار خرج من وادي جنَّتهم[2].

وقيل: الطائفُ هو جبريل عليه السلام، اقتلَعَها وطاف بها حول البلد، ثم وضعَها قربَ مكة حيث مدينة الطائف اليوم، ولذلك سُمِّيت بالطائف، وليس في أرض الحجاز بلدةٌ فيها الماءُ والشجر والأعناب غيرُها. ولا يصحُّ هذا عندي، كالقول بأن الطائف المدينةَ المذكورةَ كانت بالشام، فنقَلَها الله تعالى إلى الحجاز بدعوةِ إبراهيم عليه السلام، وكذا القول بأنها طافت على الماء في الطّوفان. ولو قيل: كلُّ ذلك على ظاهره حديثُ خُرافة، لا يعدُّ حديثَ خُرافة.

وقرأ النخَعيُّ: «طيف»[3].

﴿مِّن رَّبِّكَ﴾ مبتدئٌ من جهته عزَّ وجلَّ ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ في موضع الحال، والمراد: أتاها ليلاً، كما روي عن قتادة. وقيل: المراد: وهم غافلون غفلةً تامَّة عمَّا جرت به المقاديرُ. والأولُ أظهر من جهة السِّباق واللحاق.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ كالبستان الذي صُرمت ثمارُه بحيث لم يبقَ فيها شيء، ففعيل بمعنى مفعول. وقال ابنُ عباس: كالرَّماد الأسود، وهو بهذا المعنى لغةُ خُزَيمة. وعنه أيضاً: «الصريم» رَمْلةٌ باليمن معروفةٌ لا تنبت شيئاً. وقال مُؤَرِّج:

---

(١) معاني القرآن ٣/ ١٧٥.

(٢) أورد كلام ابن جريج القرطبي في تفسيره ٢١/ ١٦٣، والسيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٥٣، وجاء فيهما: من وادي جهنم. وقوله: عنقاً من نار، أي: قطعة من نار. اللسان: (عنق).

(٣) القراءات الشاذة ص١٦٠، والبحر المحيط ٨/ ٣١٢.

كالرملة انصرَمَتْ من معظم الرَّمل وهي لا تنبت شيئاً ينفع[١].

وقال منذرٌ والفرَّاء وجماعةٌ: «الصريم»: الليل، والمراد: أصبحت محترقةً تُشبه الليلَ في السواد. وقال الثوريُّ: كالصبح من حيث ابيضَّت كالزَّرع المحصود. وقال بعضهم: يُسمَّى كلٌّ من الليل والنهار صريماً؛ لانصرام كلٍّ عن صاحبه، وانقطاعه عنه.

﴿فَتَنَادَوْا﴾ نادى بعضُهم بعضاً ﴿مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ لقَسَمهم السابق: ﴿أَنِ اغْدُوا﴾ أي: أي اخرجوا، على أنَّ «أنْ» تفسيرية، و«اغدوا» بمعنى اخرجوا، أو: بأن اغدوا، على أنَّ «أنْ» مصدرية، وقبلها حرفُ جرٍّ مقدَّر، وهي يجوز أن تُوصَلَ بالأمر على الأصحِّ.

﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: بستانكم ﴿إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قاصدين للصَّرْم وقطعِ الثمار فاغدوا. وقيل: يحتمل أن يكون المراد: إن كنتم أهلَ عزمٍ وإقدام على رأيكم، من قولهم: سيفٌ صارمٌ. وليس بذاك.

وظاهرُ كلام جارِ الله[٢] أنَّ غدا بمعنى بكَّر، يتعدَّى بـ «إلى»، وعُدِّي هاهنا بـ «على»؛ لتضمين الغدوِّ معنى الإقبال، كما في قولهم: يُغدى عليه بالجَفْنة ويُراح، أي: فأَقْبِلوا على حرثكم باكرين.

ويجوز أن يكون من غدا عليه: إذا غار، بأن يكون قد شبّه غدوّهم لقطع الثمار بغدوِّ الجيش على شيء؛ لأن معنى الاستعلاء والاستيلاء موجودٌ فيه، وهو الصَّرْمُ والقَطْع، ويكون هناك استعارة تبعية، وجوِّز أن تعتبر الاستعارةُ تمثيلية، وقال أبو حيان[٣]: الذي في حفظي أن غدا يتعدَّى بـ «على»، كما في قوله:

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ نَشاوَى واجِدِين لما نَشاءُ[٤]

---

(١) أورده عن مؤرج القرطبي ٢١/ ١٦٥، وأبو حيان في البحر المحيط ٨/ ٣١٢، وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري: «الصريم» كل رملة انصرمت من معظم الرمل.

(٢) الكشاف ٤/ ١٤٤.

(٣) البحر المحيط ٨/ ٣١٢.

(٤) البيت لزهير، وهو في ديوانه ص٧٢.
والثبة: الجماعة من الناس، ونشاوى، أي: سكارى. اللسان: (ثوب) و(نشا).

وكذا: بَكَرَ، مرادفُه، كما في قوله:

بَكَرتُ عليهم غُدوةً فرأيتُه قُعوداً لديه بالصَّريم عَواذِلُه[١]

﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي: يتشاورون فيما بينهم بطريقِ المُخافَتَة، وخَفَى بفتح الفاء، وخَفَتَ، وخَفَدَ، ثلاثتُها في معنى الكتم، ومنه الخُفْدُود للخفاش، والخَفُود للناقة التي تُلقي ولدَها قبل أن يستبين خَلْقُه.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ﴾ أي: الجنة ﴿عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ «أن» مفسِّرةٌ لما في التخافت من معنى القول، أو مصدريةٌ، والتقدير: بأنْ، ويؤيِّد الأولَ قراءةُ عبد الله وابن أبي عَبْلة بإسقاطها، وعليه قيل: هو بتقدير القول، وقيل: العامل فيه «يتخافتون»؛ لتضمُّنه معنى القول، وهو المذهب الكوفي فيه وفي أمثاله.

وأيّاً ما كان فالمرادُ بنهي المسكين عن الدخول المبالغةُ في النهي عن تمكينه منه، كقولهم: لا أرينَّك هاهنا.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: منع، كما قال أبو عُبيدة[٢] وغيره، من قولهم: حارَدَت الإبلُ: إذا قلَّت ألبانُها، وحاردت السَّنَة: قلَّ مطرُها وخيرُها.

والجارُّ متعلِّق بقوله تعالى: ﴿قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ قُدِّم للحصر، ورعاية الفواصل، أي: وغدوا قادرين على منعٍ لا غير. والمعنى: أنهم عزموا على منع المساكين، وطلبوا حرمانَهم ونكدهم وهم قادرون على نفعهم، فَغَدَوا بحالٍ لا يقدرون فيها إلا على المنع والحِرْمان، وذلك أنهم طلبوا حرمانَ المساكين، فتعجَّلوا الحرمان.

أو غدوا على محاردة جنَّتهم وذهاب خيرِها بدَل كونهم قادرين على إصابة خيرِها ومنافعها، أي: غدوا حاصلين على حرمان أنفسهم مكانَ كونهم قادرين على الانتفاع. والحصرُ على الأول حقيقيٌّ، وعلى هذا إضافيٌّ بالنسبة إلى انتفاعهم من جنتهم، والحرمانُ عليه خاصٌّ بهم.

وجُوِّز أن يكون «على حرد» متعلِّقاً بـ «غدوا»، والمراد بالحَرد: حَرد الجنة،

---

(١) البيت لزهير كذلك، وهو في ديوانه ص١٤٠، وفيه: بكرت عليه، وكذلك جاء في البحر.

(٢) مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥. وانظر رد ابن جرير عليه في تفسيره ٢٣/ ١٧٩.

جيءَ به مشاكلةً للحَرْث، كأنه لما قالوا: اغدوا على حَرْثكم، وقد خبثت نيَّتهم، عاقَبَهم الله تعالى بأن حارَدَت جنَّتهم، وحُرِموا خيرَها، فلم يغدوا على حرث، وإنما غَدَوا على حَرْد، و«قادرين» من عكس الكلام؛ للتهكُّم، أي: قادرين على ما عزموا عليه من الصِّرام وحرمان المساكين.

وقيل: الحَرْد: الحَرَد بفتح الراء، وقد قُرئ به[1]، وهو بمعنى الغيظ والغضب كما قال أبو نَصْر أحمد بنُ حاتم صاحبُ الأصمعي، وأنشد:

إذا جِيادُ الخيل جاءت تَرْدِي مملوءةً من غضب وحَرْدِ[2]

أي: لم يقدروا إلا على إغضاب بعضهم لبعض كقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوَمُونَ﴾ [القلم: ٣٠]، ورُوي هذا عن سفيان والسُّدي، والحصرُ حقيقيٌّ ادِّعائيٌّ أو إضافي. وقيل: بمعنى القَصْد والسرعة، وأنشد:

أقبَلَ سَيْلٌ جاء من أمر اللَّهْ يَحْرِدُ حَرْدَ الجنَّة المُغِلَّهْ[3]

أي: غَدَوا قاصدين إلى جنَّتهم بسرعة، قادرين عند أنفسهم على صِرامها، ورُوي هذا عن ابن عباس، فـ «على حرد» ظرفٌ مستقرٌّ حال من ضمير «غدوا»، و«قادرين» حالٌ أيضاً، إلا أنها حالٌ مقدَّرة على ما قيل، وقيل: حال حقيقيةٌ بناءً على القيد بعند أنفسهم، وإنما قيِّد به لأن ثمارَ جنتهم هالكةٌ، فلا قدرةَ لهم على صِرامها وقد فنيت.

وقال الأزهريُّ: «حرد»: اسمُ قريتهم[4]. وفي رواية عن السُّديِّ: اسمُ جنَّتهم. ولا أظنُّ ذلك مراداً.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٠.

(٢) نسب لقبيصة بن النصراني في حماسة أبي تمام ص٦٩، وللأعرج المَعْنيّ، في اللسان والتاج (حرد)، وأورده أبو حيان في البحر ٨/ ٣٠٥ من غير نسبة.

(٣) الرجز في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦، والبحر ٨/ ٣٠٥ دون نسبة.
وقال السيوطي في المزهر ١/ ١٨١-١٨٢ بعد أن ذكر نسبته لحنظلة بن مطيح: ويقال: إنه مصنوع، صنعه قطرب بن المستنير.

(٤) أورد الأزهري ٤/ ٤١٤ عدة أقوال في تفسير الآية، ثم قال: وروي في بعض كتب التفسير أن قريتهم كان اسمها: حرد.

وقيل: الحرد: الانفرادُ، يقال: حَرَد عن قومه: إذا تنحَّى عنهم ونزل منفرداً، وكوكبٌ حرود: معتزلٌ عن الكواكب(١).

والمعنى: وغدوا إلى جنَّتهم منفردين عن المساكين، ليس أحدٌ منهم معهم، قادرين على صِرامها. وهو من باب التهكُّم. وقيل: «قادرين» على هذا القول، من التقدير بمعنى التضييق، أي: مضيِّقين على المساكين إذ حَرَموهم ما كان أبوهم يُنيلهم منها، وهو حالٌ مقدَّرة.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أولَ ما وقع نظرُهم عليها ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ طريقَ جنَّتنا، وما هي بها، قاله قتادةُ. وقيل: لضالُّون عن الصواب في غدوِّنا على نيَّة منع المساكين. وليس بذاك.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ قالوه بعدما تأمَّلوا ووقَفُوا على حقيقة الأمر، مُضْرِبين عن قولهم الأول، أي: لسنا ضالِّين، بل نحن محرومون، حُرِمنا خيرَها بجنايتنا على أنفسنا.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أحسنُهم، وأرجَحُهم عقلاً ورأياً، أو أوسطُهم سنّاً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: لولا تذكُرون الله تعالى وتتوبون إليه من خُبْث نيَّتكم، وقد كان قال لهم حين عزَموا على ذلك: اذكروا الله تعالى وتوبوا إليه عن هذه النية الخبيثة من فَوْرِكم، وسارعوا إلى حَسْم شرِّها قبل حلول النِّقمة، فعَصَوه، فعيرَّهم.

ويدلُّ على هذا المعنى قولُه تعالى: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ لأنَّ التسبيح ذِكْرٌ لله تعالى، و«إنا كنَّا» إلخ ندامةٌ واعترافٌ بالذنب، فهو توبةٌ. والظاهر أنهم إنما تكلَّموا بما كان يدعوهم إلى التكلُّم به على أثر مقارَفَة الخطيئة، ولكن بعد خراب البصرة.

وقيل: المرادُ بالتسبيح الاستثناءُ؛ لالتقائهما في معنى التعظيم لله عزَّ وجلَّ؛ لأن الاستثناءَ تفويضٌ إليه سبحانه، والتسبيحُ تنزيهٌ له تعالى، وكلُّ واحدٍ من التفويض والتنزيه تعظيمٌ، فكأنَّه قيل: ألم أقل لكم: لولا تستثنون؟ أي: تقولون:

---

(١) البحر ٨/ ٣٠٥.

إن شاء الله تعالى. وأخرج ابنُ أبي حاتم عن السُّديِّ، وابنُ المنذر عن ابن جُرَيج[١]، وحكاه في «البحر»[٢] عن مجاهد وأبي صالح أنهما قالا: كان استثناؤهم في ذلك الزمان التسبيحَ، كما نقول نحن: إن شاء الله تعالى.

وجعله بعضُ الحنفية استثناءَ اليوم، فعنده لو قال لزوجته: أنت طالقٌ سبحان الله، لا تطلُق، ونُسب إلى الإمام ابن الهُمام، وادُّعي أنه قاله في فتاويه[٣]، ووُجِّه بأنَّ المرادَ بسبحان الله فيما ذُكر: أُنزِّه الله عزَّ وجل من أن يخلق البغيضَ إليه، وهو الطلاقُ، فإنه قد ورد: «أبغضُ الحلال إلى الله تعالى الطلاق»[٤]، وأنكر بعضُ المتأخِّرين نسبته إلى ذلك الإمام المتقدِّم، ونَفَى أن يكون له فتاوى[٥]، واعتَرض التوجيه المذكور بما اعتَرض، وهو لَعمْري أدنى من أن يُعترض عليه.

وأنا أقول: أولى منه قولُ النحّاس في توجيه جعل التسبيح موضعَ الاستثناء: إنَّ المعنى تنزيه الله تعالى أن يكون شيءٌ إلا بمشيئته.

وقد يقال: لعلَّ مَنْ قال ذلك بنى الأمرَ على صحَّة ما رُوي، وأنَّ شَرْعَ مَنْ قبلنا شَرْعٌ لنا إذا قصَّه الله تعالى ورسولُه ﷺ علينا من غير نكير، وهذا على عِلَّاته أحسنُ مما قيل في توجيهه كما لا يخفى.

وقيل: المعنى: لولا تستغفرون. ووجه التجوُّز يُعلم مما تقدَّم.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ۝٣٠﴾ يلومُ بعضُهم بعضاً، فإن منهم - على ما قيل - مَنْ أشار بذلك، ومنهم من استصوبه، ومنهم من سكَتَ راضياً به، ومنهم من أنكره، ولا يأبى ذلك إسنادُ الأفعال فيما سبَقَ إلى جميعهم؛ لما عُلم في غير موضع.

---

(١) كما في الدر ٦/ ٢٥٤.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣١٣.
(٣) الدر المختار شرح تنوير الأبصار ٣/ ٣٧١ مع حاشية ابن عابدين.
(٤) سلف ٣/ ٢٩٣.
(٥) ينظر حاشية ابن عابدين ٣/ ٣٧١.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١﴾ متجاوزين حدودَ الله تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا﴾ أي: يعطينا بدلاً منها ببركة التوبة والاعترافِ بالخطيئة ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾ أي: من تلك الجنَّة ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ لا إلى غيره سبحانه ﴿رَاغِبُونَ ۝٣٢﴾ راجون العفوَ، طالبون الخيرَ، و«إلى» لانتهاء الرغبةِ، أو لتضمُّنها معنى الرجوع.

وعن مجاهد أنهم تابوا، فأُبدلوا خيراً منها. ورُوي أنهم تعاقدوا وقالوا: إن أبدَلَنا الله تعالى خيراً منها لنصنعنَّ كما صنع أبونا، فدعوا الله عزَّ وجل وتضرَّعوا إليه سبحانه، فأبدَلَهم الله تعالى مِنْ ليلتهم ما هو خيرٌ منها.

وقال ابنُ مسعود: بلغني أنَّ القومَ دعوا الله تعالى وأخلصوا، وعلمَ الله تعالى منهم الصِّدقَ، فأَبدَلَهم بها جنةً يقال لها: الحَيَوان، فيها عنبٌ يُحمل على البغل منها عنقودٌ.

وقال أبو خالد اليماني: رأيتُ تلك الجنةَ، وكلُّ عنقودٍ منها كالرجل الأسود القائم.

واستظهر أبو حيَّان(١) أنهم كانوا مؤمنين أصابوا معصيةً وتابوا، وحَكَى عن بعض أنهم كانوا من أهل الكتاب، وعن القُشَيري أن المعظمَ يقولون: إنهم تابوا وأخلصوا. وتوقَّف الحسنُ في إيمانهم، فقال: لا أدري أكان قولهم: «إنا إلى ربنا راغبون» إيماناً، أو على حدِّ ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشِّدةُ؟

وسُئل قتادة عنهم: أَهُم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ فقال للسائل: لقد كلَّفتني تعباً.

وقرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو: «يبدِّلنا» مشدَّداً(٢).

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ جملةٌ من مبتدأ وخبر مقدَّم؛ لإفادة القَصْر، و«أل» للعهد، أي: مِثْلُ ذلك العذابِ الذي بَلَونا به أهلَ مكة من الجَدْب الشديد، وأصحابَ الجنة مما قُصَّ، عذابُ الدنيا.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ٣١٣.

(٢) التيسير ص١٤٥، والنشر ٢/ ٣١٤ وكذلك قرأ بالتشديد أبو جعفر المدني من العشرة.

والكلام؛ قيل: واردٌ تحذيراً لهم، كأنه لمَّا نهاه سبحانه عن طاعة الكفَّار، وخاصَّة رؤساءهم، ذَكَر عزَّ وجلَّ أن تمرُّدَهم لِمَا أُوتوه من المال والبنين، وعقَّب جلَّ وعلا بأنهما إذا لم يُشكَر[١] المنعِمُ عليهما يؤول حالُ صاحبهما إلى حال أصحاب الجنة مدمجاً فيه أنَّ خُبْثَ النية والزَّويَ عن المساكين إذا أفضى بهم إلى ما ذُكر، فمعاندةُ الحقِّ تعالى بعنادِ مَنْ هو على خُلُقه وأشرف الموجودات، وقطعُ رَحِمِه، أَولى بأن يُفضي بأهل مكة إلى البَوار.

وقولُه تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: أعظم وأشدُّ، تحذيرٌ عن العِناد بوجهٍ أبلغ.

وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ نعْيٌ عليهم بالغفلة، أي: لو كانوا من أهل العلم لعلموا أنه أكبرُ، ولأخذوا منه حِذْرَهم.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: من الكفر كما في «البحر»[٢]، أو منه ومن المعاصي كما في «الإرشاد»[٣] ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في الآخرة؛ فإنها مختصَّة به عزَّ وجل؛ إذ لا يتصرَّف فيها غيرُه جلَّ جلالُه، أو في جوار قُدْسه ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ جناتٍ ليس فيها إلا النعيمُ الخالص عن شائبة ما ينغِّصُه من الكُدورات وخوفِ الزوال. وأُخِذَ الحصرُ من الإضافة إلى النعيم؛ لإفادتها التميُّزَ من جنات الدنيا، والتعريض بأنَّ جنات الدنيا الغالبُ عليها النغص:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنتَ تريدُها صَفْواً من الأقذار والأكدار[٤]

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ تقريرٌ لما قبله من فوز المتقين، وردٌّ لما يقولُه الكَفَرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعَدَ الله تعالى: إن صحَّ أنَّا نُبعث كما يزعمُ محمدٌ ومَنْ معه لم يكن حالُنا وحالُهم إلا مثل ما هي في الدنيا، وإلا لم يَزِيدوا علينا، ولم يَفْضُلونا، وأقصى أمرِهم أن يُساوونا.

---

(١) في (م): يشكرا.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣١٥.
(٣) تفسير أبي السعود ٩/ ١٧.
(٤) البيت للتهامي أبي الحسن علي بن محمد، من قصيدة يرثي بها ابنه؛ كما في الوافي بالوفيات ٢٢/ ١٢١، ونسبه ابن مفلح في الفروع ٣/ ٣٩٩ إلى ابن هانئ.

والهمزةُ للإنكار، والفاءُ للعطفِ، والعطفُ على مقدَّر يقتضيه المقال[١]، أي: فيَحِيفُ في الحكم فيجعل[٢] المسلمين كالكافرين؟! ثم قيل لهم بطريق الالتفاتِ لتأكيد الردِّ وتشديده: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦﴾ تعجيباً من حكمهم، واستبعاداً له، وإيذاناً بأنه لا يصدُرُ من عاقل؛ إذ معنى «ما لكم»: أيُّ شيء حصل لكم من خَلَل الفكر وفسادِ الرأي؟!

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ نازلٌ من السماء ﴿فِيهِ﴾ أي: في الكتاب، والجارُّ متعلِّق بقوله تعالى: ﴿تَدْرُسُونَ ٣٧﴾ أي: تقرؤون فيه، والجملةُ صفةُ «كتاب»، وجُوِّز أن يكون «فيه» متعلِّقاً بمتعلّق الخبر، أو هو الصفةُ، والضميرُ للحكم أو الأمر، و«تدرسون» مستأنَفٌ، أو حالٌ من ضمير الخطاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ٣٨﴾ أي: لَلَّذي تختارونه وتشتهونه، يقال: تخيَّر الشيءَ واختاره: أخذ خيرَه، وشاع في أخذ ما يريدُه مطلقاً، مفعول «تدرسون»؛ إذ هو المدروس، فهو واقعٌ موقعَ المفرد، وأصلُه: أنَّ لكم فيه ما تخيَّرون، بفتح همزة «أنَّ» وتركِ اللام في خبرها، فلمَّا جيء باللام كُسرت الهمزةُ، وعُلِّق الفعل عن العمل، ومن هنا قيل: إنه لا بد من تضمين «تدرسون» معنى العلم ليجري فيه العملُ في الجمل والتعليق.

وجُوِّز أن يكون هذا حكايةً للمدروس كما هو عليه، فيكونُ بعينه لفظَ الكتاب من غير تحويلٍ من الفتح للكسر، وضمير «فيه» على الأول للكتاب، وأُعيد للتأكيد، وعلى هذا يعودُ لأمرهم، أو للحكم، فيكونُ محصِّلُ ما خُطَّ في الكتاب أنَّ الحكم أو الأمر مفوَّضٌ لهم، فسقط قولُ صاحب «التقريب»: إن لفظ «فيه» لا يساعدُه؛ للاستغناء بـ«فيه» أولاً، من غير حاجةٍ إلى جعل ضمير «فيه» ليوم القيامة بقرينة المقام، أو للمكان المدلول عليه بقوله تعالى: «عند ربهم». وعلى الاستئناف هو للحكم أيضاً.

---

(١) كذا في الأصل و(م)، وفي تفسير أبي السعود ٨/ ١٧ (والكلام منه): المقام.

(٢) كذا وقعت العبارة في الأصل و(م)، وفي تفسير أبي السعود: أَنَحيف في الحكم فنجعل. . .، وهو الصواب.

وجُوِّز الوقف على «تدرسون»، على أن قوله تعالى: «إن لكم» إلخ استئنافٌ على معنى: إن كان لكم كتابٌ فلكم فيه ما تتخيرَّون، وهو كما ترى.

والظاهرُ أنَّ «أم لكم» إلخ مقابلٌ لما قبله نظراً لحاصل المعنى؛ إذ محصّله: أفَسَد عقلُكم حتى حكمتُم بهذا، أم جاءكم كتابٌ فيه تخييرُكم وتفويضُ الأمر إليكم؟!

وقرأ طلحةُ والضحَّاك: «أنَّ لكم» بفتح الهمزة، واللام في «لَمَا» زائدةٌ، كقراءة من قرأ: «ألا أنهم ليأكلون الطعام» [الفرقان: ٢٠] بفتح همزة «أنهم». وقرأ الأعرجُ: «أئنَّ لكم» بالاستفهام على الاستئناف[١].

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ أي: أقسامٌ، وفُسِّرت بالعهود، وإطلاقُ الأيمان عليها من إطلاق الجزء على الكلِّ، أو اللازمِ على الملزوم.

﴿بَٰلِغَةٌ﴾ أي: أقصى ما يمكنُ، والمراد متناهيةٌ في التوكيد.

وقرأ الحسنُ وزيد بنُ عليٍّ: «بالغةً»[٢] بالنصب على الحال من الضمير المستتر في «علينا»، أو «لكم»، وقال ابنُ عطية: من «أيمان»؛ لتخصيصها بالوصف[٣]. وفيه بُعْد.

﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ متعلِّق بالمقدَّر في «لكم» أي: ثابتةٌ لكم إلى يوم القيامة، لا نخرج عن عهدتها إلا يومئذٍ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون. أو متعلِّق بـ «بالغة»، أي: أيمانٌ تبلُغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرةً لم يبطل منها يمينٌ، فـ «إلى» على الأول لغاية الثبوت المقدَّر في الظرف، فهو كأجَل الدَّين، وعلى الثاني لغاية البلوغ، فهي قيد اليمين، أي: يميناً مؤكَّداً لا ينحلُّ إلى ذلك اليوم، وليس من تأجيل المقسَم عليه في شيء؛ إذ لا مدخَلَ لـ «بالغة» في المقسَم عليه، فتأمل.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، والبحر ٨/ ٣١٥، والدر المصون ١٠/ ٤١٥، وقراءة الأعرج قيدها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٦٠ بالمد، أي: «آئن».

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، والبحر المحيط ٨/ ٣١٥.

(٣) المحرر ٥/ ٣٥٢، وفيه: وهي حال من النكرة ـ يعني قوله: «أيمان» ـ لأنها نكرة مخصصة بقوله: «علينا».

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ جوابُ القسم؛ لأنَّ معنى «أم لكم أيمان علينا»: أم أَقْسَمنا لكم؟ وهو جارٍ على تفسير الأيمان بمعنى العهود؛ لأن العهد كاليمين من غير فرقٍ، فيجاب بما يُجاب به القَسَم.

وقرأ الأعرجُ: «أئنَّ لكم» بالاستفهام أيضاً[١].

﴿سَلْهُمْ﴾ تلوينٌ للخطاب، وتوجيهٌ له إلى رسولِ الله ﷺ بإسقاطهم عن رتبة الخطاب، أي: سَلْهم مبكِّتاً لهم: ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الخارج عن دائرة العقول ﴿زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ قائمٌ يتصدَّى لتصحيحه. والجملةُ الاستفهامية في موضع المعمول الثاني لـ «سل»، والفعلُ عند أبي حيَّان[٢] وجماعةٍ معلَّقٌ عنها؛ لمكان الاستفهام، وكونُ السؤال منزَّلاً منزلةَ العلم لكونه سبباً لحصوله.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ يُشاركونهم في هذا القول، ويذهبون مذهَبَهم ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ في دعواهم؛ إذ لا أقلَّ من التقليد.

وقد نبَّه سبحانه وتعالى في هذه الآيات على نفي جميع ما يمكنُ أن يتعلَّقوا به في تحقيق دعواهم، حيث نبَّه جلَّ شأنُه على نفي الدليل العقليِّ بقوله تعالى: «ما لكم كيف تحكمون» وعلى نفي الدليل النقليِّ بقوله سبحانه: «أم لكم كتاب» إلخ، وعلى نفي أن يكون الله تعالى وعَدَهم بذلك ـ ووعدُ الكريم دَيْنٌ ـ بقوله سبحانه: «أم لكم أيمان علينا» إلخ، وعلى نفي التقليد الذي هو أوهنُ من حبال القَمَر بقوله عزَّ وجل: «أم لهم شركاء».

وقيل: المعنى: أم لهم آلهةٌ عدُّوها شركاء في الألوهية تجعلُهم كالمسلمين في الآخرة.

وقرأ عبدُ الله وابنُ أبي عَبْلة: «فليأتوا بشِرْكهم»[٣]، والمراد به ما أُريد بـ «شركائهم».

---

(١) انظر التعليق على قراءة الأعرج في الآية السابقة.
(٢) البحر المحيط ٨/ ٣١٥.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٣٥١، والبحر ٨/ ٣١٥.

﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ متعلِّقٌ بقوله تعالى: «فليأتوا» على الوجهين، ويجوزُ تعلُّقه بمقدَّر كـ: اذكُر، أو: يكون كيتَ وكيتَ. وقيل: بـ «خاشعة». وقيل: بـ «ترهقهم». وأيّاً ما كان فالمرادُ بذلك اليوم عند الجمهور يومُ القيامة.

والساقُ: ما فوق القدم، وكشفُها والتشميرُ عنها مَثَلٌ في شدَّة الأمر وصعوبةِ الخَطْب، حتى إنه يُستعمل بحيث لا يُتصوَّر ساقٌ بوجهٍ، كما في قول حاتم:

أخو الحرب إن عضَّت به الحربُ عضَّها وإن شمَّرت عن ساقها الحربُ شمَّرا(١)

وقول الراجز:

عجبتُ من نفسي ومن إشفاقها
ومن طواء الخيل عن أرزاقها
في سَنَةٍ قد كشَفَتْ عن ساقها
حمراءَ تَبْري اللحمَ عن عُرَاقها(٢)

وأصلُه: تشميرُ المخدَّرات عن سُوقهنَّ في الهرب؛ فإنَّهن لا يفعلن ذلك إلا إذا عظُمَ الخَطْبُ، واشتدَّ الأمر، فيذهلن عن السَّتر بذيل الصيانة. وإلى نحو هذا ذهب مجاهدٌ، وإبراهيم النخَعيُّ، وعكرمةُ، وجماعة، وقد رُوي أيضاً عن ابن عباس؛ أخرج عَبْد بنُ حُميد، وابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم، والحاكم وصحَّحه، والبيهقيُّ في «الأسماء والصفات» من طريق عكرمة عنه، أنه سُئل عن ذلك، فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر؛ فإنه ديوانُ العرب، أما سمعتُم قولَ الشاعر:

---

(١) البيت في ديوانه ص٤٩، ونسبه صاحب الحماسة البصرية ١/ ٧٨ لزيد الخيل وهو في ديوانه ص٦١، ونسبه صاحب العقد الفريد ٥/ ٢٤٥ لحذيفة بن أنس.

(٢) الرجز لأعرابي كان يطرد الطير عن الزرع في سنة جدب، كما في غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٦٦-٦٧، وورد أيضاً في الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٧١، وأساس البلاغة (سوق)، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥، وجاء في المصادر: ومن طراد الطير، بدل: ومن طواء الخيل. قال ابن قتيبة: العُراق: العظم.

صـــبـــراً عـــنـــاق إنـــه شـــرٌّ بـــاقْ
قـــد ســنَّ لـي قـومُـك ضـربَ الأعـنـاقْ
وقـامـت الـحـربُ بـنـا عـلـى سـاقْ(١)

والرواياتُ عنه رضي الله عنه بهذا المعنى كثيرةٌ.

وقيل: ساقُ الشيء: أصلُه الذي به قوامُه، كساق الشجر، وساق الإنسان، والمراد: يوم يُكشف عن أصل الأمر، فتظهَرُ حقائقُ الأمور وأصولُها بحيث تصيرُ عِياناً، وإليه يُشير كلامُ الربيع بن أنس؛ فقد أخرج عَبْد بنُ حُميد عنه(٢) أنه قال في ذلك: يوم يُكشَفُ الغطاءُ. وكذا ما أخرجه البيهقيُّ عن ابن عباس أيضاً، قال: حين يُكشف الأمرُ وتبدو الأعمال(٣). وفي الساق على هذا المعنى استعارةٌ تصريحيةٌ، وفي الكشف تجوُّزٌ آخر، أو هو ترشيحٌ للاستعارة باقٍ على حقيقته.

وتنكير «ساق»؛ قيل: للتهويل على الأول، وللتعظيم على الثاني، وقيل: لا يُنظر إلى شيء منهما على الأول؛ لأن الكلامَ عليه تمثيلٌ، وهو لا يُنظر فيه للمفردات أصلاً.

وذهب بعضُهم إلى أنَّ المراد بالساق ساقُه سبحانه وتعالى، وأنَّ الآيةَ من المتشابِه، واستدَلَّ على ذلك بما أخرجه البخاريُّ، ومسلمٌ، والنسائيُّ، وابنُ المنذر، وابنُ مردويه عن أبي سعيد قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يكشفُ ربُّنا عن ساقه، فيسجُدُ له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقى مَنْ كان يسجُدُ في الدنيا رياءً وسمعةً، فيذهبُ ليسجُدَ فيعودُ ظهرُه طَبَقاً واحداً»(٤). وأنكر ذلك سعيد بنُ جُبَير؛ أخرج

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٥٤، والمستدرك للحاكم ٢/ ٤٩٩-٥٠٠، والأسماء والصفات للبيهقي (٧٤٦)، وأورده أبو حيان في البحر ٨/ ٣١٦، والبيتان الأخيران من الرجز في العقد الفريد ٤/ ٤١٨ وجاء في المصادر: اصبر عناق...

(٢) كما في الدر المنثور ٦/ ٢٥٥.

(٣) الأسماء والصفات (٧٤٩).

(٤) الدر المنثور ٦/ ٢٥٥، وصحيح البخاري (٤٥٨١)، وصحيح مسلم (١٨٣): (٣٠٢)، ولم نقف عليه في سنن النسائي.

عَبْد بنُ حُميد، وابنُ المنذر عنه أنه سُئل عن الآية، فغضب غضباً شديداً، وقال: إن أقواماً يزعمون أنَّ الله سبحانه يَكشِفُ عن ساقه! وإنما يُكشف عن الأمر الشديد[١]. وعليه يُحمل ما في الحديث على الأمر الشديد أيضاً. وإضافتُه إليه عزَّ وجل لتهويل أمره، وأنه أمرٌ لا يقدِرُ عليه سواه عزَّ وجل.

وأربابُ الباطن من الصوفية يقولون بالظاهر، ويدَّعون أنَّ ذلك عند التجلِّي الصوريِّ، وعليه حملوا أيضاً ما أخرجه إسحاق بنُ راهويه في «مسنده»، والطبرانيُّ، والدارقطنيُّ في «الرؤية»، والحاكم وصحَّحه، وابنُ مردويه، وغيرُهم عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «يجمعُ الله الناسَ يوم القيامة، ويَنزلُ الله في ظُلَلٍ من الغَمام، فينادي منادٍ: يا أيُّها الناس، أَلَمْ ترضَوا من ربِّكم الذي خلقَكم وصوَّركم ورزقَكم أن يُولِّي كلَّ إنسانٍ منكم ما كان يعبُدُ في الدنيا ويتولَّى؟ أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى. قال: فلينطلق كلُّ إنسانٍ منكم إلى ما كان يتولَّى في الدنيا. ويتمثَّلُ لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا، ويُمثَّل لمن كان يعبُد عيسى عليه السلام شيطانُ عيسى، وكذا يُمثَّل لمن كان يعبد عُزَيراً، حتى تُمثَّل لهم الشجرةُ، والعود، والحجر، ويبقى أهلُ الإسلام جُثُوماً، فيتمثَّل لهم الربُّ عزَّ وجل، فيقال لهم: مالكم لم تنطلقوا كما انطلَقَ الناس؟ فيقولون: إن لنا ربّاً ما رأيناه بعد، فيقول: فبِمَ تعرفون ربَّكم إن رأيتموه؟ قالوا: بيننا وبينه علامةٌ، إن رأيناه عرفناه. قال: وما هي؟ قالوا: يكشف عن ساقٍ، فيكشِفُ عند ذلك». الحديث[٢]. وهو ونظائرُه من المتشابه عند السلف.

وقرأ ابنُ مسعودٍ وابنُ أبي عَبْلة: «يَكشِفُ» بفتح الياء مبنيّاً للفاعل، وهي روايةٌ عن ابن عباس، وقرأ ابنُ هُرْمز: «نَكشِفُ» بالنون، وقُرئ: «يُكشِفُ» بالياء التحتيَّة مضمومةً، وكسر الشين، من أكشَفَ: إذا دخَلَ في الكشف، ومنه: أكشف الرجلُ فهو مكشف: انقلبت شفتُه العليا. وقُرئ: «تكشِفُ» بالتاء الفوقيَّة والبناء للفاعل،

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٢٥٥.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٢٥٥، والمعجم الكبير للطبراني (٩٧٦٣)، والرؤية للدارقطني (١٦٠)، والمستدرك للحاكم ٢/ ٤٠٨ وأخرجه أيضاً عبد الله بن أحمد في السنة (١١٣٣).

وهو ضميرُ الساعة المعلومة من ذِكْر يوم القيامة، أو الحال المعلومة من دلالة الحال، وبها والبناء للمفعول[1]، وجُعل الضمير للساعة، أو الحال أيضاً.

وتُعقِّب بأنه يكونُ الأصل حينئذٍ: يكشف الله الساعةَ عن ساقها مثلاً، ولو قيل ذلك لم يستقم؛ لاستدعائه إبداء الساقِ وإذهاب الساعة، كما تقول: كشفَتْ عن وجهها القناعَ، والساعةُ ليست ستراً على الساق حتى تُكشف.

وأُجيب أنها جُعلت ستراً مبالغةً؛ لأن المخدَّرة تُبالغ في الستر جَهْدها، فكأنها نفسُ الستر، فقيل: تكشف الساعةُ، وهذا كما تقول: كشفتُ زيداً عن جهله: إذا بالغتَ في إظهار جهله؛ لأنه كان ستراً على جهله يسترُ معايبَه، فأَبَنْتَه وأظهرتَه إظهاراً لم يَخْفَ على أحد. وقيل عليه: إنَّ الإذهاب حينئذٍ ادِّعائيٌّ، ولا يخفى ما فيه من التكلُّف، ولا عبرةَ بما ذُكر من المثال المصنوع، وأقلّ تكلُّفاً منه جَعْلُ «عن ساق» بدلَ اشتمالٍ من الضمير المستتر في الفعل بعد نزعِ الخافض منه، والأصلُ: يكشف عنها، أي: عن الساعة، أو الحال، فنُزِعَ الخافضُ، واستتر الضميرُ. وتُعقِّب بأن إبدالَ الجارِّ والمجرور من الضمير المرفوع لا يصحُّ بحسب قواعد العربية، فهو ضغث على إبَّالة، وتكلُّف على تكلُّف.

وقيل: إن «عن ساق» نائبُ الفاعل. وتُعقِّب بأن حقَّ الفعل التذكيرُ، كـ: صُرِفَ عن هند، ومرَّ بدَعْد.

﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إيَّاه في الدنيا، وتحسيراً لهم على تفريطهم في ذلك ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ لزوالِ القدرة عليه. وفيه دلالةٌ على أنهم يقصدونَه فلا يتأتَّى منهم، وعن ابن مسعود: تعقم أصلابُهم، أي: تردُّ عظاماً

(١) قوله: وبها، أي: وبالتاء، والقراءات مفرقة في القراءات الشاذة ص١٦٠، والكشاف ٤/ ١٧٤، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٧٥-١٧٦، والبحر المحيط ٨/ ١١٦.
وقراءة: «نَكشِف» نسبها ابن خالويه إلى ابن عباس، وزاد أبو حيان نسبتها إلى ابن مسعود وابن عباس، وقراءة: «يُكشِف» نسبها ابن خالويه إلى الحسن، وقراءة: «تَكشِف» نسبها القرطبي ٢١/ ١٧٥ إلى ابن عباس، وقراءة: «تُكشَف» نسبها القرطبي ٢١/ ١٧٦ إلى ابن عباس والحسن وأبي العالية.

بلا مفاصل، لا تنثني عند الرفع والخفض. وتقدَّم في حديث البخاريِّ ومَنْ معه ما سمعتَ، وفي حديث: «تصيرُ أصلابُ المنافقين والكفار كصَياصي البقر؛ عظماً واحداً»[1].

والظاهر أن الداعيَ اللهُ تعالى، أو الملك، وقيل: هو ما يرونه من سجود المؤمنين.

واستدلَّ أبو مسلم بهذه الآية على أنَّ يوم الكشف في الدنيا، قال: لأنه تعالى قال: «ويدعون إلى السجود»، ويومُ القيامة ليس فيه تعبُّد ولا تكليف، فيُراد منه إما آخرُ أيام الشخص في دنياه حين يرى الملائكة، وإما وقتُ المرض والهَرَم والمَعْجزة[2]. ويُدفع بما أشرنا إليه.

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ حالٌ من مرفوع «يدعون» على أنَّ «أبصارهم» مرتفع به على الفاعلية. ونسبةُ الخشوع إلى الأبصار لظهور أثَره فيها.

﴿تَرۡهَقُهُمۡ﴾ تلحقُهم وتغشاهم ﴿ذِلَّةٞ﴾ شديدةٌ. ﴿وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا. والإظهار في موضع الإضمار لزيادةِ التقرير، أو لأنَّ المراد به الصلواتُ المكتوبة، كما قال النَّخعيُّ والشَّعبي، أو جميعُ الطاعات كما قيل، والدعوةُ دعوة التكليف، وقال ابنُ عباس وابن جُبَير: كانوا يسمعون الأذان والنداءَ للصلاة فلا يُجيبون.

﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ متمكِّنون منه أقوى تمكُّن، أي: فلا يُجيبون إليه ويأبونه، وتُرِكَ ذِكْر هذا ثقةً بظهوره.

﴿فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ﴾ أي: إذا كان حالُهم ما سمعتَ فَكِلْ مَنْ يُكذِّب بالقرآن إليَّ، واستكفنيه، فإنَّ فيَّ ما يفرغ بالَكَ، ويُخلِّي همَّكَ. وهو من بليغ

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه (١٠)، والطبري في تفسيره ٢٣/ ١٩٤-١٩٥ من حديث أبي هريرة ﷺ. وأورده ابن حجر في المطالب العالية ٤/ ٣٦٥-٣٦٦ من حديث ابن مسعود مطولاً، وعزاه لإسحاق، وقال عقبه: هذا إسناد صحيح متصل رجاله ثقات.

(٢) المَعْجزة بفتح الجيم وكسرها، من العجز: عدم القدرة. النهاية: (عجز).

الكلام، يفيد أنَّ المتكلِّم واثقٌ بأنه يتمكَّن من الوفاء بأقصى ما يدور حولَ أمنية المخاطَب وبما يزيد عليه، وقد حقَّقه جارُ الله[١] بما حاصلُه أنَّ من استكفى أحداً تركَ الأمر إليه، وإلا كان استعانةً لا استكفاءً، فأُقيم الرادِفُ ـ أعني التخليةَ، وأن يَذَره وإياه ـ مقامَ الاستكفاء؛ مبالغةً، وإنباءً عن الكفاية البالغة، كيف وهذا الكافي طَلَبَ الاستكفاء بقوله: «ذرني»، وأبرز تركَ الاستكفاء في صورةِ المنع مبالغةً على مبالغة، فلو لم يكن شديدَ الوثوق بتمكُّنه من الوفاء أقصى التمكُّن، وفوقَ ما يحوم حولَ خاطر المستكفي لَمَا كان للطلبِ على هذا الوجه الأبلغ وجهٌ.

و«مَن» في موضع نصبٍ إما عطفاً على المنصوب في «ذرني»، أو على أنه مفعولٌ معه.

وقوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ استئنافٌ مسوقٌ لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الكلام السابق إجمالاً، والضميرُ لـ «مَن» والجمعُ باعتبار معناها، كما أن الإفراد في «يكذِّب» باعتبار لفظها، أي: سنستنزلُهم إلى العذاب درجةً فدرجة بالإمهال، وإدامةِ الصحةِ، وازدياد النعمة ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أنه استدراجٌ، بل يزعمون أن ذلك إيثارٌ لهم وتَفْضيلٌ على المؤمنين، مع أنه سببٌ لهلاكهم.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ وأُمهِلُهم ليزدادوا إثماً، وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم.

﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ لا يُدفَع بشيء. وتسميةُ ذلك كيداً ـ وهو ضربٌ من الاحتيال ـ لكونه في صورته؛ حيث إنه سبحانه يفعل معهم ما هو نفعٌ لهم ظاهراً، ومرادُه عزَّ وجل به الضررُ؛ لِمَا علم من خُبْث جِبِلَّتهم، وتماديهم في الكفر والكفران.

﴿أَمْ تَسْئَلُهُمْ﴾ على الإبلاغ والإرشاد ﴿أَجْرًا﴾ دنيويّاً ﴿فَهُم﴾ لأجل ذلك ﴿مِّن مَّغْرَمٍ﴾ أي: غرامةٍ مالية ﴿مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾ مكلَّفون حملاً ثقيلاً فيُعرضون عنك؟ وهذه الجملة ـ على ما قاله ابنُ الشيخ ـ معطوفةٌ على قوله تعالى: «أم لهم شركاء».

---

(١) ينظر الكشاف ٤/١٤٧.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ أي: المغيَّبات، أو: اللوح، وأُطلق الغيبُ عليه مجازاً؛ لأنه محلٌّ لكتابة المغيَّبات، أو لظهورِ صورها بناءً على الخلاف المعروف فيه، والقرينة ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ ما يَحكمون به، ويَستغنون بذلك عن علمك.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالُهم، وتأخيرُ نصرتِك عليهم، رُوي أنه ﷺ أراد أن يدعوَ على ثقيف لمَّا آذَوْه حين عرض عليه الصلاةُ والسلام نفسَه على القبائل بمكة، فنزلت. وقيل: أراد عليه الصلاةُ والسلام أن يدعوَ على الذين انهزموا بأُحُد حين اشتدَّ بالمسلمين الأمرُ، فنزلت، وعليه تكونُ الآية مدنيةً.

﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ هو يونس عليه السلام، كما أنه المراد من ذي النون، إلا أنه فرِّق بين ذي وصاحب بأن ذي أبلغُ من صاحب، قال ابنُ حَجَر: لاقتضائها تعظيمَ المضافِ إليها والموصوفِ بها، بخلافه، ومن ثَمَّ قال سبحانه في معرض مَدْح يونس عليه السلام: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ [الأنبياء:٨٧]، والنهيِ عن اتِّباعه: (وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ)، إذ النونُ لكونه جُعِلَ فاتحةَ سورةٍ أفخمُ وأشرفُ من لفظ الحوت، ونقل مثلَ ذلك السّرمينيُّ عن العلامة السُّهيلي، وفرَّق بعضُهم بغير ذلك مما هو مذكورٌ في «حواشينا على رسالة ابن عصام في علم البيان».

﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ في بطن الحوت ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ أي: مملوءٌ غيظاً على قومه، إذ لم يؤمنوا لمَّا دعاهم إلى الإيمان، وهو من كظَمَ السِّقاء: إذا ملأه، ومن استعماله بهذا المعنى قولُ ذي الرُّمة:

وأنتَ من حبِّ ميٍّ مُضمِرٌ حُزناً عاني الفؤادِ قَريحُ القلب مَكْظومُ(١)

والجملةُ حالٌ من ضمير «نادى»، وعليها يدور النهيُ لا على النداء؛ فإنه أمرٌ مستحسَنٌ، ولذا لم يُذكَر المنادى، و«إذ» منصوبٌ بمضاف محذوف، أي: لا يكن حالُكَ كحاله وقتَ ندائه، أي: لا يوجَدْ منك ما وُجد منه من الضَّجَر والمُغَاضَبة، فتُبتلى بنحو بلائه عليه السلام.

---

(١) لم نقف على البيت في ديوان ذي الرمة، وهو في البحر ٨/ ٣١٧، والدر المصون ١٠/ ٤١٩.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ وهو توفيقُه للتوبة وقَبولُها منه. وقُرئ: «رحمةٌ»[١]، وتذكيرُ الفعل على القراءتين؛ لأن الفاعل مؤنَّثٌ مجازيٌّ مع الفصل بالضمير. وقرأ عبدُ الله وابنُ عباس: «تداركَتْه» بتاء التأنيث، وقرأ ابنُ هُرْمُز، والحسن، والأعمش: «تدّاركه» بتشديد الدال، وأصلُه تتداركه، فأبدل التاءَ دالاً، وأُدغمت الدالُ في الدال[٢]. والمرادُ حكايةُ الحال الماضية، على معنى: لولا أن كان يُقال فيه: تتداركه ﴿لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالأرض الخالية من الأشجار، أي: في الدنيا.

وقيل: بعراء القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤]. ولا يخفى بُعْدُه.

﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ في موضع الحال من مرفوع «نُبذ»، وعليها يعتمد جوابُ «لولا»؛ لأن المقصودَ امتناعُ نَبْذه مذموماً، وإلا فقد حصل النبذُ، فدلَّ على أن حالَه كانت على خلاف الذمِّ، والغرضُ أن حالةَ النبذ والانتهاء كانت مخالفةً لحالةِ الإلامة والابتداء؛ لقوله سبحانه: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات:١٤٢] وفي «الإرشاد»[٣] أن الجملة الشرطية استئنافٌ واردٌ لبيان كون المنهيِّ عنه أمراً محذوراً مستتبِعاً للغائلة.

وقولُه سبحانه: ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ عطفٌ على مقدَّر، أي: فتداركته نعمةٌ من ربِّه، فاجتباه، أي: اصطفاه بأن ردَّ عزَّ وجل إليه الوحيَ وأرسلَه إلى مئة ألفٍ أو يزيدون، وقيل: استنبأه، إن صحَّ أنه لم يكن نبيّاً قبل هذه الواقعة وإنما كان رسولاً لبعض المرسلين في أرض الشام.

﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ من الكاملين في الصلاح بأن عصَمَه سبحانه من أن يفعل فعلاً يكونُ تركُه أَولى. وظاهرُ كلام بعضهم أنَّ الجَعْل من الصالحين تفسيرٌ للاجتباء. قيل: وفُسِّر «الصالحين» بالأنبياء، وهو مبنيٌّ على أنه لم يكن قبلَ الواقعة نبيّاً.

---

(١) القراءات الشاذة ص١٦٠، والكشاف ٤/ ١٤٨.

(٢) القراءات الشاذة ص١٦٠، والكشاف ٤/ ١٤٨، والبحر المحيط ٨/ ٣١٧.

(٣) تفسير أبي السعود ٩/ ١٩.

واستُدلَّ بالآية على خلق الأفعال؛ لأن جَعْلَه صالحاً بجَعْل صلاحه وخلقه فيه، وهو من جملة الأفعال، ولا قائلَ بالفرق، والمعتزلةُ يؤوِّلون ذلك تارةً بالإخبار بصلاحه، وأُخرى باللُّطف به حتى صَلُح، على أنه يحتمل أن يُراد بـ «الصالحين» الأنبياء كما قيل، فلا تفيدُ الآيةُ أكثر من كون النبوَّةِ مجعولةً، وهو مما اتفق عليه الفريقان، فتدبَّر.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ «إنْ» هي المخفَّفةُ، واللامُ دليلُها؛ لأنها لا تدخل بعد النافية، ولذا تُسمَّى الفارقة على عُرفٍ عند النحاة، والمعنى: أنهم لشدَّة عداوتهم ينظرون إليك شَزَراً، بحيث يكادون يُزِلُّون قدمَكَ فيرمونك، من قولهم: نظر إليَّ نظراً يكادُ يصرعُني، أو: يكاد يأكُلني، أي: لو أمكنَه بنظره الصَّرعُ أو الأكلُ لفعله، وجعل مبالغةً في عداوتهم، حتى كأنَّها سَرَتْ من القلب والجوارح إلى النظر، فعاد يعمَلُ عمَلَ الجوارح، وأنشدوا قولَ الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في موطنٍ نظراً يُزِلُّ مَواطئَ الأقدام[1]

أو أنهم يكادون يُصيبونَكَ بالعين؛ إذ رُوي أنه كان في بني أسد عيَّانون، فأراد بعضُهم أن يَعين رسولَ الله ﷺ، فنزلت.

وقال الكلبيُّ: كان رجلٌ من العرب يمكُثُ يومين أو ثلاثة لا يأكُلُ، ثم يرفع جانبَ خبائه، فيقول: لم أرَ كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فتسقُطُ طائفة منها وتهلك، فاقترح الكفار منه أن يُصيب رسولَ الله ﷺ، فأجابهم وأنشد:

قد كان قومك يحسبونك سيِّدا وإخالُ أنك سيِّد مَعْيونُ[2]

فعَصَم الله تعالى نبيَّه ﷺ، وأنزل عليه هذه الآية.

وقد قيل: إن قراءتَها تدفعُ ضرَرَ العين، ورُوي ذلك عن الحسن، وفي كتاب «الأحكام»[3] أنها أصلٌ في أنَّ العين حقٌّ. والأولى الاستدلالُ على ذلك بما ورد وصحَّ

(١) البيت في الكشاف ٤/ ١٤٨، وتفسير القرطبي ٢١/ ١٨٧ من غير نسبة.
(٢) البيت لعباس بن مرداس، وهو في الحماسة البصرية ١/ ١٠، والحيوان للجاحظ ٢/ ١٤٢.
(٣) وهو كتاب الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ص٢٧٢.

من عدة طرق أنَّ العين تُدخل الرجل القبر والجمَلَ القِدْر[١]، وبما أخرجه أحمد بسندٍ رجالُه ـ كما قال الهيثميُّ ـ ثقاتٌ، عن أبي ذرٍّ مرفوعاً: «إنَّ العينَ لَتُولَعُ بالرجل بإذن الله تعالى، حتى يصعد حالقاً، ثم يتردَّى منه»[٢]. إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة. وذلك من خصائص بعضِ النفوس، ولله تعالى أن يخصَّ ما شاء منها بما شاء، وإضافتُه إلى العين باعتبار أنَّ النفسَ تؤثِّر بواسطتها غالباً، وقد يكون التأثيرُ بلا واسطتها، بأن يوصَفَ للعائن شيء فتتوجَّه إليه نفسُه فتُفسده. ومن قال: إنَّ الله تعالى أجرى العادةَ بخَلْق ما شاء عند مقابلة عينِ العائن من غير تأثيرٍ أصلاً، فقد سدَّ على نفسه باب العلل والتأثيرات، والأسبابِ والمسبَّبات، وخالف جميعَ العقلاء. قاله ابنُ القيِّم[٣].

وقال بعضُ أصحاب الطبائع: إنه ينبعث من العين قوَّة سُمِّيَّة تؤثِّر فيما نظره، كما فصّل في «شرح مسلم»[٤]. وهذا لا يتمُّ عندي فيما لم يَرَه، ولا في نحو ما تضمَّنه حديثُ أبي ذرٍّ المتقدِّم آنفاً، ولا في إصابة الإنسان عينَ نفسه كما حكاه المناوي[٥]؛ فإنه لا يقتل الصِلَّ سُمُّه[٦].

ومن ذلك ما حكاه الغسَّانيُّ قال: نظر سليمان بنُ عبد الملك في المرآة فأعجبتْه نفسُه، فقال: كان محمدٌ ﷺ نبيّاً، وكان أبو بكر صدِّيقاً، وكان عمر فاروقاً، وعثمانُ حييّاً[٧]، ومعاوية حليماً، ويزيد صبوراً[٨]، وعبدُ الملك سائساً، والوليد

---

(١) سلف ١٢/٤٠٦.

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٣٠٢)، وقول الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/١٠٦، وقوله: «التولع بالرجل»، قال السندي في شرحه على المسند: يقال: أُولع بالشيء على بناء المفعول، أي: علق به، والمراد: إن العين لتصيب الرجل. اهـ. والحالق: الجبل العالي. النهاية: (حلق).

(٣) زاد المعاد ٤/١٦٦.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي ١٤/١٧١، وما بعدها.

(٥) قال في فيض القدير ٤/٣٩٦: قال الحكماء: والعائن يبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعان، فيهلك، أو يهلك نفسه.

(٦) الصِّل: الحية التي لا تنفع منها الرُّقى. الصحاح: (صلل).

(٧) جاء في هامش الأصل ما نصه: عدم التعرض لعلي كرم الله تعالى وجهه، بأن يقال: وعلي وصيّاً مثلاً؛ لما أودع في قلوب أكثر بني أمية من ظلمة عداوته، لعن الله تعالى من يعاديه. اهـ منه.

(٨) جاء في هامش الأصل: أي: كالكلب، ثم إنه حريٌّ بأن يقال: كفوراً، بدله. اهـ. وفي هذا الكلام نظر!.

جبَّاراً، وأنا الملكُ الشاب، وأنا الملكُ الشاب. فما دار عليه الشهرُ حتى مات.

ومثل ذلك ما قيل: إنه من باب التأثير في القوة المعروفة اليوم بالقوَّة الكهربائية عند الطباعيين المحدَثين[١]، والكلامُ على ما فيها من العجائب مفصَّل في كتبهم، فقد صحَّ أن بعضَ الناس يكرِّر النظرَ إلى بعض الأشخاص من فَرقه إلى قدمه، فيصرعه كالمغشيِّ عليه، وربَّما يقفُ وراءه جاعلاً أصابعه حذاءَ نقرةِ رأسه، ويوجِّه نفسَه إليه حتى يُضعفَ قُواه، فيغشاه نحوُ النوم، ويتكلَّم إذ ذاك بما لا يتكلَّم به في وقتٍ آخر.

وأنا لا أزيدُ على القول بأنه من تأثيرات النفوس، ولا أُكيِّفُ ذلك؛ فالنفسُ الإنسانيةُ من أعجب مخلوقات الله عزَّ وجل، وكم طُوي فيها أسرارٌ وعجائب تتحيَّر فيها العقول، ولا ينكرُها إلا مجنون أو جَهول، ولا يسعُني أن أُنكرَ العين؛ لكثرة الأحاديث الواردة فيها، ومشاهدةِ آثارها على اختلاف الأعصار، ولا أخصُّ ذلك بالنفوس الخبيثة كما قيل، فقد يكون من النفوس الزَّكيَّة، والمشهورُ أنَّ الإصابةَ لا تكونُ مع كراهة الشيء وبُغْضه، وإنما تكون مع استحسانه، وإلى ذلك ذهب القشيريُّ، وكأنه يُشير بذلك إلى الطعن في صحَّة الرواية ها هنا؛ لأن الكفَّار كانوا يُبغضونه عليه الصلاة والسلام، فلا تتأتَّى لهم إصابتُه بالعين، وفيه نظر.

وحكمُ العائن ـ على ما قال القاضي عِياض[٢] ـ أن يُجتنَب، وينبغي للإمام حبسُه ومنعُه عن مخالطة الناس؛ كفًّا لضرره ما أمكن، ويرزقُه حينئذٍ من بيت المال.

هذا وقرأ نافع: «ليَزْلِقونك» بفتح الياء[٣]، من زلقه بمعنى أزلقه. وقرأ عبدُ الله، وابنُ عباس، والأعمش، وعيسى: «ليزهقونك» بالهاء بدل اللام[٤]، أي: ليهلكونك.

---

(١) بعده في الأصل بياض بمقدار نصف سطر، وسقط من (م) من هنا إلى قوله: فقد صح... إلخ.
(٢) إكمال المعلم ٧/ ٨٥.
(٣) التيسير ص٢١٣، والنشر ٢/ ٣٨٩. وكذلك قرأ بها أبو جعفر من العشرة.
(٤) القراءات الشاذة ص١٦٠، والبحر المحيط ٨/ ٣١٧.

﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ أي: وقتَ سماعهم القرآن، وذلك لاشتداد بُغْضهم وحَسَدهم عند سماعه. و«لما» ـ كما أشرنا إليه ـ ظرفيةٌ متعلِّقة بـ «يزلقونك»، ومن قال: إنها حرفُ وجوبٍ لوجوب ذهب إلى أن جوابَها محذوفٌ؛ لدلالة ما قبلُ عليه، أي: لمَّا سمعوا الذِّكر كادوا يزلقونك.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ لغاية حَيْرتهم في أمرِه عليه الصلاة والسلام، ونهايةِ جَهْلهم بما في تضاعيف القرآن من عجائب الحِكَم وبدائع العلوم، ولتنفير الناس عنه: ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾.

وحيث كان مَدارُ حكمهم الباطل ما سمعوا منه ﷺ ردَّ ذلك ببيان علوِّ شأنه، وسطوعِ برهانِه، فقيل: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ على أنه حالٌ من فاعل «يقولون»، والرابطُ الواو فقط، أو مع عمومِ «العالَمين» كما قيل مفيدٌ لغاية بطلان قولهم، وتعجيبٌ للسامعين من جَراءتهم على التفوُّه بتلك العظيمة، أي: يقولون ذلك والحال أنه ذِكْرٌ للعالمين، أي: تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم، فأين من أنزل عليه ذلك، وهو مطلَّعٌ على أسراره طرّاً، ومحيطٌ بجميع حقائقه خُبْراً مما قالوه. وقيل: معناه: شرف وفضل؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وعموم «العالمين» لما فيه من الاعتناءِ بما ينفعُهم.

وقيل: الضميرُ لرسول الله ﷺ وكونه مذكِّراً وشرفاً للعالمين لا ريب فيه. ورُجِّح بأن الجملة عليه تكون صريحةً في ردِّ دعواهم الباطلة، وأنتَ تعلمُ أنَّ الأول أولى، والله تعالى أعلم.

سورة القلم
(سورة نٓ)

(مكيّة، وهي اثنتان وخمسون آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾

﴿نٓۚ﴾ الظاهر أن المراد به هذا الحرف (من حروف المعجم). وأما قول الحسن: إنه الدواة، وقول ابن عباس: إنه الحوت الذي عليه الأرض واسمه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله: (سورة نٓ) وتسمى سورة القلم (مكية) في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة رضي الله تعالى عنهم من أوّلها إلى قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦﴾ مكيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ [القلم: الآية ٣٣] مدنيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَكۡتُبُونَ﴾ [القلم: ٤٧] مكيّ، ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القلم: الآية ٥٠] مدنيّ، وباقيها مكيّ قاله الماورديّ والمصنّف رحمه الله لم يلتفت إليه لعدم وثوقه بتلك الرواية (**وهي اثنتان وخمسون آية**) لا خلاف في عدد آياتها وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفًا. **قوله**: (**من حروف المعجم**) قيل: المعجم هٰهنا مصدر أي حروف الإعجام يعني حروف إزالة العجمة. يقال: أعجم الحرف أي أزال عجمته

(يهموت)، فمشكل لأنه لا بد له من الإعراب سواء كان اسم جنس أو اسم علم، فالسكون دليل على أنه من حروف المعجم ﴿وَٱلْقَلَمِ﴾ أي ما كتب به اللوح، أو قلم الملائكة، أو الذي يكتب به الناس، أقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي ما يسطره الحفظة أو ما يكتب به من الخير من كتب. (﴿وَمَا﴾ **موصولة**) أو مصدرية، وجواب القسم.

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي بإنعامه عليك بالنبوّة وغيرها فـ ﴿أَنتَ﴾ اسم «ما» وخبرها ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ و﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ اعتراض بين الاسم والخبر، والباء في ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ تتعلّق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ وتقديره: ما أنت بمجنون منعمًا عليك بذلك. **(ولم تمنع الباء)** أن يعمل مجنون فيما قبله لأنها زائدة لتأكيد النفي وهو جواب قولهم: ﴿وَقَالُواْ (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ) إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٦] ﴿وَإِنَّ لَكَ﴾ على احتمال ذلك والصبر عليه ﴿لَأَجْرًا﴾ لثوابًا ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع **(أو غير ممنون عليك به)**.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ قيل: هو ما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ (بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ) ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩]. وقالت

بما يميّزه عن غيره بنقط وشكل فالهمزة للسلب. **قوله: (يهموت)** بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الهاء وما اشتهر من أنه بالباء الموحّدة غلط على ما ذكره الفاضل المحشي. اهـ شهاب. **قوله: (﴿وَمَا﴾ موصولة)** فيكون المقسم به المسطور والمكتوب وإن كانت مصدريّة يكون المقسم به نفس الكتابة.

قوله: (ولم تمنع الباء. . .) الخ لأن معمول المجرور سواء كان بالحرف أو بالإضافة لا يتقدم عليه بما ذكره النحاة لكنها لكونها زائدة هنا لم يعد مانعًا. **قوله: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾)** القرآن في زعمه قوله: **(على احتمال ذلك)** يعني احتمال أذى المشركين. **قوله: (أو غير ممنون عليك به)** من الناس فإنه تعالى يعطيك بلا توسط فلو كان ذلك النعمة عليه بتوسط أحد من الناس تكون بمنّة منه.

قوله: (﴿بِٱلْعُرْفِ﴾) المعروف. **قوله: (﴿بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾)** فلا تقابلهم بسفههم.

عائشة ﵂: **(كان خلقه القرآن)** أي ما فيه من مكارم الأخلاق. وإنما استعظم خلقه لأنه جاد بالكونين وتوكّل على خالقهما.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧﴾

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ أي عن قريب ترى ويرون وهذا وعد له ووعيد لهم ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ المجنون لأنه فتن أي محن بالجنون، **(والباء مزيدة، أو ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدر)** كالمعقول أي بأيكم الجنون. وقال **(الزَّجّاج)**: الباء بمعنى «في» تقول: كنت ببلد كذا أي في بلد كذا، وتقديره في أيكم المفتون أي في أي الفريقين منكم المجنون: فريق الإسلام أو فريق الكفر؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي **(هو أعلم بالمجانين)** على الحقيقة وهم الذين ضلّوا عن سبيله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي هو أعلم بالعقلاء وهم المهتدون.

قوله: **(كان خلقه القرآن)** يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان متحليًا بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومتخليًا عما يزجر عنه القرآن من سيئاتها.

قوله: **(والباء مزيدة)** أي في المبتدأ كما جوّزه سيبويه. **قوله**: **(أو ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ مصدر)** بمعنى الفتون وهو الجنون وقد يجيء المصدر على وزن المفعول نحو معقول ومجلود. يقال: ما لفلان معقول ولا مجلود أي ما له عقل ولا جلادة: **قوله**: **(الزجاج)** هو أبو إسحٰق إبراهيم بن محمد كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وصنّف كتابًا في معاني القرآن الكريم. توفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادي الآخرة سنة عشر، وقيل: سنة إحدى عشرة، وقيل: سنة ست عشرة وثلاثمائة ببغداد رحمه الله.

قوله: **(هو أعلم بالمجانين)** على الحقيقة أي في نفس الأمر أضاعوا عقولهم وأبطلوا استعدادهم لمعرفة الحق فبقوا مجنونين على الحقيقة، فالحقيقة هنا ليست بمقابلة المجاز فإن إطلاق المجنون على هؤلاء الضالين مجاز نظرًا إلى الوضع اللغوي والشرعي. فالمراد بها ما ذكرناه. اهـ قنوي. يعني أن الظاهر أن يقال: وهو أعلم بالمجانين والعقلاء لأنه هو المناسب لقوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ إلا أنه وضع الضال والمهتدي موضع المجانين والعقلاء إشعارًا بأن المجنون في الحقيقة

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠﴾

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾ **(تهييج للتصميم على معاصاتهم)** وقد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه **(غوائلهم)** ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ لو تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ فيلينون لك. ولم ينصب بإضمار «أن» وهو جواب التمني لأنه عدل به إلى طريق آخر، وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون **(أي فهم)** الآن **(يدهنون)** لطمعهم في ادهانك. ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمَن اعتاد الحلف ﴿مَّهِينٍ﴾ حقير في الرأي والتمييز من المهانة وهي القلة والحقارة، أو كذاب لأنه حقير عند الناس.

﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾

﴿هَمَّازٍ﴾ **(عياب)** طعان **(مغتاب)** ﴿مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ نقال للحديث من قوم إلى قوم **(على وجه السعاية)** والإفساد بينهم، والنميم والنميمة: السعاية ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ بخيل، والخير: المال أو مناع أهله من الخير وهو الإسلام، والمراد **(الوليد)** بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة: مَن أسلم منكم منعته **(رفدي)** ﴿مُعْتَدٍ﴾ مجاوز في الظلم حده ﴿أَثِيمٍ﴾ **(كثير الآثام)** ﴿عُتُلٍّ﴾ **(غليظ جاف)** ﴿بَعْدَ

هو من عصى ربه وضلّ عن سبيله والعاقل مَن أطاع ربه واتبع سبيله. اهـ شيخ زاده.

قوله: (تهييج للتصميم على معاصاتهم) إذ لا يتوقع الإطاعة لهم منه عليه الصلاة والسلام. فالمراد أمر بدوام عدم الإطاعة وتهييج أي ترغيب على معاصاتهم أي على عصيانهم ومخالفتهم فيما يخالف الحق القويم والدين المستقيم. **قوله: (غوائلهم)** شرورهم. **قوله: (أي فهم يدهنون)** فالجواب جملة اسميّة.

قوله: (عياب) بالعين المهملة أي كثير العيب للناس. **قوله: (مغتاب)** من الغيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره. **قوله: (على وجه السعاية)** أي الإفساد والضرر وأصل السعاية أن يسعى بالناس عند الحكام. **قوله: (الوليد)** بن المغيرة المخزومي. **قوله: (رفدي)** عطائي. **قوله: (كثير الآثام)** بالمدّ جمع إثم أي بغير ما ذكر أيضًا كأنه تعميم بعد التخصيص. **قوله: (غليظ)** أي في الطبع، وقيل: في الجسم. **قوله: (جاف)** أي قاسي القلب.

ذَٰلِكَ﴾ (بعدما عد له من المثالب) ﴿زَنِيمٍ﴾ (دعي). وكان الوليد دعيًا في قريش ليس من (سنخهم)، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده. وقيل: بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية، والنطفة إذا خبثت خبث الناشيء منها. رُوِيَ أنه دخل على أُمّه وقال: إن محمدًا وصفني بعشر صفات، وجدت تسعًا فيّ، فأما الزنيم فلا علم لي به، فإن أخبرتني بحقيقته وإلا ضربت عنقك. فقالت: إن أباك (عِنّين) وخفت أن يموت فيصل ماله إلى غير ولده فدعوت راعيًا إلى نفسي فأنت من ذلك الراعي.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ﴾ متعلّق بقوله: ﴿وَلَا تُطِعْ﴾ أي ولا تطعه مع هذه المثالب لأن كان ذا مال أي ليساره وحظه من الدنيا، ويجوز أن يتعلّق بما بعده أي لأن كان ذا مال ﴿وَبَنِينَ﴾ كذب بآياتنا يدلّ عليه ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ أي القرآن ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ولا يعمل فيه ﴿قَالَ﴾ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله. (**«ءأن» حمزة وأبو بكر أي ألأن كان ذا مال كذب؟ «ءأن» شامي ويزيد ويعقوب وسهل**). قالوا: لما عاب الوليد النبيّ ﷺ كاذبًا باسم واحد وهو المجنون سمّاه الله تعالى بعشرة أسماء صادقًا، فإن كان مَن عدّ له أن يجزي المسيء إلى رسول الله ﷺ بعشرة، كان من فضله أن مَن صلّى عليه واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا ﴿سَنَسِمُهُۥ﴾

قوله: (**بعدما عدّ له من المثالب**) بالثاء المثلثة والباء الموحّدة بمعنى القبائح والمعايب ضد المفاخر والمناقب نبّه به على أن ذلك إشارة إلى جميع ما ذكر وإفراد ذلك بتأويل ما عدا وما ذكر ولفظة بعدكم تفيد التراخي الرتبي. **قوله**: (**دعي**) الدعي مَن كان ملصقًا بالقوم وليس منهم. **قوله**: (**سنخهم**) أي أصلهم. **في المصباح** السنخ من كل شيء أصله والجمع أسناخ مثل حمل وأحمال. اهـ. **قوله**: (**عِنّين**) هو من لا يقدر على الجماع.

قوله: («ءأن») بهمزتين مفتوحتين (**حمزة وأبو بكر أي ألأن كان ذا مالٍ كذب. ءأن**) بقلب الثانية ألفًا (**شامي**) أي ابن عامر الشاميّ (**ويزيد**) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني وليس من السبعة (**ويعقوب**) بن إسحٰق و(**سهل**) بن محمد

سنكويه ﴿عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ على أنفه مهانة له (**وعلمًا يعرف به**)، وتخصيص الأنف بالذكر لأن الوسم عليه أبشع. وقيل: (**خطم**) بالسيف (**يوم بدر**) فبقيت سمة على خرطومه.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ امتحنّا أهل مكة (**بالقحط**) والجوع حتى أكلوا (**الجيف والرمم**) بدعاء النبيّ ﷺ حيث قال: («**اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسني يوسف**»). ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ هم قوم من أهل الصلاة كانت لأبيهم هذه الجنة بقرية ـ يقال لها (**صروان**) ـ وكانت على (**فرسخين**) من صنعاء، وكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي على الفقراء. فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل

وليسا من السبعة والباقون بهمزة واحدة مفتوحة. **قوله**: (**وعلمًا يعرف به**) في الآخرة. **قوله**: (**خطم**) بالخاء المعجمة وفي القاموس خطمه إذا أثر في أنفه جراحة، وقد جُرِح أنف هذا اللعين يوم بدر فبقي أثر الجرح في أنفه بقية عمره. اهـ شيخنا. اهـ جمل. **قوله**: (**يوم بدر**) قال صاحب الكشف: هذا ضعيف لأن الوليد بن المغيرة مات قبل بدر فلم يسم بذلك الوسم الذي بقي أثره مدة حياته.

قوله: (**بالقحط**) وهو احتباس المطر الذي دعا به ﷺ. **قوله**: (**الجيف**) **في المصباح** الجيفة الميتة من الدواب والمواشي إذا أنتنت والجمع جيف مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير ما في جوفها. اهـ. **قوله**: (**والرمم**) **في المصباح** الرمة العظام البالية وتجمع على رمم مثل سدرة وسدر. اهـ. **قوله**: (**اللهم اشدد**) بهمزة وصل (**وطأتك**) بفتح واو وسكون طاء وبهمزة (**على مضر**) أي خذهم أخذًا شديدًا (**واجعلها سنين كسني يوسف**) الضمير للوطأة أو للأيام المفهوم من سنين جمع سنة القحط أي سلّط عليهم قحطًا سبع سنين أو أكثر كما في زمن يوسف عليه السلام أي اشدد عقوبتك على كفّار قريش أولاد مضر. **قوله**: (**صروان**) بالصاد المهملة. **قوله**: (**فرسخين**) **في المصباح** الفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي. اهـ. وأيضًا فيه الميل بالكسر عند العرب مقدار مدى البصر من الأرض قاله الأزهري. وعند القدماء من أهل الهيئة ثلاثة آلاف ذراع، وعند المحدثين أربعة آلاف ذراع والخلاف لفظيّ لأنهم اتفقوا على أن مقداره ست وتسعون ألف أصبع والأصبع ست شعيرات بطن

أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال، فحلفوا ليصرمنها مصبحين **(في السدف)** خيفة من المساكين ولم يستثنوا في يمينهم، فأحرق الله جنتهم. وقال الحسن: كانوا كفارًا. والجمهور على الأول ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟﴾ حلفوا (﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾) ليقطعن ثمرها ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في الصبح قبل انتشار الفقراء، حال من فاعل ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾.

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ ولا يقولون إن شاء الله. وسمي استثناء وإن كان شرطًا صورة لأنه يؤدي مؤدي الاستثناء من حيث إن معنى قولك: «لأخرجن إن شاء الله» و«لا أخرج إلا أن يشاء الله» واحد ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نزل عليها بلاء. قيل: أنزل الله تعالى عليها نارًا فأحرقتها ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ أي في حال نومهم ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ فصارت الجنّة ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ كالليل المظلم أي احترقت فاسودت، أو كالصبح أي صارت أرضًا بيضاء بلا شجر. وقيل: كالمصرومة أي كأنها صرمت لهلاك ثمرها.

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ نادى بعضهم بعضًا عند الصباح ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟﴾ باكروا ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ ولم يقل: «إلى حرثكم» لأن الغدوّ إليه ليصرموه كان غدوًّا عليه أو ضمن الغدوّ معنى الإقبال أي فأقبلوا على حرثكم باكرين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ مريدين صرامه ﴿فَٱنطَلَقُوا۟﴾ ذهبوا ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ يتسارّون فيما بينهم لئلا يسمعوا المساكين.

كل واحدة إلى الأخرى، ولكن القدماء يقولون الذراع اثنتان وثلاثون أصبعًا والمحدثون يقولون: أربع وعشرون أصبعًا فإذا قسم الميل على رأي القدماء كل ذراع اثنين وثلاثين كان المتحصل ثلاثة آلاف ذراع. وإن قسم على رأي المحدثين أربعًا وعشرين كان المتحصّل أربعة آلاف ذراع والفرسخ عند الكل ثلاثة أميال، وإذا قدر الميل بالغلوات وكان كل غلوة أربعمائة ذراع كان ثلاثين غلوة وإن كانت كل غلوة مائتي ذراع كان ستين غلوة. اهـ. **وأيضًا فيه** وإنما أضيف إلى بني هاشم فقيل: الميل الهاشمي لأن بني هاشم حددوه وأعلموه. اهـ.

قوله: (في السَّدَف) بالتحريك هي الظلمة المختلطة بالضياء. **قوله:** (﴿يَصْرِمُنَّهَا﴾) ليقطعن ثمرها الصرم والصرام قطع ثمار النخيل.

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا﴾ أي الجنّة و«إن» مفسرة (**وقرىء بطرحها**) بإضمار القول أي يتخافتون يقولون لا يدخلنها ﴿ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ والنهي عن دخول المساكين. نهي عن التمكين أي لا تمكنوهم من الدخول ﴿وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ (**على جد**) في المنع ﴿قَـٰدِرِينَ﴾ عند أنفسكم على المنع كذا عن (**نفطويه**)، أو الحرد القصد والسرعة أي وغدوا قاصدين إلى جنتهم بسرعة قادرين عند أنفسهم على صرامها (**وزيِّ منفعتها**) عن منفعتها عن المساكين، (**أو هو علم للجنّة**) أي غدوا على تلك الجنّة قادرين على صرامها عند أنفسهم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي جنتهم محترقة ﴿قَالُوٓا۟﴾ (**في بديهة**) وصولهم ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي ضللنا جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها، فلما تأملوا وعرفوا أنها هي قالوا:

قوله: (**وقرىء بطرحها**) عبارة الكشاف. وقرأ ابن مسعود بطرحها. اهـ. **قوله**: (**على جد**) وجهد. **قوله**: (**نفطويه**) بكسر النون وفتحها والكسر أفصح هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الواسطي له التصانيف الحسان في الآداب وكان عالمًا بارعًا وُلد سنة أربع وأربعين ومائتين، وقيل: سنة خمسين ومائتين بواسِط وسكن بغدَاد وتُوفي في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة يوم الأربعاء لستٍّ خلون منه بعد طلوع الشمس بساعة، وقيل: تُوفي سنة أربع وعشرين هو وابن مجاهد المقري ببغداد والله أعلم. ودُفن ثاني يوم بباب الكوفة رحمه الله تعالى. قال ابن خالويه: ليس في العلماء مَن اسمه إبراهيم وكنيته أبو عبد الله سوى نفطويه. قال أبو منصور الثعالبي في أوائل كتاب لطائف المعارف أنه لقب نفطويه لدمامته وأدمته تشبيهًا له بالنِّفْط. **قوله**: (**وزيّ منفعتها**) أي منعها **في لسان العرب** الزيُّ مصدر زَوى الشَيء يَزْوِيْهِ زَيًّا وزَويًا فانزَوَى نحّاه فَتَنَحّى. اهـ. **قوله**: (**أو هو علم للجنّة**) أي لجنتهم.

قوله: (**في بديهة**) وصولهم في لسان العرب البَدْه والبُدْه والبديهة أول كل شيء وما يفجأ منه. اهـ.

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ حرمنا خيرها (لجنايتنا على أنفسنا) ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أعدلهم وخيرهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ هلا تستثنون إذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما في معنى التعظيم لله، لأن الاستثناء تفويض إليه والتسبيح تنزيه له، وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم. أو لولا تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم! كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك: اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيّرهم ولهذا.

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (فتكلموا بعد خراب البصرة) بما كان يدعوهم إلى التكلم به أولاً، وأقرّوا على أنفسهم بالظلم في منع المعروف وترك الاستثناء ونزّهوه عن أن يكون ظالمًا ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ يلوم بعضهم بعضًا بما فعلوا من الهرب من المساكين، ويحيل كل واحد منهم (اللائمة) على الآخر. ثم اعترفوا جميعًا بأنهم تجاوزوا الحد بقوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾ بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا﴾ (وبالتشديد: مدني وأبو عمرو) ﴿خَيْرًا مِّنْهَا﴾ من هذه الجنة ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ طالبون منه الخير راجون لعفوه. عن

قوله: (**لجنايتنا على أنفسنا**) بسوء نيّتنا وظلمنا على أنفسنا بمنع حق المساكين.

قوله: (**فتكلّموا بعد خراب البصرة...**) الخ يضرب في الأخذ في التدارك بعدما فات. **قوله**: (**اللائمة**) مثل الملامة. اهـ.

قوله: (**وبالتشديد**) أي بتشديد الدال وفتح الباء الموحّدة (**مدنيّ**) أي نافع المدنيّ. وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة (**وأبو عمرو**). وقرأ الباقون

(**مجاهد**): تابوا فأبدلوا خيرًا منها. وعن (**ابن مسعود**) ﷺ: بلغني أنهم أخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه (**عنقودًا**) ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي مثل ذلك العذاب الذي ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أعظم منه ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لما فعلوا ما يفضي إلى هذا العذاب.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم ذكر ما عنده للمؤمنين فقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ عن الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (**أي في الآخرة**) ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ جنات (**ليس فيها إلا التنعم الخالص**) بخلاف جنات الدنيا ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ استفهام إنكار على قولهم لو كان ما يقول محمد حقًّا فنحن نُعطى في الآخرة خيرًا مما يُعطى هو ومَن معه كما في الدنيا. فقيل لهم: (**أنحيف**) في الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين؟ ثم قيل لهم على

بسكون الموحّدة وتخفيف الدال. **قوله: (مجاهد)** بن جبر بفتح الجيم وسكون الموحّدة ثقة، إمام في التفسير وفي العلم مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة وله ثلاث وثمانون. **قوله: (ابن مسعود)** هو عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفاء ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمٰن من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة مناقبه جمّة وأمّره عمر رضي الله عنه على الكوفة ومات سنة اثنتين وثلاثين أو في التي بعدها بالمدينة. **قوله: (عنقودًا) في مختار الصحاح** العُنْقُود بالضم وأحد عناقيد العنب والعنقاد بالكسر لغة فيه. اهـ.

قوله: (أي في الآخرة) لما كان تعالى منزّهًا عن المكان فسرت العندية في كل مكان بما يناسبها فهي هنا عبارة عن الآخرة لاختصاصها به تعالى إذ لا يتصرف فيها غيره. **قوله: (ليس فيها إلّا التنعم الخالص)** أي لا يشوبها شيء مما يكدّر ما فيها من وجوه التنعّم كما يشوب ذلك جنات الدنيا والحصر المذكور مستفاد من إضافة جنات إلى النعيم فإنها تفيد اختصاص المضاف بالمضاف إليه وذلك لا يكون إلا بأن لا يكون فيها إلا النعيم الخالص، ففيه تعريض بأن جنات الدنيا مشوبة بما يكدّر العيش وينقص التنعم والاستراحة. **قوله: (الحيف)** في المصباح حاف يحيف حيفًا جار وظلم. اهـ.

طريقة الالتفات ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي، كأن أمر الجزاء مفوّض إليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ﴾ من السماء ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ تقرءون في ذلك الكتاب.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ أي إن ما تختارونه وتشتهونه لكم. **(والأصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح «أن»)** لأنه مدروس لوقوع الدرس عليه، وإنما كسرت لمجيء اللام، **(ويجوز أن يكون حكاية للمدروس)** كما هو كقوله: (﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾) [الصافات: الآيتان ٧٨، ٧٩]. وتخير الشيء واختاره **(أخذ خيره)** ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا﴾ **(عهود مؤكدة بالأيمان)** ﴿بَٰلِغَةٌ﴾ نعت ﴿أَيْمَٰنٌ﴾

قوله: **(والأصل «تدرسون أنَّ لكم فيه لما تخيّرون» بفتح أن)** جواب عما يُقال إن الجمهور، قرأوا بكسر همزة أن والحال أن كلمة أن مع ما في حيّزها واقعة موقع مفعول تدرسون والمعنى تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لأنفسكم وأن يكون العاصي كالمطيع بل يكون أرفع حالًا منه فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين. وتقرير الجواب نعم أن الأصل الفتح إلا أنها كسرت لدخول لام الابتداء في حيّزها فإن لام الابتداء لا تدخل على ما في حيز أن المفتوحة تقول: علمت أنك عاقل بالفتح، وتقول: علمت إنك لعاقل بالكسر وكسر ﴿إِنَّ﴾ بعد ﴿تَدْرُسُونَ﴾ لأنه علق عنه لما فيه من معنى العلم. **قوله**: **(ويجوز أن يكون حكاية للمدروس...)** الخ فيكون هذا حكاية بعينه لفظ الكتاب من غير تحويل من الفتح للكسر ولم يبيّن الضمير فيه وهو على الأول للكتاب وأعيد للتأكيد وعلى هذا يعود لأمرهم أو للحكم فيكون محصل ما خطّ فيه أن الحكم والأمر مفوّض لهم. **قوله**: (﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾) من الأمم (﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾) هذا الكلام جيء به على الحكاية، ولذا لم ينصب مع أنه مفعول ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾ [الصّافات: الآية ١] فهذه الجملة منصوبة محلًا أو تقديرًا والمعنى يسلمون أي الآخرون من الأمم عليه أي على نوح تسليمًا فحذف فعله وعدل عن النصب إلى الرفع ليدل على الثبوت والدوام. **قوله**: **(أخذ خيره)** هو معناه بحسب الاشتقاق ثم عمّ لأخذ ما يريده مطلقًا. **قوله**: **(عهود مؤكدة بالأيمان)** ولما كان الأيمان دالة على العهود بمعونة

ويتعلّق ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ بالغة أي أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم، أو بالمقدر في الظرف أي هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة لا تخرج من عهدتها إلا يومئذٍ إذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ﴿إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ﴾ به لأنفسكم **(وهو جواب القسم لأن معنىٰ** ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا﴾ **أم أقسمنا لكم)** بأيمان مغلظة متناهية في التوكيد.

﴿سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿سَلۡهُمۡ﴾ أي المشركين ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ﴾ الحكم ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيل بأنه يكون ذلك ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ﴾ أي ناس يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه ﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواهم يعني أن أحدًا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به، ولا عهد به عند الله، ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ ناصب الظرف ﴿فَلۡيَأۡتُواْ﴾ أو «اذكر» مضمرًا. والجمهور على أن الكشف عن الساق عبارة عن شدّة الأمر **(وصعوبة الخطب)**، فمعنىٰ ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يوم يشتد الأمر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق، ولكن كنىٰ به عن الشدّة لأنهم إذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق، وهذا كما تقول: للأقطع الشحيح يده مغلولة، ولا يد ثمة ولا غلّ، وإنما هو كناية عن البخل. وأما من شبه فلضيق عطنه وقلّة نظره في علم البيان، ولو كان الأمر كما زعم المشبه لكان من حق الساق أن يعرف **(لأنها ساق معهودة عنده)** ﴿وَيُدۡعَوۡنَ﴾ أي الكفار ثمة ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ لا تكليف ولكن توبيخًا على تركهم

المقام، أشار المصنّف إلى أن المراد بالأيمان عهود... الخ مجازًا بذكر الجزء القوي وإرادة الكل. **قوله: (وهو جواب القسم لأن معنى** ﴿أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا﴾ **أم أقسمنا لكم...)** الخ لأنه بمعنى العهود الموكدة بالأيمان فباشتمالها الأيمان يجاب بما يجاب به القسم المحض.

قوله: (وصعوبة الخطب) في المصباح الخطب الأمر الشديد ينزل والجمع خطوب مثل فلس وفلوس. اهـ. **قوله: (لأنها ساق معهودة عنده)** وهي ساق الرحمٰن.

السجود في الدنيا ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك لأن ظهورهم تصير (**كصياصي البقر لا تنثني**) عند الخفض والرفع.

﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿خَٰشِعَةً﴾ ذليلة حال من الضمير في ﴿يُدْعَوْنَ﴾ ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ أي يدعون في حال خشوع أبصارهم ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يغشاهم (**صغار**) ﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ﴾ على (**ألسن**) الرسل ﴿إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ في الدنيا ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي وهم (**أصحاء**) فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثَمّ.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿فَذَرْنِى﴾ يقال: ذرني وإياه أي كله إليّ فإني أكفيكه ﴿وَمَن يُكَذِّبُ﴾ معطوف على المفعول أو مفعول معه ﴿بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ بالقرآن، والمراد (**كل**) أره إليّ وخلّ بيني وبينه فإني عالم بما ينبغي أن يفعل به، مطيق له، فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكّل عليّ في الانتقام منه، تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد للمكذبين ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ سندنيهم من العذاب (**درجة درجة**). يقال: استدرجه إلى كذا أي استنزله إليه درجة فدرجة حتى (**يورطه**) فيه، واستدراج الله تعالى (**العصاة**) أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله (**ذريعة**) إلى ازدياد المعاصي ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من الجهة

قوله: (**كصياصي البقر**) أي قرونها جمع صَيْصَيَة بالتخفيف. **قوله**: (**لا تنثني**) بفتح أوله أي تعطف وتغير.

قوله: (**صَغار**) ذل. **قوله**: (**ألسن**) **في المصباح** اللسان العضو يذكر ويؤنث فمن ذكر جمعه على ألسنة ومَن أنث جمعه على ألسن. اهـ. **قوله**: (**أصحّاء**) **في المصباح** رجل صحيح الجسد خلاف مريض وجمع أصحّاء مثل شحيح وأشحّاء. اهـ.

قوله: (**كل**) أمر من وكل يكل بوزن عِدْ. **قوله**: (**درجة درجة**) أي درجة بعد درجة. **قوله**: (**يورطه**) **في مختار الصحّاح** الوَرْطة الهلاك وأورطه وورّطه توريطاً أي أوقعه في الوَرطة فتورّط فيها. اهـ. **قوله**: (**العصاة**) في المصباح عصى العبد مولاه عصيًا من باب رمى ومعصية فهو عاص وجمعه عصاة. اهـ. **قوله**: (**ذريعة**) **في المصباح** الذريعة الوسيلة والجمع الذرايع. اهـ.

التي لا يشعرون أنه استدراج. قيل: كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وأنسيناهم شكرها. قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا رأيت الله تعالىٰ ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج وتلا الآية».

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ﴾ وأمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ قوي شديد فسمىٰ إحسانه وتمكينه كيدًا كما سمّاه استدراجًا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببًا للهلاك. **(والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن، ولا يجوز أن يسمى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا)**.

قوله: (والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن ولا يجوز أن يُسمى الله كائدًا وماكرًا ومستدرجًا) في تأويلات الإمام أبي منصور الماتريدي رضي الله تعالى عنه قوله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٣] فالأصل أن المكر والكيد والاستدراج يقتضي معنى واحدًا وهو أن يُؤخَذَ من وجه أمنه ويراقب وجود هلاكه وهو يُستعمل في الخلق على وجه يذم أهله فهو يُضاف إلى الله تعالى ليس على جعل ذلك اسمًا له إذ لا يجوز أن يُسمى ماكرًا مستدرجًا وإنما يضاف إليه في حق الجزاء، وذلك الجزاء في الحقيقة ليس بكيد ولكن قد يجوز أن يُسمى الجزاء باسم ما له الجزاء كما يُسمى الجزاء لسيئة سيئة وإن لم يكن بسيئة، وكما يُسمى جزاء الاعتداء اعتداء فلذلك سمي جزاء الكيد كيدًا على هذا المعنى لا أن يكون ذلك منه كيدًا في الحقيقة أو يقول فإن الذمّ إنما يلحق الماكر والكائد إذا استعمله في وليه وصفيه فإذًا إذا مكر بعدوه وكاذبه فذلك مما لا بأس به ولا يذم عليه فاعله وما أُضيف من الكيد إلى الله تعالى فذلك حال أعدائه ليس بأوليائه فلم يكن فيه إلحاق معنى مكروه بالله تعالى **(ثم الأصل أن ينظر)** في الفعل لما إذا أضيف إلى الله تعالى بحقيقة أم بمجاز، فإن كانت الإضافة بحكم المجاز فلا يجعل ذلك اسمًا له لأنه لا يجوز أن يقال هو كاتب نافخ روح ولا كايد ولا ماكر إذ لا يتحقق ذلك منه، وما كانت إضافته لأجل التحقيق كأنه يستقيم أن يُسمى به لأنه يستقيم أن يسميه منعمًا مفضلًا خالقًا رحمانًا إذ الإنعام والإفضال والخلق موجود منه انتهت بحروفها.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ (٤٦) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٧) فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨)﴾

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ﴾ **(غرامة)** ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون استفهام بمعنى النفي أي لست تطلب أجرًا على تبليغ الوحي فيثقل عليهم ذلك فيمتنعوا لذلك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ﴾ **(أي اللوح المحفوظ عند الجمهور)** ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾) منه ما يحكمون به.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم لأنهم وإن أمهلوا ولم يهملوا ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ كيونس عَلَيْهِ السَّلَامُ في العجلة والغضب على القوم حتى لا تبتلى ببلائه. والوقف على الحوت لأن «إذ» ليس بظرف لما تقدمه، إذ النداء طاعة فلا ينهى عنه بل مفعول محذوف أي اذكر ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا ربه في بطن الحوت بـ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظًا من كظم السقاء إذا ملأه.

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٥٠)﴾

﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ رحمة ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾ أي لولا أن الله أنعم عليه بإجابة دعائه وقبول عذره ﴿لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ معتب بزلّته لكنه رحم فنبذ غير مذموم ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ اصطفاه لدعائه وعذره ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلّة. وقيل: من الأنبياء. وقيل: من المرسلين. والوجه هو الأول لأنه كان مرسلًا ونبيًا قبله لقوله تعالى:

قوله: (غرامة) في المغرب الغَرْم والغُرْم والغَرامة أن يلتزم الإنسان ما ليس عليه. اهـ.

قوله: (أي اللوح المحفوظ عند الجمهور) أطلق الغيب عليه مجازًا لأنه محل المغيبات فذكر الحال وأريد المحل والقرينة قوله: ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: الآية ٤١] أو المغيبات أي الأشياء الغائبة كأنها حضرت في عقولهم حتى أنهم يكتبون على الله أي يحكمون عليه بما شاءوا وأرادوا.

(﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝١٤٠﴾) [الصافات: الآيتان ١٣٩، ١٤٠] **(الآيات)**.

قوله: (﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٣٩ إِذْ أَبَقَ﴾) هرب (﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل لهم العذاب الذي وعدهم به فركب السفينة فوقعت في لجّة البحر، أي بحر الدجلة فقال الملاحون: هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة **(الآيات)** وهي (﴿فَسَاهَمَ﴾) قارع أهل السفينة (﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾) المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر كذا في الجلالين. وفي البيضاوي وتأويلات الإمام أبي منصور أنه ألقى نفسه في الماء (﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾) ابتلعه (﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾) أي آت بما يُلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣﴾) الذاكرين بقوله: كثيرًا في بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧]، (﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤﴾) لصار بطن الحوت قبرًا له إلى يوم القيامة (﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾) ألقيناه من بطن الحوت (﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾) بوجه الأرض أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يومًا (﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾) عليل كالفرخ أي ولد الطير المُمَّعِط بضم الميم الأولى وتشديد الثانية وكسر العين المنتوف الشعر (﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝١٤٦﴾) وهي القرع تظله وهي بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وَعِلَةٌ أي غزالة وهي بفتح الأول والثاني وبكسر الثاني وسكونه صباحًا ومساءً يشرب من لبنها حتى قوي (﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾) بعد ذلك كقبله إلى قوم نينوى من أرض الموصل.

كذا في الجلالين، وفي تفسير الإمام البغوي رحمه الله قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه. وقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ﴾ [الصّافات: الآية ١٤٧] أي وقد أرسلناه وقيل: كان إرساله بعد خروجه من بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين انتهى (﴿إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ﴾) بل (﴿يَزِيدُونَ﴾) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفًا (﴿فَـَٔامَنُواْ﴾) عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَٰهُمْ﴾ [الصّافات: الآية ١٤٨] أبقيناهم ممتعين بما لهم (﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾) تنقضي آجالهم فيه. اهـ جلالين.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ **(وبفتح الياء: مدني. ﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة واللام عملها)**. زلقهُ وأزلقهُ أزاله عن مكانه أي قارب الكفار من شدّة نظرهم إليك (شزرًا) بعيون العداوة أن يزيلوك بأبصارهم عن مكانك، أو يهلكوك لشدّة (حنقهم) عليك. **(وكانت العين في بني أسد)** فكان الرجل منهم يتجوّع ثلاثة أيام **(فلا يمرّ به شيء)** فيقول فيه: لم أرَ كاليوم مثله إلا هلك. **(فأريد بعض العيّانين)** على أن يقول في رسول الله مثل ذلك فقال: لم أرَ كاليوم مثله رجلًا فعصمه الله من ذلك. **(وفي الحديث: «العين حق وإن العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر»)**.

قوله: (وبفتح الياء) من زلقت الرجل وهو فعل يتعدّى مفتوح العين لا مكسورها مثل حزن وحزنته **(مدنيّ)** أي نافع المدنيّ، وكذا أبو جعفر المدنيّ وليس من السبعة والباقون بضمها من أزلقه معدى بالهمزة أي أزلّ رجله. **قوله: (﴿إن﴾ مخففة من الثقيلة)** أي وإنه. **قوله: (واللام عملها)** عبارة الخطيب ولما كانت ﴿إن﴾ مخففة أتى باللام التي هي عملها فقال: ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾. اهـ. **قوله: (شَزْرًا)** الشَّزْر بشين وزاي معجمتين ثم راء مهملة نظر الغضبان بمؤخر عينه أو على وجه يؤذن بالغضب والعداوة. **قوله: (حنقهم) في لسان العرب** الحَنَق شدّة الاغتياظ. اهـ. **قوله: (وكانت العين في بني أسد)** من العرب. **في لسان العرب** العَيْنُ أن تصيب الإنسان بعَيْن وعان الرجل بعينه عَيْنًا فهو عائن والمُصاب مَعِين على النَّقْص ومعيون على التمام أصابه بالعين. قال الزجاج: المَعين المُصاب بالعين والمعيون الذي فيه عين. اهـ. وأيضًا فيه رجل مِعْيان وعَيُون شديد الإصابة بالعين والجمع عُيُنٌ وعِيُنٌ. اهـ.

قوله: (فلا يمرّ به شيء) من الإبل أو الغنم أو غيرهما. **قوله: (فأريد بعض العيانين)** أي الكثيرين في الإصابة بالعين يقال: عانه يعينه إذا نظر إليه فأثر نظره فيه. **قوله: (وفي الحديث...)** الخ هو حديث صحيح. ذكره السيوطي في الجامع الصغير من عدة طرق. **قوله: (العين حق)** أي الإصابة بالعين من جملة ما تحقّق كونه. **قوله: (وإن العين لتدخل الجمل القدر)** أي إذا أصابته مات أو أشرف على الموت فذبح وطبخ **(والرجل القبر)** أي تقتله فيدفن في القبر. **قوله:**

(**وعن الحسن: رقية العين هذه الآية**) ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسدًا على ما أوتيت من النبوّة ﴿إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ إن محمدًا لمجنون (**حيرة في أمره وتنفيرًا عنه**).

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ﴾ أي القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ وعظ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ للجن والإنس يعني أنهم (**جننوه**) لأجل القرآن وما القرآن إلا موعظة للعالمين، فكيف يجنن مَن جاء بمثله؟ وقيل: لما سمعوا الذكر ـ أي ذكره عليه السلام ـ وما هو ـ أي محمد عليه السلام ـ إلا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب إليه الجنون؟ والله أعلم.

(**لتدخل...**) الخ عبارة عن إهلاك كل ما أصابته وفي العين وكونها حقًّا وردت أحاديث كثيرة. **قوله**: (**وعن الحسن**) البصري رضي الله تعالى عنه (**رقية العين هذه الآية**) وعبارة الكشاف، وعن الحسن رحمه الله تعالى دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية. انتهت. أي أن قراءة هذه الآية تدفع بإذن الله تعالى إصابة العين وضررها، وهذا مراد الحسن رحمه الله تعالى رحمة واسعة وإن أمكن أن يراد ظاهره وهو أن يكون دواء وشفاء بعد إصابة العين. اهـ قنوي رحمه الله. **قوله**: (**حيرة في أمره وتنفيرًا عنه**) حيث سمعوا منه كتابًا بدت بلاغته على كل بليغ واشتمل حكمًا لا تحصى، وأحاط علمًا لا يقصى مع أنه لم يمارس خطأ ولم يدارس علمًا فاستوعب الحيرة لهم، واستولى الدهشة عليهم فقالوا ذلك كأنهم لا شعور لهم. فأشار المصنف رحمة الله عليه بقوله: حيرة... الخ إلى أنهم يعقلون ويعلمون أنه عليه الصلاة والسلام أعقل الناس فقولهم ذلك لا لجهلهم بل لكمال حيرتهم وفرط دهشتهم.

قوله: (جننوه) أي نسبوه إلى الجنون فصيغة التفعيل للنسبة. تمت سورة نٓ والحمد لله ربّ العالمين وأفضل صلاة وسلام على أفضل الأنام وعلى آله وصحبه الكرام.